

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المجلس الأعلى للغة العربية

رئاسة الجمهورية



مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء الخامس

2021

• كتاب: مناسبة وكلمة
(الجزء الخامس)

- إعداد : المجلس الأعلى للغة العربية
- قياس الصفحة: 23/15.5
- عدد الصفحات: 664

منشورات المجلس

الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2021
ردمك: 978-9931-681-86-1

المجلس الأعلى للغة العربية
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: +213 21 23 07 16/17
الناسوخ: +213 21 23 07 07
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz



الفهرس

الصفحة	العنوان	
18 - 7	مجامع اللغة العربيّة: ضرورة أم ترّف؟ - شعاري الميزان -	01
28 - 19	كلمات في المناسبة اليوم العالميّ للغة العربية 18 ديسمبر	02
36 - 29	تأثير اللغة على فعل التنشيط الثقافيّ	03
42 - 37	حماية ذاكرة الشّهداء	04
48 - 43	المعجم التاريخي للغة العربيّة: الخصائص والوظائف	05
54 - 49	أمانة الشّهداء: وحدة ولحمة	06
60 - 55	كلمة 1 مارس حول لغة الضّاد	07
68 - 61	حوسبة اللغة العربيّة في ظلّ العولمة الرّقميّة: تحديات راهنة	08
72 - 69	كلمة إلى بيت الشعر الجزائريّ	09
132 - 73	اللغة العربيّة وتحديات العصر وضرورة الاستثمار بها وفيها	10
144 - 133	الترجمة والأزمة	11
154 - 145	العربيّة ومقامها في السوق اللغويّة	12
160 - 155	مفدي زكرياء	13

170 - 161	تعليمية اللغة العربية في ظلّ التّكنوجيات الحديثة	
174 - 171	الكبار لا يموتون	15
182 - 175	اليوم العالمي للكتاب	16
192 - 183	اليوم العالمي لحرية الصحافة	17
202 - 193	نريده إعلاماً خارقاً لا مُختَرَقاً	18
208 - 203	اليوم الدّراسي حول التّصوّف	19
214 - 209	فلسطين ما ضاع حقٌّ وراءه طالبٌ	20
226 - 215	منبر التّرجمة للمجلس الأعلى للغة العربيّة	21
236 - 227	النّصوص التّراثيّة في المناهج الدّراسيّة	22
248 - 237	النّص التّعليمي في المدرسة الجزائرية محطّات تقييميّة لقواعد: الانتقاء والبناء وآليات الإقراء	23
262 - 249	اقتراح استراتيجيّة مُوحّدة للمصطلحات العلميّة العربيّة	24
286 - 263	الخطّ العربيّ والكتابة وضرورات مُسايرة نمطيات الرّقمنة	25
298 - 287	البحث اللساني العربي بين الأصالة والحداثة	26
306 - 299	الاتّصال المؤسّساتي: الواقع، التّحدّيات، الآفاق	27
316 - 307	الوفاء لرموز الجزائر	28
324 - 317	كلمات في المعجم الطّوبونيّ الجزائريّ الجزء الأوّل	29
358 - 325	تقهقر وهج الفرنسيّة، وتشبّت النّخبة الفرنكفونيّة	30

366 - 359	أحمي وطني	31
382 - 367	اليوم العالمي للترجمة	32
390 - 383	من الآلام إلى الآمال	33
404 - 391	أسئلة صحافية	34
416 - 405	استثمار اللسانيات الحاسوبية في صناعة المعاجم الإلكترونية	35
422 - 417	سلطان القاسمي حامل همّ الأمة العربية	36
438 - 423	حوار مقدّم لجريدة (صوت الأزهر)	37
448 - 439	أثر تكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغات وتعلّمها	38
454 - 449	قراءة النص، الإشكاليات والمناهج	39
466 - 455	التطوع اللغوي	40
472 - 467	دور أمحمد الصافي في بعث المعجم التاريخي	41
476 - 473	كلمة في عبد الملك مرتاض	42
482 - 477	كلمة في الشيخ أحمد حماني	43
502 - 483	اللغة العربية: العولمة والرهانات	44
512 - 503	أهمية اللغة العربية في البحث العلمي	45
528 - 513	اللغة العربية والتواصل الحضاري	46
554 - 529	اللغة الوطنية المشتركة والتنمية الشاملة المستدامة	47

566 - 555	أفكار للصحافيين حول حسن استعمال اللغة العربية	48
606 - 567	العربية في شمال أفريقيا قبل الفتح الإسلامي	49
660 - 607	المازيغية / تمزيغت والعربية في الجزائر	50

مجامع اللّغة العربيّة: ضرورة أم ترف؟

شعار في الميزان^٧ -

- **الدّياجّة:** درجت اليونسكو / UNESCO في كلّ سنة اقترح شعار يتعلّق بالاحتفائيات السنويّة التي تقوم بها اللّغات الستّ المعتمدة في هيئة الأمم المتّحدة، وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21) والمنتشرة عالمياً، ويكون ذلك الشّعار حاملاً لثقافة اللّغة المُحتفى بها، أو يكون مُعبّراً عن خاصيّة من الخصائص، ولا مشاحة في ذلك، بقدر ما يهمّنا هذا الاهتمام باللّغات الحضاريّة التي أفادت العالم. رغم أنّ نصيب الإنكليزيّة ينال الزيادة والريادة في اهتمامات اليونسكو أكثر من اللّغات الخمس الباقيّة: الفرنسيّة والصّينيّة والإسبانيّة والرّوسيّة والعربيّة. ولقد عشنا شعارات ثقافيّة في هذا المجال بخصوص العربيّة بدءاً من سنة 2012م، وكانت مُلفتة للنّظر وفي غالبيتها تعطي القيمة المُضافة للعربيّة، ونعتمدها سنوياً بحكم عضويّة دولنا ومؤسّساتنا العلميّة واللّغويّة والمجالس العلميّة وما يلحقها من مؤسّسات ثقافيّة، وكان شعار احتفائيّة سنة 2018م (تحديّ الرّقمنة) وشعار السنة الفارطة 2019م (الذكاء الاصطناعي) وجسّدناها في رحاب المجلس الأعلى للّغة العربيّة خير تجسيد ببرامج علميّة في ذات العناوين.

^٧ - أُنجزت الكلمة لصالح الإيسيسكو، بمناسبة للرّد على الشّعار الذي قدّمته منظمة اليونسكو للاحتفاء باليوم العالميّ للّغة العربيّة. (مجامع اللّغة العربيّة: ضرورة أم ترف؟) أُلقيت عبر وسائل الرّوم بتاريخ 21 ديسمبر 2020م.

1- شعار هذه السنة 2020م: مجامع اللغة العربية: ضرورة أم ترف؟ شعار يحمل علامة الاستفهام؛ علامة فارقة تعرف التضاد؛ فالضرورة تستدعي الوجود، والترف لا يأتي إلا من تحقيق الضرورات والكماليات ونحن لم نُحقق الضروريات، فلا يمكن أن نعيش الرفاهية اللغوية، والكثير من القضايا اللغوية في العربية مُعلقة. ويمكن أن نقول إننا حققنا الضرورة الشعرية ولكن الشعر يتطور، كما أن اللغة تتطور، فلا يمكن تحقيق هذه المعادلة إلا إذا تمّ التكامل بين أمراء اللغة وحرفيها، كما قال سيبويه: "الشعراء أمراء اللغة والتحا والغويون هم مثل الحرفيين الذين يقومون على صيانة اللغة، ولا بدّ للمبتكر أن يكون له قدر من الصيانة إن لم يزد عليه". ولهذا رأيت أن تكون كلمتي متبوعة بـ (شعار في الميزان). إذاً هي علامة التأكيد إلا إذا أبانت عن عكسها، فكأنّ هذه المجامع لا تشغل ووجودها غير ضروري، بل هياكل من التباهي في إقامة وتضخيم حجم المؤسسات، وإذا اشتغلت فهي تعيش الرفاهية؛ لأنّ الضرورة متفافة. هو سؤال يحتاج إلى معاينة نوعيّة، وإلى إجابة موضوعيّة، على غرار فعل الإيسيسكوك/ (ICESCO) (منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة) التي اتّصلت بأهل الاختصاص لبحث الأمر، والردّ العلمي، وها نحن في هذا المحفل الافتراضي نقول كلمتنا.

لقد نال هذا الشعار بعض النّقد، كما شجّه بعض النّقّدة الذين يحملون الغيرة على اللغة العربية بدعوى أنّ مجامع اللغة العربية تقوم بوظيفتها وما الدّاعي لتحويل الأمر بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية لهذه السنة 2020م بهذا الشعار المخيف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تقبله البعض بقبول حسن بدعوى تقول: ما الفائدة من أن يكون الهيكل ظاهراً والمخبر

مُحيراً وخيباً؟ ما الفائدة من مؤسسات لا تؤكل الخبز؟ ما الجدوى من مجامع لغوية لا تحلّ قضايا العربية التي لا تزال مُعلّقة منذ ما ينيف عن سبعين (70) سنة؟ ما الفائدة من مؤتمرات مَجْمَعِيَّة لا تلقى التّنفيد؟... ويبدو لي بأنّ شعار هذه السّنة هو وخز لضمير مُسيّري مجامع اللغة العربية في إعادة النّظر في أداء واجباتها اللغوية قبل المطالبة بالحقوق الماديّة، وأن يحصل تغيير في منهجيات التّعامل مع العربية التي لا تعرف الانجذاب اللغويّ في بلدانها كونها لغة رسميّة في كلّ الدّول العربيّة حسب ما تنصّ عليه دساتيرهم في ظلّ ضعف تعميم استعمالها إلى جانب إعادة النّظر في منهجية تعاملها مع اللغة العربيّة الرّسميّة كلغة وظيفيّة ضروريّة لا كمالية؛ ولكّنها تُستحضر في مواسم العبادات لا في مواسم المعاملات، وهذا بالنّظر إلى تلك الكتلة الماديّة التي تقدّمها الدّول العربيّة للمجامع اللغوية، وهي لا تؤمّن الأمن اللغويّ للمواطن العربي. ومن حقّ اليونسكو أن تطرح علينا هذا الشّعار، وهو حقّ في جانب، وليس من الحقّ في جانب. وبصفتي مجمعيّاً، أقول: إنّ هذا الشّعار ينشطر إلى شقين يحتاجان إلى طرح، وأضعهما في خانة التّقذ.

2- **حقّ النّقد:** في بلادنا العربيّة أكثر من اثني عشر (12) مجمعا لغوياً عربياً بعضها يشتغل وبعضها افتراضي، وبعضها مشروع على ورق وبعضها يعيش التّراوح، وبعضها دون أعضاء منذ التّأسيس، وبعضها يستهلك فقط وبعضها هيكل بلا روح، وبعضها يعيش القهقريّ وبعضها أسند لغير الاختصاص، وبعضها يتألّق... والمشكلة تساوت المجامع اللغوية بين الواقفة والخاملة ويضاف إليها (اتّحاد المجامع اللغوية العربيّة) الذي تحدّدت مهامه منذ سنة 1956م؛ ولكّنه بدأ عمله سنة 1971م، ضمن مُعطى مُعاكس

للمطلوب، فبقي شبه جامد إلى بداية 2012م دون الحديث عن مؤسسات إضافية أخرى؛ تؤدّي بعض الوظائف التي تقوم بها الجامعات، فما الفائدة منها إذا كانت تقوم بمهام مجامع اللغة العربية؟

هي كلمة حقّ نقدية، يجب قولها بأنّ مجامع اللغة العربية تحتاج إلى تنسيق مجهودها للخروج بنمطية موحّدة، وكان هذا من القوة وليس من الفعل ولكن لم يحصل. كيف لهذه الجامعات، وما يلحقها من مؤسسات ثقافية، والتي يُنفَق عليها من ضريبة المواطن العربي، ولا تقدّم الحلول الإجرائية لازدهار لغته، أو لتعميم استعمالها، أو الإفادة منها في الترجمة؟ كيف يمكن لمجامع تعيش على غطية قديمة لا تعرف التّحيين، ولا تساير العصر، وتعيش في الأبراج العاجية كما يقول البعض، وهم يعيشون واقعاً لغوياً يبعد عن الاستعمال اليوميّ. ويكفي أن نأخذ قول رئيس مجمع اللغة العربية (صلاح فضل) في جريدة (المصري اليوم) بتاريخ 11 ديسمبر 2020م على المجمع المصري "... المجمع أصابته الشّيوخوخة ... مجمع كان إنتاجه محصوراً في أضاير، ومحسوساً في أدراجه ... انسداد شرايين المجمع بالمجتمع ... لم يتمكّن المجمع من أداء رسالته مع هذه المدة الزّمنية من التأسيس ... كلمات مؤثرة من رجل مجمعيّ خبر المجمع اللغويّ المصريّ منذ سبع عشرة (17) سنة، وكان على دراية بوضعه خارج التّغطية. كيف لأعضاء خالدين كبار السنّ يُسيّرون بدل أن يكونوا من المستشارين العلميين، ومن منتجي الأفكار من خلال تجاربهم العمرية. كيف نرى واقع الجوازات اللغوية للمجامع التي أباحت ما كان مغلقاً لدرجة أنّ بعضها غير مطابق للقاعدة، ولا يجوز فيها الترخيص كيف لمجمع يُشرّع لغوياً دون موافقة جماعية تخرج من أعضاء اتحاد الجامعات.

أرمادة من السّلات المجمعّة للمصادقة على التشريع اللغويّ، وما يتبع ذلك من مجلس الأمناء في اتحاد المجامع، ويحضرون مرّة واحدة في الجمعية العامّة السنويّة، ويوافقون على منجزات الباحثين، وبعض ممثلي الدّول لا علاقة لهم بالاختصاص. أموال تضيع في الاستقبال فأين مقام البحث والتّحقيق والتّدقيق؟ بله الحديث عمّا يتبع ذلك من قوانين تخصّ العضويّة، والإدارة ومن انتماء إدارة المجمع إلى وزارة/ رئاسة/ ديوان ملكي... كيف لا يتأسّف له ونحن لم نحلّ مشكلة تعدّد المصطلحات منذ سبعين (70) سنة، كيف نقبل بأنّ مشكلة التّحو العربي لا تزال عالقة كيف لا نقول الحقيقة بأننا لا نعيش رهان استعمال وسائل التّقانات المعاصرة... مضايقات جمّة تعيشها العربيّة في مجال الأمتة، ولا نزال نستهلك ما يقدّمه الدّكاء الصّناعي للغات الأجنبيّة... هي حقائق لا بدّ أن نذكرها، ونضعها في الميزان، ومن حقّ المسؤول عن هذه المجامع أن يدافع ويردّ على ما ليس من الاختصاص، وعلى المضايقات التي يعيشها مع الأطراف التي لها سلطة التّنفيذ.

2- **حق الردّ على النّقد/ الدّفاع:** يجب الوعي بالمسألة اللغويّة بأننا بحاجة إلى مؤسسات تعمل على تطوير اللغة العربيّة، ويكفي أن نعرف أنّ فرنسا رخصت لأكثر من اثنين وخمسين (52) جمعية للدّفاع عن اللغة الفرنسيّة في أرضها وخارج أراضيها، وهناك أرمادة من القوانين والمؤسسات الإعلاميّة المجدّدة لإشعاع الفرنسيّة في الدّاخل وفي ما وراء البحار. إذا إقامة المجامع ضرورة حضاريّة بغية الإشعاع اللغويّ، ولم نصل بعد إلى التّرف اللغويّ، ولا توجد لغة بلغت المنتهى. كما يجب العلم بأنّ التّصوص المنشئة لهذه المجامع في أصلها نصوص سياسيّة أكثر منها علميّة، وشعارها في ذلك أنّ كلّ الدّول

تضع المؤسسات اللغوية والعلمية وهي استشارية، بقدر ما تضعها في جناح اقتراح الأفكار، دون متابعة التنفيذ، إضافة إلى غياب سلطة التنسيق بين المؤسسات ذات العلاقة من مثل وزارات: التربية/ الثقافة/ التعليم العالي/ التكوين المهني/ الداخلية/ المالية... وقلة التفقة على المشاريع المطلوب إنجازها، وذلك ما يعمل على التعطيل. أقول: ربّ ضرة نافعة، فقد سعدت بهذا الشعار (مجامع اللغة العربية: ضرورة أم ترف؟) الذي أيقض فينا ضمير إعادة النظر في أن بيتاً لا يأويني يحتاج إلى غلق أو بيع، ولهذا نبارك للإسيسكو مناقشة هذا الشعار الذي يجعلنا نُعيد النظر في فاعلية تأسيس مجامع جديدة، أو اتحاد المجامع ربّما جهوية. شعار يتركنا ننحو منحى آخر في إنجاز خريطة طريق تناسب مُعطيات الرّاهن، والعمل بالمشاريع الكبرى التي تعيد التّضارة للعربية، وتعمل على الحدّ من الدّوارج، وهي مسألة خطيرة جداً لأنّ ما تزرعه المدرسة من تفصيح يهاجم من الاستعمال في الشارع وهذه المسألة لا بدّ أن تُعالج بقوة، وبخاصّة في لغة الإعلام، وقد حدّثنا منها (أحمد شوقي) منذ ما يقرب من قرن؛ قائلاً: "لستُ أخاف على الفصحى إلّا من عامية بيرم التونسي". وهنا لا أنكر المستوى اللغويّ الثّاني للعربية، بل أنكر المستوى السّوقي الهجين، وهذا هو الأخطر، فأين موقع مجامع اللغة العربية من هذا التّلهيج الذي يتنامى في كلّ البلاد العربيّة؟ وأين تأثير مجامع اللغة العربية في مؤسسات ذات العلاقة؟

لستُ من المنادين إلى وضع العربية في القفص، وجعلها رهان قرون التّقييد، ولا أن نخصّص لها شرطة لغويّة؛ تفرّع الخارجين عن العرف اللغويّ، ولا من الذين يقولون "قل ولا تقل" أو من الذين يفرضونها بالقوّة

بالاستناد إلى الدساتير، ومن ثمّ إنزال العقوبات على المخالفين... نريد من مجامع اللغة العربية أن توجد آليات الاستعمال العفويّ الطّبيعيّ، فالعربيّة لا تُفرض بعقوبات، ولا بإكراهات، بل بترغيبها وتيسير استعمالها وتحبيبها للفظريين ولغير الفطريين، وجعل أهلها يعتزّون باستعمالها الجميل؛ وهم ينافحون من أجلها بعلميّة دقيقة، وبمحجّة دامغة، فهي لغتنا ومصيرنا وحرّيّ بنا تطويعها وتطويرها والدّفاع عنها في بلداننا. وهذا من عمل مجامع اللغة العربيّة والمؤسّسات العاملة على التطوير العلمي والتّكنولوجي، وما يتبع ذلك من مُخصّصات البحوث الدّكيّة في النّانوتكنولوجي.

3- **اتحاد المجامع ما له وما عليه:** تأسّس اتّحاد المجامع كشخصيّة معنويّة مُستقلّة، ومقرّه مدينة القاهرة، ومن ثمّ انتقل إلى مدينة ستّ (6) أكتوبر في سنة 2019م، ويدير مجلس اتّحاد المجامع اللغويّة العلميّة العربيّة، ويتألّف من عضوين من كلّ مجمع لغويّ، يختارهما مجمعها لمدة أربع سنوات، ويتخبّون من بينهم رئيساً وأميناً عاماً وأمينين عامين مساعدين لمدة أربع سنوات قابلة للتّجديد. ويجتمع مجلس الاتّحاد في دورة عاديّة مرّة على الأقلّ في كلّ سنة من المجامع الثلاثة في: دمشق والقاهرة وبغداد، وكلّ مجمع لغويّ علميّ تنشئه دولة عربيّة مستقلّة يوافق مجلس الاتّحاد على قبوله. ومن أهدافه:

- تنظيم الاتّصال بين المجامع اللغويّة العلميّة العربيّة، وتنسيق جهودها في الأمور المتّصلة باللغة العربيّة وبتراثها اللغويّ والعلميّ؛
- العمل على توحيد المصطلحات العلميّة والفنيّة والحضاريّة العربيّة ونشره؛

• وضع معجمات لغوية محررة على النمط الحديث والإسهام فى إحياء التراث العربى، ودراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها؛ دراسة علمية لخدمة الفصحى والبحث العلمى، ودراسة قضايا الأدب ونقده، وتشجيع الإنتاج الأدبي، وإصدار مجلات أو نشرات أو كتب تحوى قرارات الجمع وأعماله، وبحوث أعضائه وغيرهم، مما يتصل بأغراض الجمع وتوصية الجهات المختصة باتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهى إليه الجمع لخدمة سلامة اللغة، والدعوة إلى عقد المؤتمرات والتدوات التى تتصل بأغراض الجمع وتوثيق الصّلات بالجامع والهيآت اللغوية؛

• العمل على الإسهام فى إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.

ومن خلال هذه المهام الكبرى؛ تحدّدت أعماله بشكل واضح فى مجموعة من اللوائح التى تلاحقت بعد ذلك، وتتمثل فى:

أولها: تأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية العربية بغرض تنظيم الاتصال بينها، وتنسيق أعمالها، ويكون المرجع الذى يوحّد المصطلحات التى تضعها المجامع والمؤسّسات العلمية والعلماء.

الثاني: تقديم وسائل ترقية اللغة العربية.

الثالث: تشجيع التأليف والترجمة.

الرابع: وضع المصطلحات العلمية.

الخامس: تحقيق المخطوطات ونشرها.

وعندما ننظر في هذه المهام الكبرى، والمدة الزمانية الكبيرة والتي أوجد لتحقيقها، وما قدمه خلالها، نرى البون شاسعاً بين الزمان، والكتلة المادية والمتوج، والنشاط المطلوب وما هو من المنجز البسيط. نرى ضعفاً كبيراً بين المخطّط له ونسبة المنجز، فما خُطّط له بعيد المنال، وقد توزّع دمه بين المجامع الجديدة، وبين التسيير الذي اعتمده، فنرى هذا الاتحاد في صورة يحتاج إلى رجّة، وإلى رجل رشيد؛ يعيد النظر في سياسة التسيير وفي جلب الاهتمام من أجل تغيير نمط التفعيل. اتحاد المجامع مُرتهن في نشاطه، وكنا نودّ أن يكون له الحضور في قرارات جامعة الدول العربية بخصوص مهامه، وتكون له سلطة الرقابة في الكتب المدرسية، وسلطة استخدام العربية، وحظر استعمال العامية في وسائل الإعلام، والتدخل في وضع المعاجم المدرسية والعمل على تيسير تعليم النحو في مراحل التعليم العام، ومتابعة إخراج المعاجم المتخصصة في مختلف الموضوعات العلمية والفنية، والعمل على توحيد المصطلح العربي في مختلف الأقطار العربية والتوسّع في ترجمة الكتب العلمية المختلفة، وكتب المعارف الإنسانية، ومتابعة صارمة لعملية تعميم استعمال العربية في مختلف مناحي الحياة اليومية، ورفع المستوى التعليمي للخريجين واستيعاب الجديد في شتى العلوم وفنون المعرفة... ويُؤسّف له أنّ هذه المهام التي وضع من أجل تجسيدها تمّت على بعض القطاعات فقط، وبنسبة مُحترّمة فما سبب وجوده إذا كان لا يعمل على تجسيد مهامه؟

- **الخاتمة:** أعرف أنّ مجامع اللغة العربيّة بها علماء أجلاء، وهم يحتاجون إلى قوّة التفوذ للقرار، والضّغط لتجسيد قوانين حماية اللغة العربيّة، ومنهجية الوصول إلى المجالس المنتخبة لتجسيد فاعليّة التأثير في القرار. ولكنني أقول كلمات حقّ أنتصر للصّواب، ولقد بصرتُ بأشياء تعانيها العربيّة، وأريد من مجامع اللغة العربيّة تجسيد الأهداف التي أنشئت من أجلها، وتنتهي المشكلة بيسر وسهولة. ولهذا أريد من مجامع اللغة العربيّة أن تضع الدّواء على جراحات العربيّة، ولكن تبدو كأنّها بلا التّئام؛ هي جراحات أكثر إيلاماً في الآداب والفنون والعلوم وفي طرائق التدريس. كيف نرفع من مستوى تعليمها لأطفالنا، وما السّبيل إلى العمل بمنهجية الوعي بأهميّة التشويق والتّحبيب والتّقريب والتّسهيل، وكيف نسقي أطفالنا الفصحى مثلها مثل الشّراب السّائغ الجميل في أرقى نماذجه السّهلة الممتنعة. أريد من مجامع العربيّة الوعي بأهميّة تحريك دواليبها ليكون لها الحضور في المجتمع، وكم عزّ أقوامٌ بعزّ لغات. أريد منهم رفع ما يتداول "العربيّة من أصعب اللغات، وأنّها لغة الماضي". وضرورة التّفكير في إيجاد سبيل الرّجوع إلى جوهر العربيّة وليس إلى قواعدها وإعرابها وتعقيداتها والمسائل الخلافية، ولو اتّخذنا الوسائل الحديثة في التّعليميات؛ لحذفنا من أذهان المُشكّكين هذه المَقولة وأمثالها. أريد من مجامع اللغة العربيّة ألا تنعي حظّها بين أهلها بما تقدّمها من وصفات علميّة للشّباب في الاهتمام بلغتهم، وهي مجدهم، وكيف يرتفعون فيها، وبها يحتوون العلوم الحديثة. أريد من المجمعين إيلاء القيمة الرّمزيّة للعربيّة قبل القيمة العلميّة، وأنّها عنصر جوهريّ، وقوّة كبرى في الثّقافة العربيّة الأصيلة والحديثة. وأخلص في التّهاية بأنّه من الضّروري التّناء على تلك المجمع

اللغوية العاملة وتحتاج إلى تعضيد، وإحداث رجّة في مجامع لا تستزيد، والقطيعة مع تلك التي تعيش شيخوختها بالعتيد وإلى غلق مجامع لا تُقدّم الجديد، فما الدّاعي لهيكل لا يُفيد؟

مقترحات: أقترح مجموعة من التّصورات في هذا المجال:

1- دمج المؤسسات ذات العلاقة بمهام المجامع في ما بينها، وتقليص الموظفين.

2- ضرورة تفعيل مجامع اللغة، وإلاّ فالغلق أولى إذا كانت لا تخدم الوطن والمواطن في لغته.

3- المتابعة والإشراف الدائم على المجامع من قبل السّلطة الوصيّة باعتماد التّقويم والتّقييم.

4- التّفقة على المجامع بحجم المشاريع المنجزة، وإنتاج الأفكار التوعوية القابلة للتّجسيد.

5- ضرورة التّسيق العربيّ في مجال الاختصاص المجمعيّ؛ وكلّ فئة مجعّية تختصّ بمجال لغويّ تفرض أفكارها لتنال التّطبيق.

6- التّسيق مع جامعة الدّول العربيّة في مسألة تنفيذ مقترحات المجامع وإعطاء السّلطة التشريعيّة في اختصاصها.

7- مُطالبة المّجامع بإلّجاز المشاريع الكبرى، ومُتابعة التّنفيذ من لجان غير مّجمعيّة، والعمل بنظام "خُذْ بقدر ما تُنتج". أو على التّعبير الاقتصادي "سَلِّم البضاعة وخُذْ الكاش".

كلمات في المناسبة^٧

اليوم العالمي للغة العربية 18 ديسمبر

ـ **الديباجة:** بسم الله أبتدي، ومن خزائن علمه أستقي، وبرسوله أقتدي وبعده؛ ما أصعبَ الكلامُ عن اللغة العربية في هذه المناسبة العالمية الكبيرة ونحن نعيش احتفائيتها تحت طائلة جائحة الكوفيد، وترونا شذر مذر؛ كلٌّ في موقعه وبلده؛ نُحيي المناسبة عن بُعد، ومع ذلك تستمرّ الحياة بأعمالنا التي أقمناها عبر المنصّات، وتهون الأمور من أجل جلالة الملكة (اللغة العربية الماجدة). فهي دينٌ علينا، ولا نتنكّر لها، وإذا تنكّرنا لها فمن ذا يخدمها؟ ومن ذا يذود عن حماها؟ فهي التي تُعلي هممنا، وتشدُّ عزائمنا وإنّ كلّ حديث عنها منكر يزيد لواعج الأسي، ويحرك مشاعر الشّجي ويؤرّز أولى التّهي والحجى، ولكّتنا لا نعدم المنجز فيها وبها، وكان مهوى كلّ باحث أريب ومأمول كلّ عاشق للغة الضّاد، فهناك المنجز الملموس في هذه السّنة 2020م وكان كبيراً وجباراً، يستحقّ تقديراً وجهداً لكلّ العاملين على نشر بريق العربية الذي له الإشعاع في مناحي تطويرها.

نبدأ من رحاب المجلس الأعلى للغة العربية الذي قام على إنجاز المجلّد الأوّل في الأعلام من الموسوعة الجزائرية التي لم ترَ التور منذ دولة الاستقلال ومعجم ألفاظ الحياة العامة في الجزائر، وهو عمل ضخّم تحقّق جزؤه الأوّل بصورة ممتازة؛ جزء يحلّ قضايا التواصل اليوميّ بلغة عربية سليمة، ويعمل على

^٧ - أعدت الكلمة لثلاثي في لقاء ثقافي في بلدية برهوم بولاية مسيلة، بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية.

بتاريخ السّبت 8 جانفي 2021م.

تعميمها في مختلف المجالات، وهذا دلالة كبيرة على أن القضايا اللغوية تعرف الطريق السليم في تعميمها واستعمالها، فبوركت خطوات كل العاملين في مختلف مشاريع المجلس؛ وهم من المتطوعين الذين يخدمون الشأن العام والشكر إلى الخيرين الذين سخت أياديهم لتغطية نفقات الطبع، ورفضوا أن تُذكر أسماءهم، ولا تعرف شمالهم ما تنفقه يمينهم، ويمتد الشكر إلى مختلف وسائل الإعلام الوطنية والأجنبية التي تفاعلت بإيجابية مع نشاط المجلس في هذه المنجزات الكبيرة، ونراها تخصص حصصاً تواصلية لمقام العربية من خلال فواعل المجلس، وهذا ما تجسّد اليوم رغم هذه الظروف، فأنعم بها من وسائل خدمة الشأن العام! ونفخر أيما افتخار، ونحن طرف فاعل في المنجز الحلم الذي تحققت أولى مجلداته التجريبية الثمانية (المعجم التاريخي للغة العربية) ومعجم تاريخي كان متظراً أن يكون فكان إنه المعجم التاريخي للغة العربية الذي تحقق بفضل المخلصين العاملين والذين يرثون الأرض، ألم يقل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء 105. فأنعم بهم من صالحين! وكانت الانطلاقة من سحاء سمو أمير الشارقة الدكتور (سلطان القاسمي) الذي عاهد ووفى، وحمل هم وأعطى وسهل الصعب المضنى. وبتجسيد علمي من اتحاد الجامع الذي دبر الغاية العلمية من قبل الأستاذ الدكتور (مأمون وجيه) ومجمع اللغة العربية بالشارقة في التنفيذ ممثلاً في الأستاذ الدكتور (أحمد صافي المستغني) ويرافق المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر اللجان في ملء المنصة، وقد جمع بين الشملين بعضويته في المجلس العلمي، ومجلس الأمناء، فكان الملموس خير شاهد على المنجزات التي تُنبئ عن تكامل القوة بالفعل، رغم مضايقات عظمة الموروث الذي تناهى في

القدّم، وتواصلَ مع الحاضر، بالإضافة إلى ضخامة التمويل. إنه إنجاز أولي والقَطْر سوف ينهمرُ مدراراً، والطريقُ تصنعه الأقدام. وإنَّ إتمام هذا المشروع الذي سيُحدث نقلةً نوعيّةً في العربيّة، وسيعود بها إلى أمجادها وفتوحاتها العولميّة، وإلى أيام عولة خطّها في أفريقيا، وكانت لغة العالم أيام مجدها في آسيا وكلّ بلاد السّند وفي الفردوس المفقود وما عرفته من فتوحات عبر طريق الملح؛ من توّات الجزائر إلى القارة السّماء التي استبدلت لغاتها واتخذت العربيّة وخطّها سبيلاً إلى نشدان العلم والعالميّة والعلميّة؛ بالإضافة إلى ما يضحّيه هذا المعجم في روحها من دم جديد؛ ليكون حركة في عروقها التي كادت أن تجفّ.

- عظمة اللغة العربيّة: لغة عربيّة عظيمة، وتكمن عظمتها في علوّها وقِدَمها؛ باعتبارها ذاكرة الأُمّة العربيّة وحاملةً لوعي السّماء، وسجلاً لأحاديث خاتم الأنبياء، وقد سارت بأخبار الشّعراء والرّكبان والحِداء. إنّها سِجَلٌ لأعجاز العرب وللحضارة الإنسانيّة في محطّاتها العامّة والخاصّة. سِجَلٌ يؤرّخ خصيصاً لمُنْتديات العرب ومجامعها وتجاراتها وحروبها وغاراتها وأيامها ومجدها الأثيل، بما في همولتها لأحداث الشّعوب التي تحدّثت بها عبر تاريخها الطّويل. لغة بهذا البذخ من الجذور 16800 جذر لها من الانتشار ما لها ألا تستحقّ الدّود عن حياضها بسُلطة العلم؟ إنّهُ من الواجب أن يكون، وكان الدّفاع عنها من أقوال غير أهلها الذين تفاعلوا فيها وبها ومن خلالها، فنطقتُ محاسنُ الغربيين، إنّ لم نقل محاسنُ العربيّة التي تأتي من التزيهين الغربيين ومنهم الأمريكي (دفيد جستس / Davide Justes) الذي قال: إنّ الجملة الألمانية عشّ من الصّناديق، والفرنسيّة تتابع من الموجات المُتقلّبة أحياناً

والتلاطمة أحياناً، واللاتينية قطع مبعثرة محيرة والإنكليزية سيّارة لم تُجمع أجزاءها جمعاً كاملاً؛ وهي أجزاء طاغية وإن كانت متجانسة، وهي ملائمة لأن تكون لعبة لطفلٍ إن كان لا يعرفُ كيف يُسيّرُها. والعربية لعبة قطارٍ مُلتزم بالسّير على الشّريط؛ وهو مُرتّب ترتيباً دقيقاً في أجزائه، وقاطرائه المتشابهة حين تسير باطمئنان. ولكي تكتمل الاستعارة بهذه القاطرات ربّما تحمل جواهر ثمينة. إنّها الصّورة التي جاءت من غير الفطرين، وهذا العالم يُدرك مثل الفطرين تلك الدّقائِق العجيبة التي يجب أن تُستعمل بتمييز بين الكُمامة التي لا يستعملها الإنسان والكُمامة التي يحملها الإنسان؛ قياساً على العِمامة والثّام والقِناع والحِجاب والخِمار والعِجار. لغة لها من التّمييز الدّقة التي تفرّق بين العقّار؛ وتعني الممتلكات من البيوت والأراض وجمعها عقّارات والعقّار من الدّواء وجمعها عقاقير. عربيّة لها من التّمييز الدّقيق ما لها: اليتيم من مات أبوه واللّطيم من مات أبواه، والعجّي من ماتت أمّه. دون الحديث عن ديوان العرب الذي حملته في متنها، وأبدع بالشّعر الصّانعون لحِرفة الشّعر وقالوا:

إنّ الذي ملأ اللّغات محاسناً جعلَ الجمالَ وسرّه في الضّاد
لغة القرآن يا شمسَ الهدى صانك الرّحمن من كيدِ العدى
هل على وجه الثّرى من لغة أحدثت في مسمع الدّهر صدّى
وقال حمد أبو شهاب:

بك نحن الأمّة المثلّى التي تُوجز القولَ وتُرجي الجيّدا
لغة إذا وقعت على أكبادنا كانت لها برداً على الأكباد
وقال حلّيم دموس:

وتظلّ رابطة تُؤلّف بيننا فهني الرّجاء لناطي بالضّاد

ومن خلال هذا المسموع القليل من محيط العربية اللامتناهي، فهل أنصفتها الأقلام التي يجب أن تذود عنها، ونزلها مقامها، دون تشميط جماها، ولكتنا نعرف أن الأقلام تنوعت؛ فقلم يحرّر، وقلم يقرّر، وقلم يُبرّر وقلم يحاول أن يُمرّر. وقلم أمير، وقلم أجير، وقلم أسير، وقلم يستفزّ، وقلم يفرّغ، وقلم يَعْرِف، وقلم مُدهش، وقلم مُنعش، وقلم ظاهر، وقلم قاهر، وقلم طاهر وقلم مُمتنع، وقلم ممتنع، وقلم حزين، وآخر يتألم وقلم يبعث الضوء وقلم ينث السوء، تعددت الأقلام والخبر واحد. وتتوقف شهر زاد عن الكلام المباح ليدوق شهريار الارتياح.

- الأمن المعرفي: إنّ العربية التي نحتفي بها هذا اليوم تحتاج إلى الأمن المعرفي؛ وهو مطلب شرعيّ وحياتيّ، ولا يمكن أن نُحقّقه إلّا بالعمل الذي يُخرجنا من إنتاج الكلام دون فعلٍ مُلام، نحتاج إلى أمنٍ لسانيّ؛ يُعلي شموخ العربية اعتزازاً ومواطنة؛ يشمل جوانبَ متعدّدة: علميّة وتربويّة ولغويّة وتنمويّة، فضلاً عن المُعدّات العسكريّة، نريد أمناً لغوياً يحفظ لمجتمعنا حاجاته التّواصلية، ويحافظ على ثقافته وتراثه وتحقيق العدالة اللغويّة الاجتماعيّة، نريد أمناً لغوياً يجمع بين الأمن الاقتصاديّ والثّقافي والعسكريّ. نريد أمناً علمياً في المحتوى الرّقميّ، ولن يكون إلّا بجلد الذات وهو طريق عمليات التحسين وإيقاظ الضمائر وحفز الهمم، والخروج من ارتهاك المشاريع التي لا تُنقل واقعنا للأحسن، ولا تعمل على التّغيير. والمطلوب من النّخبة العالمة التّطويع والإفتاء في هذه المسائل؛ لأنّ الوضع الحالي لا يقبل التّفوّع على الذات. وعليه من المفروض أن نخرج من صورة قُدمى، ومن التّخلّف المعاصر المعتمد على التّقل، إلى الإبداع والابتكار ونعمل على تطوير فكرٍ ثقافيٍّ مجتمعيٍّ آمنٍ وعلى

التخبة العربية أن تجعله محكّ إنتاج المعرفة، ووضع آليات نظرية تطبيقية للوصول إلى تناسق علمي جمعي، بدل الإخفاقات، وخلق القلاقل والتجاذبات السياسية والخروج من متاهات التفكير التجريدي بقبول أعمى بل لا بدّ من السّماع إلى طرح إشكاليات لغوية حقيقية، والعمل على تقديم الحلول بدل التّغاضي عنها. ولا بدّ من الجمع بين وحدة المصير والتّقدّم الذي لا يحصل مطلقاً إلاّ باللغات الوطنية، وما يتبع ذلك من القوة الاقتراحية، ومن الخطاب المناسب والحكمة الرشيدة.

إنّ العربية في واقعنا تحتاج إلى صناعة المستقبل، والتّجّاح صناعة جماعية ويمكن التّعامل بها في فقه الواقع ونقده، والتّحلي باليقين والصّبر والمصابرة وبطول النفس، وبالتّخطيط والتّدرّج في نيل اللغات الوطنية مكانها المطلوب وهو المحتوم المرغوب، وكان من حصافة الأجداد، بدل التّعطيل الذي يزيدنا وهناً على وهن. ولا بدّ من تدبير ثقافة الاختلاف العلميّ في المناهج للوصول إلى هدف واحد من أبواب متفرّقة، على أن تكون آنية جوائية، ولا تتأسّس على آليات ثقافة الاستدمار الإلغائية، ولا على المناهج الغربية التّمطية التي لا تقرّ بثقافة الآخر؛ وإلاّ سنُضيعُ على أنفسنا المقاصد الثرائية التي تأسّست بمرافقة واستراتيجية نوعيّة كان لها القبول الطّوعي لدى الأجداد المؤسّسين لقضايا العربيّة. وهنا لا نزيد الطّنبورَ نعمةً، ولا نسيء الأثرة، علينا أن نعيش عصر التّهضة، ونكوّن رجل الكبتار في عصر الحاسوب المنوار بخوض رهان المعرفة في اللغة العربيّة التي تعيش الازدهار، والذي يكمن في تشبيك المدونات اللغوية باستشعار، فهل نحن جاهزون وأوقدنا الأنوار؟

- رهان المعرفة: إنّ العربيّة التي نحتفي بها في يومها العالميّ، تحتاج منّا إلى الوعي بأهميّتها التي تُكسِبُ الحداثة، وتسيرُ إلى الأمام، وتُنشُدُ الأفضلَ وتعملُ على التطوير، وعلى اقتصاد المعرفة؛ ببيع الأفكار عن طريق سوق الثقافة المرتبط بالخلق والإبداع والتنافس. علينا الوعيَ برهانات جعل العربيّة تتطوّر عبر التشبيك الآلي، ووسيلة التطوّر اللّغويّ لا يكون إلاّ بناء المنصّات الرّقميّة التي تُعطي للعربيّة نمطيّة التعامل مع الخوارزميّات بصورة آليّة ورهانات بناء التّحو العالميّ/ والعربيّة العالميّة لتعليم وتعلّم العربيّة للفطريين ولغير الفطريين بسهولة، ورهانات كسب قناتين (2) أساسيّتين في البناء اللّغويّ القاعديّ هما: قناة المدرسة وقناة الإعلام، ورهانات الحداثة اللّغويّة التي تركز على اللغة العربيّة الحيّة التي تُستعمل في مجالات الحياة العامّة ورهانات صُنْع المنصّات بذكاء صناعيّ يُراعي خصوصيّات اللغة العربيّة، بما لها من تشكيل وفقه اللغة ومراعاة هذه اللغة التي لها تراث طويل يمتدّ لأكثر من 17 قرناً. وفيها لغة القداسة ورهانات العيش ضمن الأعجوبة الثامنة (كلّ أشكال التّواصل الاجتماعيّ) إلى جانب الرّقمنة بما تعرفه اللسانيّات من فتوحات في التشبيك الآلي ورهانات الأتمتة التي تعمل على نقل العربيّة من لغة مُستقرّة إلى لغة مُتطوّرة سريعة، مليّة لكلّ الاحتياجات، لغة عربيّة تعيش التّقابل والتّبادل مع اللغات العلميّة في إطار المصالح المُرسلة. وكلّ هذا يتطلّب من الباحثين الوعي بميدان اللسانيّات، وبخاصّة اللسانيّات الحاسوبيّة، ولها مجال حديث في العلوم البنيّة لاتّصاله بفقه اللغة، وعلم الحاسوب، والترجمة الآليّة وهذا كلّهُ لتعقيل وتحريك آليات العربيّة في: الصّوتيّات الحاسوبيّة+ التّحليل الصّرفيّ+ التّحليل

التحويّ+ التحليل الدلاليّ+ المدقّق الإملائيّ. وكلّ هذا يؤدّي بالعربيّة إلى اقتصاد المعرفة، فماذا نعني به؟

- اقتصاد المعرفة: إنّ العربيّة التي تُقام لها اليوم مُتديّات علميّة في كلّ القارات تستحقّ نقلةً في اقتصاد المعرفة؛ مثل المال الذي يخضع للعرض والطلب وللميزان التجاريّ. وقدماً كانت الأمور التقديّة تُقدّم من عيّات ملموسة: سلع مستهلكة تُقبض عليها الأثمان، وتتطلب جهداً جسدياً ونقلاً والآن هو اقتصاد طغا عليه الكبار في الاقتصاد والعلم؛ ويتمثّل في بيع المعرفة وفي وضع البرمجيات+ إعداد الخطط الإنمائيّة+ بيع الخرائط+ بناء الطّرق السيّارة+ إنتاج برامج تسيير المكيفات في المدن العالميّة الكبيرة+ خطوط الطّيران العالمي في السّماء+ نقل التّرام الترامواي+ والقاطرات الطّائرة+ خرائط نقل السّكك الحديدية+ بناء الروبوتات+ صنع المركّبات الدّقيقة+ تطوير الدّكاء الصّناعي في أقصر ما يمكن من التّناهي في التّانوتكنولوجيا، وفي أدقّ الشّعيرات الاستشعاريّة... فما موقف العربيّة في هذا الزّخم العولميّ؟ نقرّ بأنّ كلّ البرمجيات تصلح لكلّ اللغات الطّبيعيّة وتحتاج إلى حرفين لتطوّرهما والعربيّة الآن تُستورد فقط وهي عالة على اللغات الأجنبيّة؛ لأننا لما بنّ بعدُ البنوك الشّجريّة للنحو العربيّ؛ والنحو هو المسؤول الأساس لتوفير المعطيات الضّروريّة للتحليل اللغويّ الأعمق وهو الذي يستند إلى أسس المنطق الرّياضي في التّمثيل/ التجريد. ولهذا نحتاج إلى بناء وتوظيف تقنيّات الدّكاء الصّناعي، وإلى بناء مُدونة مُوصّفة توصيفاً فحياً للغة العربيّة الفصحى المعاصرة، وإلى نشاط اللغة العربيّة الحيّة التي يكثر دورائها مثل لغة الإعلام. ولا بدّ من عربيّة علميّة، ووَصفٍ جديدٍ للغة العربيّة الحيّة، والانطلاق من

نَمَطِيَّات اللّغات الأوروبيّة واعتماد القوائم المشتركة، وهذا لربّح الوقت وربّما سيكون اللّحاق باللغات التي لها السّبق التقني في هذا العلم المعاصر. إنّ العربيّة التي تحتفي بها الأمم عبر مراكز بحوثها وجامعاتها ومُحبّيها والمُنافحين عليها علمياً من غير العرب، وهم يذوبون في قوامها اللغويّ والعلميّ، فهل أخطؤوا عندما اختاروا، وكان الاختيار طوعاً. وفي كلّ هذا بصّروا بأنّ الاهتمام بلسانيات المُدوّنات، وبناء المشاريع المُتوسّطة والطويلة المُدّة كفيلاً بنيل العربيّة المقام التّديّ أمام لغات العلم، ويكون ذلك ببناء لغويّ وظيفيّ في تطوير المادة العربيّة بما يتوافق وبرامج الدّكاء الصّناعيّ والرّهان على الآلة بما تُقدّمه من مادّة لتسهيل عمليّات التّحليل وبكلّ ذلك نُحلّ عدم أجرأة التّحو العربيّ + مشاكل الكتابة + صعوبة تعرّف OCR على الكتابة العربيّة + رفع مُضايقات تحويل (PDF) إلى (Word) ...

فيا أيّها الحضور، ويا أيّها المتابعون لهذا المحفل العلميّ عن بُعد، حقّ علينا الدّود عن لغتنا العربيّة التي تحتاج إلى اهتمام علميّ، فاللغة تتطوّر بخدمتها علمياً، والذي ينطلق في الأساس من خدمتها إبداعياً فاللغويّ يضع القواعد في الإضبار، والمبدع الشّاعر يعمل على تنويع أساليب الاختيار والإعلامي يعمل على الانتشار، والباحث يقوم بتطوير الأفكار، والمُجتمع يساند كلّ تطوّر لغويّ ينقل اللغة من الكُمون إلى الإعمار، ومن الإهمال إلى الاستعمال المُختار، فكلّنا مسؤول عن تقديم الخِدْمات التي تُجلي الغوامض وتُحرّك الرّواض، وعلينا اعتماد حُسن الدّفاع، للوصول إلى صواب الانتفاع. والله المُوفّق ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التّوبة 105.

ـ المقترحات:

- 1- ضرورة الوعي باللغة العربية؛ فهي التراث، وهي الوجود، فلم يثبت أن أمة تقدّمت باللغة الأجنبية.
- 2- الاهتمام بالمدونات/ وبالتربية، فهي بناء مجتمع المعرفة.
- 3- مجتمع المعرفة يستثمر في المدونات الطّبيّة والبيئية...
- 4- مجتمع المعرفة يتطلّب لغة وطنية عمادها العلم، وعماد العلم الآن الآلة التّقنيّة.
- 5- الإغداق الماديّ على العربيّة، وبناء المشاريع، وفتح المكانز والتنافس من يقدم الأفضل.
- 6- العمل على تطوير المبنى اللغويّ للعربيّة؛ ضمن منطلق اللّغات وخصوصيّة فقه اللغة العربيّة.
- 7- العمل الجماعيّ ضمن فرقٍ متعدّدة الاختصاصات.
- 8- بناء المشاريع ومتابعة مدخلاتها ومُخرجاتها.
- 9- ضرورة إحداث رجّة كبيرة في المؤسسات الجمعيّة العاجزة عن مدّ العربيّة حتى في نموّها.
- 10- تخطيطُ السياسات اللغويّة والتربويّة، واستشرافُ المستقبل.
- 11- التخطيطُ على الآماد الثلاث لمشاريع مستعجلة، ومشاريع متوسّطة المدّة، ومشاريع طويلة المدّة.
- 12- التنسيق بين المؤسسات العاملة على خدمة التّربية والتّعليم.
- 13- السّعي الجماعيّ لتجسيد مقولة "لا بدّ أن يأتي العلم على ظهر العربيّة".

تأثير اللغة

على فعل التنشيط الثقافي^٧

■ **الديباجة:** إذا جاز لنا أن نعرّف التنشيط / النشاط الثقافي ففيه نقول: إنّ التنشيط الثقافي عملية مركّبة، فهو لا ينفصل عن المجتمع الذي يقوم فيه ويعمل انطلاقاً من وعي الضرورات والاحتياجات الخاصة بالمجتمع. وبناءً على ذلك، فإنّ عملية التنشيط الثقافي تأتي عبر قراءة احتياجات المجتمع بمختلف شرائحه، ومن ثم وضع البرامج المناسبة لتلبية تلك الاحتياجات وفي هذا عملية مشاركة بين التنشيط الثقافي وبين الجمهور فالجمهور ليس متلقياً يأتي ليتابع، وإنّما هو شريك في تحديد العملية الثقافية، وبالتالي فإنّ وضع البرامج والفعاليات يأتي في سياق الحوار بين المؤسسة الثقافية، وبين الجمهور عبر القنوات المتاحة. ومع تسارع وتائر العولمة، وما فرضته من تطوّرات مذهلة في عالم التواصل عبر ثورة التقانة والاتّصالات، فإنّ مهام التنشيط الثقافي تكتسب أهمية أكبر، بل ويصبح دور التنشيط الثقافي أصعب بكثير وخاصة أنّ وسائل التواصل قد أتاحَت للفرد إمكانية الاطلاع والمعرفة والثقافة بشكل مذهل وهي من هذه الناحية قد وضعت العملية الثقافية أمام تحدّيات من نوع جديد، كي تتمكّن من تجديد أدوات التواصل مع الجمهور وبرمجة الفعاليات، واستقطاب الجمهور.

٧ — أُلقيت الكلمة بطريقة التّحاضر المرئي عن بعد بتاريخ: 13 جانفي 2021م، بخصوص موضوع (دور الفواعل الرّسميّة وغير الرّسميّة في التنشيط القرائي) بدعوة من مؤسّسة متّدى رُواد القراءة.

1- فواعل التنشيط الثقافي: هي كثيرة ومتعدّدة، بعضها محليّة وأخرى ولائيّة، وأخرى جهويّة، وهناك ما هو قومي أو عالمي، وكلّها عبارة عن مؤسّسات تابعة للدولة، أو منتديات تابعة للخواص أو للمبادرات الفردية أو الجماعيّة، على غرار المدارس، والمناظرات والمحاضرات والمكتبات، ودور الثقافة، والمراكز الثقافيّة، والجمعيات الثقافيّة والمنتديات، والمواسم الثقافيّة والنوادي الثقافيّة، والمسارح، ودور الرقص، والأماسي الشعريّة والصّالونات الأدبيّة، ومختلف أشكال اللقاءات التي يقوم بها بعض المبادرين الذين يقومون على قيام المشاهد الثقافيّة في الإطار المحليّ أو الولائيّ أو الجهويّ أو القومي أو خارج الجنس التّشاركي. وإنّ هذه الفواعل يزداد عملها في هذه المرحلة، فهي لا تسير المنظومات التربويّة بقدر ما تسير الأوضاع الاجتماعيّة المتعدّدة الأفكار والمشارب. فهناك حاجات جديدة متلاحقة لا بدّ من التعاطي معها بإيجابيّة متزايدة، تجعل من مسألة تعاطي الأنشطة الثقافيّة أمراً في غاية الأهميّة؛ لأنّ الأنشطة متعدّدة وهي كفيلة بتمكين القوى الجسميّة والتّفسيّة المنهكة، من استعادة حيويّتها، والطّاقات الفكرية والإبداعيّة المعطلّة من تفجير قدراتها. فعبر النّشاطات التّعبيرية الحرّة سيتمكّن الأفراد من الخروج من عالم الرّتابة والسّلبية، إلى عالم النّشاط المبدع والوعي والجماعة، وهو ما يسمح بنسج شبكة من العلاقات الشّخصية التي ستساعدهم على تحقيق ذواتهم وخلق حياة متناسقة. إنّ تعاطي هذه الأنشطة الثقافيّة والترفيهية ليس أمراً ضرورياً فقط، ولكنّه أصبح ممكناً بفضل ما تقوم به الدّول أو مبادرات الأفراد من إرساء لشبكة متراميّة الأطراف من الفضاءات الثقافيّة. ولهذا كان من الطّبيعي أن تسعى هذه الأنشطة لبعث

مجالات التفكير والإبداع والتكوين والاتصال والترفيه فإن المهمة الموكولة إليها في هذه المرحلة، هي العمل على تطوير القدرة على التفكير عند الجمهور في ذاته، وفي محيطه حتى يتمكن من التمرس على حق الاختيار والبحث والالتزام. وهو ما يفترض القطع مع الرداءة ويستوجب التحري في اختيار المنتجات الثقافية المنتقا للبرمجة الثقافية واختيار موضوع النشاط.

2- التنشيط/ النشاط الثقافي في النوازل: لا شك أن الإنسان مجبول

على التحرك ضمن سيروراته العقلية والجسدية؛ لممارسة الخلافة في الأرض فهو يتأقلم والطبيعة وما يحيط بها من عوامل ومتغيرات، فتدُلنا أمارت التاريخ كيف كان الإنسان يتكيف وفق المعطيات التي تحيط به. ولقد ميزه الله بخاصيتي: العقل واللغة؛ وجعلته اجتماعياً بالغريزة والوعي، وهذا بسبب ما يملكه من حركة التألف والسعي للبقاء. وكل هذا هو نشاط حيوي تتركه يوجد وسائل تنشيط مختلف الأجهزة الجسدية للعيش ضمن كل المتغيرات. وهناك من يعرف التنشيط "... استحضار للعلاقات الإنسانية التي تيسر وتخلق التجاوب داخل المجموعات الإنسانية والإنسان مدني بطبعه، يسعى لتحريك أفعاله ضمن المعطى الجماعي؛ بأن يحدث الحركة الارتعائية أو البعدية لتفعيل نشاطه الاجتماعي. ومن هنا فإن كلمة (التنشيط) من جذر (نشط) تعني الحركة نحو التغيير. وتأتي من فرد أو أكثر من أجل التغيير. والتنشيط إجراء عقلي أو جسدي؛ يعني السعي / الحركة ضمن دائرة مُخطّط نتائجها تكون في الصالح العام. وحسب ما تنصّ عليه معاجم اللغة، تعني كل إجراء عقلي/ جسدي يعمل على التغيير. فنقول: التنشيط / النشاط الثقافي/ الجماعي/ النشاط المدرسي/ النشاط الرياضي... وهناك فواعل كثيرة في

هذا الأمر تقوم بفعل التنشيط، وطبيعة النشاط، وما يحيط به من أجواء وأحوال.

بالنسبة لمثل هذه الحالة؛ حالة الجائحة/ الكوفيد/ مختلف التوازل تكون مستجدات تتعلق به، فيحدث مفهوم عملي في التنشيط، والحجة في هذا شرعية باستمرار الحياة. وهو تحدُّ جُبِل عليه البشر، كما جُبِل على التسيان ومن هنا يقوم الفاعل الثقافي بمراعاة المستجدات التي يضعها في تخطيطه لضمان النجاح، وحسن الوصول إلى هدف النشاط. وفي هذا المجال نربط التوازل بشكلها ومعطياتها للتعامل معها بما يتوافق ونوع الجائحة. ونزرع الأمل، ولولا الأمل لما علا بنيان، ولا اخضرَّ الجنان ولا تسامت الأغصان ولا تمايلت الأفنان، ولا زُوِّجت السَّوان، ولا اشتاقت أنثى إلى الرضَّعان ولا تاقَ إنسٌ إلى الرضَّوان ولا جان، وصار كلٌّ ما رآته العين وتراه في خبر كان، لا من نجم ولا شجر يسجدان، ولا من بشر وحشر يعبدان، وكما قال الشاعر أبو اسماعيل الحسين بن علي الطَّغْرائي المتوفى سنة 514هـ في لاميته العجمية:

أعلل النَّفس بالأمال أرقبها ما أضيق العيشُ لولا فسحة الأمل

وقد علَّمتنا الحياة أنه بعد العسر يسراً، وعلَّمتنا أننا ننتصر بالإصرار كما وعدتنا أنه لا نطلب من الأشواك أن تفوح بالعطور، ولا من الصَّحراء أن تنبت الزَّهور، ولا من فاقد الإحساس أن يهتمَّ بالشَّعور. والشاعر يقول:

ضاقَت فلما استحكمت حلقاتُها فرَجَّت وكنْتُ أظنُّها لا تفرجُ

3- أساليب التنشيط: توصلت الأبحاث التجريبية حول أساليب التنشيط والتسيير من استخلاص ثلاثة أساليب كبرى للتنشيط، وهي: الأسلوب السلطوي + الأسلوب الديمقراطي + الأسلوب الفوضوي. ولا يمكن أن ينجح أي أسلوب إلا بتحقيق المهام التالية: حسن الاستقبال + التعرف على المشاركين + تحديد الأهداف + تحديد الأدوار + تقديم موضوع النشاط + العمل على الإثارة + الدفع إلى العمل + الاهتمام بحاجيات ورغبات المشاركين وجعلهم يحسّون أن الموضوع يستجيب لحاجياتهم ويرتبط باهتمامهم + المساعدة على توضيح الأفكار التي تبدو غامضة + بناء تصميم لمناقشة الموضوع وتمكينهم من التحليل الموضوعي واتخاذ القرار + حسن التلخيص + عدم الهذر وما يخلّ بمنطق الموضوع، أو الخروج عنه + التمكن من المعرفة + التكيف مع الوضعيات الجديدة + معالجة المشاكل التي لم تكن متوقعة بكل موضوعية.

4- استراتيجية التنشيط الثقافي: يبدو لي بأن نجاح أي عمل يحتاج إلى خطة منهجية مدخلات تدرجية للوصول إلى مخرجات ناجحة. ويمكن أن نسميها باستراتيجية مدروسة تراعي الآتي:

1/4- النسق العام للنشاط.

2/4- نوع التنشيط الثقافي.

3/4- الجمهور المستهدف.

4/4- الزمان والمكان.

5/4- طبيعة التكيف.

5- تأثير اللغة في التنشيط الثقافي: من المعروف أنّ اللغة كائن لا ينمو

ولا يتطور مع متطلبات الحياة إلا إذا تمّ استخدامه وتنميته؛ فهي كمجرى النهر إذا لم يكن له روافد تغذيه سيجفّ في يوم من الأيام، ومالم تدعّم اللغة بالمفردات والمصطلحات التي تستخدم في الحياة اليومية وستحلّ محلّها مفردات ومصطلحات بديلة مكتسبة من لغات أخرى، وهذا واقع حاليا. وإنّ الوعي بأهمية حسن استخدام اللغة ووعي جمعيّ، وبخاصّة في مناحي التنشيط، فهي غلاف ما تحمله من ثقافة دائمة، وليست موسميّة. ولا بدّ من عودة الوعي للمؤسّسات والأشخاص والمسؤولين للاهتمام باللغة العربيّة والتمكين لها في مختلف مناحي التّواصل، الأمر الذي يعدّ مؤشرا على تنامي الوعي الذي يجب أن يتمّ ترجمته لأعمال إجرائيّة بحيث يكون للغة دور مشهود في التّعليم وفي وسائل الاعلام وتعريب الكثير من النّظم في المناهج التّعليميّة لتكون العربيّة لغة التّخاطب الأولى. وهذه من مؤسّسات الفواعل القاعدية للغة، ولها حكم نافذ في مجال استخدامات اللغة، كما هو معمول به في بعض الدّول الغربيّة.

إنّ اللغة عنصر أساس للتّواصل الاجتماعيّ والفكريّ، كما أنّها الوعاء الحافظ للثقافة والهويّة وكلّها مكونات تكمل بعضها في الحفاظ على عناصر الهويّة، فكل ما أفرزته الحضارة العربيّة كانت اللغة هي الوعاء والنّاقل والمكوّن الأساس له. ولكن في النّشاط الثقافي نحتاج إلى لغة رصينة جميلة ملبّية لآليات التّواصل بشكل السهل الممتنع، وهل نملك مؤسّسات لقيام منشطين فاعلين ومؤثرين؟ إنّ ربط اللغة بالمنشط يعني خلق صناعة النّشاط الثقافيّ الذي يرتبط بالمعرفة والدّراية والاستعداد والموهبة، وحسن التّحكم في

اللغة، وهذا ما يجعل المنشط يكتشف المواهب عندما يكون حاملاً لفن الخطابة أو الإلقاء، وله متوج ثقافي وفير، إضافة إلى مرافعاته ومنافحاته اللغوية التي تخلق منه قامة سامقة في التنشيط، ويطلب ودّه في مختلف المقامات التنشيطية. كما أنّ الفاعلين في أمر اللغة يجب أن يكونوا في المقام الأول من رجال الإعلام، وهم أولى الناس بتحقيق الأمن اللغوي الذي يأتي رصيناً جيداً مبنياً للغة ومضيفاً لجمالياتها التعبيرية.

وإنّه لا مندوحة من تأكيد حسن استعمال العربية أثناء التنشيط، فهي التي تعطيك الهيبة والاحترام وهي الألق والإجلال، وهي صورتك التي تكسبك الوقار، وكلّما ارتقى أسلوبك في إتقان اللغة علت شخصيتك، فاللغة هي التي تمدحك عندئذ، وكن دائماً حريصاً أن يكون لك مقام الدّوق عند الآخرين بفضل اللغة، وتمثّل روحك كحبّات السّكر حتى وإن اختفت تركت طعماً حلواً، وحتى إذا خانك التعبير فمستمعوك لا يخونهم التفسير. إنّ أناقة اللسان هي ترجمة لأناقة فكرك، فلا ترفع صوتك، بل ارفع مستوى كلماتك ولا تكن صغراً على اليسار، فاللغة العربية تكره التكرات ولا تعتدّ إلاّ بالمعارف المضيفات، فكن مضيفاً لا تابعاً مردّداً، فأين مقامك من جلالة الملكة (العربية المقدّسة)؟

- مقترحات: أختم بالدّعاء لكلّ المتابعين لهذا المنتدى حول التنشيط الثقافي الذي تقوم به مؤسّسة رواد القراءة الذين يتحدّون الصّعاب، وقد ركبوا المخاطر، فما استكانوا للجائحة، بل جعلتهم يبدعون وينشطون ويتألّقون فنقول لهم: ظلّكم الله بالورود، وسقاكم من نهر الخلود وعطّر

حياتكم بالعنبر والعود، وأدخلكم وأهليكم جنّات الخلود، وصرف عنكم كلّ حاسد وحقود، إنّهُ لطيف ودود. وإليكم بعض المقترحات:

- 1- الحاجة القصوى إلى تكوين كوادِر مؤهّلة ومتخصّصة في هذا المجال.
- 2- الحاجة الماسّة لتطوير البرامج والخطط والاستراتيجيات الثقافيّة.
- 3- تنمية الوعي العامّ بأهمية التّربية الثقافيّة كجزء من التّربية المستديرة.
- 4- إشراك الجمعيات الثقافيّة ذات العلاقة، وكذلك الفاعلين الاجتماعيين والمؤسّسات الاقتصاديّة التي يهّمها النشاط.

حماية ذاكرة الشهداء^٧

- **الديباجة:** أيها المتدون، أجد نفسي أمامكم مسؤولاً للحديث عن مُشتملات هذا اللقاء، لقاء حول الذاكرة الوطنية، ولا بدّ من التعمق في المبادئ التي تكتنزها رسالة الشهداء ضمن النصّ الدستوريّ الخاصّ بالقيم الوطنية، والثوابت التاريخيّة، والمكونات الأساسيّة للهويّة المستمدّة من مبادئ أول نوفمبر 1954م، وتكريسها في النصّ الدستوريّ، بالنظر الى أهميّتها في ترسيخ مبادئ المواطنة الإيجابيّة، وشحذ العزم للتفاني في خدمة البلاد. وهذا ضمن العناية الكبيرة التي يوليها رئيس الجمهورية السيّد (عبد المجيد تبون) للمرجعيّة التوفمبريّة، والالتزام برسالة الشهداء. وكان من تعهّذات الأربعة والخمسين (54) تأسيس 8 مايو يوماً وطنياً للذاكرة، وتمّ استرجاع جماجم ورفاة شهداء المقاومة الشّعبيّة في عيد الاستقلال 2020، وتعهد بإنشاء القناة المتخصّصة في التاريخ الوطنيّ وكان ذلك. وهي كلّها تعدّ من لبنات الجوائز الجديدة العاملة على حماية الموروث التاريخيّ والثّقافيّ. ومن هنا أقول: إنّ حماية الذاكرة قضيّة جماعيّة؛ تبدأ من تربيّة أولادنا في المدارس على مآثر الأجداد، وهذا هو القاعدة التي تجعل أولادنا وشبابنا يتعلّقون بمفاخر ماضي أجدادهم، ومن ثمّ تأتي متعلّقات أخرى من مثل:

^٧- ألقى الكلمة في منتدى الذاكرة الذي أقام ندوة شعارها (معاً لحماية ذاكرة الشهداء) بالمخيم الدولي للكشافة الإسلاميّة، بسيدي فرج، بتاريخ 18 جانفي 2021م. تنظيم كل من: جمعيّة مشعل الشّهيد+ جريدة المجاهد+ الكشافة الإسلاميّة.

1_ الاستثمار في مجال التاريخ في التربية والتعليم: فلا بدّ من تدريس

التاريخ الوطني الصّحيح والتّنويه به؛ على أنّه يشكّل أحد العناصر الأساس للشّخصيّة الوطنيّة، وسجّل لوحدّة الأمّة. إنّ التاريخ هو العمق الوطنيّ للأمّة يعلن عن أصالتها وإنّيّتها، فلا أصالة لأمّة دون ماضٍ أثيل. لا بدّ أن نقرأ التاريخ بانتصاراته للاستفادة منها وتعزيزها، انتصارات الأجداد كثيرة ومتعدّدة وسواقيها حضاريّة قائمة، وفيها نتعرّف على أسباب نجاح الودّ والتعاون وشدّ العزيمة والاتّفاق والوحدّة، وفيها قراءة اعتبارية تجنّبنا لأسباب الانكسار وتجعلنا نحقّق الاستخلاف في نقل أمانة العظماء. التاريخ عبرة وعظة وحكمة وبه نحقّق أسباب الانتصار عبر تراكم العمليات الحضاريّة الزّمانيّة التي عرفها سلفنا أثناء مسيرهم في الأرض وتعميرها بحسن التّعامل بموازين الانتصار وكيف تجنّبوا عوامل الانكسار التي هي من عوامل الخراب. ولا بدّ إذن من النّظر في سنن الأجداد وكيف حقّقوا تبادل المصالح المرسلّة عبر التّصاهر والتّساكن وما يجمعهم من تاريخ ودين ولغة وماضٍ ومستقبل.

2_ إقامة الجمعيات التي تهتمّ بالذاكرة، في الماضي والحاضر والغد:

وكلّ جمعيّة تعمل على نشر الوعي بالتاريخ الجمعيّ الذي جعلنا أمّة تفتخر بماضيها. تاريخنا كبير يحتاج إلى تدريس علميّ ينطلق من الوثائق والأحداث والسّجلات. ذلك التاريخ الذي عرفته الدّولة الجزائريّة من نواميد وموريتانيا، مروراً بالفتح الإسلاميّ المجيد، وإلى ملوك البربر العتيد، وإلى الإسبانيّ المستعمر العنيد ودولة الجزائر في العهد العثمانيّ المريد، إلى المستدمر الفرنسيّ الحقير، وإلى الاستقلال الوطنيّ الجدير فأنعم به من دولة التاريخ الكبير!

3- لماذا العودة إلى سجلات التاريخ؟ لأنّ تاريخنا يحمل وصفات الأجداد اللامعة التي تُحيلنا إلى مرجعية عظيمة، وفيها نجد مواصفات تواصل الأجيال، والعمل على دوام الذاكرة، وتجديد معالمها حسب متوافقات الزمن الذي يستمرّ في التكامل المبني على قاعدتهم "إنّ أحسنّ اللاحق إنّ الفضلّ للسابق". هي تأكيد لمقولة "إنّ أمة بلا ذاكرة أمة بلا مستقبل". ولهذا لا بدّ من تواصل يقع على عاتق المؤرّخين والمعلّمين والسياسيين في الكتابة التزيهة والبحث في الأضابير، وتفعيل ذلك في التّعليم.

4- تجسيد سياسية البلد الجزائري في تمجيد تاريخه عبر العصور بإقامة وزارة للذاكرة؛ كي لا ينسى هذا الجيل الجديد ماضيه، فلا يكون له حاضر ولا مستقبل. جيل يحتاج إلى مرافقة. جيل يريد أن يعرف مفاخر أجداده، ولا يكون إلّا بإطلاق أسماء الذين صنعوا المجد على المدارس والمتوسّطات والثانويات والجامعات ومراكز التكوين والأماكن العمومية والثكنات والشوارع والمطارات... ويجد ذلك في الكتاب المدرسيّ وفي الخطاب السياسيّ، وفي منابر المساجد، وفي مفاخر المناسبات الوطنية.

5- ضرورة تأكيد المشترك الجمعي الذي لا يمّسّ، ويكون من المقدّس من مثل: النّظام الجمهوريّ + قدسيّة العلم الوطنيّ + قدسيّة التّشيد الوطنيّ + تعزيز وحدة الهوية اللغويّة + تثمين الذاكرة الوطنيّة ورموزها.

6- خصوصيّة الثورة التحريريّة التي أنقذت البلد من سرطان التّخريب تدمير للذّات الوطنيّة التي عشش فيها مدداً، مرض ألّم بالبلد عمداً، ولم يكن

سهلاً أن تندمل الجروح الغائرة؛ لولا تلك الدماء التي أريقَت على مذبح الحرية، فكان نوفمبرُ المجدي، وكان الانتصارُ الخُلدي.

6/1- عظمة الشهداء الذين قالوا إذا ما استشهدنا دافعوا عن ذاكرتنا وهذا ما قاله البطل (ديدوش مراد) هي أيقونة خطابية لا تقدّر بثمن ولنمس فيها دعوة للاستلهاً من مسيرة الشهداء، وجعلها مرجعاً تنهل منه الأجيال الصاعدة عظمة الشهيد، والعبرة لحماية الذاكرة التاريخية، وكلّهم قالوا: ارموا بالثورة إلى الشارع يلتقطها ويحميها. فالشارع كان من الشباب فرفعوا الراية وساروا على الدرب المضى؛ باتباع قوافل الشهداء الذين ضحوا وسلّكوا سبيل الكفاح من أجل استرجاع السيادة الوطنية والاستقلال. بتلك الخطابات والمقولات المسنودة بالأفعال ينتظر ممّا الشهيد أن نكون قدوة لمشيختهم، ينتظر ممّا وطناً يجمع أمةً مستقلة بقراراتها وسيّدة على أراضيها وخيراتها. ينتظر ممّا الشهيد الأمة المتلاحمة المتآزرة من أجل الحفاظ على الاستقلال، والمضى بالوطن إلى محافل الدّول الرائدة بهياكلها المبنية على العلم والعلماء، وبنظامها الناشر للعدالة الاجتماعية، وتكافؤ الفرص في العلم والثراء والعمل والمسكن والمأكل والمشرب بين كلّ أفراد الأمة في أية جهة وُجدت. ينتظر ممّا الشهيد الولاء للوطن الذي نعيش فيه جميعاً دون مقابل، وجعل عقولنا وقلوبنا مقاماً له ليعيش الوطن فيهما. ينتظر ممّا الشهيد جبر الضّر للعيش معاً بسلام وضرورة التعامل مع ماضي الأجداد برفق من منظور الاستمرارية المتجددة.

6/2- إحياء الذکريات المخلّدة لصفحات تاریخ ثورة التحرير المجيدة وهو ما يجب أن يُرسّخ في هذا الجيل لإعلاء مقام تحرير الوطن من هيمنة الاستعمار الفرنسيّ البغيض، وتبقى ممارسات التّنديد قائمة عبر تلك الأيام التّاريخيّة التي نُذكرنا بالوجه البشع لفرنسا التّخريبية.

6/3- إقامة المعالم التّذکاريّة، وزخرفة مقابر الشهداء؛ تذکيراً بما قدّمه هؤلاء الأبطال من أجل أن نعيش أحراراً، من أجل أن نتعلّم، من أجل أن نكون أسياداً؛ لنا کرامتنا التي جعلتنا نرتقي بين العالمين، ويكون لنا شأنٌ بتلك الثّورة التي غيّرت مجرى التّاريخ. ثورة لا مثيل لها في ثورات العالم وقال فيها الجنرال (جياب) ثورتنا في الفيتنام مع نفس العدو، وتشبه ثورتكم في العظمة والانتصار ولكنّ ثورتكم أعظم؛ نحن نكافح الاستعمار الذي يأتينا على بُعد 5000 كلم، فبُعدهُ أثرٌ وانقلبَ عليه، وسهّلَ الانتصار. وأما أنتم فالعدو في بلدكم، وقريب منكم، فانتصرتُم بمجدارة.

6/4- ضرورة مواصلة المطالبة بالحقوق التي لا تموت بالتّقدم، أو بتغيّر المسؤولين؛ هناك ملفات عالقة لا بدّ من تسويتها من مثل: مسألة المفقودين+ استرجاع رفاة شهداء المقاومات الشعبيّة+ استرجاع الأرشيف الوطني الخاصّ بالثّورة التحريريّة+ تعويض ضحايا التّجارب النوويّة+ تعويض ضحايا الخلافات البيئيّة التي كانت فرنسا سبباً فيها.

7- دور الإعلام في التّذکرة: إذا كانت المدرسة قاعدة تثبيت التّذکرة والهويّة، وبناء شخص الغد فإنّ الإعلام هو العامل على ترسيخ التّذکرة باعتباره يعمل على التّأثير الوطنيّ والخارجي، فهو الذي يحمل سلاح

الانتشار بما له من سلطة التأثير والتغيير. وبات حريّ بنا أن يكون رجلُ الإعلام جديراً بنشر أمانة الشّهداء، أمانة نقل التاريخ إلى التّاريخ، أمانة وعي الواقع بأحداثه الماضيّة في الانتصارات الكبرى لتكون في وسط أعمالها الباقيّة الخالدة. هذا هو الإعلام المطلوب، وإسهامه في اللحظات التي تشتدّ فيها الأزيمة أكبر وأعظم، وأن يكون عضواً في مجتمعه، فاعلاً في نشر أفكاره داعماً لقراراته، مؤثراً في محيطه وخارج محيطه. أن يكون لسان حاله، أن يكون عاملاً على التّفعليل بما يحمله من وسائل معاصرة: إعلام مكتوب + مرئي + شبكات + فسّبكة + توترة + إنستغرام + تلغرام + سيكّنال + ناسوخ + واتساب... أرادة من المؤثرات الإعلاميّة ألا يكون له موقع في التّأثير على حسن التّدبير من أجل مواطنة فعليّة لترسيخ رسالة الماضي بمعطيات الحاضر. يمكن، والعمليّة سهلة إذا كان الإعلاميّ عضواً في مجتمعه. يمكن، إذا كانت الكلمة تصدر من الإيمان والعمق ستنال التّطبيق. يمكن، إذا تضافرت جهود المخلصين في كلمة سواء. إذا تعالٍ نشدُ الهمة؛ وصولاً إلى صنع قرار المهمة. تعالٍ معاً لننقل رسالة الشّهداء بنصوصها الثّامة، فهم قالوا لنا "إخواني لا تنسوا شهداءكم" ونحن نقول لهم: أبأؤنا نحن على درّكم سائرون، ومن مآثركم مُستلهمون.

المعجم التاريخي للغة العربية[♥]:

الخصائص والوظائف والمحتوى.

- **الديباجة:** إنّ المعاجم أنواعٌ متعدّدة؛ فمنها المعاجم اللّغويّة العامّة وتنتفع إلى معاجم آنيّة ترصد ألفاظ اللّغة المستعملة في مرحلةٍ معيّنة من مراحل اللّغة، ومعاجم تاريخيّة ترصد ألفاظ اللّغة في مراحل استعمالها المختلفة. وإنّ المعجم التاريخي معجم يتضمّن هويّة/ تاريخ كلّ لفظٍ من ألفاظ تسجّل بتاريخ ظهوره بدلالته الأولى، وتاريخ تحولاته الدلاليّة والصّرفيّة، ومكان ظهوره، ومستعمليه في تطوّراته إن أمكن، مع توثيق تلك الهوية/ الذاكرة بالنّصوص التي تشهد على صحّة المعلومات الواردة فيها.

إنّ المعجم التاريخي للغة العربيّة معجم الأمة، أو معجم قومي إسلاميّ له خاصيّتان لا توجد في المعاجم التاريخيّة للغات التي أنتجت معاجمها التاريخيّة وتتمثّل الخاصيّة الأولى في ذلك الزّخم الكبير من المنتج والتّراث الذي خلفه علماء اللغة العرب القدامى، وغير العرب، إضافة إلى جهود الحداث في هذا المجال. وهذا الزّخم سيكون له تأخير في تدوين جبال من المنتج في مختلف العلوم. والخاصيّة الثّانية في ميزة العربيّة عن باقي اللغات في استوائها كاملة في العصر الجاهلي، وحصول شبه قطيعة بينها وبين باقي السّاميات. ولهذا ستحصل بعض المضايقات في أمر هاتين الخاصيّتين، ومهما حصل

♥ — أعدت الكلمة لصالح مكتب تنسيق التعريب في الرباط. أُلقيت عبر تقنية Google Teames بتاريخ 23 جانفي 2021، بمناسبة اليوم العالمي للغة العربيّة.

الاستيعاب والسيطرة على المعجم التاريخي للغة العربية يبقى القصور على الإحاطة بكلّ مفردات اللغة العربية. ولكن ما لا يمكن السيطرة عليه كلية لا يترك جلّه، بل نعمل على أن يكون لنا معجماً تاريخياً كباقي دول العالم، وما الفائدة التي ضيّعناها في معرفة لغتنا معرفة صحيحة، وما الثمار التي سنجنيها لو أنجزنا أرّخنا للغتنا.

1- معنى المعجم التاريخي للغة العربية: هو ديوان العربية "... يجمع مفردات اللغة وفق نظام معيّن، مضبوطة ومشروحة مع مراعاة التطوّر الدلاليّ للفظ، بدءاً بالمعنى الحسيّ، وتدرّجاً معه عبر التاريخ، في ضوء الشواهد المتنوّعة مع الإشارة إلى مظهر التطوّر قدر الإمكان» (مصطفى يوسف عبد الحي، 2014، ص33). والشاهد فيه هو ذلك التطوّر الذي يلحق اللفظة من تاريخ ميلادها بدلالاتها الأولى، وتاريخ تحولاتها الدلالية والصرفيّة، ومكان ظهورها، ومستعملها في تطوّراتها دون أن يهمل الظروف المحيطة بها، والأسباب التي جعلت المعنى يتغيّر من زمن إلى آخر. إنّه ذاكرة اللغة الحية المستعملة في الكتب والإضرابات، أو المستعملة في الحياة اليومية.

وهناك نوعان من المعجم التاريخي: نوع يسمّى المعجم التاريخي العام ويهتمّ بالكلمات وتطوّرها من حيث المبنى / المعنى / طريقة الكتابة مع تسجيل أصولها الاشتقاقية، بداية دخولها للغة وصيرورتها، بعد فترات من التطوّر، ويمثّل هذا النوع من المعجمات معجم أوكسفورد في اللغة الإنكليزية. وهناك المعجم الاشتقاقي / التأصيل، ويرتكز اهتمامه على أصول الكلمات، أو ما قبل تاريخها، وعلى أصولها الحديثة، ممّا يجعله مقتصرًا على شكل الكلمة دون معناها، وألفاظ اللغة، فيدلّنا إن كانت الكلمة عربيّة

أم فارسيّة أم يونانيّة (عمر أحمد مختار، 2009، ص56). وأهمّ مواصفات الاثنين تكمن في القواسم المشتركة التي تحدّث عنها (علي القاسمي) وهي:

1. تجنّب الوصف والتعليل في تقديمه لأصول الكلمات وتاريخها والالتزام بالردّ التاريخي.

2. يعتمد على شواهد تكون محدّدة بفترات معيّنة من حياة اللّغة.

3. ترتيب المعاني فيه يكون بطريقة تبين تطوّرها وتوالدها بعضها عن البعض الآخر.

4. احتواؤه على ألفاظ ميّنة يكون قد استمدّها من مصادر تقوم على مواد وتسجيلات كتابيّة عائدة إلى فترات سابقة من حياة اللّغة وحتى أنّ معلوماته التي يقدمها.

والذي يهتمّنا من كلّ هذا ضرورة إنتاج المعجم التاريخي للغة العربيّة وقد تأخّر العمل فيه كثيراً، وقد خُطّط له سنة 1934م، ونعيش الآن تأخراً زمنياً كبيراً، علماً أنّ قياس تقدّم الأمم بمدى اهتمامها بلغتها، لأنّها عنوان حضارتها، وبوّابة تاريخها، وما المعجمات إلا إحدى الوسائل التي ترفع أمة من الأمم إلى الدّرجات العليا في مضمار الحضارة، واللّغة العربيّة غنيّة بهذه الوسيلة في الشّق اللّغويّ وفقيرة إليها في الشّق التاريخي. وإنّ حاجة اللّغة العربيّة إلى المعجم التاريخي هي حاجتها إلى ذاكرة تخزّن التراث، وهو ضرورة علمية وحضاريّة وموجب قومي. ولا بدّ أن يكون بالرجوع إلى الواقع اللّغويّ المسجّل والمحدّد بعصور معيّنة، وإحصاء المعجم لكلّ الكلمات التي

استعملت في اللغة العربيّة وضرورة دراسة الكلمات من الجوانب: التاريخيّة الاشتقاقية، التصريفية، التعبيرية، النحويّة البيانية، والأسلوبية. وهذا يحتاج إلى ذكاء صناعي رقمي في تسهيل الوصول إلى المدونات المطبوعة والمحقّقة والوثائق في صورة رقميّة ربحاً للوقت، وهذا هو الرّهان الذي نريد كسبه من خلال المنصّة الذكيّة والعاليّة الجودة، والسّريعة الاستجابة، والمراعية لخصائص العربيّة.

2 - **خصائص المعجم التاريخي:** ينطلق في المقام الأوّل من الهوية/ الوجود بأن يكون مبنياً على نظريّة نسقيّة موثّقة لغويّاً. وهكذا نراه:

1/ 2- اعتماد خاصيّة التأريخ؛ معجم تاريخي.

2/ 2- مبني على نظريّة لغويّة.

3/ 2- اعتماد خاصيّة التّرتيب الألفبائي.

4/ 2- اعتماد الجذور؛ الأصل، فالفرع، المجرّد فالزيد...

5/ 2- اعتماد التّعريفات.

6/ 2- تحديد المصطلحات.

7/ 2- استصحاب الشّواهد.

3 - **وظائف المعجم التاريخي:** هناك مجموعة وهي:

1/ 3- شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها، مع تتبع معناها أو معانيها

عبر العصور.

2/3- بيان كيفية نطق الكلمة.

3/3- بيان كيفية كتابة الكلمة.

4/3- تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة.

5/3- بيان درجة اللفظ في الاستعمال، ومستواه في سلم التنوعات اللهجية.

6/3- تحديد مكان النبر في الكلمة.

4- **محتوى المعجم التاريخي:** إنّ أهمّ ما يقدمه المعجم التاريخي هو الحفر البعيد في الذاكرة اللغوية؛ بما في ذلك من كشف لبنائها وآليات تطورها. وهذا الأمر لا تقدمه إلاّ المعاجم التاريخية، حيث تتيح مشهديات مختلفة لمكونات ثقافة اللغة، ولهذا يحمل محتواه ما يدور في عصور اللغة من مستويات الاستعمال، والوحدات المعجمية، والإتيان بالشواهد وترتيب المواد والمداخل والمعاني، وما يطرأ على معاني الألفاظ وتطور دلالاتها. ولهذا سيكون أمر إنجاز المعجم التاريخي محفوفاً بمحاذير كثيرة قد لا نقع في الخطأ. ونحتاج إلى انتقاء مصادر المدونة الحاسوبية، وإلى اعتماد الحزم الاشتقاقية التي توجد في المحلل الصرفي والنحوي، وإلى مراجعات دقيقة في التعريفات وتحديد المصطلحات، وما له علاقة بقواعد التوثيق، ومنهجية التحرير وضوابطها، باعتماد المعالجة الحاسوبية والفهرسة الآلية.

- **الخاتمة:** إنّ رِهان إنجاز المعجم التاريخي للغة العربيّة يعود إلى كسب رهان استغلال الآلة في الأتمتة التي تجعلنا نربح الكثير من الوقت بدل الضائع، ويحتاج إلى خطة علميّة تحدّد بزمان، ويكون برعايّة دول/ دولة تغدق عليه من أجل احترام الآجال، واستيفاء مشروع الأُمّة في ترميم حضارتها، وإكساب مجتمعتها مفردات لغته بفضل ملكته اللغويّة، وقدرته المعجميّة خاصّة. فلا يتصوّر أنّ أُمّة حقّقت معجمها التاريخي بسهولة، أو حصل دفعة واحدة، أو بدون إنفاق، ولا شك أنّ عملاً عظيماً من هذا القبيل يحتاج إلى تضافر الجهود، وتبادل الخبرات، والتعاون المستمرّ، مع طول نفس، وتدرّج في العمل. وبتضافر هذه الجهود ينجز المعجم التاريخي وتكبر لغة الأُمّة، وتزدهر وتتطور، والأجيال القادمة كفيلة باستحداث مفردات جديدة تقتضيها حاجاتها في التعبير أو بإهمال استعمال قسط من المفردات القديمة التي لم تعد تدعو الحاجة إلى استعمالها، وبذلك يصبح المعجم التاريخي ملكاً جماعياً للأُمّة مثله مثل الوطن؛ لجميع أبنائه دون أن يدّعي أحد منهم ملكيته بمفرده.

المعجم التاريخي للغة العربية[♥]:

الخصائص والوظائف والمحتوى.

- **الديباجة:** إنّ المعاجم أنواعٌ متعدّدة؛ فمنها المعاجم اللّغويّة العامّة وتنتفع إلى معاجم آنيّة ترصد ألفاظ اللّغة المستعملة في مرحلةٍ معيّنة من مراحل اللّغة، ومعاجم تاريخيّة ترصد ألفاظ اللّغة في مراحل استعمالها المختلفة. وإنّ المعجم التاريخي معجم يتضمّن هويّة/ تاريخ كلّ لفظٍ من ألفاظ تسجّل بتاريخ ظهوره بدلالته الأولى، وتاريخ تحولاته الدلاليّة والصّرفيّة، ومكان ظهوره، ومستعمليه في تطوّراته إن أمكن، مع توثيق تلك الهوية/ الذاكرة بالنّصوص التي تشهد على صحّة المعلومات الواردة فيها.

إنّ المعجم التاريخي للغة العربيّة معجم الأُمّة، أو معجم قومي إسلاميٍّ له خاصيّتان لا توجد في المعاجم التاريخيّة للغات التي أنتجت معاجمها التاريخيّة وتتمثّل الخاصيّة الأولى في ذلك الزّخم الكبير من المنتج والتّراث الذي خلفه علماء اللغة العرب القدامى، وغير العرب، إضافة إلى جهود الحداث في هذا المجال. وهذا الزّخم سيكون له تأخير في تدوين جبال من المنتج في مختلف العلوم. والخاصيّة الثّانية في ميزة العربيّة عن باقي اللغات في استوائها كاملة في العصر الجاهلي، وحصول شبه قطيعة بينها وبين باقي السّاميات. ولهذا ستحصل بعض المضايقات في أمر هاتين الخاصيّتين، ومهما حصل

♥ — أعدت الكلمة لصالح مكتب تنسيق التعريب في الرباط. أُلقيت عبر تقنية Google Teames بتاريخ 23 جانفي 2021، بمناسبة اليوم العالمي للغة العربيّة.

الاستيعاب والسيطرة على المعجم التاريخي للغة العربية يبقى القصور على الإحاطة بكلّ مفردات اللغة العربية. ولكن ما لا يمكن السيطرة عليه كلية لا يترك جلّه، بل نعمل على أن يكون لنا معجماً تاريخياً كباقي دول العالم، وما الفائدة التي ضيعناها في معرفة لغتنا معرفة صحيحة، وما الثمار التي سنجنيها لو أنجزنا أرّخنا للغتنا.

1- معنى المعجم التاريخي للغة العربية: هو ديوان العربية "... يجمع مفردات اللغة وفق نظام معيّن، مضبوطة ومشروحة مع مراعاة التطوّر الدلاليّ للفظ، بدءاً بالمعنى الحسيّ، وتدرّجاً معه عبر التاريخ، في ضوء الشواهد المتنوّعة مع الإشارة إلى مظهر التطوّر قدر الإمكان» (مصطفى يوسف عبد الحي، 2014، ص33). والشاهد فيه هو ذلك التطوّر الذي يلحق اللفظة من تاريخ ميلادها بدلالاتها الأولى، وتاريخ تحولاتها الدلالية والصرفيّة، ومكان ظهورها، ومستعملها في تطوّراتها دون أن يهمل الظروف المحيطة بها، والأسباب التي جعلت المعنى يتغيّر من زمن إلى آخر. إنّ ذاكرة اللغة الحية المستعملة في الكتب والإضرابات، أو المستعملة في الحياة اليومية.

وهناك نوعان من المعجم التاريخي: نوع يسمّى المعجم التاريخي العام ويهتمّ بالكلمات وتطوّرها من حيث المبنى / المعنى / طريقة الكتابة مع تسجيل أصولها الاشتقاقية، بداية دخولها للغة وصيرورتها، بعد فترات من التطوّر، ويمثّل هذا النوع من المعجمات معجم أوكسفورد في اللغة الإنكليزية. وهناك المعجم الاشتقاقي / التأصيل، ويرتكز اهتمامه على أصول الكلمات، أو ما قبل تاريخها، وعلى أصولها الحديثة، ممّا يجعله مقتصرًا على شكل الكلمة دون معناها، وألفاظ اللغة، فيدلّنا إن كانت الكلمة عربيّة

أم فارسيّة أم يونانيّة" (عمر أحمد مختار، 2009، ص56). وأهمّ مواصفات الاثنين تكمن في القواسم المشتركة التي تحدّث عنها (علي القاسمي) وهي:

1. تجنّب الوصف والتعليل في تقديمه لأصول الكلمات وتاريخها والالتزام بالردّ التاريخي.

2. يعتمد على شواهد تكون محدّدة بفترات معيّنة من حياة اللّغة.

3. ترتيب المعاني فيه يكون بطريقة تبيّن تطوّرها وتوالدها بعضها عن البعض الآخر.

4. احتواؤه على ألفاظ ميّنة يكون قد استمدّها من مصادر تقوم على مواد وتسجيلات كتابيّة عائدة إلى فترات سابقة من حياة اللّغة وحتى أنّ معلوماته التي يقدمها.

والذي يهتمّنا من كلّ هذا ضرورة إنتاج المعجم التاريخي للغة العربيّة وقد تأخّر العمل فيه كثيراً، وقد خُطّط له سنة 1934م، ونعيش الآن تأخراً زمنياً كبيراً، علماً أنّ قياس تقدّم الأمم بمدى اهتمامها بلغتها، لأنّها عنوان حضارتها، وبوّابة تاريخها، وما المعجمات إلا إحدى الوسائل التي ترفع أمة من الأمم إلى الدّرجات العليا في مضمار الحضارة، واللّغة العربيّة غنيّة بهذه الوسيلة في الشّق اللّغويّ وفقيرة إليها في الشّق التاريخي. وإنّ حاجة اللّغة العربيّة إلى المعجم التاريخي هي حاجتها إلى ذاكرة تخزّن التراث، وهو ضرورة علمية وحضاريّة وموجب قومي. ولا بدّ أن يكون بالرجوع إلى الواقع اللّغويّ المسجّل والمحدّد بعصور معيّنة، وإحصاء المعجم لكلّ الكلمات التي

استعملت في اللغة العربيّة وضرورة دراسة الكلمات من الجوانب: التاريخيّة الاشتقاقية، التصريفية، التعبيرية، النحويّة البيانية، والأسلوبية. وهذا يحتاج إلى ذكاء صناعي رقمي في تسهيل الوصول إلى المدونات المطبوعة والمحقّقة والوثائق في صورة رقميّة ربحاً للوقت، وهذا هو الرّهان الذي نريد كسبه من خلال المنصّة الذكيّة والعاليّة الجودة، والسّريعة الاستجابة، والمراعية لخصائص العربيّة.

2 - **خصائص المعجم التاريخي:** ينطلق في المقام الأوّل من الهوية/ الوجود بأن يكون مبنياً على نظريّة نسقيّة موثّقة لغويّاً. وهكذا نراه:

1/ 2- اعتماد خاصيّة التأريخ؛ معجم تاريخي.

2/ 2- مبني على نظريّة لغويّة.

3/ 2- اعتماد خاصيّة التّرتيب الألفبائي.

4/ 2- اعتماد الجذور؛ الأصل، فالفرع، المجرّد فالزيد...

5/ 2- اعتماد التّعريفات.

6/ 2- تحديد المصطلحات.

7/ 2- استصحاب الشّواهد.

3 - **وظائف المعجم التاريخي:** هناك مجموعة وهي:

1/ 3- شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها، مع تتبع معناها أو معانيها

عبر العصور.

2/3- بيان كيفية نطق الكلمة.

3/3- بيان كيفية كتابة الكلمة.

4/3- تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة.

5/3- بيان درجة اللفظ في الاستعمال، ومستواه في سلم التنوعات اللهجية.

6/3- تحديد مكان النبر في الكلمة.

4- **محتوى المعجم التاريخي:** إنّ أهمّ ما يقدمه المعجم التاريخي هو الحفر البعيد في الذاكرة اللغوية؛ بما في ذلك من كشف لبنائها وآليات تطورها. وهذا الأمر لا تقدّمه إلاّ المعاجم التاريخية، حيث تتيح مشهديات مختلفة لمكونات ثقافة اللغة، ولهذا يحمل محتواه ما يدور في عصور اللغة من مستويات الاستعمال، والوحدات المعجمية، والإتيان بالشواهد وترتيب المواد والمداخل والمعاني، وما يطرأ على معاني الألفاظ وتطور دلالاتها. ولهذا سيكون أمر إنجاز المعجم التاريخي محفوفاً بمحاذير كثيرة قد لا نقع في الخطأ. ونحتاج إلى انتقاء مصادر المدونة الحاسوبية، وإلى اعتماد الحزم الاشتقاقية التي توجد في المحلل الصرفي والنحوي، وإلى مراجعات دقيقة في التعريفات وتحديد المصطلحات، وما له علاقة بقواعد التوثيق، ومنهجية التحرير وضوابطها باعتماد المعالجة الحاسوبية والفهرسة الآلية.

- **الخاتمة:** إنّ رِهان إنجاز المعجم التاريخي للغة العربيّة يعود إلى كسب رهان استغلال الآلة في الأتمّة التي تجعلنا نربح الكثير من الوقت بدل الضائع، ويحتاج إلى خطة علميّة تحدّد بزمان، ويكون برعايّة دول/ دولة تغدق عليه من أجل احترام الآجال، واستيفاء مشروع الأُمّة في ترميم حضارتها، وإكساب مجتمعتها مفردات لغته بفضل ملكته اللغويّة، وقدرته المعجميّة خاصّة. فلا يتصوّر أنّ أُمّة حقّقت معجمها التاريخي بسهولة، أو حصل دفعة واحدة، أو بدون إنفاق، ولا شك أنّ عملاً عظيماً من هذا القبيل يحتاج إلى تضافر الجهود، وتبادل الخبرات، والتعاون المستمرّ، مع طول نفس، وتدرّج في العمل. وبتضافر هذه الجهود ينجز المعجم التاريخي وتكبر لغة الأُمّة، وتزدهر وتتطور، والأجيال القادمة كفيلة باستحداث مفردات جديدة تقتضيها حاجاتها في التعبير أو بإهمال استعمال قسط من المفردات القديمة التي لم تعد تدعو الحاجة إلى استعمالها، وبذلك يصبح المعجم التاريخي ملكاً جماعياً للأُمّة مثله مثل الوطن؛ لجميع أبنائه دون أن يدّعي أحد منهم ملكيته بمفرده.

كلمة 1 مارس حول لغة الضّاد ♥

تحايا المجلس الأعلى للغة العربيّة لكلّ المراهبين من أجل اللغة الجامعة من أجل البيت الكبير الذي يضمّ شملنا مهما اختلفت توجهائنا ومنهجيات أعمالنا. فيا أيّها الحضور، ويا أيّها المتابعون، لكم كلّ الشّكر والتّقدير لما تقدّمونه من جهد وخدمات للغة العربيّة وللمجلس الأعلى، فهو منكم وبكم كائن ويكون، فأنعم بكم جميعاً!

(نتكلّم بالعربيّة... ونتعلّم جميع اللغات) شعار الألكسو / ALECSO لهذه السنّة 2021م؛ بمناسبة اليوم العربيّ للغة الضّاد، شعار يحمل أكثر من دلالة وقراءة، شعار يحثّ على مواطنة العربيّة وتعميمها؛ باعتبارها لغة الهوية والتداول اليومي، وهذا لا يمنعنا من أخذ اللغات جميعاً تعلّماً واستفادة، لا تماهياً وتنافساً مكانياً/ مقاماً للغة الأجداد، فأجملُ بذلك الخيار الاستراتيجي الطّوعي الذي أنزلَ العربيّة المقامَ العليّ بما حملته من الذي يعلو ولا يُعلى عليه!

إنّها وصفةٌ مائزةٌ هي الفیصل لهذه اللغة التي نخفي بها في يوم لغة الضّاد فما لغة الضّاد؟ في ما يروي الرواة ويُجمعون، أنّ حرف (الضّاد) في أصله وكما سُمِعَ عن العرب الأقحاح ينطق من علوّ اللّهاة، وغور قصبة الهواء وكان حرفاً بدوياً لا ينطق به إلّا ساكنة أعالي السّافلة في نجد وبصعوبة كبيرة كما سمع في بعض القراءات القرآنيّة. ونظراً لصعوبة نطقه استُغني عنه وآخر

♥ — ألقيت الكلمة في الاحتفاء بمناسبة اليوم العربي للغة الضّاد، بتاريخ 1 مارس 2021، في ملتقى حول (اللغات الوظيفيّة)، الجزائر.

من كان ينطقه صحيحاً يعود إلى القرن الثاني الهجري، وكان لا يمكن لأيّ مستعرب نطقه إلاّ لفطري العصور الجاهليّة الأولى، ولساكنة البوادي والآن لا يُنطق إلاّ بما يُدانيه واستُبدل بالضّاد الحاليّة التي تنطق بالإطباق وبذا شاعت الكُنيّة بذات الحرف كونها اللغة التي يوجد فيها هذا الحرف دون غيرها، وقال البلغاء: "الحمدُ لله مُنطقُ البلغاء، باللُغى في البوادي، باعثُ النّبيّ الهادي، مُفحماً بلسانِ الضّادِ". وقال الشّاعر:

إنّ الذي ملأ اللغاتِ محاسناً جعلَ الجمالَ وسرّه في الضّاد
وقال آخر:

ستظلّ رابطةٌ تؤلّف بيننا فهي الرّجاءُ لناطقٍ بالضّاد
إخواني، هذه هي لغة الضّاد التي تنتظرها رهانات العصر وتحدياته:

- رهان التّعميم وحسن الاستعمال؛

- رهان الرّقمنة والأتمتة؛

- رهان حيّزة التراث العربي الضّخم والممتدّ في الزّمان والمكان؛

- رهان الدّكاء الصّناعي، ومعركة OCR؛

- رهان شفرة القراءة السّريعة؛

- رهان التّرجمة الآليّة بصفر خطأ.

فهل نحن مستعدّون لدخول الرّهان وكسب المنافسة؟ وهذا ما يقوم به المجلس الأعلى في استراتيجياته التي يعمل على تعميمها وعولمتها مع هذه المشاريع المنجزة والتي هي قيد الإنجاز:

1- المنجز والمطبوع

- 1- معجم المصطلحات الإدارية.
- 2- دليل وظيفي في التسيير المالي والمحاسبة. ثنائي اللغات.
- 3- دليل وظيفي في إدارة الموارد البشرية. ثنائي اللغات.
- 4- الدليل المدرسي في علوم الطبيعة والحياة. ثنائي اللغات.
- 5- دليل وظيفي في المعلومات. ثلاثي اللغات.
- 6- دليل المحادثة الطبية. ثنائي اللغات.
- 7- دليل مصطلحات البيئة. ثلاثي اللغات
- 8- دليل التمرّض.
- 9- القاموسي السياحي.
- 10- مدخل إلى المحادثة بالعربية.
- 11- حسن استعمال اللغة العربية في وسائل الإعلام.
- 12- مهارات حسن استعمال العربية الوظيفية.
- 13- إسعاف الطوارئ.
- 14- اللغة الوظيفية باللغة العربية للدرك الوطني.
- 15- الدليل التحوي للإعلاميين قواعد وظيفية.
- 16- أساسيات تكنولوجيا النّقط.

- 17- قاموس علوم التّربية.
- 18- الدّليل المدرسي في مصطلحات العلوم الفيزيائية.
- 19- دليل وظيفي في تسيير الوسائل العامة.
- 20- قاموس مصطلحات الفلاحة.
- 21- معجم ألفاظ الحياة العامة في الجزائر. الجزء الأوّل.
- 22- اللغة الوظيفية في الدّيپلوماسية والسّياحة الفندقية والنّقل.

2- قيد الإنجاز

- 1- دليل مصطلحات البريد والمواصلات. ثنائي اللغات.
- 2- دليل مصطلحات الصّيد البحري وتربية المائيات. ثلاثي اللغات.
- 3- قاموس موحد في ألفاظ الفهرسة والأرشفة. عمل مشترك مع الألكسو/ مكتب تنسيق التعريب. ثلاثي اللغات.
- 4- معجم ألفاظ الحياة العامة في الجزائر. الجزء الثاني + الثالث.
- 5- المعجم الطّوبونيمي الإلكتروني للمجلس الأعلى للغة العربية.
- 5- معجم النباتات والحيوان. ثلاثي اللغات.
- 6- معجم الأشغال العمومية. ثلاثي اللغات.
- 7- دليل لغة النّقل.
- 8- دليل لغة التجارة. ثنائي اللغات.

9- دليل مصطلحات الإدارة. ثلاثي اللغات.

أيها الحضور، يدخل هذا الملتقى في تلك الاستراتيجية التي أعدها المجلس الأعلى للغة العربية ويُقفل بابها بشكل علمي مضمون مع نهاية 2024م بعولمة طبيعياً للعربية دون ضجيج، وتكون للعربية المكانة الوظيفية في الاستعمال العفوي. وكما ترون فإنّ هذا العمل الذي نقدّمه لكم اليوم يمسّ جانباً من جوانب المصالح المرسلّة التي يتواصل بها المواطن في مختلف مناحي حياته؛ ويتعلّق بجانب بديل للبطرول وثروة لا تزول، بل ثروة تتجدّد وتمتدّ هي ثروة الأرض التي تحتاج إلى تلميع وإعلام وإشهار، بلغة الوطن الذي يمسّ مشاعر المحتاج إلى معرفة، بلغة راقية لا تعجزها مصطلحات السيّارات ولا لغة الإشارات أو آلات الطيّارات.

إنّ عملنا في هذا اليوم يدور حول المجالات الأربعة: الديبلوماسية السيّاحة، الفنادق، التّقل وتجدون عروضاً حولها، إلى جانب ما نسمعه من مداخلات إضافية لتعزيز اللغة الوظيفية؛ ونروم أن نكون قد أحسنّا الأداء في العمل باستعمال اللغة الوظيفية في صورتها الطبيعية الوسطى، وتحمل المضمون الوطني الذي يحتاج إلى استثمار في لغة الهوية، وبالعربية السليمة وهذا مبتغانا من كلّ اللقائات التي نجمع أهل الاختصاص ليقدموا أفكارهم من أجل حسن استعمال العربية في أرقى تجلياتها، وبحسب مقامات المتحدّث إليهم.

ونرفع آيات الشّكر والتّقدير وردّ الأفضال لكم ولصانعي الأفضال بما قدّموه من جهد في هذا المجال، وقد أفتوا في لغة المحادثة الوظيفية في المجالات

المذكورة، بلغة الضّادِ العالمية، والشّكر إلى الألكسو على اختيار شعار هذه السّنة (نتكلّم بالعربيّة... ونتعلّم جميع اللغات) ونقول في المجلس: بالعربيّة نبدع، بالعربيّة نصنّع، بالعربيّة نسمو، بالعربيّة نعلو. ويستدعي هذا اليوم العروج على بعض الشعر الذي نبغت فيه العربيّة، كما تستدعي المناسبة الحديث عن هذا العيد، وأردّد ما قاله الشّاعر:

أنا الضّادُ التي أنتم بها سادةٌ، والله بي أمسى حفيّا
لا تخافوا، لا تخافوا أبداً لن تروا حرفي مدى الدهر شقيّا
لا تخافوا من عقول جُنّدت كي ترى الضّادَ بناءً هامشيّا
كلّما أبلّيتم حرفاً أتى من يُعيدُ الحرفَ نهجاً أحمديّا
وبيّ التجديد ذاتي الدّما ويعيد الحرفَ بعد الموت حيا
أكرم الله الذي أكرمني ومشى في حاجتي يحنو عليّا
سلف من سلف من سلف صالحٍ يرجو رضا الله جزيّا
ولكم في الكون من أهل النّهي حفظوا وجهي نقيّاً ونديّا
إنني ناديت حتّى تسمعوا وأعلمُ أنّي قد ناديت حيّا

بوركت خطوات العاملين والصّالحين والمُنافسين والمُتنافسين، وأعلنُ افتتاحَ مجرياتِ هذا الملتقى، وعلى بركة الله هذا اللقاء، والسّلام عليكم أيّها الأصدقاء.

حوسبة اللغة العربيّة في ظلّ العولمة الرقميّة:

تحديات راهنة^٧.

- **الدّيباجة:** لقد أسعدني المركز الجامعي (عبد الحفيظ بوصوف) بولاية ميلة بنشاطه العلمي المتواصل، وبخاصّة لاختيار هذه الموضوعات التي يدخل في الرّقمنة وآفاق المستقبل، وفي رهانات الأمتة، وهذا يعني اهتمام القائمين على فتح وخوض عالم التّحوّل الشّبكي المعاصر، في إطار الفتوحات اللسانية التي تعرف الحركة العلميّة يومياً نحو التّانوتكنولوجي. وأسعد بإشكالية اليوم الدّراسي الذي يتناول "واقع اللغة العربيّة ضمن هذه المنظومة الرّقميّة الحديثة وكيف يمكننا الاستفادة من النّظريات اللسانية الحديثة لإدخال اللغة ضمن محتواها الحاسوبي (اللسانيات الحاسوبية) بأسس علميّة؟ وكيف يمكننا أن نُحدث تفاعلاً تقنياً بين المعلّم والمتعلّم في غياب التّعليم الحضورى الفعلي؟ تلكم إشكالية نروم تقديم كلمة في هذا اللقاء العلمي. وكان يجدر بي التّنويه بما نراه من الاهتمام بخوض غمار الدّكاء الصّناعي والرّقمنة في تعليميّة اللغة العربيّة، وما يُنجز في رهانات العربيّة رغم جراحات تقضي على موانعها ولكن وتستمرّ الحياة، رغم ما يُقال "لغتنا العربيّة إلى أين؟". وما يجب أن نعلمه في البداية أن انحذار الأمم يبدأ بالحدّاد مستوى قيمة لغتها بين أهلها والمتحدّثين بها. ويجب العلم بأنّ اللغة الوطنيّة مفتاح الهوية والعمود الفقري لكيثونة الأمّة، وإحياء العمل من أجل لغة الأمّة يعني البحث عن إكسير

^٧ — كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة عبر التّحاضر المرئي عن بُعد، لصالح المركز الجامعي (عبد الحفيظ بوصوف) ولاية ميلة، 3 مارس 2021.

الاستمرارية، وعندما نجد أمثالكم يبحثون عن هذا الإكسير؛ فإنّ الأمة ولغة الأمة بخير، فأنعم بكم يا أيّها العاملون عن البقاء والتّجدّد!

أيّها المنتدون والمُلتقون، أيّها المتابعون، سعيد أن أكون معكم، وأحمل ما تحملون من هموم تطوير العربيّة، وجعلها وافيةً بمتطلبات العصر وأريد قول كلمة حقّ تكون منطلقنا، وهي أن نخرج من المراثيات، وغلق باب الاجتهادات، ومن التّواكل الذي لا يأتي بالخبية، وإلى التّوكل الذي ينشط الهمة، ومن للعربيّة ربّ يحميها، إلى للعربيّة رجال يطوّرونها ومن قول من يردّد ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر 9. إلى القول للعربيّة علماء يعملون على تطويرها، ومن زيادة تنصيب المؤسّسات، إلى حسن تسيير المنشآت، ومن الانجذاب للغويّ، إلى الاقتداء الوطنيّ.

مئة سنة ونحن نحتفي بلغة المنبّي، فلا تستجيب، فهل ننتظر من هذه اللغة أن تعود إلى الزّمن التّليد؟ وأين أنتم أيّها الجامعيون، ألستم من التّليد فلا بدّ من رجال أوفياء لرجال صنعوا الإبداع بلغة الإمتاع، فهل لا يمكننا صناعة فتوحات الرّقمنة ومتطلّبات الفسبكة؟ يمكن إذا تعاضدت الجهود وتكاتفت الحدود، وكثرت السّدود، وسنصل إلى الرّفح من سويّة العربيّة في مجال الرّقمنة، وما يتبعه من خدمات الأتمّة.

- **المقدمة:** كلّ ما يمكن أن يُقال عن العربيّة من شروط نهضتها قائمة لسبقها في ما مضى من الزّمان؛ فموقعها التّاريخي يشهد عليه حتّى الجاحدون، من أقدم اللغات، مثن لغوي يحوي مادةً واحد وعشرين قرناً من الاستعمال والإنتاج، ماضيها مُغدق، حاضرها مُتواصل مع غابرها تواصل

دينيّ لغويّ بامتياز، موقعها بين الحاميات، ثبات مثنها اللساني الاشتقاقات التي تحتكم إليها 12332912 كلمة، 16800 جذر، موقع أهلها الجغرافي لغة أمّية، خامس لغة في أروقة الأمم المتحدة وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21) ستون (60) بلداً لغة رسميّة، لغة أفريقيا في عصر عولمتها. موقعها الاقتصادي من حيث الپترول والغاز والسّياحة والدين... موقعها المستقبلي: لغة لا تنقرض/ لغة تنال التّصدّر. الأهميّة التي توليها الأمم الرّاقية: ترجمة التّراث الألمانيّ لها+ التّرجمة التّشيطة إلى العربيّة+ اهتمام كوريا الجنوبيّة+ اهتمام الصّين الشّعبية+ الاهتمامات الأوروبيّة+ الاهتمامات الآسيويّة في كل من: إيران+ تركيا+ الهند+ بنغلاديش+ باكستان+ أفغانستان... استعمالها والاستثمار فيها من قبل الشّركات المنتجة لآلات العملاقة في مجالات معاصرة مثل (IBM) / (Microsoft) ... عدد المواقع العاملة على الحياة: موقع التّراث+ الغامدي+ مواقع الموسوعات الكبرى+ المكتبة الشّاملة+ المكتبات الرقّميّة+ المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة+ المعجم الوسيط المرقمن...

- **آفاق التّطوّر:** ما يلاحظ أنّ المستقبل كفيل بتغيير إيجابيّ نحو لغة الشّفرة لغة فكّ التّعميمات، لغة الرقّمنة في بعدها الصّناعي، لغة (OCR) Optical Characters Cognitions)، لغة البرمجيات الحاسوبية لتحويل صور التّصوص المكتوبة باليد/ بالآلة إلى نصوص يستطيع الحاسوب معالجتها. وهنا لا يمكننا أن نتحدّث عن هذه المشاريع التي تعيش التّطوّر دون الاستثمار فيها، ودون جعل العربيّة تعيش التّماهي فيها، ودون رميها في متعة رهانات الذّكاء

الصّناعي. ولنجاح العربيّة في هذا المجال، كان يجدر بنا ربط القول بالفعل وكسب هذه الرّهانات:

1-رهان تعميم استعمالها في مناحي الحياة اليوميّة بجودة عالية.

2-رهان البحث فيها ولذاتها.

3-رهان الرّقمنة.

4-رهان الاستثمار في الذكاء والصّناعي.

5-رهان المنافسة العالميّة.

6-رهان الدّراسات المستقبلية.

- **مضايقات العربيّة الواقعيّة:** هي كثيرة؛ انطلاقاً من ضعف التّحكّم في مسألة الشّكل، وتعدّد المصطلحات، وعدم مواصلة تعميم التدريس بها وفيها في المرحلة الجامعيّة، وفي عدم استصدار القرار السياسي... هي رهانات العصر؛ رهانات الحياة اللغويّة لتراثنا الكبير، رهان نقص السّيطرة على هذا الإرث الزّاهر، رهان عدم السّيطرة على الأنظمة الحاسوبية في المحلّل الصّرفي والتّحوي وفي التّرجمة الآليّة، وضعف نظام (OCR) في استغلاله في العربيّة التي تحيط بها كثيراً الخطوط الجماليّة، وبخاصّة في المخطوطات الكثيرة التي تزخر بها العربيّة... فهنا المشكلة القضيّة التي تحتاج من أولي الأمر، وهم أنتم أيّها الطّلبة لرفع المضايقات عن لغتكم، وبكم تكون، ولن تكونوا بدونها وأعلموا أنّه لم يثبّت أنّ أمة ارتقت باللغة الأجنبية!

- كيف نعالج / نحلّ هذه المضايقات؟ لا نقول يجب / يجب الذي يجب
اعملوا إنّها هنا منتظرون... بل نقول على الجامعة أن تدخل بفرقها البحثيّة في هذا المجال الحيوي المعاصر، وبما لها من أرمادة من الطّلبة وبما تحملها من مشاريع كبرى. ويمتدّ ربح الرّهان إلى الاستثمار في التّربية والتّعليم والإغداق على الباحثين، وضرورة الانطلاق من لغة أجنبيّة. وهذا مطمحننا ومن استراتيجيات الدّولة الجزائريّة في نشدان مجتمع المعرفة، فمن مجتمع الخروج من الرّيع، إلى بيع الأفكار والمنتوج الذهني. وهنا نذكر الإخوة الزّملاء والزّميلات والطّلبة بأنّ الجامعة قاطرة البحث وخليّة الجودة، وقاعدة المؤسّسات الناشئة، وقاعدة بيانات في الرّفيع من سويّة اللغة الوطنيّة؛ اعتزازا وهويّة واستعمالاً وبحثاً. وهي قضايا جمعيّة وتعالج بالتّخطيط والمشاريع الكبرى، وبتوفير شروط التّجّاح والعمل على مبدأ تحقيق الاستمراريّة وفق مُراتبات المناهج الغربيّة. ولكي يكون كلّ هذا؛ علينا كسب معركة تحديّ الرّهانات؛ وهي معركتكم القادمة أيّها الطّالبات والطّلبة، فهل أنتم جاهزون للتحدي؟ أستم جديرون برهان البحث العلمي وفي جامعة البحث؟ بلى إنكم سوف تكسبون الرّهان بما لكم من إنتاج الأفكار، وبما تحملون من قوّة الدّهن، فأنعم بكم يا شباب الإبداع!

- رهان البحث العلمي في الجامعة الجزائريّة: إنّ الرّهان اليوم كيف نرفع
من قيمة البحث العلمي في العربيّة وفي محيطها العلمي، وفي ميدان الرّقمنة وما يتبعها من الدّكاء الصّناعي؟ كيف نجعلها متماثلة للمواصفات العالميّة؟ أسئلة وجيهة في معياريّة المواصفات الدّولية التي لا لغة لها هناك لغة الإبداع والإبداع عبارة عن مُجسّم وتصور ذهنيّ، وتركيب وتداخل، ومن ثمّ تأتي

آية لغة لتخلده في أرقامها وحروفها وصورها. إنّ الفكر هو الذي يخلق الإبداع، والإبداع مثل الرياضيات والطب لا لغة له وكما نقول دائماً لا نخلق العجلة، ولكن يمكن جعلها سريعة، من خلال فكرة البكرة التي تطوّرت منذ سنة 1774م، وتراها الآن في إبداع كل ما له علاقة بمنتوج الطيران، كما يمكن للعجلة أن نضبطها وإضافة ما يمكن أن يكون تابعا لها. ولهذا من البداية نركّز على ما يلي:

- 1- ضرورة العيش مع الآلة، استعداداً للمرحلة القادمة؛ مرحلة الآلة.
- 2- إلزام الطلبة باستعمال الأدوات الحديثة في تلقّي دروسهم.
- 3- ضرورة تفعيل الجامعات الوطنية في تعميم استعمال الإعلام الآلي في كلّ دروسها وخوض التطبيقات المعاصرة.
- 4- إلزام الأساتذة بتقديم دروسهم عبر الشّابكة بُعداً، وعبر عارض البيانات وجاهة، باستعمال آخر التطبيقات.
- 5- ضرورة الرّهان على نقلة جديدة في التّعليمات وفي الهندسة اللغويّة.
- 6- إعطاء الأهميّة للدّرس اللساني في المنظومة التّعليميّة، وضرورة تعميم تدريس مادة اللسانيات، فنحن نعيش عصرها.
- 7- اعتماد لغة أجنبيّة لها السّبق التقني في الرّقمنة.
- 8- اعتماد المنصّات الذكيّة الغربيّة للإفادة منها في تطوير العربيّة.
- 9- العمل على ملأ فراغات الورد / (Word) بمُتوافقات العربيّة.

10- ضرورة التّماهي مع نظام إكسل / (Excel) واستثماره في مجال النّظام الآلي للمعلومات.

- الخاتمة: إنّ موضوعكم المختار لهذه التّدوة، والعناوين التي تضمّنتها محاورها لجديرة بأن تُتابع، وتكون قاعدة بياناتٍ للجامعات الوطنيّة وللمؤسّسات العاملة على التطوير اللغويّ. ونروم أن ترى الثّور في طبّعات ورقية، وتكون مفتوحة في مجال موقع المركز الجامعي لميلة وفي موقع وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، وهكذا ننشد الجامعة الجزائرية المعيارية التي سوف تكون بأمثال جهودكم، وليس من قبيل المُحال، ولكن من قبيل الممكن المنال، وتكون للمركز الجامعي لميلة المقامة، وفي قيادة البحث العلميّ الرّيادة وفي استثمار في الذّكاء الصّناعي بزيادة. بوركت خطواتُ العاملين من أجل اللغة المشتركة، من أجل لغة السيّادة، بوركت أفكاركم العالمة؛ من أجل اللغة المائزة، وأنعم بكم من شباب الرّقمنة!

كلمةٌ إلى بيت الشعر الجزائري^٧

يسعد المجلس الأعلى للغة العربية أن يكون في هذه التظاهرة الأدبية التي تتناول موضوع (الكتابة في وسط حضاري: المدينة فضاء للكتابة) وإنها لمبادرةٌ مُشجعةٌ تأتي من (بيت الشعر الجزائري) في هذا الوقت الذي نعرف ما جنته علينا الجائحة الجارحة التي شتت شمل الشعراء، وخلي بيت الشعر من اللقاء، ولكن ها هم الشعراء يلتقون بمبادرة (بيت الشعر الجزائري) وفي هذا المكان للوقوف على أطلالهم الشعرية، فنعم هذا اللقاء! كما يقف الباحثون على تقديم ما بصروا به من نظر جديد بخصوص أمر الحداثة في صيرورتها الزمانية والمكانية، وعلاقة ذلك بفعل المتغيرات التي يعرفها الراهن من خلال كل الوسائط التي تحملها الحضارة في تفعيل النشاط الثقافي رغم مضايقات التوازل.

أصحاب الفضل في بيت الشعر الجزائري، نشكر لكم فعلكم الثقافي هذا وفي هذا الوقت الذي نشد إليكم رحالنا، ونعُضد نشاطكم، ونقول لكم مزيداً من النشاطات التي تجعلنا نتقاسم الحركة الثقافية، نعالِ نرْم الخميرة لتفعل فعلها في الحراك الثقافي الذي ينتظر منا جميعاً الامتداد والتوسع ونيل مضارب البلاد. فالثقافة جوعي لمثل هذه اللقاءات. فيا (سليمان) افعلها

^٧ الكلمة التي أعدها رئيس المجلس لصالح (بيت الشعر الجزائري) بمناسبة انعقاد الملتقى الوطني حول (الكتابة في وسط حضاري: المدينة فضاء للكتابة) في المكتبة الوطنية بالحامة. 8 مارس 2021م.

ولك الرِّفقُ، وجُدْ علينا فلك السَّبْقُ، ومن خلالكم لكل بيت الشعر الجزائري نأمل أن يبادروا بتنشيط الحياة الثقافيّة التي عمادها (وفي الحركة بركة).

- **في لب الموضوع:** نرى الملتقى يطرح إشكاليّة الحداثة، وهذه نقلة نوعيّة في أعمال هذا اللقاء؛ فمن البادية إلى الحضارة، والحضارة تُشير في أصلها إلى الأماكن المشهود لها بأنّها مولد الحضارة، واستخدمت للدلالة على الأماكن/ الطوبونيمية التي بُنيت عليها حضاراتٌ بائدةٌ وبعضها قائمةٌ وتنتقل الكلمة اليوم إلى صورة المدينة بما لها من وسائلها الخاصّة، وصفاتها وما لها من حمولة ثقافيّة عمادها التّحضّر، ولها كتابتها الخاصّة التي تُجسّدُها في رمزيّتها، واستحضارُ معالم الماضي والحاضر والزّمان والمكان. وحسب هذه الإشكاليّة نقرأ تلاقي محاور خمسة في استحضار جملة الرموز الدّكريّة من الشّفويّة إلى الكتابيّة، وإلى الكتابة الشّعريّة، وما يتبع ذلك من الرواية في الفضاء الحضريّ، يليه موضوع المدينة والكتابة الفلسفيّة، وكلّ ما يعلّق بفنون المدينة. إنّها لعميقة هذه الإشكاليّة، ولكن لها فحولها من الكتاب والباحثين الذين سوف يفتحون هذه المحاور التي لا تكون عصيّة على أهل الدّراية، فهم أنتم أيّها المُنْتَدُونَ. ونجدّد القول إنّها لعميقة، ونروم أن تتناول قضايا المدينة من جانبها الفنّي وفي جملة المتغيّرات، من البداوة إلى القرية المتنفّخة، وإلى معالم الحداثة في صورة المدينة الكبرى، وما هي أوصافها في نمطيّة الكتابة عند المبدعين.

أيّها الباحثون، أيّها المبدعون، أيّها الشعراء، أجدني بينكم اليوم لأجدّد ولاء المجلس الأعلى للغة العربيّة للشّعر، فهو ديوان العربيّة والعرب وعليه

قامت قواعدُ العربيّة، ومنه دُوّنت الشّواهد التي أضحت قاعدةً فُحويّةً في التّوثيق اللّغويّ. كما أنّ مملكةَ الشّعر مسّت وغطّت مختلف فُتون القول وأحدثت التّجسيرَ في حال اللّغة العربيّة التي اغتنت بإبداع الشّعراء الذين رفعوا من قيمة العربيّة في المُفاخرة والمُباهاة، ونعمَ ذلك الشّعْرُ الذي كان يُعلّق في مكان مُقدّس لعظمة ما تحتويه كلمائهُ من مدح وغلّز وتفاخر ووصف كان سِمّة ذلك العصر. لقد قال الشّعراء كلامهم بعفوية أصبحت نمطيّة في قوالبِ بحورِ الشّعْرِ العربيّ، وأضحى الكثيرُ من المقول نماذجَ في تعالي الشّعْر لمقامات فنّ الكلام، وكذلك ارتقت لغةُ (المتنبّي) بجودة ما يُشَد من حُسن المُقول. ومن ذلك نجد تنسيبَ اللّغة للمبدعين الذين أعطوا للغات زحمتها في أعلى تجلياتها؛ فهذا أميرُ الشّعراء (بوشكين) تُنسب إليه اللّغة الرّوسيّة، وهذا (شكسبير / Shakespeare) المسرحيّ المبدع تُنسب إليه اللّغة الانكليزيّة، وهذا (سونج جين / Jin) Song) الفنّان المُحترِف في الكتابة الصّينيّة تُنسب إليه لغةُ بيجين أو بكين / لغة الخان / الهان، وهذه اللّغة الإسبانيّة تُنسب إلى الثّقافة الإسبانيّة فقط وما أدراكم ما الثّقافة، واللّغة الفرنسيّة تُنسب إلى الفرنكفونيّة في توسّعها اللّغويّ، وما أدراكم ما يعنيه التّوسّع اللّغويّ في معناه الخارجيّ؛ لأنّ الفرنسيّة بما تناله من موقع ما وراء البحر... ألا ترون أنّ اللّغة شعراً وإبداعاً وصناعةً، يصنعه أهل الشّعْر والإبداع. فأنعمْ بكم أيّها المبدعون!

وإنّه بكم نستنير أيّها المنتجون للأفكار، أيّها المُحاضرون، ويا أيّها المُبادرون لهذا الملتقى الوطني الذي يجمع نخبةً من الباحثين والمُبدعين ونروم منكم تركّ بصمتكم في تفعيل هذا التّشاط الذي نأمل له الامتداد والتّوسّع

لجعل مُدُننا لا تنام، ويعلوها مختلفُ الأنشطة التي تتنافس على اختيار الزّبون. وإنّها لبادرةٌ حسنةٌ في ربيعِ الثقافةِ الوطنيّةِ الذي لا شكّ سيزدهرُ فأولُ المطرِ قطرةٌ، ثمّ ينهمرُ، كما أنّ الطريقَ تصنعه الأقدامُ. فعليكمُ العولُ أيّها الحضور، وإليكم جميعاً تحايا المجلس الأعلى للغة العربيّة، وبوركت خطواتُ الفاعلين المخلصين أمثالكم، وإلى مزيدٍ من نُيلِ المقاماتِ، يا أصحاب المبادرات، فأنتم رجالُ المهمّاتِ، الذين لا تشيهم الصّعوباتُ.

وفي هذا اليوم الخاصّ بمناسبة اليوم العالمي للمرأة، يهدي المجلس كلّ التحايا والتّهاني والعرفان والتّقدير لكلّ الشّاعرات والمبدعات والباحثات اللّائي يُنافحن من أجل التّفنّن في خدمة جلالَةِ الملكةِ اللّغة العربيّة، فأجمل بكنّ أيتها الجميلاتُ! وأنعم بكنّ فأنتنّ في كلّ يومٍ يومكنّ! فإذا كان الشّعراء والمبدعون الرّجالُ سدّنتّها، فالنّساء الشّاعراتُ المبدعاتُ والباحثاتُ وصيفائّها، فننعم الخادمةُ والمخدومةُ، وعلى رأسِ كليهما تاجُ السّلطانةِ المحترمة.

وإلى كلّ الحضور نهدي تحية الأمل التي يتبعها العمل ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾ إِلَى عَلِيِّهِ السَّلَامُ وَالشَّهَدَةِ فَيُتَشَكَّرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾.

اللغة العربية وتحديات العصر

وضرورة الاستثمار بها وفيها^٧

المقدمة: لقد بصرتُ ببعض الأفكار حول تحديات اللغة العربية في راهنها، وهي من الأشياء التي تعيقها عن السير في ركب اللغات المنتجة للعلم، وأرى الكثير من التحديات يمكن رفعها باعتبارها تعلي من سويتها في ذاتها ولذاتها؛ لما لها من ثروة لغوية وأدبية وعلمية تجعلها لغة مطلوبة، بل يُنشد ودُّها في كلّ الميادين، نظراً للخصوصيات التي تتوفر فيها، والموقع الجغرافي لأهل هذه اللغة. وإنّ العربية لها خصوصيات وطاقة كبيرة لا تجدها مجتمعة في لغة واحدة؛ ففيها التقت وتكاملت. ولكن لماذا لم تكن هذه اللغة - التي تجتمع فيها هذه الخصوصيات - علميةً على غرار اللغات العلمية المعاصرة، ولا تجتمع فيها كلّ الخصوصيات المذكورة في العربية؟ ولماذا لم تكن العربية لغةً اقتصاديةً يحصل فيها الاستثمار على غرار لغات الاقتصاد؟ هنا المشكلة؛ لأنّ الوعي بهذه اللغة لم يحصل لدى أهلها، ولم يقع الاهتمام بها ولم تُستعمل من قبل أهلها في المصالح الحيوية، كما ضاقت فيها سبيل البحث في الأمور العلمية، ولذا لم تكن من لغات العلم في الوقت المعاصر، فتحوّل عنها أصحابها لعدم الاستثمار فيها، ولم تُطلب من الأجانب لعدم استعمالها من أهلها.

^٧ — أعدت الدراسة للملتقى الافتراضي الذي ينظمه اتحاد الجامعات العربية في 22 مارس 2021. المملكة الأردنية الهاشمية. الأردن.

وإنّ موضوعَ اللغة العربيّة وتحديات العصر، موضوع شائق يحتاج إلى الدّرايّة بمعطيات الاستثمار في هذه اللغة، وربّما يبدو للبعض بأنّ هذا الموضوع له بعد اقتصاديّ، نعم، ولكن بمنظور استراتيجيّ نفعيّ للرّفع من شأنها، وفي سرعة انتشارها، مثل العملة القوية تُحقّق مكاسب اقتصاديّة وتُجَرّ معها لغتها، وهذا ما تفعله فرنسا وأمريكا في نشر لغاتهما في العالم ليتحقّق لهما المزيد من التّفوذ والطلب والمردود الماديّ. وكذلك كان العربُ في الجاهلية يلتزمون أسواقهم التجاريّة؛ وفيها يحصل التّباري في نسج الشّعَر ذلك الشّعَر الذي حقّق أموالاً كبيرة (ظاهرة التّكسّب بالشّعَر) فتحوّلت القصيدة إلى حدّثٍ اقتصاديّ مطلوب، ومن ثمّ أصبحت صناعةً للارتزاق. وبذلك وصلت كلمات العربيّة إلى بورصة سوق عكاظ وذوي المجاز والمجّة حتى أصبح غيرُ الشّعراء يصنعون الشّعَر من أجل نيل الأموال، كما ارتقت العربيّة في تلك الأسواق التي تُعجّ بمختلف العروض، والعربيّة وسيطة بين المتقايضين. ولم يقف الأمرُ عند هذا الحدّ بل إنّ قانون السّوق في الإسلام يخضع للحسبة، فله بنود في كُتب الفقه وُثراعي فيه سيرُ المصالح المُرسّلة للوصول إلى المعاملات التي يجب أن تكون في المُدن الإسلاميّة. وهذه المعاملات فيها الوجه القانوني؛ وهو استعمال اللغة الواضحة المؤدّية لغرض البيع والشّراء، والوجه الاقتصاديّ وهو التّنافس في الجودة وخفض السّعر فكان كلّ ذلك مسطرة مطاطية تُراعي تطوّرات العصر حتى نتج عن ذلك نظام الماكرات والوجه الأخلاقي بما حصل من الاستثمار في العربيّة التي قبلها غير العرب، وأحلّوها منزلة فوق لغاتهم، أحبوها فأبدعوا فيها وبها واستثمروا في بناء المدارس والخُلوات، وأقاموا صرح المشيخات، ونتج عن

ذلك ثروة المعرفة التي قامت على تبادل الكلمات، ومن ورائها حصلت المنفعات، لما لها من استثمارات، في كلّ البلدات، وجاءت من ورائها العُمَلات.

وإنّه جاء وقت العودة إلى الاستثمار في اللغة العربيّة، بقياس هذا الحاضر على الحاضر؛ لأنّ عصرنا ليس بعصر بيع الشّعْر، بل بطرح لغة الشّعْر إلى التّداول، فهل يمكن أن تكون لغة الاقتصاد ويقبلها الآخرون ولذلك علينا الخروج من تقوقعنا، وفهم آليات التّطوّر الحتمية والعودة إلى الماضي لا يكون إلّا بما يحمل من حضور معاصر. ولهذا فالتّفكير في مشروع الاستثمار في العربيّة هو مشروع النّهضة الثّانيّة واللغة العربيّة أدواته، وأنّ الاستثمار في تعليمها وتعلّمها وتوظيفها استثمار ذو مردودٍ ماديٍّ ومعنويٍّ، وذو حركة دائريّة تنتهي حيث تبدأ، واللغة مردودٌ أخلاقيٌّ وحضاريٌّ وثقافيٌّ وإنسانيٌّ ووجوديٌّ، وهذا ما لا يمكن وزنه بالمال. فلا أجملَ ولا أعظمَ من الاستثمار في هذا اللّسان الذي صنّف فيه الموالي روائع الكتب، وقال فيه المولّدون أغرّ الأشعار، وجال فيه اليهود في الطّب، وبرع فيه المازيغيّون في التّحوي... ومن وراء ذلك يُلاحظ تلك العلاقة القوية التي ربطت قوّة الأمّة وتمكينها في الأرض بقوّة اللغة على ألسنة أبنائها والتّناطقين بها، وكان ذلك بمثابة الفتح للدين وللغة العربيّة. ولكن في وقتنا الحالي قد لا يصدق تمكين الأرض من قوّة اللغة وتمكين العربيّة قوّة لعودة مجد أهلها، ويصدق علينا قول الشّاعر الذي يقول:

ولكنّ الفتى العربيّ فيها غريبُ الوجهِ واليدِ واللّسانِ

في وقتنا المعاصر مُعطيات جديدة، وأراها يمكن أن تكون من آليات التمكن للغة العربية، وهي قنوات كثيرات يمكن الاستثمار فيها، كما يمكن أن تتعاضد في مشاريع مُعاصرة، وبنظريات مُعاصرة، وبفكر مُعاصر بدءاً من رفع المضايقات التقنيّة التي تعيشها في بعض بُناها اللغويّة وُصُولاً إلى دخول عالم التّقانة من منظور الأخذ، ثمّ الإضافة، وتسجيل بصمة الحضارة، وهذا ليس بالمُستحيل أو بالمُستبعد، وقد يحصل ببناء استراتيجيّة جماعيّة، وعن طريق مؤسّساتنا العربيّة التي تُدفع لها الأموال من ضرائبنا، فالأحرى بها أن تنهض وتُقدّم علينا مشاريع التّهوض وتنجز استراتيجيات العمل العربيّ المشترك لجعل هذه اللغة مصدر الطّلب.

وسوف أقترح الخطوط العامّة لتلك الاستراتيجية عبر مباحث هذا العمل ولكيفيات استغلال مختلف القنوات؛ رفعاً من سويّة هذه اللغة وجعلها لغةً علميّة، فيُستثمر فيها. ولا يحصل ذلك إلاّ بالاستثمار القويّ في تلك القنوات، وهذا ما قامت به اللغات التي كانت مُتخلّفة¹ مثل العربيّة ولكنها تقدّمت بفعل الاستثمار الجمعيّ في مختلف القنوات. وكان الحزمُ أوّل علامات الخروج من التّفق ثمّ ما تبعه من مُخطّطات تنموية؛ وفيها تنال اللغة العربيّة موقعها في مشاريع الاستثمار في البناء أو في الاقتصاد على اعتبار أنّ اللغة لها جانب الاقتصاد المعرفيّ الذي يُبنى على الاستثمار.

— المبحث الأول: معنى الاستثمار: يرتبط مصطلح الاستثمار/

(Investissement) بالجانب الاقتصادي؛ ويعني في ما يعنيه لغة واصطلاحاً أنّه من فعل (ثَمَرَ) وهو شيء يتولّد عنه شيء مُتجمّعاً: ثَمَرَ الرَّجُلُ مَالَهُ = أي أَحَسَنَ الْقِيَامَ عَلَيْهِ. ثَمَرَ اللَّهُ مَالَهُ = ثَمَاه. مَالٌ ثَمِرٌ = مُبَارَك. أَثْمَرَ الْقَوْمُ = كَثُرَ

مألهم. اسْتَثْمَرَ = طلب التنمية والزيادة والكمية والتوعية، الاستثمار من فعل (ثَمَرَ) هو الطلب وتوجيه المدخرات نحو استخدامات تؤدي إلى إشباع حاجة/ حاجات اقتصادية. ويؤكد هذا المجمعون بأن الكلمة من (ثَمَرَ) الشجر - ثموراً: ظهر ثمره. وثمر الشيء: نُضِجَ وكُمِلَ. ويقال: ثَمَرَ ماله: كَثُرَ. ثَمَرَ له: جمع له الثمر. اُثْمَرَ الشجر: بلغ أوان الثمار. واثْمَرَ الشيء: أتى بنتيجته. ويقال: اُثْمَرَ ماله: كَثُرَ. واثْمَرَ القوم: أَطْعَمَهُم. ثَمَرَ الشجر ثَمَرَ واثْمَرَ اللبن: بدا زبده. وثمر ماله: نَمَاه. استثمار المال: ثَمَره. واثْمَرَ الزبد: اجتمع عند مخض اللبن. ويقال: قد اُثْمَرَ مخاضك. ثَمَرَ النبات: نفص نوره وعقد ثمره. ومن الشواهد: قال ابن الرومي:

لَكَ فِي تَدْبِيرِ، وَلِلَّهِ قَبْلَهُ سِيْثَمِر لِي مَا اُثْمَرَ الطَّلَعُ حَائِطُ
وقال ابن المعتز:

وغرس من الأحباب غُيِّتُ في الثرى فاستقيه أجفاني بسيج وقاطر
فأثمر همّاً لا يبيد وحسرةً لقلبي تجنيها بأيدي الخواطر
الاستثمار: استخدام الأموال في الإنتاج؛ إما مباشرة بشراء الآلات والمواد الأولية، وإما بطريق غير مباشر كسواء الأسهم والسندات². وفي الفرنسية

Investissement. Emploi de capitaux visant à accroître la production d'une entreprise ou à améliorer sa rentabilité ; ensemble des capitaux, des biens, ainsi investis. Placement de fonds : un investissement rentabilité.

وعلى العموم، فإن الاستثمار يعني ذلك الجزء من الدخل المدخر الذي لا يُنفق على الاستهلاك يُحوّل إلى استثمار بُغية الإتيان بالفائدة والزيادة. أو هو

المبلغ الفائض من الاستثمار باعتباره الوفرة المدخرة التي تأتي بالربح الإضافي، كما يعني تحقيق التوسع والانتشار والسّمة العالمية. وفي عُرف المُختصّين الاقتصاديين هو "حيازة أملاك عقارية أو منقولة معنوية بهدف إنتاج أملاك أو خدمات أو إعادة بيعهم، وجني ربح مستقبلي منهم" والمستثمر (Investisseur): شخص مستقلّ يستثمر أمواله في القيم المنقولة. وينبغي ألا نخلط بينه وبين المضارب الذي يُجري معاملات صغيرة، وحاصل سندات صغيرة. من بين المستثمرين الكبار الخواصّ يمكن تمييز المنتمين إلى فئة (المال القديم) والمنتمين إلى فئة (المال الجديد).

- المال القديم: مستثمرون تتفاوت ثروتهم الماليّة من ثلاثة ملايين إلى عشرات الملايين وانتقلت من جيل إلى جيل بنّية التوظيف.

- المال الجديد: مستثمرون تتفاوت ثروتهم المالية من واحد إلى ثلاثة ملايين أورو، جاءت من عمل جيلهم فقط³. وفي الجانب الاقتصاديّ فالاستثمار ضمان استخدام الأموال ذات الصّفة الاقتصاديّة في عملية إنتاجية تؤدّي إلى زيادة في الإنتاج وحصول الأرباح. والاستثمار في نظام العولة يعني العبّة والقوّة، وقوّة الدول تُقاس بقدرتها على الاستثمار. الاستثمار مصطلح ماليّ يتعلّق باستخدام الأموال في الإنتاج، إما بشكل مباشر = بيع وقبض. وإما عن طريق الأسهم والسّندات، وإما عن طريق المشاريع، ويحمل المصطلح في ذاته الجهد والتفاعل البشري مع المادة.

الاستثمار مصطلح مالي كما رأينا؛ يتعلّق باستخدام الأموال في الإنتاج إما بشكل مباشر = بيع وقبض. وإما عن طريق الأسهم والسّندات، وإما عن

طريق المشاريع، وتحمل الكلمة في ذاتها الجهد والتفاعل البشري مع المادة. وفي تعريف آخر، إنّ الاستثمار هو كلّ عمل يُحرّك فيه رأس المال، فيعود بالفائدة" هو إنفاق ذلك الجزء من الدّخل الذي لا يُخصّص لشراء السّريع والخدمات التي تفي المتطلّبات الاستهلاكية مباشرة بل الذي يؤدّي إلى زيادة وسائل إنتاج تلك السّلع والخدمات لذلك⁴. ويتقوّى الاستثمار بحسب الطلب وقوى السّوق، كما يستدعي الاستثمار التخطيط الذي يهدف إلى تحقيق نموّ مُستمرّ وخالٍ من التّقلّبات، ويتطلّب وجود آلاتٍ وأصولٍ ومناهج؛ كي لا تحصل الانتكاسة من تقلّبات السّوق وعالم المنافسة. وهذا أمر اقتصاديّ بحت، ولكن كيف يمكن تطبيقه على اللغة؟ أو كيف تكون اللغة مصدراً من مصادر الدّخل الفرديّ والدّخل القوميّ؟

إنّ منطق اليوم هو منطق العرّض والطلب، ومنطق سوق البيع، فكيف للغة أن تُجرّ دخلاً على الدولة، وبتعبير عربي، كيف نجعل العربية مصدراً يتجاوز مدخول البترول في دولنا العربية؛ بحيث يُطلب ودّها، كما يُطلب البترول حالياً؟ يمكن أن نبدأ القول بالطرف المُعطي، فهو المُتحرّك في السّوق، فإذا كانت ممارساته التجارية تتمّ بالعربية، وعقوده بالعربية فالزّبون يخضع له ويستعمل لغته، هذا في المقام الأوّل، وفي المقام الثّاني هناك الكثير من القنوات التي يمكن أن تتدخل في جعل العربية تُطلب في الاستثمار؛ بدءاً من الوعي باستعمالها، ثمّ الممارسات السّياسيّة وما يتبع ذلك من إمضاء الاتّفاقات والعقود والتّعامل النّدي مع الآخر، وكلّ ما له علاقة بأمر الهوية والمواطنة التي تلزم فيها الزّبون مُراعاتها، إن لم تفرض من المُعطي على المستهلك "حقيقة إنّ موضوع الاستثمار في اللغة سواء أكانت هذه اللغة هي لغة المُستثمر، أم

كانت لغةً أخرى فهي موضوع ذو أبعاد وعلى درجة كبيرة من الأهمية والعُمق؛ لارتباطها بقضايا أخرى مثل الهوية والدين والتاريخ والجغرافية والمجتمع والأناسة يعني هذا الارتباط أو الترابط أنَّ موضوع اللغة والاستثمار فيها يمكن أن يكون مدخلاً لكل القضايا التي تمثل أبعاداً استراتيجية لأمة من الأمم⁵. هذا في حكم الافتراض، ولكن في حكم الواقع فإنَّ الأمر يختلف عندنا -نحن العرب- فعندما نتحدث عن جدوى اللغة العربية في اقتصاد اليوم، لا بدَّ أن نكون موضوعيين في الإجابة عن الأسئلة التالية: هل يوجد استعمالٌ العربية في بيئاتها العربية؟ كيف تُقلع العربية وتزدهر في محيط غير موظفة فيه؟ هل للعربية دورٌ في مجال المعاملات التجارية؟ وهل يتمُّ تدريس العلوم بالعربية في الجامعات العربية، وهل تستعمل كلغة أساس في مراكز البحوث المتقدمة؟ تلکم بعض الأسئلة الحاملة لإشكالية اللغة العربية في الاقتصاد، وهي أسئلة الاستثمار المعاصر ونروم أن تتغير نظريائنا ونظرئنا للغة العربية من خلال واقع يفرض علينا إنشاء تنمية مستدامة باللغة الوطنية الجامعة. ومراعاة لذلك، يجب الإقرار بأنَّ الجهود العربية ما زالت قاصرة على إيفاء اللغة العربية حقَّها، وما زالت تتطلب المزيد من العناية، وأنَّ العرب لم يُولوا اللغة العربية ما تستحقه من اهتمام كافٍ، ولم تكن جهودهم موحدة لرأب الهوة الناجمة عن الفجوة الرقمية.

كما يجب مصارحة أنفسنا بأنَّ المؤسسات الاقتصادية في أوطاننا العربية تعمل على تهجين العربية، دون مراعاة الأبعاد الخطيرة الناجمة عن ذلك كوننا أمة نستقبل ولا ننتج. ومن هذا الباب فإنَّ معالجة أمر التهجين في المؤسسات الاقتصادية من الأهمية بمكان، وأرى أن يكون بسنَّ القوانين

المتعلقة بالاستيراد، والتحفّظ على المسميات، ومرافقة ذلك بحملات تشجيعية تعزّز مكانة العربية في نفوس أبنائها. وكذلك من الفطنة اعتماد سياسة للتعريب ملزمة للمؤسّسات الاقتصادية في إعلاناتها وفي متوجّها ولا شك أنّ ذلك سوف يجد صعوبة في البداية، ولكن يزول بالإقناع والتوجيه. وفي هذه النقطة، أرى أنّ أبرز ما يعضد العربية في النهوض حالياً هي:

- في المرحلة الأولى العمل بالثنائية اللغوية في تعليم العلوم والتكنولوجيا والطب لمدة لا تقلّ عن عشر (10) سنوات؛

- إيلاء الإنكليزية مكانة هامة في المرحلة الثانوية؛

- تطبيق قوانين البلد على المدارس الخاصة؛

- تعميم وجود المعاهد الخاصة بتكوين المعلمين؛

- البحث العلمي التطبيقي في اللغة العربية وتعليمها؛

- فرض العربية في كلّ ما هو إشهار وإعلان؛

- إحياء التخاطب العفويّ باللغة الفصيحة.

وهذه الأمور مُستنبطة من تلك الأبحاث الميدانية التي خرجت بها مُدونة بيروت الصادرة عن (مؤسسة الفكر العربي) والموسومة (لننهض بلغتنا) لعام 2012م. ولكن لا نعدم النهوض الثاني بالاستثمار في لغة الطفل العربيّ وهي النقطة الأساس، لأنّ الاستثمار في لغة الطفل، يعني الاستثمار في القاعدة، وفي لغة القاعدة التي تبقى راسخة، ويعني كسب جيل يستعمل لغته فلا يضيع، ولا تختلف رؤاه. وتكون البداية من عدم المغامرة في الازدواجية

اللغوية في المرحلة الابتدائية، فهي تعيق عملية التشبيك اللغوي في اللغة الأم ومن ثم العمل دائماً بأسلوب الإصلاح وإصلاح الإصلاح، وهو شيء طبيعي، فلكل إصلاح نهاية ونقائص، ثم زيادة عدد حصص اللغة العربية في المنهاج الدراسي، وما يتبعها من عقد الندوات والمؤتمرات التحسيسية للمعلمين وللمُستَيرين، ومُتابعة التّقويم المُستمر لكل مجرى تربوي، ولا ننسى الاستثمار في معاجم الأطفال ونروم من الاستثمار أن يكون مستوفياً لمعاجم عصريّة؛ مُستوفية لحاجات الطّفل المُلحّة، معاجم تتفادى التركيز على كثرة المترادفات والمتضادات وتستعمل ألفاظ العصر وتراكيبه، وتُبنى على أسس علمية، حسب متطلبات الصّناعة المعاجمية الحديثة.

- المبحث الثاني: اللغة والاستثمار: يُعرّف علماء الاقتصاد اللغة بأنّها (رصيد معرفي) يُستثمر في تنمية البشر؛ باعتبار اللغة والاقتصاد وجهين لعملة واحدة، فلا يزدهر الاقتصاد في ظلّ غياب اللغة، ولا تزدهر اللغة في ظلّ ركود الاقتصاد، فهما متلازمان في مجال التّسويق، وقوة الاقتصاد معيار تقدّم الأمة وسيادتها، وبالتالي سيادة لغتها.

إنّ اللغة ترتفع قيمتها بالاستعمال، كما ترتبط بالنشاط الاقتصادي، إلى الدور الذي تلعبه في الإنتاج والاستهلاك والتبادل. فاللغة قيمة (Valeur) ومنفعة (Utilité) ولهذا تُوزن قيمتها بالاستعمال وبالشغل والطلب عليها. والنشاط اللغوي نشاط اقتصادي وحسن الأداء، وتقديم الجودة في الخدمات والتنافسية في العرض، وهذه هي محاور الاقتصاد اللغوي، ورؤية السوق للغة. وعلى هذا نشهد في الوقت المعاصر زيادة الطلب على المؤنكلزين كما يشهد الطلب على المفرنسين في بلاد المغرب، وفي فرنسا على الذين يتقنون

الإنجليزية... لأن اللغة رأسمال بشري مرتبط بالمرودود المادي وبالذخل الفردي للإنسان، وبالحركة الاقتصادية التي يحدثها ذلك الإنسان. ففي منظورها فإن قيمة السلعة تحيل إلى القيمة الاستعمالية + القيمة التبادلية، ومن ورائهما قيمة الربح، واللغة رأسمال كبير تأتي بتبعات اقتصادية كبيرة لم ينتبه المختصون في اللغة إلى أن ما يخوضون فيه من إشكالات حول وضع اللغة وممتنها وسياستها وتعليمها له تبعات اقتصادية. وقد عني عدد من الاقتصاديين ومختصي الاقتصاد اللغوي مؤخراً بتطوير الاشتغال بدقة على العلاقة القوية بين الاقتصاد واللغة أو اللغات، وتحديد موضوع العلم الجديد وإشكالاته الأساسية ومناهجه، وأكد عدد من منظري السياسات اللغوية باتجاهاتهم المتعددة ضرورة العناية بالاعتبارات الاقتصادية⁶. وهكذا ينظر الاقتصاد إلى اللغات من حيث هي عمّلات البيع والشراء واستغلال المنتج وعلى أنها رأسمال يبحث عن الاستثمار.

وإن اقتصاد المعرفة يعتمد في الدرجة الأولى على الرأسمال الممثل في منتجات الباحثين الفنية في مجال الذكاء الصناعي المجسد في الآلات المعاصرة بدل الاقتصاد اليدوي القديم، وهذا للحصول على المعرفة التي توظف بهدف تحسين الأداء، وخلق تنمية مستدامة، والسير مع العصر. وأهم ركيزة يعتمد عليها اقتصاد المعرفة هو تطوير التربية والتعليم المصاحب للنظريات المعاصرة. ولذا يُستثمر بقوة في عقول الطلبة منذ نشأتهم لإنتاج المعرفة وتطويرها واستخدامها في كل الميادين. وهذا التطوير يُركّز على اللغة لتؤدي دوراً تواصلياً على مختلف المستويات، ولتحقق الجودة الشاملة في كل عمليات التواصل "حيث إنّ الاتصال اللغوي الفعّال عامل حاسم في بناء الكفاية

الاقتصادية التي تعتمد على كفاية المعلومات واستعمالها في وضع جداول، وفي حلّ المشكلات الاقتصادية وعقد الاتفاقيات، واتخاذ القرارات الرشيدة⁷. ومشكلتنا -نحن العرب- في أننا نحولنا عن استعمال لغتنا باستعمال اللغات الأجنبية، دون أن نعرف كم نخسر يومياً من الملايين بسبب أن لغتنا ظلت على جمودها، وأن أداءنا اللغات الأجنبية ضعيف. فالقضية واضحة، في أننا وبطوعية لم نقم باللازم تجاه الرابطة القومية، وهي اللغة التي تجمعنا، ولم نهتمّ باللغات الوطنية التي تعمل على الدفع بالاقتصاد إلى مسار مُتقدّم، وقد يصعب علينا الدفع بها من منظور أننا نخدم لغة ليست من لغاتنا.

وعلى العموم، في هذا الوقت نحتاج إلى الاستثمار في اللغة القومية ولو من باب تغليب الكمّ على النوع/ والإكثار من المشاريع؛ ولو بعنوانين متقاربة، والعمل بفرق البحث وتحت إمرة مرجعية وطنية أو عالمية وتكثيف الإنتاج ذي العلاقة بالتربية والتعليم، والتمكين والإغداق بالقوة في اللغة الجامعة. ومن هنا، فإنّ ما استثمرناه فيها لا يكون غالباً عندما يُنفق الإنسان ماله من أجل الاستثمار في اللغة التي تُصالحه مع جاره ومجتمعه ووطنه، ولا يعيش الغربة اللغوية في محيطه، كمنفي في وطنه. ومهما تُنفق الدول العربية على تعليم وتعلّم العربية فهو لا شيء ورخيصاً جداً لأنّ ذلك الإنفاق لم يذهب سُدى، حيث سيعمل على توحيد التفكير والوصول إلى قواسم مشتركة في الفهم والتألف البيني. وهذا هو الاقتصاد المعرفي الذي يأتي بالجانب المعنوي والمادي، ويكون في أوله مادياً، لكن نتائجه تدخل في الوعي الجمعي الذي يعمل على الدّفع باقتصاد البلد إلى الأمام وعدم التسامح في العمل، بل يحصل التفاني في خدمة الشّأن العام، ويكون شريكاً في عمليات

الإنتاج، وبخاصّة عندما يحدّثه صاحب المعمل أو المدير بتلك اللغة التي تُحسّسه أنّه شريك لا أجير فيحصل التناغم بين الأجساد (العمال) والرؤوس (المسؤولون) وهذا هو تحقيق الجانب المعنويّ الذي يأتي بطول الزمن.

ومن هنا، فنحن بحاجة إلى الإدراك التامّ والوعي البين، بأنّ العربيّة الفصيحة وحدها هي لغة الإجماع، ولغة توحيد الوطن والأوطان، وليست مُجرّد لغة نتحدّث بها وفيها في كيفية الاستثمار وأنّ الإنفاق على اللغة العربيّة مُكلّف ولا يأتي بالمردود إنّ الإنفاق المالي من قبل الدّولة على كلّ ما من شأنه إصلاح أوضاع اللغة العربيّة وتمكينها، وحلّ جميع مشكلاتها المتعدّدة في المجالات العلمية والتّعليميّة والتّربويّة والتّواصلية والإعلاميّة والثّقافيّة... إلخ، والتمكين لها وجوداً وفاعليّة في جميع شؤون الحياة، وعلى كلّ المستويات، وفي كلّ القطاعات دون استثناء، يؤدّي إلى إحداث تأثيرها وفعاليتها وتحقيق وظائفها الحيويّة في حياة الأفراد والمجتمع في مجالات الحياة المختلفة وبتّيح لها أفضل الظروف في جميع قطاعات الدّولة والمجتمع، لتحدث أثرها الإيجابي في كلّ المستويات وفي كلّ الأوقات⁸. ولكن بكلّ أسف، تعدّ اللغة العربيّة ثروة اقتصاديّة مبخوسة على يدّ أبنائها، في الوقت الذي يتّجه العالم بقوة إلى الاعتراز باللغات الوطنيّة، وهذا ضمن نظرية التّمو الجديدة التي تُقرّ بأنّ التّنمية الوطنيّة لا تتمّ إلّا باللغة الأمّ، وهذا ما يقول به العالم الأمريكي (روبرت لولو) إنّ الاستثمار في تعليم اللغة الأمّ في المجالات التّقنيّة يعدّ استثماراً مثاليّاً طويلاً الأجل؛ تتعاضد فوائده في حال استثمارتها المؤسّسات التّعليميّة والثّقافيّة بشكل حسن". ويقول المستشار الألماني (ويلي براندت): إذا أردتُ أن أبيعك بضاعتي؛ يجب أن أ تحدّث بلغتك، وإذا أردتُ

أن تبيع بضاعتك، فعليك أن تتحدث الألمانية. ومن هنا، يتوجب علينا استثمار اللغة العربية في تطويرها وضبط نظرياتنا اللغوية والثقافية، وتوحيد خطابنا الثقافي؛ بما يتوافق مع المناهج العالمية الحديثة، كما يستوجب علينا الوضع إعادة النظر في توحيد الخطاب الثقافي من خلال النظرية العربية. لماذا كل هذا الإصرار على التعامل باللغة العربية في مجتمعنا العربية؟ لأنه استثمار في التنمية البشرية التي لا زوال لها، بل هي تنمو وتنتج، فلا خسارة فيها مثل الاستثمار في السلع. فبالاستثمار في اللغة يحصل الانتقال من حضارة المعاني إلى حضارة المباني، واللغة كلما زاد عدد المتكلمين بها زادت قيمتها، وكلما وقع عليها الطلبُ غلا ثمنها، وكلما تُرجم منها زادت عظمتها، وكلما تُرجم إليها توسّعت أساليبها، وكلما وقع الإعلانُ بها ارتفع ميزانها، وكلما نما إعلامها زادت قيمتها.

وكان عليّ حقاً القول، بأنه كلما نما الاقتصاد، كلما انتشرت لغة المنتج وكلما حظيت اللغة بإقبال كلما روجت للمنتج. ولكن، فكما يعمل الاقتصاد بما فيه من صناعة وتجارة على ترويج اللغة؛ يعمل كذلك على تأزيم مفهوم الهوية اللغوية للمستهلك، فاللغة والاقتصاد والسوق تربطهم علاقة جدلية؛ إذ يطور أحدها الآخر، ويروج له، إلا أن اقتصاد السوق أحياناً والعولمة يفسدان على اللغة قيمتها التداولية المحلية، ويهجنانها إذا لم تكن في الاستعمال، ليحصل بذلك القضاء على الهوية والخصوصية. ومن هنا نقرّ بأنّ محيطنا الاجتماعي العربي لا يستعمل اللغة الفصحى/ الفصيحة/ الوسطى، حيث اكتسحته العولمة بالفاظ Fast-food/ Week-end/ Pas de crédit/ Merci/ bye Bey/ Au revoir/ A toute/ Mobile/ Cafétéria/

... زائد اللهجات المحلية التي لا يقع التواصل بها حتى في البيئة الواحدة، بله الحديث من دولة عربية لأخرى، وما يعلن عنه في الألواح الإشهارية، وما تعجّ به وسائل التواصل الاجتماعي، بما فيه تلك الحروف اللاتينية التي تعمل بها الهواتف من الجيل القديم، أو الذي يسوّق في بلاد المغرب؛ لأنّ الوسيط التجاري يعمل لصالح الفرنسية، فنحن لا نأتي بالبضاعة من منتجها، بل يجب أن تمرّ عن وسيط فرنسي يعطي لها صبغته اللغوية. فهذا الوضع الاقتصادي الهشّ والمهترئ لا يخدم لغتنا، إن لم نقل: إنّه يهدّدها ويقتل اللغات الوطنية. صحيح إنّ المنتج مرتبط ببلده الأصلي، ونحن لا ننتج فنحتاج على الأقلّ إلى الاهتمام بالصناعة الحرفية البسيطة والتركيبية، ثمّ الإنتاج النسي، وصولاً إلى الإنتاج الكليّ مئة بالمئة. ولهذا علينا أن ندرج في تطوير الاقتصاد العربيّ، وبخاصّة في ميادين البترول وفي منتجاتنا الوطنية ليس الأخرى أن تحمل تسمياتها من خلال ثقافتنا، ونقدّم للسائح أكلاتنا بأسمائها، ونفتخر بلغتنا، وهذا من متطلّبات السوق المحلي، لا الذهاب إلى السوق المفتوح الذي ندوب فيه "وهكذا، فلا بدّ من تطوير الاقتصاد العربيّ بغية الرقيّ باللغة العربية ونشرها، فلا توجد لغة أرقى من لغة أخرى، ولا أنسب منها لاقتصاد أو تجارة معينين وإنّما الحضارة والتقدّم هما اللذان يحكمان على اللغة بالازدهار أو الجمود، وتصبح اللغة ضمن السوق المفتوح على مصراعيه للمنافسة⁹. وهكذا نرى بأنّ السوق المفتوحة في وقتنا المعاصر ليس في صالح لغتنا فلم تُعدّ القاعدة التي تجعلنا نقف بالندّ أمام اللغات المتقدّمة، والعُهدّة في أن نعمل على الإنتاج وبذلك نضمن موقعنا في خريطة العالم. ونستثمر في اللغة لما لها من شبه بالعمل، والقواسم المشتركة تتمثّل في:

أولاً: يستلزم النقد لتسهيل تبادل السلع أو الأصول المادية، ومثله تستعمل اللغة لتسهيل تبادل المعرفة أو الأصول الفكرية التي هي الآن أساس الاقتصاد المعرفي الجديد.

ثانياً: يشكل النقد رصيد الأمة وثرثها النقدية والمادية، ومثله تمثل اللغة للأمة ثروة لغوية.

ثالثاً: العملة تصكّ وكذا اللغة والمشف على صكهما هو الدولة.

رابعاً: إنّ قيمة النقد تزيد بالتداول وبالعملة المحلية، وكذلك قيمة اللغة تزيد بالتداول بها عبر التعليم باللغة الوطنية.

خامساً: للنقد قيمة وظيفية أو قيمة استعمالية تتمثل بالنقود الورقية التي ليس لها قيمة بحدّ ذاتها وقيمة أخرى سلعية تتمثل بالنقود الذهبية أو الفضية مثلاً التي لها قيمتها الذاتية، والأمر سيان بالنسبة للغة التي لها قيمة وظيفية تتمثل بلغة الحياة اليومية، وقيمة سلعية تتمثل باللغة العلمية والتكنولوجية التي لها قيمة إنتاجية بحدّ ذاتها.

سادساً: كما يحصل تضخم لغويّ مع ازدياد النقد وانخفاض قدرته الشرائية يصيب اللغة تضخم يتعدّد فيه المصطلح العلميّ حتى تضيق قيمته.

سابعاً: إنّ لوحدة العملة في دولة ما أو مجموعة ما مكاسب اقتصادية كبيرة، وكذلك لوحدة اللغة^{0 1}. ولهذا، لا بدّ من الاستثمار في اللغة الوطنية، وهي عملية تحسينية وذات مردود جيّد، وتقوم على التواصل الاقتصادي الناجح.

وبذا، نرى بأنّ سكّ العملة لا يختلف عن سكّ اللسان، فاللسان عملة التفكير، والكلمات تُسكّ كما تُسكّ العملات، وكلام الإنسان العادل كما يقال كالفضّة الخالصة، فهنا يحصل الاقتران المتكامل بينهما. النقد = اللغة. اللغة = النقد، فهما متكاملان، فوحدة اللغة من وحدة التقدير يعني وحدة السوق. والسوق له لغة مشتركة مستمدة من واقع الاستعمال المتداول وهي تحمل دلالات واضحة في البيع أو في الإعلان، فهي موحدة داخل السوق واللغة بدورها تنمي الناس في ما بينهم؛ لأنّها وسيلتهم للتبادل المقبول على نطاق عامّ، وبالمقابل يتفاعل الناس ويتحدّون في أي تشكيل لجماعة مهما اختلفت مكانتهم الاجتماعية أو الشخصية أو المكانية. ومن هنا، نرى اللغة توحدهم مثلما توحد النقود السوق التقود واللغة موضوعان يتسم البحث فيهما بدرجة من العمق والتجريد توازي في عمومية استعمالهما وهما مرتبطان أحدهما بالآخر، ويبدو أنّهما يقومان على أسس مشتركة. فثروة المعرفة الإنسانية كلّها تقوم على تبادل الكلمات... ومن ناحية أخرى فإنّ كلّ كنوز الحياة المدنية والاجتماعية ترتبط بالنقود بوصفها معيارها العام¹. وهكذا لا تنفصل اللغة عن النقود إذا كانت مستعملة، وكما قيل: اللغة وضع واستعمال، فلا تحصل المنفعة للعامة إلّا بالتداول، وكذلك اللغة لا يكون لها وزن إلّا إذا كانت في الشارع وفي كلّ مكان، وعند ذلك يكثر عليها الطلب.

- المبحث الثالث: الاستثمار واللغة العربية: عرفنا بأنّ الاستثمار هو

تجارة + دخول مال = ربح / خسارة. كما يُساوي الاستثمار = تنمية الموارد البشرية والمادية، وهو بدوره مناقصات وعروض. كيف نجعل اللغة العربية لغة استثمارية؟ إنّ الاستثمار هو نشاط تجاريّ بغرض الربح وما تقوم به

مؤسسات من مثل المجلس الدولي للغة العربية هو استثمار^٥ يحقق الربح لأصحاب الفكرة، ثم يعمل على استقطاب الكفاءات، ويجمع الناس على مطارحة المشاكل اللغوية، ومن ثم يعمل على تقديم الحلول، وهذا حاصل في كل اللغات، فإذا رجعنا إلى تاريخنا القديم، فنرى العرب أنهم استثمروا في اللغة العربية التي أخذت مجاري في كل العالم، عن طريق الفتوحات الإسلامية التي صاحبها تعليم الدين الإسلامي، وحصلت للغة العربية على مواقع لم تكن تتحكم فيها سابقاً. فكانت هذه المعادلة. الاستثمار = تعليم الدين الإسلامي + نشر الإسلام + تعليم العربية = حصول الفتوحات الإسلامية. وحصول الفتوحات كان يعني = خروج العربية من شبه الجزيرة العربية ونشرها في مدائن غير عربية، وتخلي الكثير من اللغات عن خطها وتبني الحرف العربي. وحصل كل هذا في بداية الأمر عن طريق التجار وهذا هو الجانب الاقتصادي اللغوي، فلولا التجارة التي أسست لطريق الحرير، ما جاءت لغة (Lingua franca) ولغة طريق الحرير التي فيها الكثير من الألفاظ العربية. هذا الطريق الذي يسر حركة السلع والقوافل التجارية فشكل أهم محور من محاور التواصل بين الحضارة العربية والحضارة الصينية والفارسية، وكانت تجارة الحرير سبباً للاحتكاك، فهو استثمار ذلك العصر وكذلك الحال بالنسبة للإنجليزية المعاصرة، فلولا التجارة الدولية لضاعت الإنجليزية. إذاً الاقتصاد عامل من عوامل انتشار اللغة، ومن هنا، فإن الاستثمار اللغوي = تقديم خدمات للباحثين + تقديم بيانات + تقديم الأجود + نشاط اقتصاد لغوي. واللغة التي يحصل فيها هذا النوع، هي

مطلوبة ومرغوبة، فتطلب عن طريق الدّفع الماديّ من أجل امتلاكها بل تُعدّ ثروةً وقيمةً مضافةً في الشّخص المتّقن لها.

نحن الآن في زمن الحثّ عن المنفعة الاقتصادية، فهل اللغة العربيّة نتدبّر بها أغراضنا في مجال المالِية والبنزسة، ومن حقّنا أن نسأل عن قيمتها في سوق التّداول، وعن الجدوى والتّفعيّة في قضاء كلّ المآرب... وتأتينا إجابات ليس لصالح لغاتنا، وهذا ما يدفعنا إلى البحث عن طرائق تطويرها وجعلها لغةً اقتصاديّة؛ لأنّ المسألة هنا مرتبطةٌ بسؤال التّنمية هل يمكن أن تكون لنا تنمية مُستديمة بغير لغتنا؟ ولكي تكون العربيّة لغة الأسواق والمعاملات كان علينا الحديث عن مجموعة من الركائز، وهي:

- اقتناعنا بأنّ لغتنا ليست حِكراً على عِرْق أو حضارة؛

- إصرارنا على ضرورة الفصل بين اللغة والدين؛

- تفعيل الانتماء العربي في زمن العولمة والحداثة وزمن اغتيال اللغة العربيّة؛

- الإيمان بضرورة انفتاح اللغة العربيّة على اللغات الأخرى والثّقافات المختلفة؛

- تفعيل دور المجامع اللغويّة والعلميّة؛

- وضع معاجم جديدة تعتمد مقاربات سهلة وبسيطة وقادرة على محاكاة لغة متعلّم العربيّة؛

- إنشاء مراكز جامعيّة للأبحاث اللغويّة والتّربوية؛

- استغلال الحرف العربي مُحَفِّزاً فَنِيّاً لِجَذْبِ الأَجْنَبِيِّ؛
- حلّ مشكلة الازدواج اللغويّ التي تشكّل عقبة في التعليم؛
- إعداد معلّم العربيّة لغير الناطقين بها ضمن سياسة عربيّة متكاملة؛
- تطوير المناهج وطرائق التّعليم وتيسيرها وفق المستويات؛
- إيلاء تعليم العربيّة لغير الناطقين بها اهتماماً خاصاً؛ لما تشكّله العربيّة من موقعها العالمي وضرورة أن تلحق الدّين الإسلامي^{2 1}. هي ركائز عامّة وتعضد بعضها. وإنّ العربيّة ليست بِعَرَقٍ ولا بدمٍ ولا بِأَبٍ بل من تكلم العربيّة فهو عربيّ، ومن خدّم العربيّة فهو عربيّ، والذين خدّموا العربيّة من غير العرب أكثر من العرب، فلا نستعجب الأمر، وما حصل من نهضة عربيّة معاصرة كان بفضل المسيحيين في بداية القرن الماضي، وأنّ ذلك ساير النهضة، ولكنّه لم يساير التّمية.
- لقد كشفت الدراسات المعاصرة بأنّ التّمية مُرادفة للنّهضة، والنّهضة تكون بتقديم الأفكار والتّمية كذلك. النّهضة حركة اجتماعيّة، والتّمية حركة اقتصاديّة مالية، فيمكن للنّهضة أن تقوم باللّغة الأجنبيّة، بينما التّمية لا تقوم إلّا باللّغة الوطنيّة. ويمكن أن نستعرض للقارئ كيف تحصل التّمية ناقصةً أو ضعيفةً، بل يأتي من وراء ذلك التّخيب المجتمعيّ، وهذا ما هو حاصل في بلد الهند، فهي تملك أكبر نظم التّعليم العالي في العالم إذ إنّ عدد جامعاتها أكثر من 600 وعدد كليّاتها يتجاوز 33000 وهي توفّر التّعليم لأكثر من 20 مليون طالب. بيد أنّ التّسبة المئويّة للهندوس الذين هم في سنّ الانتساب إلى الكليّات، والذين يتابعون دراستهم بعد إنهائهم المرحلة الثّانويّة

مُنخفضة مُقارنة بعددهم في دول أخرى. وإنَّ نسبة إجمالي المُسجّلين في التّعليم العالي تُعادل في الهند 9, 17 في المئة، وفي الصّين 8, 26 في المئة، وفي الولايات المتّحدة 8, 94 في المئة^{3 1} ولماذا هذا الانخفاض في الهند، ولم يكن يحدث في الصّين مثلاً وهي أكثر من الهند سكاناً؛ لأنّ الهند تدرّس بلغة غير لغتها؛ فالتّعليم عندها نخبويّ، عكسه في الصّين وفي الولايات المتّحدة، فهو تعليم وطنيّ وباللغة الوطنيّة. ولذا، فمن منطق العقل؛ فإنّ التّنمية الشاملة والمتوازنة هي تلك التي يحصل فيها التّكامل بين جميع الجوانب، ويعمّ نفعها على المجتمع وتفضي إلى إسعاد الفرد وتنميّة قدراته، والرّفيع من مستوى وعيه، ويكون كلّ ذلك بلغة أهل البلد. كما أنّ التّنمية تتطلّب رأسماً بشرياً مكوّناً وسواعد تبني وتعمل وتنجز، وتقوم على جانب الرّأسمال المعرفيّ القائم على الإنتاج والاستيراد، والمزج بينهما والتّماسك الاجتماعي للمحافظة على المكتسبات وزيادة تنميتها.

ونحن -في الحقيقة- لا نقوم على نشدان التّنمية باللغة العربيّة بسبب:

- 1- التّشجيع على تعلّم اللغات الأجنبيّة.
- 2- اشتراط اللغات الأجنبيّة في التّوظيف.
- 3- عدم استكمال مراحل تعريب المواد العلميّة في الجامعات العربيّة.
- 4- الطّلبة الأجانب الوافدين إلى بلاد العربيّة يتعلّمون اللغات الأجنبيّة بدل العربيّة.

5- العمالة الأجنبيّة لا يشترط عليها تعلّم العربيّة.

- 6- تشجيع بعض الجامعات الطّلبة الذين يعودون إلى المصادر الأجنبيّة أكثر من المصادر العربيّة.

- 7- عدم الحديث عن الاستثمار اللغويّ، وعدم جعل اللغة في برامج الحكومات العربيّة موضع استثمار.
 - 8- فتح المجال للتعليم الخاصّ، وكثيره لا يدرس باللغة العربيّة.
 - 9- الترخيص للقنوات الناطقة باللهجات.
 - 10- الترخيص للجرائد المكتوبة باللغات الأجنبيةّة.
 - 11- قبول التدريس في البلاد العربيّة ببرامج أجنبيّة.
- ولهذا نجست لغائنا، لأنّه لم يقع استعمالها، ولم يقع التفكير في ربط اللغة بالتنمية، حيث أبدلَ لنا المستعمرُ لغتنا بلغته، وقبلنا الخدعة التي تقول: إنّ العربيّة لغة أدبية، ولن تكون لغة العلم فليس من الضروري البحث عن لغة علمية، فهي موجودة في لغة المُستعمر. ولم تكن لنا العبرة في استنطاق التاريخ؛ بأنّ للغات أعماراً، وللغات أدواراً، وللغات مجالاتٍ وللغات حُزماً وكيف سادت العربيّة حتى عصر الضّعف، ألم تكن العربيّة علمية في عصر (عبد الملك بن مروان) الذي استثمر في الجمع بين المال والقرار السياسيّ. وفي عصرنا الحاضر نملك الوفرة من المال، ونملك التوايا الحسنة.

- المبحث الرابع: قنوات الاستثمار: هناك ميادين كثيرة ذات العلاقة ببناء الدولة المركزيّة أو غير المركزيّة، يمكن أن تتعاضد معاً، وإذا انفصمت عُراها تصبح عملية التّكامل لا تسير كما ينبغي، بل تعمل على تأخير عمليات التّهوؤ. ولهذا سوف يقع التّركيز على القنوات التّالية:

- قناة الاستثمار في ميدان التّربية والتّعليم: إنّ الشعوب التي نهضت مؤخّراً كان شغلها الأوّل هو الاستثمار في التّربية والتّعليم، وهو استثمار في التّنميّة المستديمة لمواجهة تحديات تدريس اللغات الوطنيّة، وكان ذلك

ضرورياً ومُستعجلاً، وهذا بربط التَّناميَّة التَّربويَّة بالتَّكنولوجيَّة المعاصرة مع الاحتفاظ بالأصالة في بُعديها الرُّوحيِّ والأخلاقيِّ، وتعزيز بُعد اللغات الوطنيَّة التي لا تحصل التَّناميَّة بدونها، وهذا بُغيَّة إعداد مُجتمع متماسك أصيل مُتكيِّف مع المُتغيَّرات والنمو المُستمرَّ. ولذلك كان تعلُّمُ اللغة الوطنيَّة جزءاً من الاستثمار في الرأسمال البشريِّ، ولكي يكون ذلك ناجحاً في العربيَّة علينا رفع المُعيَّقات التَّالِيَّة أولاً:

- 1- تَواكُل أهلها على من يخدمها دون غيرهم.
 - 2- ضعف المشاريع، وعدم متابعة تطبيقها إن وُجدت.
 - 3- عوائق في السِّياسة اللغويَّة والتَّربويَّة.
 - 4- رفع التَّخبة يدها عن الإسهام في تحسين الوضع الاجتماعيِّ.
 - 5- عدم تشجيع المبادرات.
 - 6- عدم تفتُّح العربيَّة على الشَّرَكَات والأنشطة ذات العلاقة بالمال.
 - 7- قبول الهيمنة اللغويَّة من قبل اللغات الأجنبيَّة.
- وبعد رفع هذه المُعيَّقات، علينا استكناه تجارب استثمار الأمم في لغاتها من مثل: العمل بنظام تقديم المنح للأجانب لتعلُّم العربيَّة، وضع الطَّالِب مع الأسرة لمُدَّة سنة (Emersion linguistique) ليتعلَّم اللغة كما هي عند ناطقيها الأصليين، وفتح المخابر اللغويَّة بما لها من أدوات حديثة في الدِّيداكتيك وتعليم العربيَّة بنظام مُكتَّف (مخابر الأصوات) وجعل المتعلِّم يتعلَّم اللغة عن طريق التَّدية اللغويَّة، وإلزام كلِّ الشَّرَكَات باستعمال اللغة الأم، وإقحام المسجد في هذه المسألة، إلى قناة الأعلام التي تعمل على نشر العربيَّة.

وكلّ ذلك يتمّ بنظرية علميّة، وبتخطيط على الآماد الثلاث، بغية استكناه كلّ ما له علاقة بالوعيّ الجمعيّ. ولكي نقوم بإصلاح وضعنا التربويّ ونجعله موضع استثمار يحتاج منّا إلى إصلاح الخطاب الثقافيّ، وإلى بناء استراتيجية توحيد الخطاب الثقافيّ الذي يقوم على هيكله المعتقدات والتعاطي مع الغزو الثقافيّ الخارجيّ. ومن هنا، فإنّه من الضروريّ بمكان الاهتمام باستخدام اللغة العربيّة في كلّ التعاملات الاقتصادية والاجتماعيّة والسياسيّة والفنيّة، وفي كلّ المجالات، والعمل على الدعاية للعربيّة، وكذلك الاهتمام بالفنون الشعبيّة سعياً إلى تحقيق نظام جامع مترابط ومتواصل؛ من أجل تحقيق التعامل البيني واضحاً ومبنياً على قيم وأخلاق ومواطنة، وتوحيد توجّه الأجهزة الثقافية بعيداً عن الإفراط والتفريط. ولكي يحصل ذلك كذلك نحتاج إلى نظرية عربيّة لغوية تربويّة تعمل على تطوير مفهوم التعليم ليعود إلى أصالته كرسالة، وإلى مفهومه الحقيقي لبناء الإنسان بما يجعله قادراً أن يبني ويعمر.

ولنبداً الاستثمار في لغة الطفل، والعبرة في ديننا الحنيف، عندما جعل الرسول ص فداء الأسرى من كفّار قريش بتعليم عشرة (10) أطفال من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وكان ذلك بدل الفداء بالأموال، بل أعلى ذلك من شأن العربيّة، ورخص من قيمة المال التي تقدّم في الفدية. ومن هنا نرى أهميّة الاستثمار في تربيّة أطفال اليوم، وهم رجال الغد، هم ثروة الأمم والشعوب، ولهذا توجّه إليهم العناية الخاصّة؛ لأنّ قوّة الأمم تُقاس بمدى التحكم في الأطفال، ومنحهم درجات الوعي والرفاهية، وقال (بندتو كروتشي) "اذكروا دائماً أنّنا إذا وفرنا لأطفال الأمّة وشبابها الفرصة لتنمية

قدراتهم، وإذا استطعنا أن نقدّم لهم المعرفة الكافية التي تمكّنهم من إدراك ما يجري حولهم بكلّ ما فيه من حسنات وسيئات، فقد أوجدنا جيلاً من الشباب يستطيع أن يقود بلاده نحو مستقبل أفضل فالشباب هو الحاضر وهو المستقبل، وهو ثروة البلاد التي لا تنضب^{4 1}. فلا شك أنّ الاستثمار في الجيل الجديد يمثل قيمةً رمزيّةً وثروةً كبيرةً، وبخاصّةً إذا كان ذلك في صالح النظرة المستقبلية؛ حيث إنّ مستقبلهم سيعتمد على المعرفة والثّقانة أكثر من اعتمادنا نحن على التعليم التقليدي؛ لذلك يجب على مدارسنا إعداد تلاميذ لهذا المستقبل بشكل جيّد؛ لأنّ قدراتهم العقليّة سوف تُعَلّي من القوة الاقتصادية للبلد. ولهذا، فإنّ الاهتمام بلغة الطّفل هو استثمار في التنمية البشرية المعاصرة ونعلم بأننا نعدّ جيلاً جديداً له مُعطياته وتطبيقاته التي يتعامل بها، فهو طفل رقميّ، وسوف يأتي المستقبل باختراعات عجيبة. فكان لا بدّ من الاستعداد لهذه الاختراعات بالتحكّم في برامج المحاكاة الافتراضية، واستخدام الثّقانة لتحسين التعليم كي نضع تجسيراً رقمياً غير متقطّع، ويقع الاستثمار بقوة في الألعاب اللغوية، أو في كتب القصص المبنية على الشخصيات، أو في ألعاب الفيديو التي تخصّصهم، أو في الدُمل التعليمية... وكم تعمل كلّ تلك الوسائل الرّقميّة على إكساب الطّفل لغةً سهلةً جيّدةً؛ حيث تجعله ينغمس في تلك اللعبة، ويتكلّم مثلما يتكلّم الصّغار الممثلون ماذا يمكن للألعاب حقاً أن تعلّمك؟ هناك مثال معروف جيّداً في فنلندا، لقد لاحظ الباحثان أنّ الصّبيان الفنلنديين يتحدثون الإنكليزية أفضل من البنات الفنلديات، وسبب هذه الملاحظة التي وثقتها العديد من الدراسات هي أنّ الصّبيان يلعبون ألعاب فيديو أكثر؛ ولأنّ الألعاب باللغة ا

الإنكليزية، فإنّ اللاعبين أصبح لديهم مفردات أكثر. والتّقطة هنا هي أنّ الصبيان لم يجلسوا ليتعلّموا الإنكليزية بل تعلّموها وهم يستمتعون^{5 1}. وإنّي أرى الفرصة ذهبية في الاستثمار في هذا المجال، ومراعاة تلك الابتكارات القادمة خلال الأعوام التي تفاجئنا بالمزيد، كما أنّ التطبيقات المعاصرة على مستوى الهاتف النقال (Mobile learning apps) بما له من تطبيقات التعلّم والبرمجيات الأخرى التي تتطوّر باستمرار وتُمكن الأطفال والتلاميذ من اكتساب معارف بيانية؛ تكسيهم التعامل مع الواقع الافتراضي وهم الذين يلعبون ويُبحرون بسهولة في هذه الأجهزة التي لا تفارقهم. ولهذا أرى بأنّ مستقبل التعلّم الرقّمي ضروريٌّ وعلينا الاستثمار في الأبحاث ذات العلاقة بالأعمال المسلية والتعامل مع الأشياء الحقيقية. وأنوّه بحقّ بتلك الجهود التي يقوم بها الباحث (نبيل علي) في البرمجيات العربيّة في معالجة اللغة العربيّة في التشكيل الآلي، وفي الصّرف الآلي، وفي بناء قواعد البيانات المعجميّة. وكذلك جهود الأستاذ (نهاد الموسى) الذي يسعى إلى نهضة لغوية، نهضة يستثمر من خلالها في المُستجدات الجديدة الخاصّة بالشّباب وجهود بعض المؤسّسات ذات العلاقة بالبرمجيات التعلّميّة. وما أحوّجنا إلى أمثال هؤلاء، وإلى أولئك الذين نذروا أنفسهم في خدمة الغرب، وهربوا من مجتمعهم الذي لم ينصفهم، نحن بحاجة إليهم للعودة إلى أوطانهم لخدمته. نحن بحاجة إلى باحثين معلّمين يحملون مفاتيح المعرفة والعلوم، باحثين مختصّين في لغة الأطفال وأدب الأطفال في عصر العولمة.

إنّ النظرة التربوية الحديثة إلى الطّفل يجب أن تكون من باب أنّه منظومة مفتوحة قابلة للتعلّم والنّمو، ففي داخله كنز مدفون ومهارة ووجدان وقيم

يحتاج إلى مدرّس ناجح لإخراجها إلى واقع الإبداع. ومن هنا تتبين لنا أهمية إسناد تعليم هذه الناشئة إلى كفاءات جدّ عالية في العلم وفي التربية مثلما تفعل (كندا) فلا تُوظّف دكتوراً من أعلى طراز في التعليم الابتدائي إلا إذا أُخضع للتجريب التربوي ومتطلبات علم النفس والممارسة المهنية لسنوات لكن توظّف ذات الدكتور بسهولة إذا أراد ممارسة التعليم في الجامعة. ولهذا نحتاج إلى معلّم له ثقافة عربيّة تقوم على العلوم والأخلاق والقيم النبيلة والأصالة وقبول الآخر. إلى معلّم يُلقّن هذا الجيل أفكار هذا الجيل، إلى معلّم يصنع هذا الشباب وفق آمالهم ورغباتهم، وذلك ما يجعلنا ندخل مجتمع المعرفة مثل البشر المتقدّم ونرفع لعنة البلاد المتخلفّة.

وعليّنا أن نفيد من فعل هذه الدّول، فنجدّها تُنفق وتستثمر بسخاء على المرحلة القاعدية، ولا تهمّها الأموال؛ لأنّها سوف تدخل في العائد الاقتصاديّ في لاحقٍ من الزّمان. فهي تستثمر في البشر؛ بالعمل على نمو الوعي الثقافيّ المجتمعيّ، عن طريق الصّناعات الثقافيّة والاهتمام بالحرف اليدويّة، ولا تقبل بهجرة الكفاءات؛ فتعمل على ترضيتها للإفادة منها، لا تهجيرها. ولهذا يجدر بنا مراجعة منظوماتنا الفكرية بهدف تحرير الثقافة العربيّة من الاستيلاء الحضاري عبر صناعة الثقافة الوطنيّة باحترام الهوية والخصوصيّة، وحبّ الوطن، والدّفاع عن المواطن، مع رعاية القائمين على خدمة العربيّة.

ـ قناة الاستثمار في مخابر اللغات، والتعليم المكثف: يوجد تقريباً في كلّ المؤسّسات التربويّة وبخاصّة الجامعيّة منها، مخابر اللغات، ومعهد لتعليم اللغات، ووحدات بحث في تعليم اللغات، فإذا حصل الاستثمار في هذه

الوحدات في صالح العربيّة، لا شكّ أنّه سوف تحصل نقلة نوعيّة في أنّ العربيّة تجد لها موقعا. ففي بلاد المشرق يمكن أن تفسّر هذه الوحدات الأجانب الوافدين: عمال/ خبرات/ أساتذة/ مهندسين... والمشكلة أن تستثمر في تدريس العربيّة فقط. ويمكن أن تدرّس اللغات الأجنبيّة للعرب لا للأجانب. وفي المغرب العربي يمكن استثمار هذه الوحدات أو المراكز في تعليم العربيّة لأساتذة العلوم ليُعرّبوا موادهم، ولينتجوا في لغتهم العربيّة كما تستثمر في تعليم العربيّة للأفارقة وهم من الكثرة. ولكن المفارقة أنّ هذه المخابر موجودة، وعملها شبه معطل ومن يُستثمر فهو يُستثمر في تعلّم الفرنسيّة/ الإنكليزية، وهي عكس التّصوص المنشئة لها.

يمكن لهذه المخابر والمعاهد والوحدات أن تكون فاعلة في محيطها بالتعليم وخلق فضاءات التّعليم، وإنجاز مشروعات في اللغة العربيّة، أو في إنجاز أعمال في لغات التّخصّص، أو القيام بالتّعريب لمن يهتمّ الأمر. والقضيّة في هذا المجال، يمكن لها أن تلعب دور مكاتب دراسات فتستثمر مع الباحثين ومع الخواص ومع الطّلبة في إنجاز أبحاثهم، وتساعدتهم في البحث عن المراجع، وعن قاعدة البيانات، وفي أعمال الطباعة، وما له علاقة بالبحث الأكاديمي. وأقف في هذه النقطة بأن يقع التوجيه إلى المشروعات الخام التي تنتظر من يبحث فيها، وهي كثيرة. وإنّ الاستثمار في العربيّة يجب أن لا يقف عند حدود التّمتّي، أو التّبكي، أو الافتراض أو يجب الذي يجب، أو اقتراح ما لا يمكن أن يقع أو يتحقّق، بل العبرة في الاستثمار أن يكون في تلك المشاريع التي تدرّ الأرباح الطّائلة على مُنفذها... وبناء عليه، فإنّ اللغات يمكن أن تعدّ مشروعات استثمار رأسماليّ بالمعنى الحرفيّ وليس بالمعنى

المجازي، وأهمّ الاستثمارات التي تسهم في تحسين الانتفاع اللغوي هي ما يلي:

1- تصنيف المعاجم للاستعمال العام، وكذلك معاجم المصطلحات في مجالات محدّدة.

2- برامج معالجة النصوص.

3- الترجمة الآليّة.

4- الذكاء الصّناعي، وبشكل محدّد إنشاء نظم المعلومات وبنوك المعلومات.

5- تحسين الاتصال بين الناس والآلة؛ أي تطوير لغات الكمبيوتر للغات الإنسانيّة^{6 1}.

وفي هذا المجال، يمكن أن نطرح بعضاً من هذه المشاريع؛ للنظر في قيمتها الموضوعية، وفي ما يمكن أن تدرّه من قيمة مضافة للغة العربيّة. ومشاريع أخرى للنظر في خلفيات تعطيلها، فأين الخلل في مشاريع كانت فكرة ولا تزال؟ أين الخلل في مشاريع بدئ العمل فيها منذ عشرات السنين دون نتيجة ولا مردود؟ أين الخلل في مشاريع استنزفت من ميزانية الدولة أموالاً دون بديل إيجابي؟ أين الخلل في تلك المشاريع الوهمية التي يتغنّى بها أصحابها وهي لا تزال تراوح مكانها؟ أين الخلل من تلك المشاريع العملاقة التي لم تُرفق بما هو مطلوب من وسائل الإنجاز؟ ...

ويمكن أن أطرح للقارئ مجموعة منها، وعليه أن يعمل النظر، وقد يعمل على حلّ بعضها، أو اختيار إشكالية مشروع مستقبلي أطروحة بحث، أو مدونة عمل يقوم على إنجازها بما يمكن أن يفيد به تنمية البحث في العربية.

- 1- مشاريع المجامع اللغوية والعلمية العربية.
- 2- مشاريع جمعيات حماية اللغة العربية.
- 3- مشاريع الجمعيات اللسانية.
- 4- مشاريع معاهد الترجمة.
- 5- مشاريع / الدراسات الأكاديمية المتخصصة.
- 6- مشروع المعجم التاريخي في كلّ من: اتحاد المجامع اللغوية + مشروع المعجم التاريخي في قطر.
- 7- مشروع الذخيرة اللغوية في الجزائر.
- 8- مشروع المكنز العربي.
- 9- مشاريع مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية.
- 10- مشاريع مؤسسات التحقيق.
- 11- مشاريع المجلس الدولي للغة العربية.
- 12- مشاريع مكتب تنسيق التعريب في المعاجم الموحدة/ المعجم التفاعلي.
- 13- مشاريع معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.
- 14- مشاريع الأكاديميات العربية.
- 15- مشاريع المركز العلمي والتقني لترقية اللغة العربية.
- 16- مشاريع المجالس العليا للغة العربية.

- 17- مشاريع مؤسّسة الفكر العربي.
- 18- مشاريع الألكسو.
- 19- مشاريع اليونسكو.
- 20- مشاريع الأفراد في بلاد العرب.
- 21- مشاريع الأفراد في بلاد الغرب.
- 22- مشاريع المؤسّسات العلمية: التراث + صخر + العالمية + باسم...
- 23- مشاريع الدّول الإسلاميّة في خدمة العربيّة.
- 24- مشاريع مخابر اللغات.
- 25- مشاريع حوسبة العربيّة.
- 26- مشاريع الشركات الكبرى.
- 27- مشاريع وحدات البحث.
- 28- مشاريع المعاجم الفرديّة والجماعيّة.
- 29- مشاريع الجامعات العربيّة.
- 30- مشاريع الجامعات الإسلاميّة والغربيّة.
- 31- مشاريع من أمثال (افتح يا سمسم / باسم).
- 32- مشاريع مختلف الفنّون ذات العلاقة بترقيّة اللغة العربيّة.
- 33- مشاريع المسلسلات التاريخيّة الكبرى.
- 34- مشاريع التعريب في كلّ من: العراق / الجزائر / الأردن.
- 35- مشاريع الرّصيد اللغويّ الوظيفي.
- 36- مشاريع مراصد المصطلحات العلمية.
- 37- مشروع الرّصيد اللغويّ الإعلامي.

- 38- مشروع لجنة التّمكن للّغة العربيّة في سورية.
- 39- مشاريع اللّجنة الوطنيّة الأردنيّة للنهوض باللغة العربيّة للتّوجّه نحو مجتمع المعرفة.
- 40- مشاريع التّنهوض بالعربيّة الصّادرة عن قمتي جامعة الدّول العربيّة في العامين: 2008 في سورية، و2009 في قطر.
- 41- مشاريع سدّ الفجوة الرقمية لكلّ من:
- وزارة الاتّصالات المصريّة في المحتوى العربي الرّقمي.
 - مشاريع السّعوديّة في: الحفاظ على الهويّة والتّراث/ تعزيز تطوّر صناعة المحتوى الرّقمي العربيّ في حاضنات تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات.
 - مشاريع مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي.
 - مشاريع الحكومات الإلكترونيّة.
 - مشاريع هيئة الحكومة الإلكترونيّة بمملكة البحرين.
 - مشاريع مؤسّسة محمد بن راشد آل مكتوم.
 - مشروع تطوير أرشيف رقمي للنصوص العربيّة.
 - مشروع جائزة عمان الرّقمية.
 - مشروع المؤتمر الوطني لصناعة المحتوى الرّقمي العربي
- (<http://acnc.sy/site/acnc>)
- مشاريع المعالجة الآليّة للّغة العربيّة.
 - مشروع اللّجنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لغرب آسيا (الإسكوا).
 - مشاريع إنجاز المكانز باللغة العربيّة.
 - المكنز الدّولي للّغة العربيّة.

- مكانز نيملار.
 - مكانز العربية العلميّة العامّة (General Scientific Arabic Corpus)
 - مكانز العربية المعاصرة المنطوقة.
 - مشروع برامج التشكيل والتصحيح الآلي.
 - برامج تلقيب ووصف أجزاء الكلام.
 - برامج التحليل الصرفي.
 - برامج التنقيب في النصوص.
 - برامج معالجة الكلام المنطوق.
 - برامج الترجمة الآليّة.
 - مشروع رقمنة المعاجم اللغويّة.
 - مشروع قاعدة معطيات المعجم التاريخي.
- هذا غيض من فيض، فهناك مشاريع بُدئ العمل فيها وتوقّفت، وهناك مشاريع أفكار، وهناك مشاريع افتراض، وهناك مشاريع قيد الإنجاز وهناك مشاريع في النهاية... فالأحرى بهذه المخابر أو المراكز أو معاهد تدريس اللغات أن تتحمّل رسالتها البحثية، فهي تتلقى دعماً من الدولة، فما هو المنتج الذي يقابل به تلك الأموال التي تصرف في المخبر، وإلى أين تذهب الأموال، وما نوع المردود؟

قناة الاستثمار في تعليم العربية للأجانب: إنّه بُعد استثماري كبير في هذا الوقت الذي تعرف فيه العربية توسّعاً في القارات الخمس، وما يعكسه واقع العولمة من إسلامفوبيا، والتطرّف والإرهاب، والربيع العربيّ. ولهذا فالعربيّة دخلت سوق الاستثمار من هذه البوابة المعرفيّة والفكريّة، ولما ثُمّله من

أهمية تجارية تفرضها مُعطيات التّلفّ والبطّول. معطيات معاصرة حديثة فيحتاج الأجنبي التّعامل معها بمُعطى أهلها، ومُعطى الأهل هو التّعرف على اللغة العربيّة. ومن هنا أضحت العربيّة مُعطى تجارياً من غير أهلها لمعرفة أهلها؛ في خصائصهم، وفي تفكيرهم وفي طرائق عيشهم، أضف إلى ذلك مُعطيات التبادل التجاري والديبلوماسية والسياسة، وفتح شركات الاستثمار أو فروع الشركات، وما يتبع ذلك من أمور الجوسسة. كما أنّ البلاد العربيّة أرضٌ بكرٌ، وفيها الكثير من الثروات الباطنيّة، فتحتاج إلى الاستثمار في كلّ شيء، فهي سوق واسعة وهذه السوق تحتاج إلى معرفة اللغة العربيّة لتبادل المصالح المرسلّة.

وفي هذه النّقطة يكون التركيز في الاستثمار في العمالة الكبيرة التي تُوجد حالياً في دول الخليج ووصلت إلى ثمانية (8) ملايين آسيوي، فإذا وقع استثمار في هؤلاء الثمانية ملايين؛ يعني استثماراً في ثمانية ملايين أسرة آسيويّة؛ ويعني فتحاً كبيراً للغة العربيّة في آسيا. ونفس الشيء في الكثير من البلاد العربيّة التي تُفد إليها اليد العاملة. وهذه تحتاج إلى تعليم العربيّة، أو فرض تعلّم العربيّة أليس ذلك مدخلاً للاستثمار؛ يُفيد منه المُعلّمون والمُترجمون وباعة الكتب... ألا يحتاج ذلك إلى:

- دورات تكوينيّة مدفوعة الأجر؛

- دورات إغماسيّة مدفوعة الأجر؛

- الدورات اللغويّة المكثّفة؛

- الإقامة عند العائلات...

هو استثمار ماديّ، وفي ذات الوقت استثمار في تحسين الأداء اللغويّ للعربيّة، عن طريق استحداث طرائق جديدة، ومناهج مُتطوّرة. وهناك تجارب ناجحة جداً، يمكن العمل بها من مثل:

- النجاحات التي حقّقها المُستشرقون في التّحكّم في اللغة العربيّة؛
- نجاحات معهد بورقبة بتونس في تعليم العربيّة لغير الناطقين بها؛
- نجاحات معهد الخرطوم الدولي لتعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها؛
- تجربة برامج تعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها في دار زايد للثقافة الإسلامية بدولة الإمارات العربيّة المتّحدة؛
- تجربة المدينة التّعليمية الاستثماريّة لتعليم اللغة العربيّة؛
- تجربة جمعية (اقرأ) في الجزائر؛
- تجربة معهد إيران للغات في إيران / قم؛
- تجربة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة؛
- تجربة مركز تعليم العربيّة في الجامعة الإسلاميّة العالميّة بماليزيا؛
- تجربة تعليم اللغة العربيّة في الجامعة الإسلاميّة بالنيجر؛
- تجارب معاهد تدريس العربيّة في الصّين؛
- تجارب استثمار باكستان في تعليم العربيّة.

...

ويعني كلّ هذا؛ تحقيق التوسّع والانتشار والسّمة العالمية، كما يعني أنّ العالم العربي سوف تتجّه إليه الأنظار، وأنّ الدّول الأجنبية سوف تُستثمر في تعليم وتطوير العربيّة، مع ما يُصاحب ذلك من روابط التّواصل، ونشر الإنتاج العربي في حضارة غير الحضارة العربيّة وإجراء دراسات تقابليّة مع اللغات الأخرى، وقد يصل ذلك إلى إسقاط نظريات عربيّة على نظريات الآخرين أو العكس، ويستفيد الطّرفان. ولهذا، هناك شروط متلازمة تستدعي وضع سياسة استثماريّة شاملة تُرسم من خلالها الخطوات اللازمة التي تحقّق استثماراً ناجحاً، بدءاً من الإنسان العربي إلى اللغة العربيّة وطرائق تعليمها، ثمّ العمل على ترويجها واستثمارها. ولهذا نحتاج إلى:

- تحقيق الوعي اللغوي والثّقافي والحضاري؛

- تنفيذ مخطّطات لغوية وتربوية بهدف إنجاح عمليات الاستثمار؛

- وضع استراتيجيات مدروسة تصون اللغة العربيّة وثرغّب فيها.

والعبرة في تعليم العربيّة لغير الناطقين من بلد الصّين الذي قال فيه الرسول ص "أطلبوا العلم ولو في الصّين" الصّين الآن بلد عملاق، نهض مؤخّراً؛ يحوي أكبر الجامعات العالمية، وفيه أقسام للأدب العربي. وفيه مجمع اللغة العربيّة الذي تأسّس في العام 1985. وفي الصّين تمّ إنشاء قسم تخصّص اللغة العربيّة في خمس جامعات إقليمية، وأغلبها في المناطق الواقعة غرب الصّين؛ حيث وجود القوميات المسلمة. في الصّين فرص التّوظيف لمُتعلّمي العربيّة سهلة. في الصّين تجارب ناجحة لتعليم العربيّة للصّينيين؛ وقد أثبتت فعاليتها عبر المترجمين، وعبر تلك البطاقات التي يرسلونها بالعربيّة مع سلعهم

الكثيرة. الصين بلد عجيب يجب كسب جانب الصينيين المادي والمعنوي واللغوي؛ باعتبارهم سوقاً مستقبلية كبيرة. ومن هنا يحسن بنا استثمار العربية في توسّعنا التجاري مع الصينيين باعتبارهم ثاني أكبر دولة في العالم مساحة وأول دولة من حيث السّكان ومن الدّول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، ولغتها من اللغات الستّ في الأمم المتّحدة ودولة رأسمالية تشد الاستثمار في الدّول الفقيرة وترمي إلى خلق أسواق استهلاكية لمنتجاتها. وإنّ الصينيين الآن ينظرون إلى العرب على أنّهم طاقة كبيرة، ولذلك استثمروا في تدريس العربية في بلادهم، وكانوا يعلمون أنّهم سوف يخرجون إلى العالم العربي، وأنّ سيلعهم سوف تغزو أسواقه. ولهذا حصلت لهم تجربة ناجحة في الاستثمار في اللغة العربية؛ تجربة تجب علمتها وتسويقها وتحديثها ولا يكون ذلك إلا بالعمل على توسيع التبادلات العلمية والثقافية والتقنية مع الصين، إلى جانب المصالح المرسلة في الاقتصاد والتجارة بشكل تضمن تحسّن العلاقات وديمومتها. وبذا يمكن توظيف القيمة الاقتصادية العربية في استخدامهما في عالم التجارة مع كلّ الأجنب؛ حتى تسهم في قهر الفقر والجهل من خلال عائداتها. وهذا الأمر يتطلّب الدّراية بمعرفة فلسفة التّسويق وكيفيات التّسويق، وكيفيات التّربّغيب، ومرادفات التّأكيد... وهذا كلّ موجود في الخصائص البلاغية للغة العربية.

- قنّاة الاستثمار في المخطوطات: أدرجت ضرورة الاهتمام بالمخطوطات ويمكن الاستثمار فيها، نظراً لما يكتنزه العرب من ركام من المخطوطات، فهم الأمّة رقم واحد في هذا المجال وتاريخهم حافل بالتّقائش القديمة والمخطوطات المكتوبة في ورق البردي، إلى تلك المدوّنات القديمة التي

تعود إلى أكثر من 20 قرناً... وتُعدّ من الاكتشاف الذي يحتاج إلى التثمين. علماً أنّ المخطوطات في أوروبا تُقدّر قيمتها بالملايين، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإنّ هذا مدعاة إلى البحث في هذا التراث لاستكناه ما تحمله من علوم وما تكتنزه من حكمة الأولين، وهو اكتشاف يحتاج إلى تقدير هذا الرّمز القديم. وهكذا، يُعدّ اكتشاف المخطوط عملة نادرة والعملة النادرة لا تُقدّر بثمن، أضف إلى ذلك ما تعكسه المخطوطات من أصالة وتاريخ. والمخطوط يُعدّ من التاريخ وله قيمة اعتبارية ورمزية للمجتمع يعتزّ به، ولا يخضع للمساومة؛ باعتباره كنزاً مشتركاً وذا قيمة تاريخية فثمّنه أكبر من كلّ تقدير. ونعرف أنّ الأمة العربية تكتنز تراثاً كبيراً، وهو من فعل الأجداد الذين سادوا وكانوا أمة العالم. وحقّ علينا العودة إلى ما تركه السلف من ذلك الكنوز لنعتبر منه ونفيد. بل ولنجعله في الوقت المعاصر عملة نستثمرها. ويكون ذلك بالتنبية إلى ما تكتنزه الأمة العربية من كنوز الأجداد، والتعرّف على المدونات القديمة للإفادة منها، وفهرسة ما بقي لم يُفهرس، ومواصلة توجيه الطلبة للتحقيق. ومن وراء هذا؛ فإنّ البحث في المخطوطات عبارة عن استثمار لغويّ نشيط؛ يشكّل مصدراً إنتاجياً لمؤسسات ثقافية حيث:

- تُبرّم عقود التحقيق؛

- تُبرّم عقود المراجعة والطبع؛

- يشكّل البحث في المخطوط مصدرَ حراك ثقافي؛

- يحصل التباري في التحقيق.

وهناك من يرى أنَّ الاستثمار في المخطوطات يحصل عن طريق القنوات التالية:

- 1- تميم المخطوطات التي بجوزة مُلاكها وشرائها منهم للحفاظ عليها.
 - 2- فتح مراكز المخطوطات، وتزويد الباحثين بنسخ وصُور منها بمقابل مادي.
 - 3- تحقيق مخطوطات اللغة، وعرضها على جهات تتولّى طباعتها مقابل مكافآت مادية.
 - 4- التعاقد مع دور النشر والطباعة لنشر الكتاب وتسويقه من خلال معارض الكتب الدولية والمحلية والمشاركات الثقافية بين الدول.
 - 5- ترجمة تلك المخطوطات إلى لغات أخرى.
 - 6- الحصول على الشهادات العليا كالماجستير والدكتوراه من خلال تحقيق مخطوطة لغوية تحت إشراف أساتذة متخصصين.
 - 7- تشكل حركة التحقيق والطباعة لتلك المخطوطات حراكاً ثقافياً بين المثقفين خاصة، مع سهولة وسائل التواصل الاجتماعي.
 - 8- تدريس تلك المخطوطات المحققة في المناهج الدراسية للمدارس والجامعات أو جعلها مصادر للتدريس والبحوث المقررة للطلاب^{7 1}.
- قناة الاستثمار في الإعلام: إنّ لوسائل الإعلام دوراً هاماً في إعادة الاعتبار لثقافتنا ولغتنا العربية بشكل خاص، وفي التصديّ لحملات التشويه والسخرية من عدم احترام قواعد هذه اللغة ومن تقزيمها، وتدنيّ مُستواها في

استعمال العاميات إلى درجة سخيفة، وإدراج مفردات بسيطة لا محل لها في الاستعمال، لا سيّما عند الإعلاميين الشّباب، فنرى الغرابة اللغوية تخرج من كلامهم فكأنّهم لم يُعدّوا لمهنة الإعلام التي ترقى باللغة ولا تُنزل بها. وما يؤسف له أنّ بعض القنوات لا تتكلّم إلاّ لهجين اللغويّ وذلك ما يزيدها ضعفاً على ضعف. ولكن ما يؤسف له وبمرارة، فإنّ ذات الإعلامي المذيع الذي يُشبع العربيّة أخطاءً، لا يتجرأ أن يخطأ في اللغات الأجنبية، فيعدّ نفسه ويصحّح الأخطاء، ويتحرّز ويتحرّج قبل إذاعة ما يذيعه، فأية عقدة هذه ولماذا هذا الإسفاف اللغويّ في عربيتنا؟ وبهذا أقول: إنّ الإعلام يعتمد أساساً على اللغة في مخاطبة الجمهور، فإنّ اللغة تتأثر أيّما تأثير بالعملية الإعلامية، فقد تزداد رُقياً وقد تنهار، وكلّما ارتقت لغة الإعلام ارتقت لغة المجتمع، وهذا أمر بديهيّ مُقرّ. وليحصل هذا بالقوّة والفعل، نطرح أسئلة دور الإعلام في خدمة الشّأن العامّ؛ فنقول: هل إعلامنا ارتفع إلى مستوى حمّل رسالة الخدمة اللغوية وهي خدمة الشّأن العامّ؟ وهل إعلامنا تَجَاوَزَ مرحلة الانفصام بين الشّعارات والممارسات؟ وهل قدّم ما يُسهّم في التّهوض اللغويّ وفي بناء الوعي الجماعيّ؟ كيف يُصبح الإعلام درعاً ضدّ ما يهدّد هويّتنا اللغوية؟ وكيف يردّ على كلّ ما يحدق بالعربيّة باعتبارها وعاءاً للثقافة وأبرز مقومات الأُمّة؟

هي إشكالات إعلامية كبيرة تحتاج إلى الوعي بأهميّة رسالة الإعلامي حيث يشكّل دوراً في التّهوض باللغة العربيّة، وهنا تبدّى جدلية اللغة والإعلامي في أوضح صُورها في تلك المنافع المتبادلة التي يقدمها كلّ منهما للآخر. ومن هنا فإنّ السلطة الرابعة - في الحقيقة - لها تأثير أكبر من السّلطة

الأولى، في ما يخصّ التحكّم في الرأْي؛ هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإنّ الإعلام له سلطة اقتصادية في ظلّ العولمة، وهي قوّة اقتصادية وسلطة ضاغطة، وازدادت هذه القوّة تجبراً مع انتشار قوّة الصحافة والإذاعة والتلفاز والشّابكة على اعتبار أنّ الإعلام يبني البورصات، كما يعمل على إعلاء الكُلفات، أو تبخيس البضاعات... فالإعلام مؤسّسة اقتصادية تعنى بأسواق المال والإعلام، وهو نافذة لوجوه الاستهلاك والترويج والإعلان وهو كذلك واجهة للثقافة والفكر والفنّ والسياسة، وهو فاعل في التأثير على الجوانب التربويّة والإنسانيّة العميقة، وهو متّصل بالأفراد جميعاً في المجتمع على اختلاف اهتماماتهم واختصاصاتهم وأعمارهم^{8 1}. إذاً ينال الإعلام في تلك القنوات مكانةً هامّةً فيفعل فعلَ الخميرة، فهو "محور اقتصاد الكبار، وشرط أساسي لتنميّة الصّغار، وما يؤكّد محورية الإعلام في حياتنا المعاصرة ذلك الاهتمام الذي تُحظى به قضايا في الفكر الفلسفي والتّفسير الثقافي المعاصر محافظاً كان أو ثورياً حدثياً كان أو ما بعد الحدثي^{9 1}. ومن هنا، فإنّ هذا الدّور الهامّ لو يقع استثماره في تطوير وسائل الإعلام؛ بالحرص على أن تقدّم صورة مُشرفة للعربيّة أمام النّاس؛ عن طريق حسن الأداء للحوارات والمسلسلات والتّمثيلات باللغة الفصيحة، وفي تحرير الأخبار والبرامج الثقافية والعلميّة والتّعليميّة، وفي إذاعتها وتقديمها للمشاهد والقراء والاستثمار في عقد دورات تدريبيّة وتعليميّة للمذيعين والمذيعات، ومُعدي البرامج المتنوّعة الخاصّة بالمهارات الأساسيّة في اللغة "يجب مراعاة الأوضاع الكونيّة والطّموحات الاجتماعيّة عن الاستثمار في اللغة العربيّة ويجب أن يكون أهمّ ما يشرّب إليه المستثمر هو ضمان الإبلاغ والإقناع والتّواصل في

المنطوقات أو المكتوبات العربيّة؛ بحيث تظلّ الحيوية المتوقّعة قائمة ودائمة بين المنتج والمُستفيد. وأما في ما يتعلق بشعائر الله وشرائع الدين الإسلامي عند الحديث عن الاستثمار الدّولي في اللغة العربيّة، فلا بدّ من ضبط أوضاع الناس البينية وأعرافهم الموروثة وأحوالهم الشّخصية إحقاقاً لمصالحهم العامّة قبل الخاصّة، وإحكاماً لامثال أوامر الله فيهم، واجتناب نواهيه بالتدرّج ويشكّل الانجذاب الشّدة والعنف والإكراه أو القساوة أو الاضطهاد وبدرجة لا تسلب الإسلام حرمة التّالدة المعتمدة²⁰. بالفعل للإعلام دور في توجيه الرّأي العامّ ألا يمكن أن يُسهم في القضاء على الأميّة، ويزيد من مساحة الوعي، ويدرّ على اللغة العربيّة أساليب جديدة، ألا يمكن أن يقع استغلال القنوات النّاطقة بالفصيحة لبناء ثقافة الإعلام المبني أو المُعَلّي، ثقافة بناء المعلومات التي يزداد ثمنها يومياً؛ حيث هي سلعة استثماريّة تعمل على التأثير والتوجيه لو يقع استغلالها. وقد خلصت اللّجنة الوطنية الأردنيّة للتهوض باللغة العربيّة إلى "إذا كان الإعلام بهذه الخطورة، وكانت اللغة أداؤه، فإنّه لمن الجدير بالاهتمام والبحث في رصد لغة الإعلام، ومحاولة تلمّس ما طرأ عليها وما طرأ عليها من تغيّر في التعابير، والأساليب والظواهر وما أخذ يعترئها من لحن، وابتعادها عن المستوى المقبول في الصّحة والمقبولية، ثمّ تقديم رؤية حول كيفية الارتقاء بالعربيّة في وسائل الأعلام". هكذا الإعلام يمكن الاستثمار فيه؛ علماً أنّ التمكين للغة لا يحصل إلّا بهذه القنوات الهامّة، ألم يقل صلاح الدّين الأيوبي لجنوده "إنّ انتصاركم لم يكن ليحصل لولا قلم القاضي الفاضل" فتأملوا ذلك الربط بين اللغة والسيف، وأنّ اللغة تتحكّم في السّيف؛ حيث يمكن أن تترك السيف في

غمده، كما يمكن أن تميله للجهة التي وجّهت له. ولذا يجدر التركيز على ضرورة الاستثمار في لغة المذيعين والإعلاميين والمُشرفين "تعتمد المؤسسات الإعلامية لتحقيق أرباحها الاستثمارية بشكل أساس وبديهي على توسيع رقعتها الانتشارية. وبالحديث عن خدمة ترجمة البث المباشر، فهي تستهدف المشاهد الناطق باللغة الإنكليزية في العالم الغربي، ونعرف أنّ أعداداً كبيرة من العرب والمسلمين يعيشون ويسيرون في الغرب؛ البعض لا يتكلم العربية والبعض الآخر يتكلمها دون إتقان، ولكن هذه المسألة؛ أي إتقان اللغة من عدمها لا تتعارض مع تبني الكثير منهم لمواقف يعكسها الإعلام العربي أكثر من الإعلام الغربي بحكم أنّ الإعلام العربي -كما يفترض- يصوّر نبض شارع أكثر مما يفعل الإعلام الغربي^{1 2}. وهكذا لو يقع الاستثمار في لغة الإعلام، ألا يعمل ذلك على رفع مستوى الأداء اللغوي، ألا يحصل تقريب بين المستوى المتقعر والمستوى الفصيح، ألا يعمل ذلك على التصحيح اللغوي وتفادي الأخطاء ألا يكون ذلك مدعاة إلى نيل صحافينا المكانة اللائقة في الإعلام المحترّف.

- قناة الاستثمار في خطبة الجمعة: إنّ نجاح خطبة الجمعة تعتمد على مضمونها المرتبط بالشواهد، بالإضافة إلى حسن الأداء. ولهذا نريد إماماً واعياً بإعداد خطبة الجمعة تناسب الدين الإسلامي ومقام المسجد والحضور وبذلك تتشرف العربية. ولهذا، على الإمام مراعاة الاستهلال الموجز والمُعبر ثمّ الوضوح وحسن الإلقاء، وعدم الوقوع في الأخطاء وهذا كلّ من العوامل التي تعمل على استقطاب المصلين عرباً كانوا أو غير عرب، ناطقين بالعربية أو باللغات الأخرى وعليه، كان الوعي بضرورة "تطوير المناهج منذ مراحل

التعليم الأساسي، وتطوير المعلمين الذين يتولون التعليم في المرحلة الأساسية على يد فئة أكثر وعياً وثقافة بالمناهج والأصول من خريجي معاهد وكليات التربية، وتطوير المدارس على أساس السّاحة الدّراسيّة؛ بإنشاء نماذج تطبيقية ووسائل إيضاح ثابتة ومبنية داخل تلك السّاحة، وتطوير التلاميذ مع تطوّر الإنسان ووجود وسائل التعليم والثّقافة المتطوّرة في متناول الجميع وعلاج المشاكل التعليميّة ومنها الدروس الخصوصية فهي ليست مشكلة تعليمية فحسب بل هي مشكلة اقتصادية واجتماعية وأخلاقية وقيمية وتطوير التعليم يضمن القضاء عليها قضاء مبرماً^{2 2}. وإنّ اللغة الفصيحة تحصل عبر طرائق عديدة، ولكنّ الطّريقة المثلى هي الطّريقة الفطرية التي يكشف فيها الطّفل قواعد لغته، ويشبك في ما بينها بصورة تلقائيّة (ممارسة عفوية) ثمّ طريقة المعرفة اللغويّة التي تحصل في المدرسة عن طريق التدريس (ممارسة محضّة) ثمّ التطبيقات الدائمة والملازمة لكلّ آليات القواعد. ومن هذا الباب نحن بحاجة إلى الاستثمار في تلك الناشئة الصّغيرة التي تقصد الكتاب لتتعلّم بعض الآيات والأحاديث، في تلك الوقفات القرآنية وفي التّجويد ونطق الحروف نطقاً صحيحاً... وكلّها من الممّهّدات للإتقان اللغويّ الذي يساعده في المراحل التعليميّة اللاحقة. ومن هنا، تكمن براعة الإمام في كونه قدوة في أداء الصّوت اللغويّ وفي التّلوين فيه للتأثير على نفسيّة المتلقين أثناء توصيله الدّروس أو الخطبة المسجديّة. ولهذا نحتاج إلى إمام مدرّس يعرف كيف يستثمر في هذه الناشئة؛ لأنّها الجهاز القاعدي الذي يحمي أمننا اللغويّ. نحتاج إلى إمام يعمل بطريقة (عبد الله الدّنان) في تعليم العربيّة بالفطرة والممارسة، وإلى تجربة (باسل) التّاجحة، إلى إمام يقوم على تأسيس قاعدة

ضبط لغويّة في العربيّة. ولماذا وقع التأكيد على تجربة الدّنان؟ لأنني أعرف نجاح هذه التّجربة التي أعطت ثماراً أولية في البرنامج المعروف (افتح يا سمسم) وهو استثمار في اللغة الجامعة؛ يعني استثماراً في لغة القاعدة التي تعني بناء لغة الطّفل. وما عرفه هذا البرنامج من نجاح، عرفه برنامج (طيور الجنّة) وكذلك برنامج (حديقة التّحوي) فكانت هذه البرامج تركز على حسن الأداء والضّبط العلمي الدّقيق واستعمال الكلمة في مكانها، ومعرفة متغيّراتها، وأضدادها، واستعمالها في مختلف المقامات والأساليب، ونعرف ما تشكّله اللغة من أهميّة خاصّة في هذا الطّور.

- قناة الاستثمار في الترجمة: أرى أنّ الاستثمار المستعجل في الترجمة يكون عن طريق الأخذ من اللغات المتقدّمة إلى العربيّة، ومن العربيّة إلى اللغات الواسعة الانتشار، وبخاصّة اللغات المعتمدة لدى الهيآت الأمميّة باعتبار الترجمة وسيلة المعرفة، ولها أثر إيجابي على تنمية الاقتصاد الإقليمي ونحن نتعامل مع هؤلاء الكبار، فهم الآن يُسيطرون على العالم بلغاتهم وبما لهم من مقام في الأمم المتّحدة، أضف إلى ذلك ما له علاقة بالقطاع السيّاحي واستقطاب الاستثمارات الأجنبيّة. ولهذا، فالمسألة تُعالج عن طريق الدّول العربيّة التي كان عليها وضع استراتيجيّة في الترجمة تخدم اللغة العربيّة وثقافتها عن طريق بناء مشاريع الترجمة على الأماد الثلاث؛ تحدّد فيها خطّة عمل استراتيجيّة؛ تلحظ فيها أهمية اللغة والترجمة في بناء الأمّة العربيّة ضمن برامج قوية. وعلى الدّول العربيّة تحمّل مهنة المترجم والتّحكّم فيها بإخراجها من المترجمين الذين غالباً ما يلّبون طلب الزّبون، دون مراعاة الجودة، وسعيّاً إلى تحقيق الرّبح الماديّ، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، على

الدول العربيّة أن تنشئ مركزاً يهتمّ بالترجمة وتضع فيه شروط النقل الانتقائي بما لا يسيء إلى العربيّة، وترسم فيه سياسة أمن لغويّة تسمح لها بالتسلح اللغويّ في عصر أضحت فيه الكلمة حارةً وصعبةً وقاطعةً.

إنّ الترجمة استثمار قديم معاصر، والمتقن للغة الثانية تدرّ على صاحبه تحسُّناً اجتماعياً، ويكثر عليه الطلب، بل تُطْلعه على أفكار الغير، فيكون أفضل من المتقن للغة الواحدة، ولهذا، فنحن لم نستثمر في هذا الباب، وكم نخسر يومياً بسبب عدم الاهتمام بالترجمة، والتردد في تعريب التعليم العالي ومن هذه الخسائر نرى:

- 1- تأخر أمتنا علمياً وحضارياً، وتقدّم الأمم الأخرى علينا.
- 2- وتشتت طاقات علمائنا في غير لغتهم الأمّ، فلا إبداع إلاّ عبر اللغة الأمّ.
- 3- وظهور التّبعية في التّعليم الجامعي الأعمى غير المجدي.
- 4- وهجرة العقول العربيّة المبدعة إلى الخارج وخسارة الأمّة لها.
- 5- وانقطاع الصّلة بين حاضر الأمّة وتراثها العلمي، فتصبح الأمّة بلا ماضي.
- 6- وانعدام الإبداع العلمي؛ لأنّه لا يتمّ إلاّ باللغة الأمّ.
- 7- وركود حركة التّأليف العام في العربيّة وعدم تطويرها.
- 8- وانحراف الأمّة عن الأهداف السّامية في تدريس العلوم.

9— ودراسة بعض المواد العلمية التي لا تنبع من مشكلاتها الاجتماعية^{2 3}.

وهكذا، يُلاحظ على السّوق الاستثماري للترجمة عند العرب في أنّه ليس في نموّ يوازي التّقدّم المعاصر، وما هو موجود لا يعالج المسائل الحديثة، ولا تحصل التّرجمات العلمية إلّا في القليل القليل، وما يُترجم لا يحصل إلّا من لغتين فقط، ولذا لم تكن الترجمة عملية مُربحة.

يمكن للترجمة أن تكون عملاً مُربحاً ينشدها المختصّون لكسب المزيد من الأموال، عندما نجعلها عصب الحياة الحديثة، ولذا، فالمطلوب الاستثمار فيها عبر إتقان العربيّة وإتقان اللغة المترجم منها، والإلمام بالعلوم العصريّة. وفي هذه النّقطة نقول: إنّ من الضّروري أن يقع الاستثمار في التّعريب، وهو باب من أبواب الترجمة الواسع؛ يعني أن تنال العربيّة موقعها الطّبيعي، ولكن لا يعني الانغلاق، فلا ننسى ضرورة إتقان لغة علميّة واحدة، ولتكن الإنكليزيّة لأنّها لغة العولمة، ولغة العلم المعاصر، وعلى المترجم أن يجمع بين إتقان لغته الأمّ، واللغة الإنكليزية والنّص الذي يريد أن يترجمه أو يعرّبه. ولقد أصبحت الإنكليزية الآن تشر في ذاتها؛ حيث لها صدى متمكّن، وهي لغة المعرفة من خلال حجم المخزون المعرفي المتوفّر فيها فقد تنامي نفوذها مع العولمة، وظهرت أهميتها لما لموقعها في العلوم، وطبيعة المواد المادية وغير المادية. وتتوفّر بعض اللغات على العلوم، ولكن إذا لم تمر على قناة الإنكليزية لا يصبح لها مقام ونراها الطّريق الحصري إلى المعرفة وبالتالي هي طريق التّنمية، ومع هذان فلا نقول: إنّ التّحكّم في الإنكليزية

هو الحلّ، بل من الضروري تعلّم لغات أخرى، وبخاصّة اللغات الوطنيّة لأنّ التنمية لا تكون بغير اللغات الوطنيّة.

وإنّه بإمكان الترجمة أن تعمل على تحريك الطاقات الشبه نائمة لتصبح عمّالة نشيطة؛ تُسهم في الاستثمار البشري وفي الاستثمار في: الترجمة/ الترجمة الآليّة/ إنتاج البرمجيات/ سدّ الفراغات في محرّكات البحث/ سدّ الفراغات في برامج الكتابة مثل المدقّق اللغويّ/ حوسبة المعاجم، وفي البرمجيات العاملة على الحرف العربي وأجهزة الكومبيوتر وما لا شكّ فيه أنّ حقول الحوسبة والبرمجيات المتعلّقة بالتطبيقات اللغويّة هو حقول استثماري خصب ومورد اقتصادي مهمّ، لكنّه مُعطّل أو شبه مُعطّل في ما يتعلق باللغة العربيّة وتطبيقها. والعالم العربي اليوم عليه أن يلتفت بجديّة إلى هذا الرّافد الاقتصادي، فسيكون يوماً إن صحّت التوقّعات عصب الاقتصاد العالميّ والمشروعات الاستثماريّة التي تنحو هذا المنحى، هي في حاجة إلى قدرة اقتصاديّة تمويليّة عاليّة ومن ثمّ عقد شراكات اقتصاديّة بين القطاعين العامّ والخاصّ للتهوؤ بهذه التوعيّة من الاستثمارات ومواكبة الطّموح الحوسبيّ والبرمجيّ والاقتصاديّ العالميّ^{2 4}.

- قناة الاستثمار في السياحة: تُعدّ السياحة واجهة البلد، وهي ميدان ثري بإمكانه أن يدرّ كثيراً من العملة الصّعبة إذا أحسن استغلاله، كما أنّ السياحة صناعة خدماتيّة، فتحتاج إلى لغة خدماتيّة وتحتاج إلى تطويرها واستعمالها حتى تبلغ الهدف. ولهذا، فاللغة يمكن أن تأخذ حيّزاً في القطاع السياحي في تحقيق تنمية سياحية فعّالة؛ تتفاعل مع الموروث التاريخيّ والثّقافيّ للبلدان العربيّة التي لها مواطن سياحية كبيرة ومتنوّعة: جبال/

صحاري/ متاحف/ آثار/ أماكن تاريخية/ مكتبات/ نادي/ دور الثقافة/ القصور/ آثار تاريخية، وبمعناه العلمي؛ فهي ظاهرة ثقافية وتنموية، رغم ما تعانيه الدول العربية من ضعف الهياكل ونقص آداب الضيافة والمعاملات وآداب الديرلوماسية وخدمات رديئة، ووسائل عتيقة، إلا بعض الخدمات في مصر وتونس والمغرب ودبي. فالبلاد العربية ليست في مستوى تقديم الخدمات بصورة جيدة ومتقنة، وهذه تعطلت العربية في السياحة العربية، ولا تنافس اللغات الأجنبية، لما لأفواج السياح ليسوا عرباً، والسياح العرب قليل، أضف إلى ذلك أن تبعات السياحة اللغوية ناقصة، بدءاً من الدليل والخرائط العربية والأدلة الجيبية وأدلة الترجمة كلها تُعدّ باللغات الأجنبية ولم نفكر ذات يوم أن يكون ذلك باللغة العربية. كما لم نعمل بالطريقة المالطية أو التركية، فكل الأدلة بلغتها، واللافتات في الأماكن السياحية بلغتها وبذلك تترك السائح يتدبر أمره، إن لم نقل إنه يستعمل لغة البلد مُجبِراً ويعود إلى بلده حاملاً الكلمات والمسكوكات اللغوية، وذلك مكسب إضافي للبلد؛ في أنه عمل على نشر لغته عن طريق السياحة، وما ينطبق على الشارع ينطبق على الخدمات الملحقّة في: الطيران، وفي الفنادق وفي الشوارع...

لا أركز الحديث في واقع استعمال العربية في السياحة العربية، فهو واقع مهترئ، بقدر ما أهدف سبل النهوض باللغة العربية في المؤسسات السياحية، ولا يعني الانغلاق على العربية بل لا بدّ من استعمال اللغات الأجنبية، وهذا يعني إظهار متوجنا السياحي، والتعريف به، ولكن دون التفريط في لغتنا العربية، وجعلها تنافس اللغات، وبداية تحضير الاستثمار في المعاجم الآلية الجيبية في المصطلحات وفي المسكوكات اللغوية المتقابلة، وفي

الخرائط الأثرية، وخطوة وراء خطوة يخرج قطاع السياحة من التهميش وتكتسب العربية أهمية لا في بلادها، بل يمكن أن تنال موقعاً حتى في البلاد الإسلامية وفي الأندلس، ولا يكون ذلك إلا عبر استراتيجيّة سياحيّة لغوية تهدف إلى التهوّض باللغة العربيّة، وتمكينها في القطاع السياحي، وأُضْمَّ صوتي للذي يقترح:

1- وضع سياسة لغوية سياحيّة واضحة على الصّعيد العربي، وإصدار القرار السياسيّ اللازم لتطبيق هذه السياسة وفق تصوّرات نظرية وتطبيقية.

2- توفير منظومة قانونية تُلزم استعمال اللغة العربيّة في المجالات السياحيّة ومطالبة الشّركات الفندقية العالميّة العاملة في البلاد العربيّة بوجوب التعامل بالعربيّة أولاً، ثمّ باللغات الأجنبيةّة.

3- إعداد معجم عربيّ جامع لكلّ المصطلحات السياحيّة على غرار معاجم اللغات الأجنبيةّة الأخرى؛ بحيث يشمل تعريب الألفاظ، والأسماء والمعاني، والمفاهيم، والأمثلة، والتّماذج والرّؤى، والحوارات، حتى يمكن استثماره بفعاليّة في التّ تنمية اللغويّة، ويستوعب كلّ الموضوعات المتداولة في الفنادق والمطاعم ووكالات السّفر، والإرشاد السياحي، وفي المطارات والقطارات والأسواق والبنوك.

4- ضرورة استحداث مصطلحات سياحيّة عربيّة في كلّ ما يتعلّق بالخدمات السياحيّة (شباب إيواء، نقل، مشتريات...).

5- ترجمة المراجع الأجنبيةّة المتخصّصة بالفكر السياحي إلى اللغة العربيّة وذلك لما للترجمة من إغناء وإثراء للغتنا ومعارفنا وثقافتنا وتسهيل الاطلاع

على ما أنتجه الفكر البشري دون الحاجة إلى إتقان اللغات الأجنبية التي كتبت بها.

6- فتح آفاق البحث اللغوي الخاص بالسياحة، ولا سيما في الجوانب التطبيقية والوظيفية.

7- العمل المشترك بين كل من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ألكسو (Alecso) والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو (Iesco) ومنظمة السياحة العربية، والمجلس الدولي للغة العربية والمجامع اللغوية، والجمعيات العلمية المعنية باللغة العربية، والأجهزة العربية الوزارية المتخصصة، ومركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بغية الدعوة إلى استعمال اللغة العربية ونشرها في القطاع السياحي.

8- التنسيق مع الشركات التقنية والبرمجيات من أجل تعريب وتطوير الأنظمة الإلكترونية بالحجوزات في المنشآت السياحية والسلاسل الفندقية.

9- اشتراط إتقان العاملين الأجانب في المنشآت السياحية للغة العربية بالحد الذي يُمكنهم من التعامل مع محيطهم، وتطوير البرامج التعليمية اللغوية لهم^{2 5}.

- المبحث الخامس: تحقيق الأمن العام: إن تطور اقتصاد المعرفة يتطلب

تربية العقل الإنساني تربية مدرسية شاملة قادرة على استخدام المعرفة والبحث عن حماية أطفالنا من الوقوع أسرى ثقافات غير عربية ولهذا، فإن التمكين اللغوي للغات الوطنية هو المدخل الأساس لإعداد الفرد الصالح وتحقيق فاعليته الإنتاجية، وأمنه اللغوي، وفي هذا يدخل استعمال اللغة الأم الذي هو تحقيق الأمن الفكري للفرد والمجتمع، ولكن كيف تحقق العربية

الأمن العام؟ كان لا بدّ من استراتيجية جدّ متطوّرة للتغلّب على الأمية والجهل، وتعميم التعليم المجاني على كلّ فرد من أفراد البلاد العربيّة. وفي هذا يدخل مخاطبة النّاس بما يفهمون، ومعاملة الإدارة بلغة القوم، وعدم خلق التّخويّة بإعلاء اللغات الأجنبيّة. ولهذا نرى ضرورة عدم تغييب العقل في التّعامل مع اللغات وعدم تهमيش اللغة الأمّ (العربيّة الفصيحة) لدى المجتمع، وعدم تبخيس اللغات الوطنيّة. وأمام وضعنا الحالي، فإنّنا بحاجة إلى تفادي خطر الفكر السّليبي، ومن الضّروري تحقيق عوامل التّفكير الإيجابي ليحصل تحقيق الأمن؛ والذي هو استثمار إيجابي في المواجهة بالحلول الجذريّة للمشاكل اللغويّة، وهذه الحلول يمكن إجمالها في:

1- الاستثمار بالقوّة في اللغة الأمّ.

2- الاستثمار في اللغات الوطنيّة.

3- الاستثمار في لغة أجنبيّة واحدة راقية علمياً.

4- العمل على تحقيق وظيفة اللغة الرّسمية.

وإنّ التمكين اللغويّ ضروري ومُستعجل؛ لأنّه يعني الاستثمار في الفكر والوعي وفي العلم والثّقافة، وفي تنمية الإنسان، كما يعني الاستثمار في تحقيق الإنتاجيّة المطلوبة في واقعنا المعاصر. ولهذا، نروم وضع سياسات، وسنّ قوانين، وإعداد أنظمة من شأنها العناية التامة باللغة الجامعة وبذل الاستثمارات الضخمة وبلا تردّد في مشاريع خدمة العربيّة ووصولاً إلى إصلاح تعليم اللغة العربيّة، وإعداد معلمها إعداداً جيّداً وتأهيلهم تأهيلاً أكاديمياً، وتعريب التّعليم في كلّ مراحلهِ وإعداد استراتيجية شمولية لتعميم

استعمال العربية، وتحديث المعجم اللغويّ وتفعيل المؤسسات الجمعية وفق آليات العصر، وإنشاء هيئات وطنية تنتج المشاريع وتعمل على تجسيدها في واقع الأمة العربية. وإنّ كلّ هذه الأعمال تعني في ما تعنيه تحقيق الأمن العامّ، وهو تحقيق الأمن الفكريّ للفرد والمجتمع، ولهذا يجب إدراك مغزى تلك المقولة التي ترى بأنّ الأمّة تضعف بضعف لغتها، ومعنى الضّعف هو ضعف في فاعليتها، ويعني ضعف في انسجام المجتمع، وضعف الانسجام يعني خلق قلاقل وطنية ويعني اللاأمن.

- دور رجال الأعمال العرب في الاستثمار في اللغة العربية: أنحو في هذه النقطة منحى مُناشدة رجال الأعمال العرب، بأن يكون لهم مبدأ الاستثمار في اللغة العربية من جوانبها المتعدّدة: الوطنية والقومية والحضارية والاقتصادية، لا أن يُقارنوها بالإنجليزية، ولا بلغات العلم الأخرى والأخرى بهم أنّ بعض السلع تحتاج إلى اللغات الأجنبية، وبعضها إلى اللغات المحليّة فقط. ومن هنا، فيكون لهم المبدأ الوطني الذي يعدّ اللغة العربية الرأسمال البشري العربي، ويتعاملون بتلك اللغة؛ ليكون لها عائد اقتصادي ومردود وطني، والأخرى الاستثمار فيها بقوة؛ لأنّها عامل التهوض المستقبلي وليكن أهم من الحافز الذي يقوم به أرباب الأعمال في إسرائيل، فهم يدفعون سنوياً مبالغ ضخمة من أجل الاستثمار في العربية ويدفعون ذلك بطوعية ورضا، كما أنّ الشركات الوطنية العبرية تُسهم بقسطها، وكذلك تدفع الشركات الأجنبية المستثمرة في إسرائيل أقساطها لأنّ اليهود يؤمنون بأنّ العبرية لغة ذات قيمة رأسمالية لغويّة عالية، رغم أنّ زبائنهم (المستعملون) قليلون، والطلب محلي وضيق جداً، ولكن هي اللغة

العبرية المقدسة التي لا تفريط في نظرهم، وهي لغتهم التي تميزهم. ومن هنا أين نحن يا أرباب العمل من هذا الفعل، وأرى أن يجمعنا المبدأ العام الذي ينبغي أن تخضع له كلّ الدول العربيّة وكلّ المجتمعات الناطقة بالعربيّة هو ألاّ تغيب العربيّة من أي مكان، وأي ميدان إطلاقاً من جهة وربط اللغة العربيّة من جهة أخرى، بالعلم والتكنولوجيا، فلا نهوض للغة إلاّ بهذا الرّابط. كما هو الحال في العصر الرّاهن؛ بحيث إنّ ما يؤخذ من الغرب الآن يبقى التعرّف إليه واستثماره قائماً باللغة الأجنبيّة عند عامّة النّاس، وفي مختلف الفئات والميادين^{6 2}. ومن هنا يمكنهم الاستثمار في عديد المجالات، بتخصيص بعض الميزانيات لترقيّة اللغات الوطنيّة.

أليس في العربيّة منفعة اقتصادية تُشجّع رجال الأعمال، وأهل الاقتصاد ورجال المال العرب على دعم لغتهم؟ بلى هناك منافع كبيرة في الاستثمار في اللغة العربيّة؛ لما لها من حضور فاعل في الوقت المعاصر، ونودّ من رجال الأعمال العرب أن يأخذوا هذه المسألة في باب خدمة الشّأن العامّ. فلم لا يوجّهون إلى تحقيق أموال في خدمتها عن طريق اقتراح مشاريع تعود عليهم بالفائدة أولاً، من مثل: سنّ جوائز ومكافآت مالية لمن يقدم أحسن عمل في تطوير العربيّة، تغطية نفقات الندوات والمؤتمرات إرسال الطّلبة في منح علمية للخارج.... ولو يعلم رجال الأعمال العرب ما في آفاق الاستثمار في اللغة العربيّة من منافع، لما تأخّروا في تقديم المشاريع بل يبادروا في وضع استراتيجيات تعمل على الاعتزاز بها، ويقترحون مشاريع الاستثمار في السّياحة بمختلف وجوهها: الدّينية/ السّياسيّة/ الثّقافيّة/ العلميّة... وإلى تسخير القنوات الإعلاميّة لتحفيز الأجانب على حبّ العربيّة، ونهج منهج

التقارب التّفعي في أيّ عمل استثماريّ معاصر ضمن مبادئ التجارة:
استثمار = ربح لا خسارة.

ما رأي رجال أعمالنا لو يتولّون المهمّة، وينشئون مشروعات لغة رجال الأعمال، ألا يُسهّمون في التغلّب على التخلف، ألا يطورون البنية التحتية لبني ذويهم، ألا يعطون المردود التّفعي للبشر في الترقية الاجتماعية. ولكن يبدو لي بأنّ رجال / أرباب الأعمال عندنا معذورون، يحتاجون إلى الثقة في اللغة العربيّة التي لا يسمعونها، وليس لها موقع في لغات العالم فهم لا يستثمرون أموالهم في شيء مجهول العواقب، وبالطّبع؛ فالرأسمال الجبان لا يُغامر ولا يُقامر لصالح أمر غير مضمون بينما رجال الأعمال في الغرب يستثمرون في اللغات الوطنيّة وفي تعليم اللغات الأجنبيّة، وفي إنشاء المدارس، كما يستثمرون في إنتاج أنظمة الواب web وفي برمجيات التعليم وبرمجيات الترجمة الآليّة، فهم يطلقون برامج، ويفتحون برامج. وإنّ رجال الأعمال في الغرب هم الذين استثمروا في برامج: (Sesame Street) وبرنامج (تكيف أو متّ Adapt or die) وبرنامج (المعرفة قوّة) ... وهم يؤمنون بأنّ التعليم المتميّز يمكن أن يحدث تحوّلاً في حياة النّاس، فهم تواقون لمواجهة التحديات والمغامرات، ولهذا يوجّهون شركاتهم في منح المال من أجل البرامج المتطوّرة.

- الخاتمة: عليّ تأكيد مسألة اللغة بأنّها وسيلة لتحقيق فوائد رجيّة، كما تكسب مزيداً من المستعملين والناطقين، كما تعمل على تحقيق أهداف حينية ومستقبلية، فاللغة العربيّة تابعة لمتوجنا: الغاز/ الفوسفاط/ الشّمس/ الپترول/ المناجم/ اليدّ العاملة... اللغة العربيّة رابع لغة متداولة في العالم

ولغة 1،8 مليار من البشر، وهي موجودة في كلِّ القارات، ولغة 140 مليون من مستعملي الشَّابكة، وتحوز الرتبة الثَّانية في الشَّابكة، وينطق بها 580 مليون من أهلها، وبلاد العرب تحتلُّ الرتبة الأولى للجاليات الآسيوية. فالعبرة الأولى، من كلِّ هذا من الضَّروري الاستثمار في العربيَّة بغرض تعزيز الهويَّة والانتماء، واتقاء حرب اللغات، ونشر الدِّين، وتبادل الجوانب الاقتصاديَّة، كما يمكن أن يكون الاستثمار لأغراض علمية أو إلحاقية. والعبرة الثَّانية، في وقتنا الحالي من بريطانيا وتدرُّ عليها الإنكليزية في الدَّاخل ما لا يعطيه الپترول في دولة عربيَّة لها الرتبة الأولى في التَّصدير. فالپترول زائل، واللغة العربيَّة في زيادة وعليها يكثُر الطلب. والعبرة الأخرى، فلو أنَّ الدول العربيَّة عملت بمبدأ:

- "أشترط إتقان قدر مناسب من اللغة العربيَّة للعمالة الوافدة إلى البلدان العربيَّة؛

- افتتاح مراكز ثقافيَّة في السَّفارات العربيَّة؛ تقدِّم فيها دورات تعليميَّة باللغة العربيَّة للخبراء والمتخصِّصين الرَّاغبين في العمل في الوطن العربي مدفوعة الأجر؛

- اشتراط ترجمة كلِّ ما يكتب على البضائع المستوردة إلى اللغة العربيَّة وعدَّ هذا المطلب شرطاً للتفاعل التجاري مع الشَّركات والدُّول المصدِّرة ولا أحسب أنَّ دولة أو شركة ترفض هذا الطَّلَب، وتُفَرِّط باستثمارات ضخمة مقابل مطلب صغير لا يُكَلِّف مبالغ ضئيلة^{7 2}. ماذا تكون النتيجة؟ لا شكَّ أنَّ تغيَّرات في البنية العربيَّة تحدث، وأنَّ عوائق عدم الإقلاع تزول وسيحصل التَّهوض. ولكن هل أولت الحكومات العربيَّة الصِّدانة للغتها العربيَّة

الجامعة؟ ويبقى السؤال مطروحاً. والعبرة المشكلة لو أنّ دول الخليج تشترط على العمالة الأجنبية إتقان العربية على كلّ عامل يريد العمل في البلاد العربية، ليكون ذلك للعربية فتح كلّ من: الهند والبنغلاديش والفلبين وسريلانكا والصّومال وإندونيسيا وماليزيا والحبشة... ولكن لا يحدث هذا للأسف، بل يشترط على العمالة الأجنبية إتقان الإنكليزية وليس العربية، ولذلك يتعلّمون الإنكليزية في البلاد العربية، وكذلك تعمل شركات الطّيران التي تستقطب الطّيارين والمضيفات الآسيويات، ولا تقبل بالمضيفات العربيات، فإما للمصيبة فكيف يمكن الاستثمار في العربية والعرب يهجرونها. إنّ العربية لغة مثل اللغات تأخذ وتعطي، تقبل الاستثمار، وتعيش بالاستثمار، تقبل التّرقية وتقبل المشاريع. ومن هنا، فإنّ التّبعيّة علينا أفراداً ومجتمعات ودولاً، فهل حرصنا على أن تعود العربية إلى وضعها وإلى استعمالها في بلدانها. إنّ العربية تئن، وتحتاج منّا إلى الاستثمار بكلّ ما يعني الاستثمار من دلالة ومعانٍ، تحتاج إلى تمكين يعمل على تحسين الاقتصاد وبها ومن خلال المشروعات التّعليمية الرّبحية وغير الرّبحية وتكون متاحة للجميع، والعمل في فرق لجعل عمليات التّعلّم تحدث بطريقة فاعلة لا منفعة، وبنظام مُصمّم بدقّة قادر على تعزيز نتائج التّعلّم.

المراجع:

- ¹ - ينظر كتابي (الاهتمام باللغة الأم - العبرة من الفرنسيين -). الجزائر 2017.
- ² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. القاهرة: 1972، الجزء 1، مادة (ثمج).
- ³ - جوزيف أنطوان + ماري كايو هوار، قاموس الأسواق المالية، تر: آمال ليلي بريس. الجزائر: 2010 مطبعة Eurl Pages Bleues. Internationales De Boeck
Université Belgique.
- ⁴ - رئاسة الجمهورية السورية، الموسوعة العربية، ط1. دمشق: 2000، هيئة الموسوعة، المجلد الثاني، ص 76.
- ⁵ - حسين بن علي الزراعي "الاستثمار في اللغة العربية من خلال اقتصاديات اللغة" منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض: 2015 سلسلة (مباحث لغوية) ص 14.
- ⁶ - عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية بحثاً عن بيئة طبيعية عادلة ديمقراطية وناجعة. بيروت: 2013، دار الكتاب الجديد، ص 249 - 250.
- ⁷ - عبد الرحمن عبد الهاشمي + فائزة محمد العزاوي "استثمار نظام اقتصاد المعرفة في الجودة الشاملة لتعليم اللغة العربية" كتاب المؤتمر. الإمارات العربية المتحدة: 2014، أعمال المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3، ص 15.
- ⁸ - محمد بن حسن الزبير "الاستثمار في اللغة العربية لتحقيق الأمن الفكري للفرد والمجتمع" كتاب المؤتمر. الإمارات العربية المتحدة: 2014، أعمال المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3، ص 513.
- ⁹ - يونس بلحسن استعمال اللغة داخل الوسط الاقتصادي (الأسواق الممتازة أنموذجاً) كتاب المؤتمر. الإمارات العربية المتحدة: 2015، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، العدد 8، ص 576.

- ¹⁰ - زينب جابر الاستثمار في الترجمة؛ استثمار في العربية. تداعيات استراتيجيات الترجمة على اللغة واقتصادها كتاب المؤتمر. الإمارات العربية: 2014، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3، ص 263.
- ¹¹ - فلورياس كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة. الكويت: 2000 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 263، ص 9.
- ♥ - أشير بأن المجلس الدولي للغة العربية قد عقد مؤتمره السنوي الثالث في دبي عام 2014 تحت عنوان (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي). وقد أفدت من تلك المجلدات الست التي خرج بها المؤتمر.
- ¹² - سلمى عطا الله استثمار اللغة العربية في تعليم الناطقين بغيرها كتاب المؤتمر. الإمارات: 2014 المؤتمر الدولي للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 6، ص 151-165 (بتصرف).
- ¹³ - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مجلة العلوم. الكويت: 2015، المجلد 31، العدد: 2/1، ملف (التعليم في العصر الرقمي) ص 13.
- ¹⁴ - أبو شنب/ ميساء أحمد، تكنولوجيا تعلّم اللغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم الأساسي. دمشق: 2008، وزارة الإعلام، ص 50 وما فوقها.
- ¹⁵ - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مجلة العلوم. الكويت: 2015، المجلد 31، العددان 2/1 ص 24.
- ¹⁶ - فلورياس كولبارس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة. الكويت: 2000 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 263، ص 86.
- ¹⁷ - إبراهيم بن حسن بن سليمان البلوشي استثمار التراث اللغوي المخطوط (المخطوطات العمانية أنموذجاً) كتاب المؤتمر. الإمارات العربية المتحدة: 2014، أعمال المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3 ص 48-49.
- ¹⁸ - اللجنة الوطنية الأردنية للتهوض باللغة العربية، صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال. الأردن: 2014 (عمل فريق) ص 20.

- ¹⁹ - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مجلة عالم المعرفة. الكويت: 2001، المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد 344، ص 265.
- ²⁰ - محمد عبد الرشيد قاموس الاستثمار الدولي في اللغة العربية لساني لا لوني وعام لا خاص كتاب المؤتمر. الإمارات العربية المتحدة: 2014، أعمال المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3، ص 566.
- ²¹ - هند بنت سعد بن عبد العزيز الراشد الاستثمار الإعلامي والإخباري من خلال الترجمة كتاب المؤتمر. الإمارات: 2014، المؤتمر الثالث للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدول) العدد 6، ص 602-603.
- ²² - محمد السعيد عبد المؤمن استثمار اللغة في ضبط النظرية الثقافية وتوحيد الخطاب الثقافي كتاب المؤتمر. الإمارات العربية: 2014، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3، ص 494-495.
- ²³ - قدرى طوقان حافظ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك. القاهرة: 1954، ص 77.
- ²⁴ - عبد الرحمن حسن البارقي الاستثمار في اللغة العربية والتقنيات الحاسوبية منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض: 2015، عدد (الاستثمار في اللغة العربية) سلسلة مباحث لغوية 3، ص 128.
- ²⁵ - ياسر هاشم عماد الهياجي اللغة العربية في مؤسسات القطاع السياحي، الواقع وآفاق التمكين كتاب المؤتمر. الإمارات العربية المتحدة، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، العدد 9 ص 370-371.
- ²⁶ - مؤسسة الفكر العربي، لننهض بلغتنا، ط1. بيروت: 2012، ص 285.
- ²⁷ - حسين بن علي الزراعي الاستثمار في اللغة العربية من خلال اقتصاديات اللغة مجلة مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض: 2015، عدد (الاستثمار في اللغة العربية) سلسلة مباحث لغوية (3) ص 22-23.

الترجمة والأزمة ♥

- **تشكرات:** شكراً للدعوة الكريمة، وهي دعوة وسام للمجلس الأعلى للغة العربية من جامعة الشهيد (حسيبة بن بوعلي) بالشلف ومن كلية اللغات الأجنبية، وخبر تكنولوجيات الإعلام والاتصال في تعليم اللغات الأجنبية والترجمة. شكراً للفاعلين في مجال الثقافة اللغوية والتقارب اللغوي ودراسة منطق اللغات عبر هذا العنوان، الترجمة والأزمة: حدود العلاقة وتجلياتها. شكراً للمنظمين والعاملين على استمرارية التواصل رغم الجائحة والعلماء يتواصلون ويتناسلون بمنطق اللغات. شكراً لكل الناشطين من أجل الأخذ والعطاء بين اللغات، وإحياء لسنة بيت الحكمة وتطويراً للمصالح المرسل بلغة (Lingua-Franca). في طريق الحرير وعبر العربية المعولمة في طريق الملح، حيث كان للعربية وجود ومقام وظيفي. أقف احتراماً لكل الزملاء الذين يعملون على أن يكون الفعل الترجمي حاضراً، وللأخ الزميل منسق الجلسة الافتتاحية الدكتور (هشام بن شريف) رئيس تحرير مجلة معالم للترجمة إحدى مجلات المجلس الأعلى للغة العربية.

التحية لكل الفواعل من أجل العيش معاً بتعددية لغوية مطبقة، وماذا عساني أقول، وأرى هذا البرنامج عبر الجلسات الخمس، وعلى مدار يومين بصورة مكثفة، وتحمل عناوين مغرية لفصول الترجمة، وأسماء لُمعاً في

♥ - ألفت الكلمة عبر وسائل التواصل المرئي عن بُعد لصالح الملتقى الوطني الموسوم (الترجمة والأزمة - حدود العلاقة وتجلياتها) والذي جرت فعالياته في جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، كلية اللغات الأجنبية، خبر تكنولوجيات الإعلام والاتصال يومي 03-04 أفريل 2021.

التبادل المعرفي، ونتمنى أن نستفيد من خبراتكم جميعاً. شكراً على هذه الأهمية لصدارة كلمة المجلس أمامكم، وهو بحاجة إليكم مستفيداً يحتاج إلى أدائكم وتوجيهاتكم، وإهداء العيوب لتحسّن أكثر. وأراني أمامكم في تقديم كلمة المجلس في هذا المنتدى التخصّصي، وإليكموها في محتويات استراتيجية يقوم بها المجلس تطبيقاً لمهامه، وهي:

أولاً: مهام المجلس ثلاث:

- 1- العمل على ازدهار اللغة العربية.
 - 2- العمل على تعميم استعمال العربية في العلوم وفي التكنولوجيا.
 - 3- العمل على الترجمة لهاتين الغايتين.
- ثانياً: وضع خطة على الآماد الثلاث لتجسيد المهام الثلاث، تقوم على تخطيط:**

- 1- المدى السريع.
 - 2- المدى المتوسط.
 - 3- المدى الطويل.
- وهذا ضمن توافقيّة المصالح، وعبر الأهمّ فالمهمّ، وتراث المهام.

ثالثاً: إنشاء مجلات متخصصة؛ وهي لسان حال كلّ مهمّة:

- 1- مجلّة اللغة العربية صنف ب.

2-مجلة معالم للترجمة صنف ب.

3-مجلة العلوم والتكنولوجية صنف ب.

رابعاً: التخطيط لتعميم استعمال العربية في مختلف المجالات على الأمد
التاليّة:

1-السريع: 2016-2020، حلّ كلّ المسائل العالقة.

2-المتوسط: 2020-2024، عوامة وطنية للغة العربية، وتحقق منها
80% لحدّ الآن.

3-الطويل: 2024-2026، عوامة عامة لتعميم استعمال العربية وطنياً
وعربياً، وغلق ملف التداول حول الدّسترة وما له علاقة باللغة الجامعة
ويدخل ملفّ التّعميم في الثقافة الوطنية وهي مقوم وطني وعربي وثقافي.

خامساً: تخطيط الأمن اللغوي: ويكون عبر تحقيق سلّم الأولويات:

- ربح سباق الحداثة؛

- الانغماس اللغوي؛

- الترجمة الآخذ فقط إلى غاية 2024؛

- تحقيق أمن المعلومات.

سادساً: تخطيط العطاء اللغوي عبر تصدير العربية للغات الأميّة عبر
منتوج المجلس:

- الأدلة الوظيفية؛
 - بناء المنصات الرقمية؛
 - بناء المكتبة الرقمية؛
 - بناء المكانز اللغوية؛
 - تحقيق مرونة التبادل المعرفي مع اللغة الوطنية.
- سابعاً:** تخطيط استراتيجية عولمة العربية بالمنفعة اللغوية، وذلك عبر تحقيق بناء الثقة اللغوية مع تراتب اللغات:
- اللغة الانكليزية
 - اللغات الشرقية
 - ← العربية
 - ▲ الفارسية

ثامناً: بداية التحضير لاستراتيجية عولمية قادمة بدءاً من سنة 2030 ويكون تحقيق لغات العولمة الأربع.

- 1- الإنكليزية.
 - 2- العربية.
 - 3- الإسبانية.
 - 4- الصينية.
- وفي هذا يكون تحقيق مقام العربية وفق الآتي:

- عولتها عربياً؛
- عولتها أفريقياً؛
- إعادة بناء طريق توات ————— ◀ جنوب أفريقيا عبر ميناء الحمدانيّة بشراكة صينيّة؛
- التّبادل التجاريّ بوسم العربيّة؛
- التّبادل الصّيدلانيّ بوسم العربيّة؛
- وضع خواديم / (Servers) جّبارة مع ما يلحقها من أنظمة ذكيّة لتحقيق الأمن اللغويّ، باستعمال الدّكاء الصّناعيّ في أنظمة التّرجمة الآليّة عبر نظام (OCR).

وفي هذه المخاض سوف يتحقّق بشكل نهائيّ ما يلي:

- 1-عولة إداريّة للعربيّة.
- 2-إنهاء تقيّميش المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة.
- 3-رقمنة المخطوطات الجزائريّة.
- 4-رقمنة المعجم الثّقافيّ الجزائريّ.
- 5-رقمنة الأدلّة الوظيفيّة.
- 6-رقمنة مكنز المجلس الأعلى للغة العربيّة.
- 7-إنهاء العمل في أجزاء معاجم ألفاظ الحياة العامّة (3 أجزاء).

8-إنهاء العمل في المعجم الطوبونومي.

9-إنهاء العمل في الموسوعة الجزائرية.

10-عولمة لغوية للعربية بما لها من قاسم مشترك في:

- الطيران المدني؛

- السياحة والأسفار؛

- الترجمة الآلية؛

- المكيفات في المدن الكبرى العالمية.

تاسعاً: تحقيق استراتيجية الأمن الثقافي بمبدأ القوة الناعمة، وتعتمد على:

- نعم للمراجعة لا للتراجع؛

- تطوير آليات المنصات بالعربية باستمرار؛

- تحقيق نسب مئوية وتقويتها؛

- تحقيق مبدأ التعايش مع اللغات العالمية؛

- وضع استراتيجية قادمة على مراحل تالية:

* مرحلة ما بعد 2026.

* مرحلة ما بعد 2030.

* مرحلة ما بعد 2050.

تلكم هي استراتيجية المجلس، أضعها بين أيديكم أيها المنتدون، ونرجو أن تتعاضد جهودنا في تحقيقها عبر هذه اللقاءات التي نأمل أن تفيدونا بأفكاركم وبما لكم من منتج علمي وذهني بغية التطوير وأملنا في التّخبة الوطنيّة وأنتم منها، وما تقومون به من تأطير ومرافقة هذا الجيل الذي نروم أن يُحقّق الانفتاح والتّعدديّة اللغويّة في إطار جعل العربيّة تنال الصّدارة، وأن يعود لها مجدها الأثيل، كما كانت لغة العولمة وأيام ازدهارها في الفردوس المفقود وعندما كان الغربيّون يقصدون الأندلس وبجاية وتلمسان والقاهرة وبغداد من أجل أخذ العلم والتّداوي في مشافيّ العرب، وعبر الأجزخانات التي كانوا يأخذون وصفات وعقاقير للأدوية.

- **في لبّ القضية:** إيّها الجمع الكبير، لقد استفضت في الاستراتيجية ولم تعرّض إلى عنوان الملتقى (الترجمة والأزمة-حدود العلاقة وتجلياتها) هي أزمة عمل، لا أزمة لغة، هي أزمة التّغيير الذي يوصل إلى حين التّدير، هي أزمة تفعيل المؤسّسات التّرجميّة. ويبدو لي بأنّ التّخطيط اللغويّ سيؤدّي إلى حلحلة الكثير من الأزمات. وفي هذه المسألة، فإنّكم أصحاب القضية وأصحاب اقتراح الأفكار بما تعانونه في هذه المسألة.

وإنّه من الأهميّة تشخيص واقع التّرجمة في بلادنا الذي ينذر بالخطر لا نترجم إلّا القليل، ولما نترجم لدينا مرجعيّة لغة واحدة، وهي لغة المصدر إضافة إلى تداعي بعض أقسام التّرجمة في الجامعات الوطنيّة للغلق وأزمة المقرئية باللغات الأجنبيّة، وحتى بعض الرّوايات التي تُدبج بالفرنسيّة لا تجد رجع الصّدى، وانحسار بعض المخابر على طبع المجلات، في ظلّ غياب الإبداع الأدبي، وعدم المنافسة الدوليّة، وما شهدنا إبداعاً نال الرّواج

الإعلامي... هي أزمة بكلّ تداعياتها، فنجد العلاقة وثيقة بين الترجمة ومضايقات الواقع في السوق اللغوية الوطنية. فقد تمكّنت الحدود من الإغلاق على جملة وقائع تحتاج إلى علاج. وأودّ القول بأنّ التّهوض بالترجمة في الجزائر تقع عليكم أيّها المترجمون، ولا يعني إضافة ضمير (أنتم) ونحن سنكون من الغائبين، لكن الضّمائر هنا متّصلة حصراً بكم ودون تخصيص ولا انغلاق، ولهذا يمكن إعداد خريطة ترجمة جديدة تعتمد على:

- 1- إعداد المعلم الكفاء المتقن للغات الأمّ، المؤهل في اللغات الأجنبية.
- 2- إعداد طلاب يستنهضون قيم الجدّد والنشاط الترجمي، وحبّ الصّراع والتّحدي والإبداع.
- 3- إعداد منهجيات الترجمة بما لها من قواسم مشتركة وما تنفرد به كلّ لغة. منهجيات تتسم بالدقّة في التّفكير والتّعبير وحسن التّصرّف في النّقل.
- 4- إعداد جيل من المترجمين في مختلف اللغات يعملون على نقل عصارّة الفكر العالمي إلى العربيّة؛ نقل مبدع ينأى بنفسه عن التّزعة التّجاريّة نقل يتدرّج بخطوات متوازية ومتوازنة من الترجمة الواعيّة إلى الترجمة المقارنة، إلى التّدقيق الفاحص، إلى التّحرير المقوّم للتّصوص والأساليب، إلى التّدقيق الضّامن للتّكامل.
- 5- إعداد لُمع من ترجميين يعدّون نظريات ومدارس ومرجعيات ومشيّخات في العطاء والإبداع حيث يوجّهون طلابهم إلى مجال اللسانيات والرياضيات والطّبيّيات والإنسانيات والعقليّات.

6- إنشاء مراكز متخصصة في البحوث الترجّمية وعلم المصطلح تعنى بآخر المستجدّات في عالم الترجمة، وفي منهجيات الأمم التي اهتمّت وتطوّرت بالترجمة.

7- ضرورة تحضير منهج إصلاحي جديد يقدّم لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي في مجال الاهتمام باللغات الوطنيّة، ولغات العولمة، ويقع التركيز على منطق اللغات وقضايا التحو والمعاجم وما له علاقة بالقضايا العقلية التي تفصل بين العقل والتّقل.

إننا بحاجة إلى إقامة جسور متينة بين العربيّة وقضاياها العقلية من علوم اللغة وخصائصها ومنطق اللغات وفلسفة الخصائص اللغويّة. وإنّه من الأهميّة بمكان أن يقع التأكيد على اللغة ولمعاجم؛ فالمعجم يقوم على اللغة وعلى قواعد التدقيق في الروايات وفي مسائل المشترك والترادف والتضاد وفي الترتيب المنهجي، وفي التمييز بين المعاني والتعابير الاصطلاحية والمصطلحات العلميّة، وبين التعابير الحرّة والمتلازمات التي تحملها كلّ اللغات بما لها من ثقافة ومدلول. ولا بدّ من علاج امر الترجمة من الجذور واقتراح الحلول الممكنة التي تُخرجنا من الأزمة الحقيقيّة، ولن يكون ذلك مجدياً إلّا بأفكاركم التي نروم أن تخرج من العموميات وتمسّ الأجزاء الصّغرى لبناء قواعد عامّة تعتمد لدى علاج عرض المضايقات لإيجاد الحلول التوعيّة. فلا بدّ من التحليل والمقارنة والغربة والتقويم والتّقد.

وأما من جهة المجلس فقد بصّر ببعض الأفكار التي يقدّمها في شكل توصيات، ونأمل أن تنال رَجْع الصّدى لدى من يُعنيه الأمر، وهي:

- 1- ضرورة التخطيط اللغويّ في استراتيجيات اللغات، وإنزال اللغات الوطنية المكانة الهوياتيّة.
- 2- ضرورة الانطلاق من لغة علميّة أجنبيّة متقدّمة، والانتفاع منها وفي خطّتها في التّناميّة اللغويّة.
- 3- التفكير والتّخطيط في ما نترجم، وما هي أولويات التّرجمة في بلادنا والتّنسيق بين مؤسّسات التّرجمة، وهيآت التّكوين في التّرجمة.
- 4- بناء مطالب ترجميّة على الأزمنة الثلاثة، والعمل على تجسيدها وفي ذات الوقت ضرورة الإغداق على المترجمين.
- 5- بناء مخطّطات حكوميّة في المشاريع الخماسيّة/ الرّباعيّة، على أن يكون الجانب المادي حافزاً لتّناميّة الفعل التّرجمي.
- 6- أسناد جوائز تحفيزيّة سنويّة لتحقيق المنافسة الفعليّة في أفضل التّرجمات.
- 7- التفكير في آليات إغناء المحتوى الرّقمي بما يترجم من لغتنا، لا بما نترجمه إلى لغتنا.
- 8- ضرورة إيجاد مؤسّسات متخصصة في مجال التّرجمة. على أن يكون التّنسيق وطنياً ومغاريباً وعربياً.
- 9 - الخروج من الاعتماد على لغة واحدة هي المنبع، وانتظار ما تترجمه ونترجم المترجم.

10- الاستثمار في مجال تدريس اللغات بدءاً من الثانويات، والانفتاح على تعددية لغوية نفعية.

11- الانفتاح القوي على لغة العولمة.

12- الاستثمار في الذكاء الصناعي بغية ربح الترجمة الآلية.

وإنه من الأهمية بمكان أن أذكر زملائي في هذا المقام، أن الترجمة فعل نبيل، ولكن ما ارتقت أمة وبلغت عنان السماء إلا بالعلم في ذات لغتها وبلغتها. وهذا يستدعي منا الأمل ثم العمل في التطوير اللغوي عبر الترجمة إضافة إلى العمل، ولا بدّ من التجديد الصحيح للعربية، ويكون بإرجاع الأمر إلى حقيقته التي بدأ عليها، وضرورة الانطلاق في الفعل الترجمي من لغة عالمة علمية لها باع في العصر الحاضر، علماً أن المتعلم بحاجة إلى ستين (2) يتعلم خلالها اللغة الأجنبية، ولكن بحاجة إلى سنين عددا كي يترجم جيداً. ولكن إنَّ الأزمة تلد الهمة، ولا بدّ من ترسيخ فعل النهضة عن طريق الترجمة، وتثبيت لغة الهوية، فما قامت نهضة في أمة بلغة أجنبية. ونحن الآن في وضع المغامرة الناجحة، ولا بدّ أن ننجح بما نقوم به في نقل العربية إلى واقعها في الأخذ والعطاء، والصبر والمصابرة وتبادل المنافع، وضرورة المغامرة الترجمة. نغامر من أجل العربية، فإذا غامرنا من أجل من يستحقّ الفتحاح مضمون على قياس شعر المتنبي:

إذا غامرت في شرف مrooms فلا تقنع بما دون التجوم
فطعم الموت في أمر صغير كطعم الموت في أمر كبير

إخواني الحضور، والذين يتابعوننا عن بُعد، شكراً على كرم الإصغاء وعلى إتاحتكم هذه الفرصة لأقدم لكم استراتيجية عامّة لخطاطة المجلس الأعلى للغة العربيّة في ما يقوم به من أجل تعميم استعمال اللغة العربيّة وهذا كلّهُ لتحقيق الأخذ من العربيّة كي يرتقي محتواها الرّقميّ، لأنّ قيمة اللغة بما يؤخذ منها لا بما تترجمه من اللغات الأخرى. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وأدعوكم إلى التعاون مع المجلس في تقديم أفكار تحسيسية تعمل على تحقيق هذه الاستراتيجية التي نأمل أن تُعطي مقاماً وطنياً وعربياً وعالمياً للغة العربيّة، فأُعيّمُ بها من لغة ! وبالله التّوفيق.

العربية ومقامها في السوق اللغوية[♥]

- **الديباجة:** إنه من الموضوعية أن نقول بأن اختيار موضوع هذا الملتقى كان اختياراً نوعياً يتمشى وواقع اللغة الاجتماعي الذي يمس اجتماعية اللغة على اعتبار أن طرح هذا الموضوع للمناقشة يكون رافداً لمقام اللغات في السوق الاجتماعية والاقتصادية والهوياتية، من خلال العمل على تطوير مضامين اللغات التسويقية ووسائطها التواصلية في ميدان السوق الاستعمالي، وهذا ما تنصّ عليه محاور الملتقى التي تسعى إلى وضع معالم منهجية وإستيمولوجية لسياسة لغوية للعربية؛ تجعلها تنال موقعاً في الطلب عليها من أهلها ومن غير أهلها. وكلمتي في هذه الافتتاحية تركّز على أهمية التسويق اللغوي بالعربية لتتال وضعها الاجتماعي والعالمي والعمل على التأثير اللغوي ليحصل لها المقام بين اللغات.

وأحسب أن مدلول كلمة (السوق) من فعل (سوّق) يدخل في مصطلحات البيع والشراء، كما يعني نقل البضائع/ الشراء/ المقايضة/ إرسال بضاعة... ويكون من مُنتج إلى مُستهلك. وهو عملية اجتماعية يحصل بموجبها الأفراد والمجموعات على ما يحتاجون من بضائع، ويتمّ تحقيق ذلك من بيع/ إنتاج/ تبادل السلع/ المنتجات ذات القيمة مع الآخرين. وأمّا (السوق اللغوية) مسكوكة لغوية دالة على سوق الاستعمال العفوي أو التطبّعي لخطاب لغوي

♥ أُعدت المقالة للملتقى الوطني حول (السوق اللغوية) لصالح جامعة (محمد خيضر) ببسكرة يومي 7-8 أفريل 2021. أُلقيت عبر التّحاضر المرئي عن بُعد.

مُوجّه لمتلقين قادرين على تقييمه ومنحه سعراً مُعيّناً. وهذا السّعر يخضع للتراتب الاجتماعيّ للغة المستعملة، وما تحمله تلك اللغة من فوائد تجعل المستعملين يتنافسون عليها بمدلول الرّأسمال اللغويّ الحامل للفائدة، وكذلك جعل القوانين تشكّل الأسعار التي تُدرّ لصاحبها الرّأسمال، والقدرة على استخلاص فائض القيمة التّوعّيّ؛ ضمن آليات التّفاعل والتّواصل في البنيات الاجتماعيّة. علماً أنّه لا توجد سوق/ بورصة إلّا بوجود كفاءة ورأسمال ولا رأسمال إلّا بفائض ربح بين كفاءة وأداء؛ واللغة هدفها التّداول والتّنوّع والتّبادل. وكذلك فإنّ اللغة تتّسع لكلّ عمليات التّواصل؛ باعتبارها سوقاً ضخمة تحمل كلّ الممارسات اللغويّة الوضعيّة، ولا يحصل فيها إلّا غط لغويّ تداوليّ يقبله السّوق. فاللغة لا تُفرض على السّوق، بل السّوق هو الذي يفرض اللغة الجيدة والرّائجة والحاملة لمضامين ممارسات لغة السّوق وفق قيمتها في سوق التّداول بمثابة الجانب السّلعيّ. ويدلّ المصطلح في اللسانيات الاجتماعيّة على اختيار اللغة المعتمدة في الاستعمال الجمعيّ وبخاصّة اللغة المنطوقة. وهنا تلعب السّوق اللغويّة دوراً في الطّرائق التي يختلف فيها الحديث وفي المستويات اللغويّة للتّواصل، وما يتعلّق برهانات التّهيئة اللغويّة، وجدلية التّخطيط اللغويّ، وتحديات السّوق اللغويّة؛ بما لها من تعدّد لغويّ. وهذا ما كان زمن المقايضة السّلعيّة؛ فقد فرضت لغة (Lingua-Franca) نمطها كوسيلة تواصل في تجارة طريق الحرير وطريق الملح، وكما كانت العربيّة أيام ازدهار الأندلس؛ وكانت لغة التّبادل السّلعيّ العربيّ والأوربيّ وكذا ما نشاهده اليوم من تنميط الإنكليزيّة في الطّيران المدنيّ، وفي عالم السّيّاحة وفي مجال المال. وحرّيّ بنا تحديد مجالات هذا الموضوع وفق ما بصّرت به من أفكار كما يلي:

1- اللغة والاقتصاد: ترتبط اللغات بالاقتصاد؛ أي الاهتمام بالإنتاج والمردودية والربح والبنسبة والتواصل والتبادل لخلق أسواق لغوية عن طريق استعمال اللغات الوطنية، أو اعتماد الترجمات. ولهذا تُعتبر اللغة عملة قابلة للتبادل والسيولة؛ واستعمالها يُقوّي رفع فوائدها وتعلّمها ويُدرّ عملة فكرية ومادية وثقافية، ويجلب لها الزبائن الذين يطلبون ودها لتعليمها أو الترجمة منها، وتكون اللغة الأقوى بالترجمة منها، وتكون اللغة الأضعف بالترجمة إليها. وإنّ اللغة والتقود في مسار متكامل في نمو الاقتصادات اليومية لأي بلد وأنّ اللغة المشتركة فاعل اقتصادي في الإنتاج الصناعي، وبدوره يحتاج إلى لغة واحدة موحدة وموحدة، وعن طريقها يمكن أن يتواصل جميع أعضاء المجتمع الذين يشاركون في العملية الاقتصادية، ولهذا تصرّ كل الأمم على ربط السوق باللغة المشتركة بوصفها جانباً ضرورياً من جوانب التطور الاجتماعي. علماً أنّ المستعمرات الأقل نجاحاً في السوق هي تلك التي خرجت من طوق الغربة وأنّ التي خرجت من شرنقة الغربة ازدهر اقتصادها بازدهار لغاتها، وكان المكوّن الثنائي فيها: تنمية اقتصادية = تنمية لغوية. وهذا الأمر في الأساس يتطلب القضاء على التخلف اللغوي من أجل تحويل لغة ما إلى وسيط مناسب للاتصال الحديث؛ تتخذ شكلاً من أشكال المقاربة التواصلية وركيزتها تطويع المفاهيم الغربية بوضعها في تعبيرات محلية، وبشكل خاص الترجمات. وبكلّ هذا تكون اللغة القومية رصيذاً مادياً للمجتمع وتزداد بقدر ما تتخذ من سمات وظيفية تآلفية في المجتمع¹. وهكذا نرى اللغات تُسهم في رفع الاقتصاد الوطني من جانب التقليل من التفقات في الداخل، وإكساب العملة من الخارج، مع ما يصاحب ذلك من التوجّهات القومية للتقليل من التفقات

والتنافس حول الجودة والتجارة، والديمقراطية وحقّ المواطنة والطموحات الفردية والجماعية، دون الحديث عن مكتسبات القيمة الجمعية التي تخلقها اللغة الوطنية الجامعة؛ من حيث ربح القلائل الاجتماعية المفككة للاقتصاد والمستنزفة لإمكانيات البلد عند استعمال الأجنبيةات. ولهذا تعمل الأمم على استغلال الجانب التسويقي للغة؛ فتقوم على تسويق لغتها، وعلى نوعية المنتج الذي تحمله، وطريقة ترويجه والمكان الذي يروج فيه، وكلفته، والأشخاص المسوقين لهذا المنتج اللغوي؛ وهذا ما يسمّى بالمدّ اللغوي الذي يُعطي للغة صفة التوسّع، وصفة الدّخل الماديّ في التعليم أو في الترجمة أو في النشر. وتفعل الأمم الرّاقية على إحاطة لغاتها بأرمادة من القوانين العاملة على حمايتها بعد ضبط الجانب الإداري للسياسة اللغوية، وتركز على معاضدة المدرسة والإعلام والجامعة بالتوعية والتّحسيس بالموضوع الذي تكون خاتمه الاعتراز اللغوي للغة الأمة.

2- اللغة والسيادة: استعمل جان لوي كالفي / (Jean Luis Calvet) مصطلح (سوق اللغات) مشبهاً إياها بعملة مالية، تتفاوت قيمتها حسب قوانين العرض والطلب، مؤكّداً أنّ تداول اللغات، بما فيها من عباراتٍ ومجازاتٍ شبيه بتداول البضائع والعملات في سوق مفتوحة على التنافس التّزيه وغير التّزيه. وقد عرض مقدّمات الوضع اللغوي في كتابه (اللغات والاستعمار 1974) وأوضح فيه كيف تفرض السّلطة الحاكمة لغتها (الفصحى) وتعتبرها الأفضل والأجدي لترسيخ نفوذها وتأكيد مشروعيتها محترقةً سائر اللغات ومعتبرة إياها سجلاتٍ دنيّة، لا تتوفّر على نفس الخصائص التّواصلية والجمالية. وفي كتابه (اللغات؛ أيّ مصير؟ الآثار اللسانية

للعولمة) خصّص فصولاً، مشوّقة وموثقة لذات الموضوع؛ بعرض موضوعيّ عن أوضاع الألسن البشرية في أنحاء المعمورة، بعد أن خضعت لمسار عولمة مُطبق فرض اللغة الإنكليزية معياراً للتّجّاح والتّواصل، مثلما فُرض التّعامل بالدّولار عملةً أساسيّة، الأمر الذي أدّى إلى انقراض العديد من اللغات حتى التي صمدت إلى زمن غير بعيد، ناهيك عن اللهجات المحليّة النّادرة وصارت اليوم تتحلّل وتتراجع أمام سيطرة الإنكليزية ونفوذها، باعتبارها وسيلة التّواصل الأجدى في كلّ البلدان. ويقول: ليست اللغة سوى عملة نقدية تُتداول في أسواق الألسن لتحقيق الفائدة. وفي الأخير يتساءل عن المصير اللغويّ للعالم، بعد أن استعاد عوامل التّأثير في انتشار اللغات أو اندثارها مقترحاً بعض الحلول التي تساعد على التصدي لهيمنة الإنكليزية وتسونامي العولمة اللغويّة الذي من شأنه أن يمحو الهويات اللسانية ويقضي على خصائص الثقافات المباطنة لها. وهذا ما نراه اليوم في أنّ سوق اللغات تنصّده بعض اللغات، فالسوق ضيق وكأنّ (كوليرا اللغات) قضت على جملة اللغات الوطنيّة التي لا تنصّد للّقوة والهيمنة الاقتصاديّة، وهذا عين ما يجري الآن ضمن مسار عولمة اللغات الذي يُعلي من شأن لغات القوى الكبرى، ويعتبر ما عداها عمّلات لا تُصرّف، فلا يعتدّ بها في سوق الفائدة والنّفوذ. وما هو المطلوب بالنّسبة للغاتنا التي لا تعرف المقايضة ولا الشّراء، وليس لها الرّواج؟ وهنا لا بدّ من حلول إجرائيّة لإنقاذها مع اللغات المستضعفة، ومن الضروري تشجيع التّنوع اللغويّ بشكلٍ آلي، ضمن نظام تربوي، للحفاظ على اللغات الصّغرى، والتّعلّق بها بمواصلة تطويرها لفرض استخدامها في سائر مجالات الحياة اليوميّة، بعد ترشيدها، أي إعطائها كلّ مميزات العملة النّافعة المفيدة

وتيسير فحوا ومُعجمها واستمرار حركات التَّنمِيَّة اللُّغويَّة والترجمة لإثرائها فضلاً عن استعمالها في تحرير المؤلَّفات العلمية والخطابات الرِّسميَّة. وبالنَّسبة للعربيَّة لا بدَّ أن يشترك في هذه الجهود كلُّ أطراف التَّسيج المجتمعي ضمن مشروع متكامل: السُّلطة الثَّقافيَّة والسِّياسيَّة والمجتمع المدني، عبر إجراءات لتطويره وترويجها، والبتَّ النَّهائي في تغيير موقف احتقارها، وتغيير خطاب البكائيات على الأطلال، وأداة سجلِّ الطَّبقات المتخلِّفة، أو الخطاب الدِّيني المتحجَّر، اقتناعاً من الجميع أنَّ تنشيط العربيَّة سيفضي لا محالة إلى سوق يدرُّ أرباحاً جَمَّة، أوَّلها الحفاظ عليها عنواناً على هويَّة حضاريَّة تضرب بجذورها في التاريخ، وتمتدُّ بأغصانها إلى أحدث الثُّورات المعرفيَّة المعاصرة. ولذلك ينبغي ربط العربيَّة بحاجة السُّوق، حتى لا تظلَّ حبيسة الصَّنْدوق، ولعلَّ خير دليل على قوَّة العربيَّة هو ما عبَّرت عنه المستشرقة البلغاريَّة (مايا تسينوفاً) التي تقول: «بعد دراستي اللغة العربيَّة، اكتشفت أنَّه قد أصبح لفمي عقل». ولا نطلب إلاَّ تمكينها في سوق الاستعمال وننظر إلى مسار الكوريين والصِّينيين واليابانيين الذين ارتقوا بتمكين لغاتهم في الاستعمال العام، ولغاتهم هي التي أدخلتهم في اقتصاد المعرفة واقتصاد سوق الكبار.

3- اللغة والسياحة والحاجة والإعلان: رباعيَّة تراتبيَّة استلزاميَّة تجمع بين أهميَّة السِّياحة وحاجيات السَّائح، واللغات التي تُقدَّم بها السِّياحة. ونرى فعل اللغة يأخذ المقام الأوَّل لما له من تأثير على الملحقَات، باعتبار اللغة وسيلة التَّواصل التي تتمُّ بين السَّائح والمحيط العام، بداية من طوبونيميَّة الألواح والشارات والخرائط والأدلة وما يستقبل به الزَّائر في الحدود، وإلى الأدلة الأماكينيَّة، وما يؤدِّيه المرشد من لغة. فهنا تطرح تحديات أشكال

التواصل بين الفئات العمرية الزائرة والرغبات المتضاربة، وكيف يمكن إصابة هدف التوافق اللغوي وما هي اللغة المستهدفة... وفي كل هذا تطرح اللغة انعكاسات المزور، كيف يلبي طلبات الزائر، ويكون في خدمته بلغة يفرضها عليه، بل أحياناً تكون بحسب محيط لغات الهيمنة السياحية، أو لغة البلد المستعمر، أو بلغة البلد الأصلية إذا توفرت لها كل وسائل الترجمة، وما يلحقها من أدلة مساعدة. ولكن في كل هذا ما مقام العربية في سوق الاستعمال وطنياً؟ تلك هي المعضلة التي تعيشها العربية في قطاع السياحة وهو الذي يحرك الاقتصاد الوطني، كما يعمل على تبليغ هوية البلد للخارج إذا أحسن استثماره تعدد السياحة واجهة البلد، وناقلة هويته، وهي ميدان خصب بإمكانه أن يدرّ كثيراً من الأموال ويصبح مورداً اقتصادياً أساسياً إذا أحسن استثماره ومن بين الوسائل التي يحتاجها الخدمة اللغوية التي تعدّ عنصراً بالغ الأهمية في مدّ جسور التواصل مع الآخرين. وبما أنّ هذه الخدمة ستكون باللغة العربية؛ فمعنى ذلك أنّه لا بدّ أن يكون هناك نوع من التخطيط لنشر اللغة العربية في هذا القطاع الحيوي ومؤسساته المختلفة ولا سيّما في المجال الخدماتي والفندقي ممّا يجعلها لغة من لغات السياحة، خصوصاً بعد أن أقرّت منظمة السياحة العالمية/ World Tourism Organization (WTO) إدخال اللغة العربية في نشاطات وعمل المنظمة². وبرغم كلّ هذا فإننا لا ننكر أنّ العربية ليس لها مقام عالٍ في قطاع السياحة؛ ممّا أدّى إلى تهميشها واستبعادها من هذا القطاع الحيوي الاقتصادي، وهي من جملة المشكلات التي تُعانيها الدول المتخلّفة كافة والدول العربية خاصة؛ بسبب طمس لغات الهوية، وغياب سياسة لغوية مصاحبة بتخطيط تكاملي في البلاد العربية. ولكي تكون العربية سارية المفعول

في هذا القطاع لا بدّ من رسم سياسة لغويّة لتنميّة اللغات المحليّة وتطويرها واختيار أكثرها استعمالاً في مجال التجارة والعلاقات الدّوليّة. واللغة الوطنيّة المرشحة هي العربيّة التي تتجلّى استعمالاتها في القارات الخمس، ويضاف إليها ما تتوفّر عليه من تطهير لغويّ + منتج قاموسيّ + معيار لغويّ + تحديث معجميّ + استبدال لسانيّ + لغة وظيفيّة. وتحتاج الآن إلى إدارة مخطّطة، وإلى دعاية موجّهة، وإلى تسويق داخليّ وخارجيّ وإلى سياسة مُوجّهة للعمل ومن ثمّ اتّخاذ القرار. وأمام هذا الوضع المعياريّ للعربيّة، كيف السّبيل إلى جعلها مستعملةً في هذا القطاع؟ وإنّنا ننظر إلى المسألة من جانب الاعتزاز اللغويّ فقوّة الأمّة ترتبط بقوة لغاتها وتحتاج العربيّة الآن إلى جانب حمايتها بالقوانين والتشريعات وإقامة المؤسّسات اللغويّة، وهذا لا يكون إلّا بالخروج من سياسة اللامبالاة، والكيل بمكيالين. فكان يجب وضع تخطيط وتشريع صارم لاحترام استعمال العربيّة ليس بالقهر، بل بوضع معالم أوليّة بخصوص الرعاية العلميّة في تطبيق ما هو موجود في هذا الباب. ويجب أن لا ننحاز في كلّ مرّة إلى اللغات الأجنبية على أنّه يقع عليها الطّلب، ولدينا مثال الدّولة التّركيّة التي يدخلها سنوياً أكثر من اثني عشر (12) مليون سائح ولا تسمع فيها إلّا لغتها في كلّ المعاملات، وهذه السّياسة جعلت للغة التّركيّة قيمة اقتصاديّة حيث يدفع الأجنبيّ أموالاً من أجل تعلّمها أو فهمها، ولا يعود إلى بلده إلّا وقد أخذ مسكوكات وألفاظ ومصطلحات وحكم وأمثال وشعر وغناء... تركيّة تعلّمها من جولته السيّاحيّة.

4- **السوق اللغويّة ووظيفة اللغة العربيّة:** في هذه النقطة فإنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة أنجز وينجز سلسلة من الأدلّة الوظيفيّة ذات العلاقة بطرح

العربية الوظيفية للاستعمال لتصبح سلعة يُطلب ودّها من المستعملين. وبدأناها بمدونات في لغة السياحة لما لها من مردود معنوي ومادي، وتعمل على وجهين: الوجه الوطني والعربي، والوجه العالمي ولذلك صمّمنا أدلة وظيفية تقوم على تعميم استعمال العربية في مجالات السياحة، وأتبعناها بنظام تراتبي يمسّ مختلف القطاعات الاجتماعية (معاجم ألفاظ الحياة العامة في الجزائر) (معجم الطوبونيميا) (المعجم الثقافي الجزائري) إضافة إلى سلسلات من القواميس والمعاجم ومدونات الملتقيات والأيام الدراسية التي أجريت حول ضرورة تمكين اللغة العربية في كلّ المقامات والمحال؛ وكلّها تعمل على الرّفْع من سوية اللغة العربية، ضمن استراتيجية العولة للغة العربية في آفاق 2026م. وهذا كلّ ليحصل للعربية السوق المدرة للبيع والشراء، وتكون لها مكانة بين اللغات، ومن ثمّ يرتقي محتواها الرقمي بالطلب، وفي ذات الوقت ينالها التنافس الذي يكون ندّاً للغات الأُمّية وهي منها، فلا يكون ذلك إلّا في سوق الوظيفة التي تُؤدّيها.

- الخاتمة: إنّ التسويق اللغويّ بالعربية يعمل على تطوير آليات اللغة العربية، وإنّه عندما يتعاقد القرار السياسيّ بالعمل الجديّ، ولما يتعاقد منتج الأفكار مع صاحب القرار ستكون التّواتج مطمئنة لخدمة المواطنة اللغوية. وفي هذا المنظور، وجبَ الحديثُ عن تحديّ تنامي الفرنسية أو تماهي استعمالها في السياحة كلغة لها أولوية في بلادنا، وهذا ما يخلق ارتباكاً في المواقف على اعتبار أنّها عنصرُ إثراءٍ وغنى، وفي ذات الوقت يُعتبر ذلك عنصرَ استيلاّب وتبخيسٍ وانكماشٍ واختزالٍ للهوية اللغوية العربية. ويبقى تفعيلُ المؤسسة اللغوية ضماناً نيل العربية مقامها في سوق الطلب، ويجب أن لا تُعالج المسألة

بالحياد اللغوي للدولة؛ كي تبقى العلاقة وطيدة بين الدّسترة والمأسسة للرّفع من الحقوق اللغويّة والثّقافيّة؛ باعتبارها عنصراً لا يتجزأ من عناصر حقوق الإنسان، وركيزة من ركائز المواطنة.

الهوامش

¹ - فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة، عدد 263. الكويت: 2000 سلسلة منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 35-74.

² - هاشم عماد الهياجي "العربية في مؤسسات القطاع السياحي: الواقع وآفاق أعمال المؤتمر الدوليّ الرابع للغة العربيّة. دبي: 2015، كتاب المؤتمر، المجلد التاسع، ص 365.

مفدي زكرياء♥

الديباجة: من الجمال والحسن والبهاء أن نحيط شعراءنا ومبدعينا وكلّ من ضحّى وترك بصمة من أجل البقاء، وكان لا بدّ من تسليط الحفاوة على كلّ مبدع غنّى أو أبدع وقال الكلمة الطيبة الأصيلة بقافية تحمل أحاسيسه في دروب الحياة المضنية والتي يتحمّل أاناتها بصبر وجلّد رغم كلّ الجراحات. من الجميل أن يكون لنا فضل ردّ الاعتبار بالاحتفاء قبل الاختفاء، أو بعد الاختفاء على أئهم من رموس الأحياء، وبخاصة ونحن نعيش أجواء اليوم العالمي للشعر 21 مارس من كلّ سنة، فما بال قوم لا يحتفون بكبارهم؟

وها نحن في هذا المكان نلتقي للاحتفاء بصانع حروف مجّدت الجزائر بقامة مبدعة غيّبها القدر، ويدخل هذا في تشجيع التقاليد الشفوية للحفلات الشعرية أو لعروض الأفلام ومختلف الفنون، وخلق كلّ ما يعمل على استعادة الهوية ضمن منظور الإلهام وخلق الروابط بين الناس، وجعل الانسجام الجمعي أكثر متانة من ذي قبل.

نحتفي اليوم في هذه المدينة الشاعرة بشاعر أوصل القيم الأخلاقية إلى الأعماق، ومن خلاله أكدّ إنسانية الشعر في العلاقات الإنسانية التي تتقاسمها الشعوب في إطار السلام والحبّ والتسامح وفي التهوض وردّ المظالم. نلتقي مع الشاعر مفدي زكرياء العظيم ليس تكريما لشخصه وهو أهل، بل هو

♥ - ألفت الكلمة في دار الثقافة (حسن الحسني) بمدينة المدية، بمناسبة التظاهرة العلمية التي نظمتها مؤسسة مفدي زكرياء بتاريخ: 10 أفريل 2021م.

تكریم تقوم به الأمم العظيمة والقویة لصالح عظمائها طلباً للمزيد إذا كانوا أحياء، ودعوة للأحياء بعدم نسيان التاريخ والبطولات وویل لأمة لا تمجد عظماءها، ولا تفتخر بكبارها والعظماء يتناسلون ولا يموتون، فأنعم بكلّ ذي مكرمة! وكم هو جميل أن يحصل الاحتفاء بالمجاهدين والعظماء والشهداء والمضحّين والشرفاء في سبيل الوطن وهي حالة إنسانية يجب غرسها فينا والابتعاد عن ثقافة المناكفات والتجاذبات التي تضرّ بالمصالح الوطنيّة، وما يضعف الصّف الوطني ويضرّ بالمصالح المرسلّة.

- **مفدي زكرياء في سطور:** زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى الذي أخذ اسم (مفدي زكرياء) (1908-1977م) وهو الذي اشتهر به أدبياً، وكان يوقع أشعاره باسم (ابن تومرت) وعاصر مجموعة من شعراء تونسنيين أفذاذ على غرار أبي القاسم الشابي صاحب رائعة:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ ليل أن ينجلي ولا بدّ للقيد أن ينكسر
وإنّ الشّاعر (مفدي زكرياء) ارتبط أيّما ارتباط بشاعر آخر يدعى محمّد العربي الكبّادي، وكانت له جولات في المنافحات الخطائية وفي حمل همّ معركة رفع الغبن. مفدي عاش كبيراً في وطنه وفي تونس، وصنع عظمته بمآثره التي أخذها من عرشه ومفاخرهم، وهو صاحب الدّراية بمآثر السّلف لأنّه نشأ في بيئة تتقن فنون التّربية على مبادئ الفضيلة وتعاليم الشريعة الإسلامية، وتربية العرف من عزّابة وعمي سعيد.

لقد عاش مفدي يحمل رسالة البناء الوطني والدِّفاع عنه، بجريدة الوفاق وكان ذلك ما جعله ينضم إلى صفوف العمل الوطني والسياسي، فكان مناضلاً نشيطاً في صفوف جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وعضواً أساسياً في حزب نجم شمال إفريقيا، وفي حزب الشعب، وفي حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية. نال عذابات سجون: سركاجي والبرواكية.

مفدي زكرياء مناضل بأفعاله وأشعاره ومقالاته التي كانت تصرخ في وجه المستعرب الفرنسي، وتدعو الجزائريين إلى التَّهْوِض، فكانت له وقفات اعتبارية داعية إلى الوحدة بين الجزائريين وأقطار المغرب وأبدع قصيدة للريفيين المغاربة يحثهم على التَّكامل والتَّعاون، وكان شعره ملتزماً وله رجوع الصَّدى في ذلك التَّشيد الذي لا يزال يزلزل المستمع، ويعيده إلى زمن المجد والثَّورة: قسما بالتَّنازلات الماحقات... فيا له من جرس قويّ ينهض النَّائم ويرفع العشي عن البصير.

أسهم مفدي بقلمه الحامل للشَّعر الوطني بما دبَّجه من كلمات في فداء الجزائر+ نحن طلاب الجزائر+ إلياذة الجزائر، وما حملته دواوينه الكبيرة من لآلئ صناعة الكلام: في ظلال الزَّيتون+ اللهب المقدَّس+ من وحي الأطلس. وتبقى رائحته تخلِّده بمقطوعها الأوَّل:

جزائرُ يا مطلعَ المعجزات ويا حجَّةَ الله في الكائنات
ويا بسمَةَ الرَّبِّ في أرضه وجههُ الضَّاحك القسَمات
ويا وجههُ في سجَّل الخلود تموج به الصَّور الحالمات

محطّات مفدي زكرياء الأيقونة: له شيء من الأسطورة بما في شعره وعمله الوطني، فلا يغيب عن السّاحة الثّقافة بما يبدع ويملأ كرسي الجزائر في الدّاخل والخارج، فهو كتلة سريعة التّنقل والإبداع، وله ميزة الوصف والجمال بما يحمله خياله من إبداع فتّي قلّ أن تجده في شخص شاعر مترامي الثّقافة، يشدّ السّامع بتلك الصّور التّعبيريّة المكثّفة وبالصّوت الجهوري الذي يشيد ببطولات الشّعب الجزائري، وتلك المنعرجات التّاريخيّة واصفاً سحر جمال البلاد. إضافة إلى قدرته الإبداعية في توظيف الأسطورة ومنواله في تناوله لبعض الاساطير السّائدة في المخيال الجمعي في مختلف مناطق البلاد النّاتجة عن تراكمات قديمة بأسلوب أدبيّ مشوّق، تنبئ عن سعة اطلاعه وموسوعيته.

مفدي وشعره عن المدينة: هناك مقاطع جميلة ذات دسّر عالية يتحدّث عن هذه المنطقة، ويبدأ بقصر البخاري قائلاً:

ويهتَزْ قصرُ البخاري هياماً ويصبو البخاري فتحجل جلفاً
أبالغوتين يُباهي الشّام وأغواطنا بالشّام استخفاً
هلا تُبادلنا الشّمس إشعاعها ويلهمنا الصّفو نور الهلال
ونغدو نسبق أحلامنا ونهزأ من وثبات الغزال

ويقول في المديّة:

علا بالمديّة تاج الجلال فأعلى بمليانة المرفقا
ومن هدهد الصّدر بالتوأمين قضى للجزائر أن تعشقا
دلال المديّة أعيى الملوك وكم خاطب ودّها أخفقا
تنازعها الرّوم والمسلمون وحاول زيّان أن يسبقا
وكاد ابن توجين وابن مرين بنار المديّة أن يحرقا
ملائكة الله هل نقلوها؟ أجل من رأى حسنّها صدقا

مفدي زكرياء رحمه الله من خلال البيت الأخير أشار إلى الأسطورة المتداولة التي تقول بأن مدينة وهكذا يوحى لنا في أسطورة شعريّة بأنّ المديّة لم تكن متواجدة في غابر من الأزمان في المكان الذي نعرفه اليوم بل كانت مُعلّقة بين السّماء والأرض، وذلك لجمالها الأسر وسكّانها الطيّين، يكلّوها الله وتحفّها الملائكة من جنّباتها ويزينها اللون الأخضر المتشّرف في ثناياها وجوانبها. ويكسوها بياض الثّلع شتاءً، يعكس نقاء قلوب سكانها لشدة تسامحهم حتى لقبوا بالمهدّيين ومدينتهم بالمهدية/ مدينة الملائكة. هذا قليل من كثير/ غيض من فيض، ويبقى شعره مُلهماً لذوي الفضول من الذين تستفزّهم الحياة، ولا يقبلونها بالوجه المألوف والنّظرة الرّتيبة.

ها هو مفدي يحطّ رجله وشعره وفريقه في هذه المديّة الأسطورية، فمن أي باب يدخلها، ففي باب الدّزاير يحصل الافتتاح، وباب القرط يقدم له الافتتاح وفي باب البركاني يلوّح ويستريح، وفي باب الأقواس يرتجل شعره ويقول:

شغلنا الورى وملأنا الدنا بشعر نرثله كالصلاة

تسايبحه من حنايا الجزائر

وها هي مؤسسة مفدي زكرياء تحطّ رحالها بينكم، بما تقدّمه من تسجيل
وثائقي، وما يقدمه المحاضرون من كلمات بالمناسبة، وعهدنا في هذا أنّ
الاحتفاء بالعظماء سمّة الكبار، وأنتم باحتضانكم هذا المحفل سيكون لكم
السبق في خدمة أهل الشان، فأنعم بكم يا إخواننا في مدينة الخير! ونشكر
لكم فضلكم وترحابكم وما قمتم به تجاهنا، وهي عادة توارثتموها أيّها
المهديون وعلى هذا المنوال ابقوا مهديين، وبكم نفتدي وما أخطأ المقتدي
الذي اقتدى وجارى المهتدى.

تعليمية اللغة العربية

في ظلّ التكنولوجيات الحديثة^٧

- **الديباجة:** إنّنا نعيش عصر التّوازل بما يحمل من ظواهر جديدة وبما يفاجئنا من تطوّرات في عالم الابتكارات اللامتناهية، في عالم يرمي بثقله على تقنيات الحاسوب والاتّصالات السّلكية واللاسلكية، ومن توسّع للشّابكة وظهور تطبيقات كثيرة ومتنوّعة في اللغات الغربيّة. فما موقع العربيّة منها؟ وما موقع الاحتياط التعليمي للتعامل مع المستجدّ؟ وما هي مستلزمات الرّاهن للعيش ضمن شمس اللغات الذي لا يافل؟ وكيف نساير بلغتنا العربيّة مصالحنا المرسلّة دون تعطيل في آليّة التعامل بفقه الواقع ودون أن نتوقّف مسيرة الحياة؟ تلكم إشكالية نروم الإجابة عنها بموضوعيّة لتهيئة العربيّة في العيش ضمن التّكنولوجيات الحديثة التي تفتقر إليها العربيّة، وما هي سبل سدّ التّحصيل العلمي بأيسر الطّرائق وفي أقلّ وقت ممكن.

أيّها الجمع الكبير، إنّنا نعيش راهناً جديداً بما له من إمكانيات مخالفة للماضي، وفي باب التّعليميات نرى مستلزمات جديدة لا بدّ أن تكون في اللغة العربيّة، وهي وضع طرائق معاصرة في التّعليميات، وآن الزّمان أن نعلن القطيعة مع الماضي؛ نظراً للتّخمة التّكنولوجيّة التي وصلت إليها الوسائل الحديثة في باب التّعليم، وما أفضت إليه الدّراسات في العمليّة

^٧ — ألقيت الكلمة عبر تقنيّة التّحاضر عن بُعد، لصالح جامعة الشّاذلي بن جديد بالطّارف، بتاريخ 15 أفريل 2021م.

التعليمية من تغيير موقع المتعلم الذي أصبح محور كل العمليات التعليمية هذا المتعلم الذي يتحكم في وسائط التكنولوجيا، فهل ضبطنا عقارب تلبية متطلباته، وهل أعددنا الوسائط التبليغية الحديثة التي تشبع ملكاته ومهاراته بطرائق سهلة وجذابة.

1- أهمية موضوع التعليم عبر الوسائط الحديثة: من الضروري بمكان أن نشير إلى أن المقولة أشتدي أزمة تنفرج "مثلة في واقعنا عبر هذه التطورات التي تعمل على نقلة نوعية في العربية بما لها من مهارات إضافية تعمل على إعطاء القيمة المضافة، ويجب أن يعلم الطالب بأن التعليم في ظل التكنولوجيا الحديثة في صالح الفقراء، وهو موجه للطبقات الاجتماعية التي من الضروري أن تجمع بين الوظيفة والتدريس مدى الحياة، لما له من مزايا هي:

1/1- تعليم ليس خياراً استراتيجياً، بل هو خيار ضروري أملتته معطيات التطوير بما يعرفه العالم المعاصر من تثير الفكر، المصحوبة بالتقانات الحديثة.

2/1- تعليم يصلح للتوازل وفي غير التوازل، وهو تربوي علمي. يلغي النمطية التقليدية القائمة على التكرار وغياب الإبداع،

3/1- تعليم عام اقتصادي، يكسبك ربح الوقت الذي تستهلكه في التعليم التقليدي، والانتقال وضغط المواصلات، وما يتبع ذلك من مصروف.

4/1- تعليم متكامل يجمع بين مهارات: السماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة.

5/1- تعليم يعمل على تعزيز التدريس والتّعلّم الجماعي مع الدّاخل والخارج. ويلهم المتعلّم الإبداع وراء إبداع.

6/1- تعليم مفتوح على جمهور عريض عدداً، ومتباين المستويات يعمل على التّفّتح على آليات العصرنة وآفاق المستقبل.

2- **اللغة العربية وتأثيرات العولمة:** لقد تأثرت العربية بالتطوّر الرقميّ حيث فرضت التكنولوجيا سيطرتها بشكل واضح، وكان للغة العربية نصيب من هذه السيطرة، فاعتمدت مجموعة من أدوات تكنولوجيا المعلومات واستطاعت تقديم العديد من الخدمات المفيدة لها، ولكن في المقابل تأثرت في عدم تعميم استخدام هذه التكنولوجيّة الرقمية المتنوعة ولم تعد تلاحق تلك الموجة التي ركبتها اللغات العالميّة، وتضعضت في بعض بنياتها القاعدية، ولم تُواكب الرّكب في بنياتها التّحتيّة، فأين الخلل؟ وكان حريّ بنا البحث على مدى قدرة العربية على المحافظة على قيمتها عند المعلّمين المتأثرين بهذا التطوّر الرقميّ؟ والعمل على إيجاد مخرجات راهنة لبقائها ضمن اللغات الأولى عالمياً. ولهذا تفرض الحداثة الرقمية وضع آليات جديدة تُساير الوضع الجديد، وتعزيز مكانتها في ظلّ تقنيات عصر التكنولوجيا الحديثة. وإنّه ليست لدينا خيارات نتّبعها إلّا خيار الانغماس في عالم الرّقمنة، وتمكين الطّلاب من الإسهام في الإبداع ضمنها، والعمل على تعزيز أنماط التّعليم التّشاركي من خلال المجموعات التّعليميّة، وإمكانية البثّ المباشر، وتقديم دورات تعليميّة عن بُعد، وهذا ما يفتح للعربية العيش في الواقع الافتراضي الذي لا بدّ منه. وإنّ العربية بحاجة إلى هذه التّقنيات، وعليّنا أخذ التدابير اللازمة لكسب الرّهان.

إيها الحضور، أيها المتابعون، إنَّ الموضوع المختار لهذا اللقاء الافتراضي يولي تعليمية اللغة العربية مكانة في مصطلح الديدكتيك كإجراء تربويّ يعمل على تعزيز النظرة المتمركزة حول الطالب مع الأخذ بيده من خلال نظام المصاحبة البيداغوجية... وترقية البعد الاجتماعي للتعليم، ومن ثمّ الاعتماد على التكنولوجيا في العملية التعليمية لتحوّل تقنية شائعة، تعني تحديد طريقة ملائمة أو مناسبة للإقناع أو لإيصال المعرفة؛ بمساعدة التقنية. وهكذا تكون العملية التعليمية في اللغة العربية تتعلّق بالمناهج والمضامين والوسائل التعليمية للوصول إلى تحقيق التوازن بين الوضع التربويّ الحالي وسرعة العالم التكنولوجي؛ باعتبار ذلك يؤثّر على العربية الثّورة المعلوماتية والتطور التكنولوجي ليس له تأثير كبير في اللغة العربية فحسب، إنّما في التعليم أيضاً، فالانفجار المعرفي المتمثّل في الزيادة الكميّة والتنوعيّة في المعرفة وفروعها يحتمّ على المؤسسات التعليمية أن تعيد النظر في أسس اختيار وتخطيط وبناء المناهج والمحتوى الدراسي، وأساليب التعامل مع المعرفة، عبر الوسائل التكنولوجية المتعدّدة، والاستفادة من وسائل الاتّصال الحديثة والتقنيات المعاصرة في تطوير مناهج اللغة، وتحديث طرائق تدريسها، وخاصة أنّ الاتجاهات الحديثة تتّجه نحو الإفادة من معطيات التقنيات المعاصرة في تدريس اللغة وتعليمها وهكذا نرى التلازم الحديث بين ربط التكنولوجيا بربط التحديث اللغوي التعليمي. ويعني هذا بأنّ لهذه الوسائل المعاصرة جدوى لا يمكن الاستغناء عنها، وهي من مستلزمات تطوير اللغات والعربية تحتاج إلى خوض معركة الانغماس التكنولوجي، فهل يمكن توفير شروط

الانغماس والعيش فيها، ومن ثمّ الإسهام في الإبداع التربوي عبر الوسائل التعليمية المعاصرة؟

3 - الوسائل التعليمية الجديدة ومقامها في العملية التعليمية: ما لا

يختلف فيه أنّ الوسيلة التعليمية تعمل على زيادة الكفاءة التعليمية والوصول إلى ذروة الاتصال التعليمي، لذلك كان حرياً على مدرّسي العربية نشدان توظيف التكنولوجيا في تعليم اللغة العربية؛ باعتبارها وسيلة ناجعة في حالة تطبيقها بالتّماهي مع التطوّرات العالميّة، ومن بين هذه التطبيقات إدخال برامج تكنولوجيّة معدّة مسبقاً للنّظام التعليمي المقرّر أين يقوم أساتذة يختصّون في اللغة العربيّة بتنفيذه وفق خطّة مؤسّسة بطريقة علميّة، وتعدّ الوحدات التعليمية الرّقميّة أحد العناصر الجديدة لنوع من التّعلّم القائم على الحاسوب؛ إذ يمكن استخدامها لأكثر من مرّة، وفي مواقف متعدّدة بما يضمن التّكرار والتّجدّد في الوقت نفسه. ودون تعطيل ولا مناكفة لا بدّ من دمج تقنيّة المعلومات والاتّصالات في تعليم اللغة العربيّة، وهي الوسيلة التي نجعلنا نبدع طرائق أفضل في عمليات التّعليم من أجل إيصال المعلومة للمتعلمين بأسرع وقت وبأقلّ تكلفة، وبصورة تمكّن حسن التّحكّم في العملية التعليمية، وقياس مردود المتعلّمين. لذلك نجد الدّول تستخدم أنواعاً من أنظمة التّعليم، على غرار التّعليم الإلكترونيّ / (E-Learning) الذي يعدّ النّظام التعليمي المستقبلي المتكامل الذي سيكون بديلاً عن النّظام التعليمي التقليدي؛ باعتباره منظومة متكاملة من المعطيات، والمفاهيم، والأدوات التّفاعليّة المتوفّرة في بيئة التّعليم. دون أن ننسى مزاياه الكثيرة من تمكين الوصول إلى المعلومة بأسرع وقت، وبأقلّ كلفة، وبصورة تمكّن إدارة العملية

التعليمية وقياس وتقييم أداء المتعلمين. وهذا يعني أنّ المستقبل لمنظومة التعليم الإلكتروني عامة بما يحمله من منظومة تقنية المعلومات والاتصالات: الشبكة + الإذاعة + القنوات المحلية + الفضائيات + الأقراص الممغنطة + البريد الإلكتروني + أجهزة الحاسوب + المؤتمرات عن بُعد... وهذا ما يخلق بيئة تعليمية تفاعلية متعددة مصادر المعرفة والمعلومة بطريقة متزامنة.

4- ما هي مطالب تعليمية العربية باستعمال هذه التقانات؟ يبدو أنّه من الضروري بمكان الدراية باستعمال هذه الوسائل، وحبّ التفاعل والاكتشاف، والانغماس داخلها حتى يبدع المعلم في حسن استخدامها. ولا يجب أن تبقى العربية بعيدة عن امتلاك خبرة التكنولوجيا في مجال البريد الإلكتروني التزامني / (Synchronous E-Learning؛) وهو التعليم الذي يتزامن فيه وجود المتعلمين والمعلم أمام أجهزة الحاسوب في غرف المحادثة / (Chatting)، أو تلقى الدروس من خلال الفصول الافتراضية / Virtual classroom وهو مناسب جدا في الدروس التحويلية والصرفية والبلاغية حيث تتم العملية التواصلية بين المتعلم والمعلم. كما لا نغفل دور التعليم غير التزامني: (Asynchronous E-Learning؛) وهو التعليم الذي لا يتزامن فيه وجود المتعلم أو المعلم ويتم عن طريق بعض وسائط التواصل الاجتماعي وهذا مناسب لطرح انشغالات وأفكار وتحليل قضايا لغوية أو أدبية. كما لا ننسى دور التعليم التفاعلي الذكي / (E-learning interactif intelligent) وهو أسلوب جديد متطور؛ يسمح للمعلم والمتعلم بالتفاعل مع بعضهما البعض بشكل مباشر وآني. ويصلح للعربية من أجل الوصول إلى تعليم متكامل العناصر والفعاليات بدءاً من تصميم المنهاج الدراسي

التفاعلي ومرورا بتحفيز المتعلم وترغيبه في العملية التعليمية وانتهاء باستحداث نظام امتحانات يمكن من تقييم المتعلم في مختلف مهاراته من خلال الاستفادة من نظم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطويرها لإثراء كافة مراحل التعليم بالمصادر والحلول التقنية والتعليمية اللازمة. ولا بدّ أن نشير إلى التعليم الجوّال/ (Mobile Learning) الذي يستخدم الأجهزة المتنقلة، ويتطلّب شبكة وأجهزة لاسلكية متنقلة تساعد في عملية الاتصال والتواصل؛ وفي هذا النوع من التعليم يحرّر المتعلم من حجرة الدّرس ويعطيه هامشا من حرية أداء وظائف متنوّعة ومختلفة في وقت واحد. ولا بدّ أن نشير إلى أهميّة الكتاب الإلكتروني/ (E-book) أو المرقمن، وفيه يتمّ تخزين محتوى الموضوعات التي يراد تقديمها للطالب على قرص مدمج، يتمّ مشاهدته على شاشة الحاسوب العادية داخل حجرة الدّرس، ويتمّ التّحكّم من ناحية الطّالب؛ باستخدام مؤشر الفأرة للانتقال من فصل لآخر، ومن صفحة لأخرى، ومن سطر لآخر، وهذا البرنامج عادة ما يجمع بين المعلومات أو البيانات المقروءة أو المكتوبة والرّسوم والصّور الثّابتة والمتحرّكة والمؤثرات الصّوتيّة والصّوريّة. وهذا التّوع من التعليم يقدّم خدمة جليّة لمتعلّم اللغة العربيّة لما سيوفّره من مستلزمات فهم الدّرس وتخزينه، وهذا ما يجعل عملية الاسترجاع في ما بعد أسهل نظرا للممارسة الفعليّة للمعلومات المقدّمة لا استقبالتها فقط. كما نشير إلى أهميّة الوسائط المتعدّدة/ (Multimedia) عبارة عن اتّحاد البرامج والأجهزة التي تمكن المستخدم من الاستفادة من: النّص والصّور والصّوت والعروض، والصّور المتحرّكة، ومقاطع الفيديو، وتعنى الوسائط المتعدّدة بعرض المعلومات في شكل نصوص، مع إدخال كلّ أو

بعض من العناصر في لقطات الفيديو الحيّة، وبخاصّة في تدريس بعض المقاييس التي ترتبط بالتّجربة أكثر من ارتباطها بالتّراكم المعلوماتي أو المعرفي. وهكذا نلاحظ بأنّ الوقت المعاصر يتطلّب نقلة في عالم التّكنولوجيا رغم بعض المضايقات التي تعانيها، ورغم الكلفة المادية، ورغم الانقلاب الطّوعي على الطّريقة القديمة، ولكن الحيلة في كفايات الانغماس فيها بأقلّ الأضرار وننظر إلى تلك الخدمات التي تقدّمها مختلف الوسائط المتعدّدة في تعليم اللغة العربيّة، وأنّ اعتمادها تصل بالعملية التعليميّة إلى مبتغاها وتجعلها ممتعة وشائقة، فتهيء فرصا جديدة لتيسير الحصول على المعلومات عن طريق استشارة أكبر قدر من الحواس البشريّة؛ لما لها من تفعيل مختلف الوسائط التعليميّة؛ حيث يقع الجمع بين:

- 1- عرض المحاضرة باستعمال (الپاورپوانت).
- 2- استعمال الهاتف الذكي من أجل التّرجمة الفوريّة.
- 3- استعمال تقنيات الفيديو والعروض المصوّرة.
- 4- التّواصل عن طريق البريد الإلكتروني ومواقع التّواصل الاجتماعي ورسائل الهاتف.
- 5- مشاهدة ملفّات الصّوت والصّورة، والاستماع إلى الرّسائل الصّوتيّة.
- 6- مزج المتعة في التّعليم عند استخدام السّبورة الذكيّة والألواح الذكيّة.
- 7- تنمية مهارة القراءة عبر مواقع التّواصل الاجتماعي من خلال قراءة المشورات والرّسائل المكتوبة، إضافة إلى ازدياد تنمية مهارة الكتابة.

- **الخلاصة:** مهما يكن من بعض السلبيات والحوادث اللسانية التي تجلبها هذه الوسائل التعليمية الحديثة، فإنّ عصر التكنولوجيا والمعلومات مفيد ومجدي للعربية، وله نتائج إيجابية كثيرة؛ حيث عمل ويعمل على خلق عالم جديد مبتكر، ولا شك أنّ كلّ ذلك يُسهم في تطوير الموارد البشرية، وفي ذات الوقت يعمل على تطوير العربية في معناها ومبناها. ومن المهمّ تعزيز دور التفكير الرياديّ الذي يستثمر في المواقع الإلكترونية العربية، وفي البرامج الرقمية المصمّمة باستخدام اللغة العربية، وغيرها من الوسائل الأخرى التي تساعد على بقاء اللغة العربية في المراتب الأولى، وتُعزز من قدرتها على مُواكبة كافة التأثيرات الناتجة من النمو المتسارع للتطوّر الرقميّ.

الكبار لا يموتون[♥]

شكراً لجريدة الحوار على الخدمات الوطنية التي تُقدّم لرجال لهم أفضال على هذا البلد، شكراً للمدير المتألق السيد يعقوبي الذي يوجّه الحوار من أجل أن ينال موقعه في البناء الوطني بالتّأسيس، القائم على التّأسيس. شكراً للحضور الذين تجلّت هماماتهم بنور هذا الصّباح، ومن حسنكم تجلّى الأفق الوضّاح.

أيّها الحضور، ليس لي شهادة أقدمها أمامكم في هذه التّأبينية أو التّكريميّة التي نستعيد فيها مآثر (محمّد الشّريف خروبي) وأنا لست من جيله، ولكنّ الشّيء الذي ترسّخ في ذهني أنّ المرحوم كان يأتينا باستمرار للمعهد التّكنولوجي سنة 1974م بتيّزي - وزو ليحاضر بالمنافحة ونحن الطّلبة المتكوّنين، وأذكر تلك الخطابات الرّنانة الوطنيّة التي كانت تحنّنا على الفداء للوطن، والغيرة على خدمة الوطنيّة، والإخلاص وصدق العزيمة، والعمل من أجل النّجاح، وتحبيب العربيّة والتّروغيب فيها. كلمات وطنيّة تصدر من شخص قويّ الهامة، شخص واقف مدافع، ونحن له مصفّقون ومنفعّلون ونميل إلى تبني الخطاب الحماسي... وهذا ممّا ترسّخ في ذاكرتي من مشاهدتي الشّخصيّة، ولهذا اعذروني فأجد نفسي أمامكم فقيراً في الحديث عن مساره، ونضاله ومسيرته السياسيّة والتي انطبع فيها بخطاب المدرسة الجزائريّة بأفق الحزب الواحد، وأهداف مؤتمرات جبهة التّحرير. ولكنّي أملك بعض الكلمات التي لا تبكيه، بل تمجّده، لعظمة منجزاته، وأنا هنا

[♥] - ألقيت الكلمة في تأبينية (محمّد الشّريف خروبي) التي أقامتها جريدة الحوار، بتاريخ 17 أفريل 2021م. بمقرّ الجريدة.

لا أبكيه لأنه ليس ضعيفاً، والبكاء للضعفاء، وخروبي من الكبار، فالكبار لا يموتون بل يتناسلون. يتناسلون بالمخلصين الصالحين أمثالكم ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء 105.

وما أسجله على المرحوم (خروبي) ما سمعته وما قرأت عنه، وما عايشته خلال توليه بعض المسؤوليات الوطنية، وكلها تُسجل لصالحه. هي محاميد ومسكوكات خير على غرار: مهندس الإصلاحات التربوية + مؤسس المدرسة الأساسية + صاحب الأصالة والعروبة + صاحب تعريب الأجيال + الشخصية التي لا تساوم في الوطنية + القبائلي الفحل + المجاهد خروبي + مسار مهني حافل لمناضل فدّ + المنافع عن التاريخ الوطني + محارب شرس لمن يقول التاريخ في المزيلة + هدية الزمن لهذا الجيل... وهكذا فإنّ (خروبي) لم يمت، ولو أنّه أصبح رسماً، ولكنه كان واقفاً بمشاريعه والأشجار المثمرة تموت واقفة، وكذلك الكبار لا يموتون إلّا واقفين، فهم لا ينحنون أبداً للعواصف، ولا يساومون على المبادئ؛ ومن ثمّ يفرضون احترامهم حتى على الخصوم والأعداء، وهذا أبلغ ما نُؤبّن به المرحوم الذي أصبح في العالم الآخر.

إخواني رحل الذين نفتخر بهم، فهل عزّ الرجال الذين نرقى بهم؟ وعزائي في رحيله أنّه مناضل صلب، وخسرنا عنصراً من عناصر النقاء والمثابرة. لقد ترجّل الوطني الاستثنائي، وأحياناً لا يعوّض الاستثنائيون، ولكن هي سلسلة من الأحداث التي تبقى عالقة في الأذهان، لأنّ دورة التاريخ تتأثر بموت العظماء، ولا يندثر منهم إلّا العنصر الترابي الذي يرجع إلى أصله حيث تبقى ذكراهم حيّة على الأرض قوة تحرك، ورابطة متينة تجمع، ونوراً ساطعاً يهدي وعطراً فواحاً ينعش. هي العظمة، وذاك هو الخلود، فكلّ ما يخلفه العظماء من

ميراث وآثار مشهودة، هي أجدادٌ يُعْتَزُّ بها ويُفخر وأعمالٌ جليلةٌ يُنتفع بها وأفكارٌ
نيرةٌ يُهتدى بها، كما قال الشاعر:

المرءُ بعدَ الموتِ أحَدُوثُهُ يفنى وتبقى منه آثارُهُ
فأحسنُ الحالاتِ حالُ امرئٍ تطيبُ بعدَ الموتِ أخبارُهُ

أخواني، أخالني أن تصلَ أمثالُ هذه الكلمات إلى هذا الجيل ليعرفَ قيمةَ
الكبار، وضرورةَ الاهتمام بهم، وأخذَ العبرةَ من مُنجزاتهم، وأحسبني لم أكن
مُسرفاً إنْ تمنيتُ لهم تبنيَ أخلاقِ كبارنا، وصدقَ أقوالهم، وتميَّزَ أفعالهم حتى
يعلِّموا مقدارَ ما خسرتَه السَّاحةُ الوطنيَّة من أمثال (خروبي). وليعرفوا مقدارَ ما
نفقده من ذاكرةِ الوطن، وأفضلَ شيء هو الاعتبارُ والاحتفاءُ بهم قبل الاختفاء
وتسجيلُ أسمائهم في سجلِ الوطن، وعلى محكِّ الذاكرة، لتبقى بصماتهم عاليةً
فأنعمَ بهم وبكم جميعاً! نعمَ هم العظماء الخالدون في مُتحف الذاكرة الجمعيَّة
للأمة، وهم مخزون العطاء الذي لا ينبض فيها. ومع ذلك تقتضي المناسبةُ أن
نقول "وتستمرَّ الحياة". وبالفعل الحياة بعد هؤلاء العظماء ما زالت مستمرةً
فالشَّمس ما زالت تشرق، والأيام ما زالت تتوالى والزَّمن لم يتوقَّف، ونحن ما
زلنا هنا ما دام في الجسد دمٌ، وفي القلب نبضٌ وفي العمر بقيَّة، فلماذا نعيش بلا
حياة، ونموت بلا موت؟ وهكذا جميعُنا نحرص على الوفاء للمُخلصين، ونقول:
نُفَعِّنا الله بعظمة العظماء، وببركات الأنبياء، ورحم الله الشَّهداء، وأطال الله
أعمار الأصفياء، وجعلكم من الأتقياء والمجد والخلود للشَّهداء والزَّعماء، وتحيا
الجزائر.

اليوم العالمي للكتاب[♥]

- **الديباجة:** أهّلنا في حمّام الضّلعة، السّلام عليكم جميعاً، ورمضان كريم وكلّ عامّ وأنتم في أحسن حال. وأجد نفسي في مركز الحوران/ Centre de Haourane سابقاً، أمام إخواننا من قبائل الخرابشة والدّريعات وعشيرة أولاد سيدي عمر؛ أشرف هذه البلدة، وغيرها من القبائل التي استوطنت المكان الذي يحوي الحمّامات المعدنيّة، في كلّ من: عين مازر وعين تافاسون في الدّريعات، وعين الحمّام الواقعة بالذكّارة وأيضاً الثروة الغابيّة نجد غابة الحوران، وغابة أولاد سيدي عمر، كما نجد الصّخرة العجيبة التي تتحرّك بها السيّارة تلقائياً. هذا المكان التاريخي الذي مرّ به العقيد عميروش، وعبد القادر السّحونوي، وفيه استشهد زرنوح محمّد.

إخواني عندما نتحدّث عن حمّام الضّلعة نتحدّث عن مجد المسيلة الحضارة والتّاريخ، عن بلاد الحُصنة، التي كانت مملكة بربريّة مستقلّة عن الرّومان ولُقبت بهذا الاسم لموقعها بين سلسلي الأطلس التلي والأطلس الصّحراوي. المسيلة الحضارة استذكار دولة الحمّاديين، سلالة الصّنهاجيين ونتذكّر (حمّاد بن بلكين) الابن الثاني لـ (بلقين بن زيري) وتبقى آثار قلعة بني حمّاد شاهدة على قوم مرّوا من هنا، وتركوا بصمات كثيرات على غرار بعض الدّول البربريّة التي واصلت المسيرة، ودخول بني هلال هذه المنطقة التي عملت على التّعريب

♥ — أعدت الكلمة لتلقى في اليوم العالمي للكتاب. ببلديّة حمّام الضّلعة، بتاريخ 23 أفريل 2021م. دار الشّباب.

والتآلف والانسجام بين الساكنة. حمّام الضّلعة بما يشهد لها من شعبيتها التي لا تزال مجسّدة في بساطة قضاء المصالح المرسلّة بين الناس عبر أسواقها الشعبيّة، وعبر التكامل بين المرأة والرّجل في ترداد المقولة الشعبيّة الرّجل هو من يمدّ والمرأة تشدّ. حمّام الضّلعة لها ما لها من علماء وباحثين من الذين قضّوا، ومن هم على قيد الحياة: وأشير إلى صاحب اللّمة الكافيّة في شرح الكافيّة إبراهيم قلمين، وصاحب القلم السيّال منتج (قبس الرائي + الشعر الحضيف) الأستاذ بشير جعيجع، ويجاوره في القلب الفاضل عبد الوهاب جعيجع صاحب (الأمن المعلوماتي وإدارة العلاقات الدّوليّة) وغيرهم من المعلّمين الذي أرسوا بنيان التّعليم وكانوا لمعاً بما أخرجوه من علماء لهذا الوطن، على غرار عمر بن الشّيخ صالح بن عبد الكريم، واسمه في الوثائق الإداريّة الحماوي العرباوي، عضو جمعيّة العلماء المسلمين والذين يجاورون هذا الفضاء الكبير على غرار (موسى الأحدي التّويوات) والبشير الإبراهيمي، والطّيب الوطني، وأحمد طالب، وعبد المجيد علاّهم، والعالم الجليل (أحمد بوشاق)... وبهذه الأسماء السّامقة ارتقت مسيلة في المسيرة السّياسيّة والعلميّة على غرار رُقّيّ جامعته في تصدّرها وطنياً، وفي تقدّمها مغاربيّاً، فأنعم بكم أيّها المسيلّيون! وماذا عساني أقول وأنا في حضرة أولياء الله الصّالحين لزوايّة الهامل، والنّسب الدّمي لآل بوداود بأقبو. فأجدني فقيراً في القول في ما يتعلّق بهذه الحضرة المكرّمة التي حُظيتُ بها وأنا أمامكم أستفيد، ومن دعائكم أستميد، وأطلب العون ليكون لي من العמיד.

1- **أهميّة المناسبة:** هي مناسبة عالميّة تُسمّى اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلّف، وهو احتفاء يُقام كلّ عامّ في 23 أبريل بعد إقراره من اليونسكو

1995م، وهو تاريخ رمزيّ في عالم الأدب، كونه يُوافق ذكرى وفاة عدد من الأدباء العالميين مثل: ولیم شكسبير / (William Shakespeare) + غارثيلاسو دي لا فيغا / (Garcilaso de la Vega) + وميگيل دي ثيربانتس / (Miguel de Cervantes)، وضمن الاحتفاء بهذا اليوم، تقوم اليونسكو بالتعاون من منظمات دولية معنية بصناعة الكتاب باختيار مدينة ما عاصمة دولية للكتاب، وفي ذات الوقت يكون الاحتفاء بأهمية الكتاب على مستوى كلّ المدن، لتشجيع الناس على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات، وتشجيع الشباب على التأليف، واكتشاف مُتعة القراءة واحترام الإسهامات الفريدة الوطنية والعالمية التي قدّمها أدباء دفعوا بالتقدّم الاجتماعيّ والثّقافيّ للبشريّة إلى الأمام. وتحيي بعض المدن هذا اليوم بإنزال كبير للكتاب في شوارع مفتوحة، وعلى الأرصفة يتطارح الكتاب وينتظر المقتني، وتتبعه سلسلة من المناظرات والمحاضرات وتبادل الشّعْر والملاحم وإقامة الجلسات الفكرية حول أهمية الكتاب. فما أحوجنّا إلى هذا الإنزال الكُتبيّ، وهو أحوج ما نكون اليوم للقراءة في الهواء الطلق، وتوطيد أواصر الصلّة بيننا بهدايا الكتاب، وتوسيع آفاقنا وتخفيف أذهاننا وإطلاق العنان للإبداع الكامن فينا. وهذا هو شهر أفريل الذي يشهد في بلدنا أياماً خالداً: اليوم العالمي لكتابة رسائل الأطفال + يوم العلم + شهر التراث + اليوم العالمي للكتاب. وحن الوقت للإشادة بأهمية الكتاب، وتعزيز ثقافة القراءة لدى الأطفال، وزراعة حبّ الأدب فيهم مدى الحياة، والعمل على خلق مجتمع قائم على المشاركة في قراءته ومعارفه، وذلك كي يتسنى للقراء في جميع أنحاء العالم التواصل في ما بينهم وتخفيف مشاعر الوحدة على

بعضهم البعض. ولا يسعنا في هذا المقام إلا دعوة الجميع لغرس ثقافة حبّ الكتاب، وحبّ المطالعة، والتّفنّن في صناعة الكتاب. وتبعث السيّدة المديرة العامّة لليونسكو (أودري أزولاي / Audrey Azoulay) برسالة نصيّة مفادها "يملك الكتابُ هذه القدرةَ الفريدة على تسليتنا وتثقيفنا، وكذلك على تمكيننا من الخروج من عالم الذات لاكتشاف عوالم أخرى، أو للوقوف على ثقافات الآخرين من خلال لقاء فكريّ مع كاتب أو كاتبة بين دفّتي كتاب تمكينا من سبر أغوار ذاتنا في آن معاً. والرّسالة مدوّنة باللغات الأميّة الست: English | Русский | Español | Français | العربية | 中文 |

أيّها الحفل البهيج، إنّ الاحتفاء باليوم العالميّ للكتاب وحقوق المؤلّف إنّما يتمثّل في تعزيز التّمتع بالكتب والقراءة، وفي هذا اليوم تبرز القوّة السّحرية للكتاب، بوصفه حلقة وصل بين الماضي والحاضر والمستقبل وجسراً يربط بين الأجيال. ولذا لا بدّ لنا من مناصرة الكتاب وحقوق المؤلّف بتعزيز العمل على محور الأميّة القرائيّة، والتّعلّم مدى الحياة، فَمَعَ الحجرة إلى المقبرة على رأي شيوخنا الأجلّاء، والمضي قدماً في الانتفاع المفتوح على العلوم والقراءة من خلال الوسائل المتّاحة ومُشاركة كلّ الفواعل النّشطة: النّاشرون+ المعلّمون+ أصحاب المكتبات+ المطابع+ الباعة+ مؤسّسات النّشر+ وسائل الإعلام+ المؤلّفون+ المبدعون+ المجلّدون... وهي أطراف معنيّة بالاحتفاء بتعزيز الكتاب بوصفها وسائل قيّمة لتبادل المعارف والتّفاهم والانفتاح على عالم يتّسم بالتّنوع؛ ولأنّه مع الكتاب وقرينة صاحب الكتاب تُسافر عبر الزّمان والمكان والخيال إلى شتّى البقاع والأصقاع، نعيش الحاضر ونسترجع الماضي، ونفتحم المستقبل بشتّى علومه وأسواره، ونعيش

مع كل كتاب حياة أخرى، ونزور عوالم جديدة بلا أجنحة ولا أقدام. وقد صدق المتنبي الذي قال:

أعز مكان في الدنيا سرج سابع وخير جليس في الزمان كتاب

إخواني بهذه المعاني الكبيرة أرادت اليونسكو تقدير الكتاب وصاحب الكتاب بتشجيع القراءة بين الكبار والصغار، واستكشاف مُتعتها وفوائدها بوصفها غذاءً للروح ومحفزاً للعطاء والإبداع، وتجديد الاحترام لكل الذين مهّدوا الطريق للتقدّم الاجتماعي والثقافي للإنسانية جمعاء. ونحن لا نرى إلا ضرورة تأكيد هذا العمل العالمي الذي يُطلعنا على قيمة ما يحمله الكتاب بين دفتيه من قيمة تراثية للمعارف، وما يستوعبه من تراث غير مادي، فهو نافذة على التنوع الثقافي، ووسيلة للحوار، وثمره لجهود كتاب ومبدعين يكفل لهم قانون حقوق المؤلف حمايتهم. وها نحن في حمّام الضّلعة نعيش الحدث رغم بعض الظروف الصحيّة التي فرضها الحجر الصحي، لكن يلتقي الناشر والمبدع والمؤلف والمطبعي والتاجر في جلسة حوار تحفيزيّة لمزيد من تحريك قدراتنا الذهنيّة والإبداعية للاعتبار بالحدث العالمي في جلسة صلح لخفض التوتّر عن طريق تغذية العقول وتوسيع آفاق التواصل وتبادل المعارف والكتب على نطاق واسع. هي جلسة من جلسات العلم في بلد العلم والعلماء، جلسة من جلسات الاختلاف والصّراع بين الكتاب الورقي والكتاب الرقمي، ونحن نشهد التطوّر على صعيد النّشر والتأليف والترجمة والتوزيع بين النمط التقليدي والنمط المعاصر، جلسة نراها تستعرّ ونحن نراقبها باهتمام بالغ، فمن ينتصر على الآخر؟ وقد يكون من الصّعب التنبؤ بمستقبل الكتاب في ظلّ التّغيرات التكنولوجيّة السريعة الخطى، إلا أنّ

الإقبال الذي تشهده المكتبات ودور الكتب، ومعارض الكتاب السنوية تجربنا أنّ الكتاب الورقي لا يزال يحتفظ بجاذبيته وخصوصيته وأنصاره. كما يبرز هذا اليوم أهمية حقوق المؤلف في ظلّ الكتاب الرقمية الذي أضحت تهدر فيه حقوق الملكية الفكرية. وقد أتت هذه التقنيات بالكثير من التعقيدات والتحديات، التي هضمت حقوق المبدعين. ولكن تهون المسألة عندما نعرف أنّ ميدان القراءة مفيد للعقل، وأنّ الكتاب الرقمي له أثره في نقل المعلومات والبيانات والمعارف بصورة تعجز الوسائل البشرية عن ملاحقتها ومراقبتها والسيطرة على تدفقها.

2- أهمية القراءة: إنّ القراءة غذاء العقل، وتمدّه بالتجارب والمعارف والمعلومات التي يمكن أن تفيده في الوقت الحاضر أو في المستقبل، لذا من الضروريّ الحرص على اقتناء الكتب الجيدة المفيدة، كما تُعدّ القراءة مُتعة من نوع آخر، فهي تنقل قارئها من عالم إلى عالم آخر، ومن عصر إلى عصر مختلف العوالم، وتعرض عليهم الكثير من القصص والمواقف التاريخية التي يمكن الاستشهاد بها في جوانب الحياة. إنّ القراءة تفتح آفاقاً جديدة للقارئ ويقال: إنه كلما زادت قراءة الشخص زادت الحصيلة المعرفية التي يمتلكها، وتغيّرت مواقفه في الحياة، إلى جانب أفكاره وخيالاته. ولهذا نقرأ كي لا نبقى وحيدين، نقرأ لنكون من الصّحبة؛ لأنّ حياة واحدة لا تكفي، ففي القراءة نحن نعيش حيوات كثيرة، ونلتقى مع شخصيات عديدة، ونتعلّم أشياء كثيرة مهمة، والقراءة ضرورة مثل الماء والهواء. ألم يقل ديننا الحنيف لنبيّ الأمّة ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾ العلق 1-3. وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة عن النبي ﷺ "أفضل الصدقة أن يتعلّم المرء

المسلم علماً ثمَّ يَعْلَمُه أخاه المسلم" (رواه ابن ماجه). عبارات مؤثره عن القراءة ودور الكتاب في حياتنا اليوميّة والدائمة فهو كما يقال: "الكتاب الجيد يُقرأ مرّة في سنّ الشباب، ومرّة في سنّ النّضج، ومرّة أخرى في الشّيخوخة كالبناء الجميل الذي يجب أن يُشاهد فجراً وظهراً وتحت ضوء القمر". اقرأ كتاباً جيّداً ثلاث مرّات أنفع لك من أن تقرأ ثلاثة كتب غير جيّدة. إنّ الكتاب هو المجلس الذي لا يُطريك، والصّديق الذي لا يُغريك، والرّفيق الذي لا يَمْلُك، ولا يعائبك إذا جفوته، ولا يفشي سرّك، وبيت بلا كُتُبٍ جسدٌ بلا روح، وقلّ لي ماذا تقرأ أقلّ لك من أنت. وبالفعل كلّ ما أخذناه من الحياة من تجارب كانت مرسومة في الكتب، ويبدو لي أنّ كلّ ما نعرفه تعلّمناه من الكتب.

تلكم غيض من فيض من فضائل القراءة وأهميّة الكتاب في حياتنا التي تستمرّ بالكتاب، والقراءة فعل رُقيّ وسُموّ وتهذيب، وكلّ الشّعوب الرّاقية في سلوكها هي شعوب تقرأ، والقراءة معيار حضارة الأمم، وأمة تقرأ أمة لا تُستعبد، وأفضّل أن يثور عليّ قارئ من أن يثور عليّ جاهل؛ فالقارئ مثقّف يحافظ على البنية القاعدية، والجاهل يأتي على الأخضر واليابس وهذا ما نأخذه من الكتب. ودعوني أردّد قول محمّد الحليوي:

إنّ غاب الأصحاب فصاحي الكتاب
فيه حديث السّمر مزيّن بالصّـور
يحاو به البيان وماله لسان
كم قصّ لي حكاية لطيفة للغاية
يروى لي الأشعار والأدب المختار
في العلم في السّطور يسري إلى الصّدور

- **الخاتمة:** ومع كل ما قلناه، فإنَّ المعركة القادمة ستكون فاصلة بين ضعف المقرئية أو زيادتها، وبين الكتاب الورقي والرقمي، وبين غلق المكتبات واستبدالها بالآلة، وبين الانتشار للكتاب والابتسار. واية معركة تنتصر في ظلَّ الثورة الرقمية التي يشهدها العالم، وتحول الكتاب إلى سلعة بسيطة؛ وقد تكون مبتذلة رخيصة. ولا شك أنَّ التطور السريع في إنتاج الحواسيب وظهور لوحات القراءة الرقمية بأنواعها المختلفة، سترك أثره في عملية نشر الكتب. ولا شك أنَّ هذه المعطيات سوف تطال دور المكتبات كهيكل معرفيٍّ وجزءٍ من البنية التحتية لإقامة مدن معرفية في صنع مجتمع المعرفة، فكيف السبيل / التخطيط من الآن للخروج من مأزقنا الوجودي الحضاري الذي يقع الاهتمام بالمكتبات، وتشجيع التأليف وتطوير صناعة الكتب، وإقامة المكتبات بصيغتها الورقية والإلكترونية ونحن مجبرون على التَعوُّل، ولا بدَّ من الاستعداد.

اليوم العالمي لحرية الصحافة[♥]

- **الديباجة:** تحتفل الأسرة الإعلامية في هذا اليوم العالمي لحرية الصحافة لسنة 2021م بشعار (المعلومات كمنفعة عامة) ونقول من هذا المكان للصحافيين لا تنتظروا حتى يتمّ حرمانكم من المعلومة للدفاع عنها بل اجثوا عنها وبنّوها بمهنية وبموضوعية وحياد كما اقتضتها قواعد مهنتكم. أيها الإعلامي وأنت تعرف أننا نعيش الذكرى الثلاثين لإعلان (وندهوك) الذي يعود تاريخه إلى المؤتمر العالمي الذي عقدته اليونسكو في (ويندهوك) في عام 1991. وكان المؤتمر في الثالث (3) من مايو باعتماد (إعلان ويندهوك) التاريخي لتطوير صحافة حرة ومستقلة وتعددية. وإن المناسبة التاريخية تقتضي ألا تمر هكذا، فأينا في المجلس الأعلى للغة العربية أن نسهم في إحياء المناسبة بالتواصل مع بعض إعلامييننا للحديث عن ترسيخ هذا اليوم لضمان بيئة إعلامية حرة وآمنة للصحافيين، وأخلاقية لمهنتهم النبيلة. وفي الحقيقة إن تخصيص هذا اليوم يأتي للتذكير بالصعوبات التي يلقاها رجال الإعلام في سبيل القيام بمهامهم، وما له علاقة بتوصيل الخبر اليومي على السريع وفق المهنية رغم المضايقات التي يعرفها الإعلامي في يومياته العادية، دون الحديث عن الظروف غير العادية على غرار مضايقات التنازل.

♥ — أُلقيت الكلمة في اليوم العالمي لحرية الصحافة في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية في لقاء تكريمي لرجال المهنة، بتاريخ: 3 مايو 2021م.

أيها الإعلاميون، نرحّب بكم في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية الذي فتح ويفتح لكم أبوابه في دورات تكوينية، وعمل على تقديم المدونات ذات العلاقة بحسن الأداء، ويسعى دائماً بمشاريعه إلى الرقي بلغة الإعلامي لما للغتك من تأثير وأثر. وإنا نبارك لكم هذا اليوم العالمي الذي نطمح أن يكون مُحفّزاً لتقديم الأفضل، وفي ذات الوقت هو استلهامٌ لروح التحدي في السعي لرفع المضايقات، وتحديّ الوباء، بالجمع بين مُعطيات الراهن، وما يجب أن يكون عليه الحال. تلکم هي قصّة التحديّ الإعلامي الذي يُعطي ويُعطي ولا يزال يُقدّم المزيد من أجل تبليغ رسالته كاملة فأنعم بما تقومون به يا رجال المتاعب! ومن خلال هذا اللقاء نروم تقديم بعض الأفكار ذات العلاقة بموضوعنا في هذا اليوم، وأوزع كلمتي في النقاط التالية:

1- **قراءة في شعار اليوم العالمي لحرية الصحافة:** للوصول إلى أفضل النتائج لا بدّ من البحث عن الطريقة السهلة المثلى للوصول إلى مصدر الخبر، وهذا شعار اليوم العالمي لحرية الصحافة لسنة 2021م الذي يروم تحقيق مبدأ حرية الصحفي في الوصول إلى المعلومة لتكون صادقة. ولا بدّ من تحقيق روح المادة التاسعة عشرة (19) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وتصبّ في حرية الإعلام في الوصول إلى المعلومات، وفي ذات الوقت تمكين الناس الوصول إلى معلومات دقيقة ونزيهة وحيادية، ممثلة في تعدّد الآراء، والوسيلة للتواصل تواصلًا نشطًا عموديا وأفقيا، وبالتالي المشاركة في الحياة النشطة للمجتمع. ولهذا علينا العمل وفق تراتبية:

- لا بدّ من توافر بيئة تنظيمية وقانونية تسمح بظهور قطاع إعلامي متعدّد الآراء ومنفتح؛

- ولا بدّ كذلك من توافر الإرادة السياسيّة لدعم ذلك القطاع وتوافر سيادة القانون لحمايته؛
 - لا بدّ من وجود قانون لضمان الحصول على المعلومات وبخاصّة المعلومات في المجال العامّ؛
 - لا بدّ من توافر المهارات التعليميّة اللازمة لدى متابعي الأخبار ليتمكّنوا من تحليل المعلومات تحليلاً نقدياً، وتجميع ما يصلهم منها لاستخدامها في حياتهم اليوميّة، ووضع وسائط الإعلام موضع المساءلة في ما يتّصل بأعمالها.
- وكما نلاحظ بأنّ العمليّة متداخلة؛ حيث تستدعي التزام الإعلاميين بأعلى المعايير الأخلاقيّة والمهنيّة التي وضعها الممارسون هيكلاً أساسياً لحرية التعبير التي يجب أن تسود. وبناءً على هذا الأساس، تخدم سائط الإعلام كهيآت مُنتجة للأفكار، وينخرط المجتمع المدني مع السّلطات وصنّاع القرار ويتدفّق سيل المعلومات في المجتمعات بين بعضها البعض. ويمكن تفسير الحقّ في الحصول على المعلومات ضمن الأطر القانونيّة التي تُدعّم حرية المعلومات، كما تنطبق على المعلومات التي تحتفظ بها الهيآت العامّة، أو بمعنى أوسع لتشمل الوصول إلى المعلومات التي تحتفظ بها الجهات الفاعلة الأخرى وتعميمها؛ حيث تصبح مرتبطة ارتباطاً جوهرياً بحرية التعبير.

2- **الالتزام في حرية الصحافة:** سيحلّو الكلام إذا بدأنا تحليل هذه النقطة بعدم الوقوف عند النّصائح لكثرتها، بقدر ما نريد استهداف الالتزام الصحفي الذي يجمع بين حسن الأداء والعمل ثمّ المطالبة بالحقوق، بين

الممارسة وحسن الممارسة، ونعرف أنّ واجبات الصحفيين ثقيلة وما أكثرها. ونشير إلى بعضها تذكيراً: توصيل أفكار الأمة لتعلم حقائق الأحوال + نشر كلّ ما يرقى أفكار الأمة والوطن + مهمّة الصحفي الإصلاح والتّهذيب + الصحفي يرتقي فوق كلّ تدجيل وخرافة وتدليس + الالتزام بأخلاق المجتمع + السّعي الصّريح تجاه التّكامل الوطني... ولا شكّ أنّ العمل الصحفي يتمتّع بأهميّة لا تقلّ عن أهميّة أسمى الأعمال الإنسانيّة، ولهذا تتمتّعون بالسلطة الرّابعة نظراً لأهميّة دوركم في تعميم المعرفة والتّنوير، وهذه حرّيّة ضمنيّة في الحقيقة. ومع ذلك فإنّ حرّيّة الصحفي في واقعنا الحالي تكون في خلق قاعدة متينة للتّهوض بصحافة نزيهة، وهذا يحتاج إلى التوعيّة بمعايير العمل الصحفي. ويكون البدء من مفهومي: الموضوعيّة والحياد؛ وهما ضروريان ووضعهما في ميزان زيادة قوى البلد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى من الضروري تحقيق أخلاقيات العمل الصحفي بما يعزّز دوره في المجتمع على أنّه يُسهم في عمليّة البناء. وهذه معادلة لا تكون إلّا بجرية الرّأي والتّعبير والحقّ في الكلام، والحقّ في حماية الحريات العلميّة والتّعليميّة والفنيّة والأدبيّة والحقّ في إنشاء المحطّات التّلفازيّة، وإصدار الصّحف اليوميّة، وتعدّدية الصّحافة ووسائل الإعلام، وتجاوب الحكومة والسلطات السياسيّة مع الصّحافة الحرّة، وهذا متوفّر في بلادنا بقوة عندما ننظر في الضّخ الإعلامي الفضائي أو المكتوب، وننظر الباب الأوّل من الدّستور في المبادئ العامّة التي تحكم المجتمع الجزائري، وبخاصّة المواد 48 و50 و51 نجد الضّمان التّام لحرّيّة الصّحافة، وكلّ هذا ميزة نسجلّها لمكتسبات الصّحافة، بله الحديث عن الصّحافة الإلكترونيّة التي لها امتدادات شبكيّة لا تُحصى، في مجال هوامش

الحرية، فأنعم بها من حرية! ومع كل ما ذكرناه، فإنه يجب أن تكون هناك ممارسة إعلامية مُحترفة مهنية مُضيفة عن طريق مُدونات أخلاقية بعيدة عن الابتزاز والتشهير، وكل ما يدخل في الخصوصيات، وهذه كذلك حرية تدخل في منظومة احترام الأخلاقيات، وضرورة التفاعل الإيجابي مع الأمن الوطني في هذا المسار الذي نشهد تحولات عميقة في جزائر التغيير، جزائر حرية التعبير من خلال المساءلة الإعلامية وما يتبعها من مجالس مُنتخبة.

وهكذا أقول، لا بدّ من نسج معادلة بين أخلاقيات المهنة وسرعة الانتشار والتفاعل في ظلّ المستجدات الحديثة ليكون الخبر الصحفي راقياً عبر قيم الجودة والسرعة والتفعية وعبر التقاطعات التي يبنها الصحفي بين المواد الإعلامية، وبين ما يطرح من إشكاليات معيار الأمانة الصحفية وأخلاقيات العمل الصحفي ومصادقته. وعبر الحرية التي لها أطرها النظامية التي لا تصل إلى انتهاك أخلاقيات الممارسة المهنية. ويبدو لي بأنّ التلازم بين الحرية والمهنية والعمل الصحفي يفضي إلى صحة المعلومة، وصدقيتها وإلى درجة الوثوق بها؛ لأنها في الأخير تعني الحياد والموضوعية. وبخاصة في ظلّ انتشار عديد المحامل الاتصالية المنافسة ووسائل التواصل الاجتماعي، وتقديم السبق الصحفي على معايير الموضوعية، والدقة والمصادقية في العمل الصحفي.

3- الحرية في الالتزام: يبدو لي بأنّ الحرية هنا تعني ميثاق الشرف في الإعلام بتقديم الحلول لبناء مجتمع أكثر استنارة واندماجاً، بعد أن أصبحت قاعات التحرير تعاني الصعاب للحفاظ على قاعدتها الأخلاقية، في ظلّ تضخم المضايقات في العمل الصحفي، ولكن الحرية هنا تكمن في الالتزام بمعايير الأخلاق المقررة في المواثيق والإعلانات والمعاهدات العالمية كالدقة

والمصداقية في المعلومة، والموضوعية والتزاهة والتزام استقلالية التغطية الإعلامية، واحترام الحقيقة، وحرية التعبير، ومراعاة التوازن والإنصاف والتعددية، وإعطاء مكونات المجتمع فرصة التعبير في الوسيلة الناشرة بالرد والتصويب، وعدم إطلاق الأحكام المسبقة، وتوخي الدقة والوضوح في المصطلحات، ومراعاة التعابير المستخدمة في التغطية الصحفية، وعدم استغلال الوضع الاجتماعي والإنساني والاقتصادي في مناطق التغطية وذكر المصادر وتحديد بدقة، والإشارة إلى أسباب التحفظ على ذكرها عند الحاجة إلى إخفائها، وحماية المصادر والشهود وعدم الإفصاح عن شخصياتهم باستثناء الضرورات القانونية، والامتناع عن نشر الصور ومقاطع الفيديو التي تُسيء إلى حرمة وكرامة الضحايا واحترام حقوق الطبع والنشر والتأليف، والإشارة إلى المصادر عند الاقتباس، والتمييز بين مواد الإعلان والدعاية والرعاية وبين المواد الصحفية، والامتناع عن الترويج لمنتج أو سياسة أو تنظيم عبر تقديمها على أنها مادة صحفية أو إخبارية، وتجنب التحقير والقبح والذم بالأفراد أو الجماعات أو المؤسسات والهيئات.

4- **الصحافة والمهنية:** تُعتبر مهنة الصحافة من أهم وسائل نشر الأخبار والأحداث العاجلة وتطورات الأحداث الجارية، وبخاصة الأحداث التي تشغل معظم الناس، والصحافة من أهم وسائل الأخبار والإعلان، وقد عرفت هذه المهنة منذ فترة طويلة جدا قبل اكتشاف الأجهزة التلفازية والوسائل الإخبارية الحديثة. والصحافة لها دور مهم في نقل الأحداث إلى الناس في جميع مناطق العالم، حتى يكونوا على دراية بما يحدث حولهم. وهذه كلها تدخل في المهنة التي يلتزم بها رجل مهنة المتاعب. بالفعل أنتم رجال

المتاعب، ولكم وسام السلطة الرابعة، وأضيفت لكم السلطة الخامسة، وهل أضيفت لكم مجانا؟ أضيفت لكم لأثركم وتأثيركم وفِعْلُكم التَّيْل، فأنتم لها بما تشير لكم منظّمة (مراسلون بلا حدود) لأنّكم في الواجهة، ومع ذلك فأنتم واقفون رغم التّشهير أحياناً، والتّقود في أحيان أخرى، مع ما يعرفه وضع العمل من إشكاليات، وبخاصّة في سياق الأزمة الصحيّة التي أثّرت إلى حدّ ما في مهنة السّبق، ولكنّ استمرّت الحياة.

إخواني رجال الإعلام، لا نقف في بعض المقاييس على غرار: إيديلمان+ شبكة مراسلون بلا حدود+ ضد قانون الأمن القومي... والتي تضع الدّول في الخانات الخضراء والحمراء والسّوداء، أو في تلك المقاييس المغرضة التي ترفع البطاقات الصّفراء ضد دول، أو تلك الإنذارات التي تقدّمها بعض المنظّمات، بما تضعه من تصنيفات حسب المناطق، بقدر ما نريد التّذكير بالمهنيّة التي تتطلّب مواجهة المعلومات المضلّلة أو المدلّسة، والسّعي لتطوير المهنة بموضوعيّة وسقف مستقبلي بّناء.

5- **صفات الصحفي الناجح:** لا نقول يجب الذي يجب، بقدر ما نوصي بضرورة الالتزام بالقواعد المهمّة مثل: إتقان اللغة العربيّة بطريقة ممتازة+ المصداقيّة في الكتابة ونقل الخبر+ التّأكّد من مصادر الأخبار+ الموضوعيّة في كتابة العمل الصحفي+ الثّقة في النّفس+ الفصل بين الحقيقة والرّأي+ الدّقة العلميّة التي لا تُحيل إلى اللبس+ الحياد+ الابتعاد عن الحشو. ومن وراء هذا دعوني أقول: من المُمكن للصّحافي أن يبتعد عن الإسْهال الفكري، وعن إثارة الرّماد الذي لا فائدة منه، ويمكنه ألاّ يلقي بمسامير في رأس المفجوع، ولا يزكّي الأخطاء الشّائعة، ويبعد عن الرّكاكة، وعن استعمال العاميّة والألفاظ

الدّخيلة، من الممكن للصّحافي أن يغرس ذائقة صحافيّة تُلامس إحساس القارئ أو المستمع بتجديد أسلوبه؛ لأنّ اللغة تموت بترديد ذات الأنماط التي عفا عليها الماضي، من الممكن أن يكون رجل الإعلام وسيط تعاشي، ويفتح باب الحوار للعيش معاً بسلام، من الممكن أن يكون أنموذجاً في رفع التحدي في التّوازن، من الممكن ولا يوجد المستحيل إذا كانت التّيّات صادقة للتّحسين والتّفعيل والتّأثير تحت سلطة لها التّأثير، وبخاصّة وهو يستعمل لغة لها من المرونة ما لها، ولها الجمال وحسن المرافعة التي تقع على الأسماع كوقع رأب الصدع وجبر الخواطر. ولهذا ندعو رجال الإعلام كل في موقعه إلى ضخّ دماء جديدة في العربيّة بما تبدعونه في نشاطاتكم؛ تستفيد من مستواكم اللغويّ شبكات التّواصل الاجتماعي التي تبحث دوماً عن الجديد وتعتبر خبر الأمس قديماً، فالصحافة يجب أن تكون مدرسة متغيّرة على الدّوام.

إخواني، إنّ التّطوير والحداثة يجعلان السّلطة الرّابعة سلطة متجدّدة والصّحافي البارِع يستخدم من الكلمات ما يكفي لنقل المعلومة، ويطبق القاعدة الدّهبيّة "لا تقل في كلمتين ما تستطيع أن تقوله في كلمة". وما أحرص عليه في هذه المناسبة أنّ رهان تحديّ حسن استعمال العربيّة يقع عليكم بعد المدرسة، والحرص على الفصحى والفصحى ثمّ الفصحى وبفضل الإعلاميين أمثالكم والغيورين على السّلامة اللغويّة تنتصر الفصحى ورجائي ألاّ نقدّم السّبق الصّحافي على حساب سلامة الفصحى. ولا بدّ أن نبحت عن أسرارها وعن جمالها وحسن تقديمها واحترام أجروميتها، وما له علاقة بالسّرد والتّداوليّة البسيطة، والبحث عن الإمتاع والفكر التقدي

المضيف. ونرجو من خلال هذا المقام والحدث العالميّ بامتلاك ناصية اللغة التي تجمع المهارات الأربع: السّماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة.

- **الخاتمة:** لا أريد الإسهاب في هذا الموضوع الشّائق، بقدر ما أشير إلى التّحوّلات الكبرى في ميدان الإعلام وهو مؤسسة كبرى تدير حيث تريد أن تدير، ونرى تحوّل الجمهور إلى منتج عبر صحافة المواطن، وقد مكّنت الإنسان من تمثيل نفسه بنفسه والتّعبير عن رأيه عبر مواقع التّواصل الاجتماعيّ والمنتديات، ويصنع الأحداث عبر: التّوترة والفسبكة والإنستغرام والسّناپ شات والماي سبيس وغيرها من الحامل التي يستغلها الناشطون في نشر الأخبار العاجلة بصورة مستمرة، قد زادت من دور الشّابكة في التّرويج لسياسة التّعبير أكثر من أيّ وقت مضى. فما موقع الإعلام في هذا الزّخم التّنافسيّ؟ وماذا يقدّم ليكون من المتنافسين؟ وكيف تكون المحافظة على اللغة العربيّة في ظلّ ما تضخّه من هُجّة لغويّة؟ أسئلة مُقلقة وبخاصّة أنّ مُعظمها تصدر من مُدوّنين شباب يحتاجون إلى مُرافقة من قبلكم؛ ليحصل التّكامل الإعلامي على نطاق جيّد يخدم البلاد والعباد. تلکم إخواني رجال الإعلام هي أسئلة الحاضر الإعلامي الذي نروم أن تسهموا فيه، وأنتم تعيشون حدث هذا اليوم، ألا ترون أنّ بعض الحريات لم ترافقها المسؤوليات، كما غابت عنها الممارسة المهنيّة. تلکم مضايقة معاصرة أقرب إلى إعلام هجين لا يقبل القيود العلميّة ليس إلّا.

إخواني السّلطة الرّابعة والخامسة، بكم نتألّق ونرتقي، ولا أقول أنقذوا العربيّة من رجال الإعلام، بل أقول: ألقوا بالعربيّة لرجال الإعلام يطوّروها ويعملون على نشرها ورِفدها، ولا نقول (قل ولا تقل) بل نقول (قلّ ولا

حرج) لأننا ندرك قيمة كلمة الصحافي وما لها من بصمة في الاستعمال. وكلمتي هذه رؤية جديدة تشمل كل الوسائط الإعلامية بالدعوة إلى إقرار مدونات سلوك تشمل كل الأطراف المشاركين في إنتاج مضامينها، وهذا ما استخلصناه من رصد علمي تم عن طريق الاستبانة التي وزعت على فرق التكوين التي أنجزها المجلس الأعلى للغة العربية من الإعلاميين من سنة 2018م إلى الآن. كما خلصنا إلى أن العربية بخير؛ لأن الإعلاميين شهد نقلة في تطوير لغته، رغم بعض الأحداث اللسانية التي يُرأب صدغها بسهولة وأنّ انفتاحاً إعلامياً ظاهراً في ظلّ الجزائر الجديدة، وهذا ما أقرت به الاستبانة ومجلس الصحفيين الجزائريين المنظمة المهنية التي وصفت الوضع بالجيّد.

أيّها الصحفيون، إنكم اليوم في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية نبارك يومكم العالمي وهو يومنا بما سوف يقدم لكم من محاضرات، وما نقدّمه من تكريم رمزيّ لبعضكم في المرحلة الأولى، وهو تكريم يمسّ كافة إعلاميينا، ونجزل لكم كلّ الشكر على الخدمات التي تقدّمونها للوطن وما تقدّمون للعربية عبر المجلس الذي يناديكم لتعضدوه في مشاريعه الكبرى ومن خلال فعالياته وأيامه العالمية، وهذا من أجل المواطنة اللغوية. فسلام عليكم أيّها الصحفيات، وسلام عليكم أيّها الصحفيون دام عيدكم ويومكم وتألقكم ونحيي الصحفيين الذين فقدوا أرواحهم في أداء واجباتهم، ونحيي كلّ الصحفيين الباحثين عن المعلومة كمنفعة عامّة. كما نجزل الشكر للأساتيد الذين يتواصلون معنا عبر هذا اليوم الخالد وبوركّت خطوات العاملين من أجل البحث عن المعلومة العاملة على المنفعة العامّة.

ولكم وافر الاحترام، ورمضان كريم.

نريده إعلاماً خارقاً لا مُخترقاً[♥]

- **الديباجة:** في هذا اليوم التاريخي، يوم الذّاكرة الوطنيّة الذي يعود بنا إلى استلهم العبر من تلك القوافل الوطنيّة من رجال الحركات الوطنيّة إلى حرب التّحرير العظيمة، والتي سالت دماؤها من أجل هذا الوطن المصدّي، وكان هذا اليوم تذكيراً بتلك المواجهات الروحيّة التي ألهبت الحماس من أجل أن يكون للجزائر التاريخيّة موقعٌ بين الشّعوب، كأمةٍ وحضارةٍ ومساحةٍ. وهذا التاريخ الذي تجسّد فعلاً من قبل السيّد رئيس الجمهورية (عبد المجيد تبون) الذي أعطى للمواطنة مقامها التّليد من أجل تعظيم فعل السّلف، ولولا هم ما كنّا، فأين موقعنا من خلال منظومتنا الفكرية (كونوا خير خلف لخير سلف) وسيعود الشّهداء، ويسألوننا هل حافظنا على الأمانة التي تركوها في أيدينا، تلکم إخواني عظمة حماية الأوطان بكلّ غالٍ ونفيس.

أيّها الحضور، لقد وسمتُ كلمتي (نريده إعلاماً خارقاً لا مُخترقاً) وأعني بالمصطلحين: الخارق فاعل في النّفاذ والتّأثير في الغير، ويكون عن طريق الموضوعيّة والحياد والاحترافيّة ومنظومة احترام الآخر في حدود أخلاقيات المهنة. والمخترق؛ لا يعني أن يكون صورة للآخر، أو يركع أمام النّد، أو يقبل بالإملاء، أو يكون من التّبّع، وهذا ما نسمعه من حرب مكتملة الأركان وهي تُشنّ علينا بإشاعات لا مقام لها، وكلّ ما في الأمر لا بدّ من فرملة

♥ — الكلمة التي ألقيت بتاريخ 8 مايو 2021، من تنظيم الاتحاد الوطني للصحفيين والإعلاميين الجزائريين. المكتب الوطني، قاعة المحاضرات نيلسون مانديلا. كلية علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر 3.

التنمية المجتمعية في الجزائر، وتعطيل حركة الوطن. ولهذا أيها الجمهور التخبوي من الإطارات، وأصحاب الشأن العام، ورجال مهنة المتاعب والسلطة الرابعة والخامسة، أجدني أمامكم فقيراً في تقديم أفكار بخصوص سلاح الكلمة النافذة، وأنتم أهلها، وتكون أسلحة الرد على ما يواجهنا من الدعايات المغرضة التي تستهدف أمننا واستقرارنا، من الحرب الإعلامية عامة، وبالخصوص الحرب الإلكترونية، التي تعتمد على توظيف التكنولوجيا الحديثة عبر المنصات الإعلامية التقليدية أو عبر أدوات الإعلام الاجتماعي الذي أتاح الحديث للجميع.

1- كلمات في عنوان هذا اللقاء: أجزل الشكر للمنظمين الذين اختاروا هذا العنوان (دور الإعلام الوطني في التصدي للحرب الإعلامية على الجزائر) وهي مناسبة لأقول، لا بدّ من إعداد العدة التي تفوق القوة، بقدر ما يعني إيجاد سبل كفيلة للتعامل مع مصطلح (الذات الممتدة) وتعني الهوية التي نخلقها نحن في كلّ من الهواتف الذكية ووسائل الشبابة من: فسيكة وانستغرام وتوترة وتيليغرام وماي سبينس... فهل لدينا مواقع مؤثرة لها جمهور كبير على غرار بعض البرامج والمتديات التي يتابعها الملايين، وهل للمشاركين الذين يزداد عددهم في هذه الوسائل أثر وخطط في التوجيه، أم عبارة عن دردشات قضاء الوقت، فإذا عرفنا السبب بطل العجب، ومن هنا علينا أن نعيّ حجم المتابعين، ولا يخيفنا العدد إذا كان دون هدف. ومع ذلك هناك علامات لبعض المدونين الذين ينشرون خطب التقسيم والكراهية والتحريض على العنف، وعلى العصيان المدني، وهناك من يريد تهيج الشوارع، وتلهيج المحيط العام، وهذه الوسائل الجيئة تحمل رسائل عديدة

رقميّة تذهب في بعض الأحيان إلى ردّ فعل عنيف ونروم أن تكون بخطاب توجيهيّ في المقام الأوّل تحت وطأة الترشيد والمرافقة، والدال على الخير كفاعله. وهنا يمكن لرجال الإعلام الإسهام في تأسيس فيديوهات توجيهيّة أو قنوات وطنيّة تبثّ الوعي الجمعي المغذي لخطاب التآلف؛ المفنّد لآليات خطاب التحيّزات الإيديولوجيّة، ويكون بخطاب بديل عن طريق حقائق ودراسات وخطباء وأئمة وإعلاميين لهم وزنهم الوطني في التّكامل والبناء. ومن شأن كلّ هذا الاستفادة من هذه الوسائل لبناء السّلام عن طريق بثّ رسائل من شأنها التّأثير الإيجابي في سلوكيات مستخدميها، من خلال مبادرات تعزيز التّسامح والتّرويج للخطاب المضاد للكراهيّة. وهذا هو المأمول من المبادرات التي تؤدّي إلى نتائج ملموسة في التّربيّة والتّوعية عن طريق التّرشيد والتّدبير ليس إلّا. وكان من المفترض أن تكون "حرب الكلمات" من حوافز الخطاب البلاغي الذي يقوم على إخماد قرع طبول الخطب البلاغيّة الرّنانة المعارضة والموجّهة. وهذه المسألة مشتركة بين التّخبة ورجال الإعلام، ولكن محتوى التّغطيّة الإعلاميّة هو العنصر الأكثر إقناعاً في العملية. وهنا تكون صيغة الحجّة أو الجدال هي العنصر الأكثر إقناعاً وبخاصّة عندما تأتي بأدوات الخطاب البلاغي الرّنان. وتلاحظون استبصار أدوات حمل السّلاح الإعلاميّ كلامياً، وكيف ننجو من الحرب الكلاميّة، لا بدّ من الكلام ببراعة، وعدم الإذعان للعدوانيّة الكلاميّة، وهذا لا يتطلّب إلّا الوعي اللغويّ لمصطلحات الكلمات الموظّفة في التّشر أو في الرّد.

2- **كلمة موجّهة للإعلاميين:** إخواني الإعلاميون، تتأكّد لديّ معلومات كثيرة أنّ إعلامنا له من الطّاقات العاليّة في مواجهة التّحدّي، بل

استثمار هذه الفرصة الشبكية لخدمة الأهداف الوطنية، إذ يعدّ إعلامنا من عناصر حماية الوطن، ودعم قضاياه، والمحافظة على المكتسبات. وها هو دوركم للردّ على تلك القروع المضلّلات، بما لديكم من رجال رشيدين، وما تملكون من غرس التوعية الإعلامية، وتوجيه مجتمع رقمي نحو الترصيص والترسيس اللذين يتحليان بأسس وطنية واعية، ويعملان على تعزيز المواطنة الرقمية التي تهدف إلى رفد المستهدفين بقواعد الأخلاق والسلوك والأمان وإلى التثقيف القانوني، وممارسة الحرية تحت إمرة القانون والقيم الوطنية والاستخدام المناسب للشابكة، والتحذير من أخطارها، وبخاصة منصّات التواصل الاجتماعي، التي أصبحت سلاحاً ذا حدين، في ظلّ الاستقطابات المتعدّدة التي تهدف لإحداث ثورات ناعمة في المجتمعات؛ بالتأثير على الشباب، بأفكار وسلوكات لا محلّ لها في بناء الأوطان، وباسم الحريات والايديولوجيات التي تُسوِّغ التدمير، وأنا وبعدي الطوفان. أليس فيكم من يقوم على دفع الشباب للولاء للوطن؟ أليس من مهام الإعلاميّ أن يكون كاشفاً للمزايدات ونشر الدعايات؟ أليس من اهتماماتكم المرافقة الثقافية لحماية جيوش من مستخدمي الفسبكة من المعلومات المغلوطة، ومحاربة تكريس الإحباط واليأس والاحتقان وتشويه المنجزات؟... بلى يمكن للإعلاميّ أن يكون على مستوى الحدث بتخطيط استراتيجية ذاتية تهدف للارتقاء بالإعلام الوطني ليكون في المستوى المشهود لحماية الوطن، وتحويل التحدّيات إلى فرص، وعدم الاكتفاء فقط بواجب الدّفاع والوقاية، بل أحياناً يكون الهجوم خير وسيلة للدّفاع، وذلك من خلال استثمار وسائل الإعلام المتنوّعة؛ لتكون أدوات تأثير فاعلة، سواء عبر إبراز الإنجازات الوطنية، أو

إبراز الثقافة المحليّة الرّاقية؛ ثقافة الوسطيّة والاعتدال والتّدين الرّشيد والقيم الأخلاقيّة والتّسامح وقبول الآخر والسّلام والعمل الإنسانيّ ودعم قضايا الوطن في سياساتها الدّاخليّة والخارجيّة وتعزيز سمعة الدّولة الجزائريّة والمحافظة عليها، وإيجاد منصّات إعلاميّة متنوّعة داخلياً وخارجياً تخدم هذه الأغراض بما يُكافئ حجم التّحدّيات والتّطلّعات الوطنيّة أو الخارجيّة، أو عبر التّصدّي للجهات المعادية؛ بإعداد البرامج والمقالات والدراسات وغيرها والتي تكشف زيف دعاويها، ومن الضّروري توجيه هذه المسائل بلغات الآخرين غير النّاطقة بالعربيّة للتأثير الإيجابيّ في الرّأي الخارجيّ بما يخدم القضايا الوطنيّة.

أيّها الجمع الكريم، يقع على عاتقكم، وعلى مسؤوليّة النّخبة الوطنيّة توجيه الخطاب الإعلاميّ المناسب؛ بلغة الحُجج والبراهين والأدلّة والوثائق أمام الرّأي الوطنيّ والعالميّ؛ لرفع اللبس عن كلّ المضايقات، والتّصدّي لتلك الكلمات الرّنانة التي تعمل على التأثير السّلبيّ، وقد حان قطافها بدحر سُمّها، ولتتعاضد جهودنا في أمن الجزائر وهو خطّ أحمر على قول المسؤولين السّياسيين. ولهذا، لا بدّ من تطوير استراتيجيتنا، وتجنيد جديد في ظلّ التّطور التّكنولوجيّ المتسارع. والجزائر دولة الكفاءات والمواهب الزّاهرة التي تسعى باستمرار للارتقاء في مختلف المجالات وتبوؤ الصّدارة، وبخاصّة في مجال الإعلام بتلك الأرمادة العامّة والخاصّة، وهذا يقودني إلى تأكيد أهمية الإعلام الوطنيّ الذي ينطلق من شعوره الوطنيّ نحو خلق فضاء إعلاميّ وطنيّ قادر على أداء مهمّته الإعلاميّة بكلّ اقتدار ومجرّفة ومهنيّة، فأنعم به من إعلام! فحان الأوان لتمايز أفضل في وسائل إعلامنا للانتقال من درجة

وطنية الإعلام إلى الإعلام الوطني، وأقصد بالإعلام الوطني ذلك الإعلام الموجه نحو تقديم الصورة الحقيقية للوطن، ورموزه، وسياسته، وإنجازاته.

3- **دور الإعلام في البناء الوطني:** للإعلام دور كبير في بناء الدولة والمجتمع، وفي التغيير نحو الأفضل، وفي تسيير التّمط والتأثير والتأثر، لما يقدمه من فواعل اجتماعية في أبواب متفرقة من خلال إعداد البرامج التي تعمل على صدّ الاختراق، وبرامج تقوم على الإضافة والتّميّز، وله أثره في الارتقاء بالمجتمع، بمراعاة مستويات تدفق المعلومات، وإعداد البرامج الضامنة لتعزيز الانتماء الوطنيّ+ معاضدة بناء الدولة+ تعزيز الوحدة الوطنية+ المحافظة على المكتسبات+ الحفاظ على الاستمرارية المتجددة+ بناء الوعي السياسيّ+ تحقيق الأمن الوطنيّ+ الإسهام في تحصين الوطن من الغزو الإعلاميّ الفكريّ المعاديّ+ تهيئة الأجواء لحركة التّنمية الشّاملة... ولهذا نرجو التّباري في وقتنا الحاضر على من يحسن استعمال هذا السّلاح لدوره في التّنشئة الاجتماعيّة، على غرار منظومة المدرسة، وهو أسّ التّوجيه المؤسّساتي لعلاقته مع كلّ أطياف المجتمع: قيم/ سلوك/ عادات/ لدحض الشّائعات/ بناء الثّقة/ تحديد مفاهيم... والكلام يتمدّد في هذا المجال في حدود أثر وسائل الإعلام على الدّول والمجتمعات، واختراق حواجز الزّمان والمكان. فالإعلام اليوم وبخاصّة في ضوء التّقنيات الحديثة أصبح أحد أعتى الأسلحة التي تستخدمها الدّول والجهات المعادية للتّأثير على الدّول الأخرى، فهو سلاح لا يقلّ خطورة عن أيّ سلاح آخر، ما يحتمّ على كلّ مجتمع التحلّي بدرجة عالية من الوعي؛ لتحصين نفسه من هذه الوسائل الموجهة، والتّصدي لها بوعي وحكمة.

4- اقتراح فعالية جديدة لدور الإعلام الجزائري في هذا المخاض: لا

أعطي وصفة جاهزة للتصديّ أو للتحدّي؛ بقدر ما بصُرت ببعض الأفكار التي أقدمها من خلال هذا اللقاء الوطني الذي نأمل أن يكون تنبيهاً للمواجهة العلمية الهادفة إلى حماية وطننا، وتخطيط سياسة إعلامية متجددة حسب فقه المصالح والتوازن، وتكون مبنية على الآتي:

أولاً: ما هو من عموم العالم؛ بحيث أصدرت اليونسكو دليلاً بإدراك المعلومات المضلّة، والتصدي لها في إطار التعليم والتدريب الصحفي ويشمل سلسلة من الأدوات والتمارين الكفيلة بالتوعية بشأن المعلومات المضلّة واتخاذ التدابير المضادة في ما يتعلّق بانتشار المعلومات، وتشجّع اليونسكو الدّراية الإعلامية والمعلوماتية من أجل التصديّ للمعلومات المضلّة، بما في ذلك مبادرة "فكر ثم شارك".

ثانياً: على صعيد التّخبة الوطنيّة فلها واجبات يمكن استعراض بعضها في ما يلي:

1/4- الاستعانة بفنيين متخصصين في مخاطبة العامة والخاصّة.

2/4- ترسيخ ثقافة المواطنة وحبّ الوطن.

3/4- كلّ جزائري جنديّ عمّا يكتب في هذه الوسائل، وعليه مسؤوليات خدمة الوطن.

4/4- التّاس شركاء في تنفيذ الإشاعات والأكاذيب، والدّفع بقبليّة التصديق إلى التّحقيق.

ثالثاً: ما هو من الإعلام، رأينا اقتراح ما يلي: إنَّ حرب الجيل الرَّابع يقوم على استخدام القدرات العقلية، أو ما يُعرف بالقوَّة الذَّكية (حرب الإعلام والإشاعات) لاختراق المجتمعات وإحداث البلبلة فيها، فما موقف إعلامنا من هذا؟ ورأينا في البداية الإشارة إلى أهميَّة العمل على تعزيز الثَّقة في وسائل الإعلام الوطنيَّة؛ بحيث تكون مصدرَ المعلومة الموثوقة لدى المواطنين إضافةً إلى:

4/1- تشكيل جبهة إعلاميَّة لوضع استراتيجيَّة واضحة لمواجهة الإعلام المعادي، وضرورة توفير المعلومات السَّريَّة والصَّحيحة للإعلام؛ حتى يكون قادراً على الرَّد على الإعلام المُضاد.

4/2- ضرورة تبادل الممارسات، وتحديد الأولويات، وتيسير الشِّراكات ونشر الممارسات الجيِّدة على نطاق واسع، وإسداء المشورة، وتقديم المساعدة التقنيَّة للحكومات والأطراف المعنيَّة على الصَّعيد الوطني، واحتضان التعاون بين كلِّ من البلاد التي تربطها العلاقات السِّياسيَّة، والخروج من التقليديَّة التي لا تؤكِّل الخبز، أو تلك الحركات البطيئة في الرَّد على الإعلام المُشوِّه ولا بدَّ من الرَّد السَّريع بأسلوب مُعاصر يتمشَّى من منهجه وكلامه أو يفوقه وبأدوات حديثة.

4/3- التصدِّي للمُضاد بالحِكمة والعقلانيَّة والانضباط، وعدم التعدي على سياسات الدَّولة الدَّاخلية أو الخارجيّة، مع القوَّة في الطَّرح، والتحليُّ بالحجَّة والإقناع، وكشف ما عند الإعلام الموجه من زيف وافتراء وتلفيق بأسلوب لا يخرج عن إطار الأخلاقيات العامَّة، وتعرية وسائل الإعلام

المُعادية المضادة على حقيقتها؛ بحيث يتمّ تجريدها من ادعاءاتها الكاذبة بالموضوعيّة والحياد.

4/4- الالتزام بالمعايير المهنية والضوابط الأخلاقية التي ترفع من ثقة الناس في وسائل إعلامه.

— **الخاتمة:** إنّ الإعلام الجزائريّ يمتلك العديد من الكفاءات فنيّاً وتحريرياً، ويمكنه أن يكون أكثرَ فاعليّةً وتأثيراً، إذا تمّ استغلال كلّ الإمكانيات المتاحة وأُحسنَت إدارته. ولو حدث ذلك، فلن نشكو يوماً من الإعلام المُعادي، لأنّه سوف يضمحل من تلقاء نفسه ويتلاشى، حينما تلتفّ غالبية الناس حول إعلامها الوطنيّ، الذي سيقدم إليها إعلاماً مُتنوّعاً وجذاباً وصادقاً ودقيقاً. وعليه ألا ينحو منحى تزييف الحقائق، أو الترويج للخرافات، أو تحويل الوعي النظريّ إلى وعي دعائيّ قائم على ما تُصوره وسائل الإعلام المُغرضة، أو اتباع عمليات التّسقيط الأخلاقي والاعتباري للشخصيات، وتلفيق التّهم دون الاستناد إلى أدلّة حقيقيّة. ومرةً أخرى أقول: إنّ للجزائر إعلاماً وطنياً مائزاً مُجرّداً من التّشهير للتّنفير أو دعوات التّلفيق للتّنميق، وهو إعلام معتدل، وهذه هي السّمة التي تجعلنا نستبشر خيراً بأنّ إعلامنا سيأخذ على عاتقه عمليّة سحب البساط من المهرولين والممولّين ودعاة الفتنة والمُروجين للدّعاية، فأنعم به من إعلامٍ وطنيّ مُحترف!

كلمة في اليوم الدراسي حول التصوّف^٥

الحمد لله على ما أعطيت، الحمد لله حتى ترضى، والحمد لله إذا رضيت اللهم إنيك عفو تحبّ العفو فاعفُ عنا، أيّها الجمع الكريم، السّلام عليكم في ختام هذا الشّهر الفضيل الذي نريد أن ننجز عملاً ذات العلاقة بقدسيّة الشّهر، ويكون في مستوى قيمة المجلسين: الإسلامي واللغة العربيّة. ووقع الاتفاق على موضوع عامّ الأدب الصّوفي، وتحتّه محاور رافدة تُعيدنا إلى مؤسّسي هذا النّوع من أدبنا التّليد، ونروم أن يلدّ لكم السّماعُ بما يأتينا من محاضرات في معارف المتصوّفة، وكونوا معنا.

شيخي المُبجّل، حفظكم الله وأدام عزّكم ونظرئكم الجديدة، ممثلة في الحراك العلميّ في هذا المجلس، العتيد، وهذا يعود إلى توجيهاتكم العالمة التي جعلته يعيش الرّاهن، وقد عرفته يسلك منهج العارفين في الصّوفيات ووجدته يصلح للغرس من جديد، في بيئة تحتاج إلى من يغرس من جديد وله نظرات تُعيد النّظر في النّذر، ولا تمجّد ما هو في الصّدْر، وأراه باحثاً عن الدّرر، فأنعم بفيلسوف الحضر. ونشهد لكم بما تعضدون مجلسنا في إطار التّكامل في مشاريع التّطوير. وإنّها شراكة قديمة متجدّدة؛ تأتي لخدمة المشترك الجمعيّ؛ فمن مشروع (معلمة المخطوطات الجزائريّة) إلى مشاريع مشتركة مع وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، ممثلة في الجامعات الوطنيّة، وإلى تلك الأيام الدّراسيّة المشتركة في بعض الولايات، ومع حاضنة (SATICOM) ممثلة

^٥ — كلمة رئيس المجلس الأعلى لّلغة العربيّة في اليوم الدراسي حول (التصوّف) لقاء مشترك بين المجلس الأعلى لّلغة العربيّة + المجلس الإسلامي الأعلى. في مقرّ المجلس الإسلامي بتاريخ 10 مايو 2021.

لوزارة البريد والمواصلات السلّكيّة واللاسلكيّة. والآمال مجسّدة بخطوات والآفاق واعدة بالخيرات. وهكذا تتعاضد أفكارُ المجلسين عبر هذه اللقاءات تجسّداً للمأثور الذهبي "تتعاضد متكامل من أجل أن نتعالّم" فألفُ شكر يا شيخنا الكبير بعلمكم وأخلاقكم وسموّ قامتكم، وحفظكم الله وأطال عمركم.

السّادة الحضور تحيتي لكم جميعاً بحفظ الأسماء والمناصب، ومرحباً بكم أصدقاء المجلسين، وليس لي من كلمة أقولها، بعد مقول الشيخ، وإنّما أرحّب بالمتابعين عبر شبكاتنا في المجلسين، وأجزل الشّكر للمحاضرين الذين أتونا وجاهة، والذين يُحاضرون افتراضاً. وأردت الحديث عنهم بما بصّرت به من قراءات في مدوّناتهم، وما وعيته ممّا كُتِبَ عنهم، وكان عليّ أن أقف وقفات سريعة، في شكل إبراقات، بالتركيز على محور اللقاء؛ وهو التّصوّف.

وأبدأ بأحمد الصّافي، وهو من أهل الصّوفي، وقد ضبطتُ كلماته من (في رحاب سورة) عقل جزائريّ مُهاجر، يحول في القرآن بالحجّة ويردّ على غير أتباعه بالحجّة، ولما اطّلتُ على سيرته العلميّة، خطرت ببالي المقامة العلميّة والتي يقول فيها صاحبها: "حدّثنا عيسى بن هشام قال: كنتُ في بعض مطارح الغربة مجتازاً، فإذا أنا برجلٍ يقول لآخر: بم أدركت العلم؟ وهو يجيبه قال: طلبته فوجدته بعيد المرام، لا يُصطاد بالسّهام، ولا يُقسّم بالأزلام، ولا يُرى في المنام، ولا يُضبط باللجام، ولا يُورث عن الأعمام، ولا يُستعار من الكرام، فتوسّلتُ إليه بافتراض المذر واستناد الحجر، وردّ الضّجر، وركوب الخطر، وإدمان السّهر واصطحاب السّفَر". فرأيتُ هذا الوصف - يا أمّحمد - يليق بكم، بما تجشّمتم من مضايقات طلب العلم في ماليزيا وفي أمريكا وفي

كثير من بلاد الغربة. وبعد خروجكم من وهران حصل لكم التألق بالأتعاب، ومسحتم الصّعاب وبذلك نلتم الإعجاب وإثرها كان لكم المقام وأنتم جديرون بكلّ المهام. وتحبّي الخاصّة لصاحبة العصمة (آمنة بلعلّى) النّاقدة المتألّقة التي لا تستريح إلّا بالتحقيق، المصاحب بالتعليق، وتنال دائماً التّوفيق. وعهدتها تسلك منهج العارفين، فتفرّشُ بسائطها، وتبسّط أنماطها وتُمدّد سِماطها. وإلى الأستاذ الشّاعر الصّوفي (عبد الله العشّي) (صاحب البوّح) وما تبعه من مدوّنة (يطوف بالأسماء) والذي رأيته يُطيل التّنظير ويُديم التّفكير وصولاً إلى حسن التدبير، ورأيت فيه صفات الصّوفيّ المتعبّد الذي لا يقع منه في القيام كبوّ، أو في الرّكوع هفوّ، أو في السّجود سهوّ، أو في القعود لغوّ. وتحبّي الصّادقة إلى الفضلى (شفيقة وعيل) صاحبة الأطروحة في التّصوّف، وهي التي عاشت تجارب المتصوّفة في سلوكها فتمثّلت تجارب حسية وباطنية في معاملاتها، وكانت أثراً في أخلاقها فأراها متأمّلة باحثة عن الأسرار، في وعاء شِعْرها الصّوفي المليء بالأفكار. وأما الدّكتورة رشا، فننعم الباحثة أنت! نراك في عملك الماتع تشيرين في دراسة موازنة بين الأمير عبد القادر وابن العربيّ وتستعرضين مَسير العارفين الباحثين عن إشكاليّة المصطلح الصّوفي أو العرفاني وتغوصين في ثغور الجهاز المفاهيمي، وتشيدن المتعيّن المحسوس من التّجربتين، وتستخرجين ما ترسّب من دلالات في الوعي الجمعيّ من العملين. وأرى منهجك جدير بأن يُتبع، وطريقتك سوف ترتفع. وأقول لمونسي الحبيب، أنت لها مجيب، فمن خطاب الجامعة، إلى خطاب الزّاوية وأراكم أعددتُم بعد المعاش معاداً، وقد جهّزتم له زاداً. وأنا أتابع ندواتكم في المنتديات، أسمع فيها الصّرخات، بلغة

تؤزني أزا وأسمع لها ركزاً، وتميدُ في مقام مدّاً، وفي مقام كأئها تحمل إداً
وهكذا تُواصل المسيرة، وكأئي بكم من أهل المحبرة إلى المقبرة. وأحيي أخي
المبروك يا زيد الخير الذي يُسقط التضاد اللغوي، ولا يُحيل إلى الترادف
المعنوي ويعطي للغة العربية منحةً الربانية ومداليلها النفسية، وتتمتع وأنت
تتابع حديث الأربعاء، بما يحاكيه من تلوين العلماء، ومن جلسات إمتاع
الفضلاء، ومجالس أهل الذكر الأصلاء، ولا أخفيكم أنني أتابع تلك
الطرائف، وأتقصي ما لها من زخارف. ولا بدّ من التنويه، بمقام صاحبنا
الإعلامي (بغداددي) الذي له صولات في الأعلام الديني، وسبق أن استمعتُ
إليه في المنتدى الثقافي الجزائري؛ وهو يشير إلى الشّحن الوجداني العاطفيّ
الذي يرتبط بالصوفي، وهو يُمعن في التّسامي وأراه ينافح بالعربية عن عريّة
المتصوفة، التي يراها تخرق التّمطية، فهو يلغي حاجز التّحو، للتعبير عن
مكنون الفحو. وأهدي لكم هذه الأبيات التي تخرق التّمطية اللغوية، قياساً
على قول السّلف "يجوز للشّاعر ما لا يجوز لغيره":

يَا حَبِّذَا أَنَا ضَيْفًا لَكُمْ وَأَنْتَ مُضَيِّفًا
رَضَيْتُ مِنْكَ بِهِذَا وَلَمْ أُرِدْ أَنْ أَحِيفَ

ولا بدّ من تقديم الشكر إلى سناء، مهندسة ما يُنقل عبر السّماء، من رؤية
ما في المنصّة، وما يتبعها من فسبكة وتوترة، وما يدعّمهما من مُستلزمات
الشّابكة.

وهكذا إخواني، لا يسمح المقام أن أطيل، وربما أسرفتُ في ما قيل، وقد
أخذتُ وقتي بين آسٍ مخضود، وودٍّ منضود، وودٍّ مقصود، وما قلتُ إلا ما

وعيتُ، وأزعم أنني قد أصبتُ. وأسكتُ عن الكلام المباح، وسيأتي الكلام الملاح، ممّن هنا أو هناك، ونحن اليوم في رحاب المجلس الإسلامي، وفي مقام اللغة العربيّة؛ لغة الوعاء الذي تتحرّك داخلها مُعانةُ التجارب الصّوفيّة، فهي تخضع بالضرورة للتأمّل والبحث عن الأسرار التي تختبئ وراء هذه الحروف المعجزة، ووراء لغة ذات قدرة تعبيرية فائقة. ونستذكر مقولة (أبو يعلى ابن الفراء) من كتابه (العدة في أصول الفقه) "ما لا يتم الواجب إلّا به؛ فهو من الواجب".

إخواني الكرام، سنسمع إلى ما يفتق السّمع، ويصل القلب، ويتغلغل الصّدر، ونستمع جميعاً بالأدب الصّوفي، بما يحمل من فيوضات الحلاج وربّانيات الأمير، ودروشات الرّومي، وخشوعات ابن العربي، وصمديات الثّفري، وروحانيات البسّطامي، وخوارق الغوثي، وحدائق الشّاغوري وكرامات الخلّوات، وشفاعات المعمرات، وتأليهات الحضرات: الله الله الله وعروقات صحرائنا: آمين آمين آمين، وتأويل المفسّرين، وتجويد الصّالحين وبلاغات المريدين. ونرى ونسمع العجب من خروقات المتصوّفة، بما لهم من طقوس ونصوص، ومن مزج بين فكر العرفان داخل القرآن، ومن تدبير العشق خارج منطق الرّوق، ومن لا يعشق ففاسد الدّوق، وأحدّهم يقول:

وعذلتُ أهلَ العشقِ حتى دُقْتُه فعجبتُ كيفَ يموتُ من لا يعشقُ

فاللهمّ نسألك أجرَ رمضان، واجعلنا من أهل الرّضوان، وعيدكم مبارك والسّلام على الجميع.

فلسطين ما ضاع حق وراءه طالب[♥]

أيها الجمع الكريم، قرأنا في ماثورنا القديم مقولة "ما ضاع حق وراءه طالب استناداً إلى قوله تعالى ﴿سَيُزَمُّ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ القمر 45.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾
الأنبياء 105. ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة 51.

﴿أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة 100.
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَيْثَرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة 64. وها نحن نعيش الحدث بكل تجلياته بأن صوت الحق لا يموت بحيشاته، ولا يُحجب عنه ضوء الشمس بشعاعه بوجود الفلسطينيين الذين يتنفسون المقاومة، بأنهم باقون وشرع الله باقٍ بالمكاتب. فلسطينيون أُمَاجِد يعشقون الموت بالمكافحة، ويقولون: خذوا المناصب والكراسي، بسْ تُرْكُونَا الْوَطْنَ.

فلسطين الجريحة منذ سبعين سنة؛ وهي تنزف، جروح لا تندمل نكبات وراء نكبات تعتمل، وأصبحنا في زمن تعددت فيه جراحات تُثَقِّت الحَجَر قبل كبد البشر، جراحات نازفات ولا يجد المؤمنُ بدءاً من معاضدتها وإلقاء

♥ — أُلقيت الكلمة في رحاب جريدة الحوار، بتاريخ 18 مايو 2021م.

السَّمع البصير لأحداثها؛ ولكن ليرجع البصر والفؤاد خاسئًا وهو حسير
وفي ذات النفس ألم كبير. تعددت المصائب بتعدد التواكب، ويطول الزمان
بالمصاعب، وتبقى فلسطينُ العروسُ قضيتنا، وفي أنفسنا بها قام إيماننا، ومن
أجلها سالت العيون، ورُخصت المنون، وما نزال نحن إلى خبز أمي، وقهوة
أمي، ونطمح أن نصلي في أولى القبلتين، وثالث المسجدين، ومسرى نبينا
الأمين. فلسطينُ الشَّهيدةُ أغنيك قصيدة شدَّ العزائم اشتدّي أزمة تنفرجي
بالغرائم، وأحيي فيك الحماسة والتضال ومن أجلك تهون المسترخصات
المنال. فلسطينُ لا أملك إلا الكلمات؛ فهي سلاح المقاومة للملايين من
المؤمنين، وللفلسطينيين الذين يعيشون التشريد والشتات، فلسطين كلها
خوف وتعذيب واعتقال، وتهديد وتهديم وتهويد وإغلاق، أه ثم آه يا صلاح
الدين، ألم تترك فينا الرجل الرّشيد؟ فلسطين لا تغرنك الخيانة والتطبيع
وسوف ينكشف المهرولون، ومن ينادون بحقوق الإنسان المفتون. من محتلّ
يلاحق من يشاء، ويقتل من يشاء، وينفي من يشاء، ثم يقول أنا مع السلام
وفي يديه السَّهام، والمطبَّعون يصفقون ويدفعون ويتنازلون. وهؤلاء ينطبق
عليهم قول الشَّاعر:

لا يُلام الدُّبُّ في عدوانه إن يكن الرّاعي عدو الغنم
فاحبس الشَّكوى فلولاك ما كان في الحكم عبد الدَّهرم
فلسطين أغنيك قصيدة لا تصالح، ولو منحوك الدَّهب، أترى حين أفقأ
عينيك، ثم أثبت جوهرتين مكانهما هل ترين؟ عيناك ثم عيناك لا تُشتريان
ولا تُستبدلان. فيا أيها المارون عبر الكلمات على قول درويش لنا في
أرضنا ما نعمل. ولنا الماضي هنا. ولنا صوت الحياة الأوّل. ولنا الحاضرُ

والمستقبل. ولنا الدّنيا هنا والآخرة. فاخرجوا من أرضنا. من برّنا. من
بحرنا. من قمحنا. من ملحنا. من جرحنا. من كلّ شيء فينا. واخرجوا من
ذكريات الذاكرة.

إخواني الحضور والمتابعون عبر الشّابكة، لا يخفى علينا ما تدبّره آلة
التّخريب والتّدمير، من ضرب الطّائرات، وأزيز المدافع والمجّنزرات وتدمير
عشرات العمارات، آلاف الأنفس تُزهق في كلّ المرّات. كم من امرأة أُيِّمت
وكم من طفل يُتّم، وكم من مقبرة جماعيّة أقيمت؟ القدس لنا والبيت لنا
والانتصار لنا، وما ضاع حقّ وراءه مقاومة. وأين رابطة الإيمان، إن لم يكن
أخاً في الدّين، فهو أخٌ في الإنسانيّة، فمن يتصرّف لهم ومن يُخفّف عنهم؟
القدس باب مدينتنا، فمن أيّ الأبواب ندخل يا فيروز؟

أيّها المرابطون في القدس وفي غزّة، في فلسطين الشّهادة والتّاريخ، في أرض
الشّموخ والجهاد والإباء، أيّها الأهل في بلاد مباركة، إنّ الله ناصرُكم
فاستنهضوا الهمم، وعلى الله العول. وإنّ التّصرّ لقدام، فاصبروا وصابروا
ورابطوا، وإنّ مع العسر يُسرّاً، ولا تيأسوا من روح الله، وهو الذي قال (ألا
إنّ نصرَ الله قريب الروم 47). (وكان علينا نصرُ المؤمنين) البقرة 214. أيّها
الشّعب الفلسطينيّ الأبيّ؛ إنّهُ امتحان لكم، وهو اختبار للمؤمنين جميعاً؛ لأنّ
القدس والمسجد الأقصى من البقاع الطّاهرة للمسلمين كافّة، فلا يمكن
التّنازل عن شبر لغاصب أبداً، بل إنّ المَهج تُفدى بالأرواح أيّها المسلمون
ولنتصرّ للحقّ أيّها الدّاعمون.

أيها الفلسطينيون، ما اشتدّ ظلامٌ إلّا ووراءه فجرٌ منيرٌ، وما طال الاستعمارُ إلّا وراءه نصر كبير، فلنأخذ العبرة من أولئك الذين ظلمونا وطرّدونا وهجّرونا وأبادونا طيلة مئة واثنين وثلاثين سنة، فانكشف زيفهم، وعاد محمّدٌ إلى بيته، وها هو في المحمّدية يبني صرح الإسلام واندحر لا فيجري/ (La Vegerie)، فلا تياسن أيّها المقاوم من الليل الطويل وكلّ شيء قادم بالصّليل، وأنادي أخت الجراح النازفات أنا هنا، وها هي معارك الجزائر ترسل الشّعلة لجبل التّار في أرض فلسطين التّشامى والإباء، وجرجرة تكسبك الإمامة بالكبرياء، ولذا فالتصرّات لا محالة والطّريق تصنعه الأقدام وسيكون مصحوباً بسهام الحقّ الملهام. ومقولتنا التي يكثر تردّادها (نحن مع فلسطين ظالمةً أو مظلومة) مظلومةٌ نعمّ لإعادة الحقّ لذويه، ظالمةٌ نعمّ؛ لردع الظّالم وصدّه. وهذه فلسفة السّلف بأننا نتصرّ للضعفاء، وكنا ضعافاً فوجدنا المنتصرين، وهذا ما جعل بلدنا محجّ المغلوبين، فهل من ناصر لفلسطين؟

أيّها الجمع الغيور، تخونني الكلمات عن وصف المأساة، والخطب جلل في هه الملمات، وكيف يكون لنا موقف إن لم نقم بأدنى واجبات التّصرة فهنا نحن نلتقي لنستنكر بالكلمة، ونقول: أعيّدوا مدينتنا، ودعوا أطفالنا يعيشون طفولتهم، وكفّفوا دموع اليتمى، وامسحوا الفقر على الشّباب وقولوا الحقّ أمام الإرهابي الذي يعيثُ فساداً في أرضنا وبلداتنا وزيتوننا وأحجارنا وهذا نوع من الجهاد الذي نقوم به نصرةً لإخواننا.

أيّها الفلسطينيون في الدّاخل، إخواننا في الخارج، لم يبق إلّا سلاح المقاومة، وسلاح الانتفاضات، وسلاح الحجارة، وهو سلاح الكرامة الذي لا يخيب بعدما خابت كلّ الاتّفاقيات، ولم يقطف العربُ إلّا سراب بقية

وشتاتٍ من جُزُرٍ مكانيةٍ أفضائيةٍ، فأين السّلام في بلد السّلام؟ ذهبّت كلّ المواعيد، وتلاشت كلّ المعاهدات، وانمسحت كلّ القرارات، وسار مسار التّفاوض في صالح التّهود، وبدأ العزف على الرّضوخ للأمر الواقع، وفي الحقيقة مفروض على الواقع، فحصلت الانبطاحات والتّطبيقات، فلا جدوى من الماطلات، ولا للوعود الزّائفات، ولا تقبلوا بالتّنازلات، وكلّ ذلك لصالح المستوطنات، واستمرار سياسة التّصفيات، وتحقيق جدار التّأمينات والتّحصينات، فمن الخاسر يا ترى؟ ولا بدّ أن نقرع أجراسَ ومآذن العالم، و؛ ليفرّق بين شعب يكافح لاسترداد بلده، وكيان أجنبيّ يغتصب بلداً غير بلده، ووراء آلة مبدؤها (الغاية تبرّر الوسيلة). إنّها مسؤوليّة تاريخيّة. وهذا يستدعي اليقظة الإسلاميّة، وإعادة النّظر في المواقف السّياسيّة، والتي تركت أثراً سلبيّة. ولا يمكن ترميم كلّ ذلك إلّا بحلّ المقاومة والمقاومة ثمّ المقاومة، ولا يتوهّم أحد أنّ المجتمع الدّولي يُمكن أن يضغط على الكيان الإسرائيليّ ليتنازل للفلسطينيين، أبداً لن يكون؛ لأنّ المؤسّسات الدّوليّة المعنية عبارة عن دُمى بيد الدّول العظمى التي لا تعمل إلّا وفق مصالحها. فلا بدّ من المقاومة من الدّاخل ومن الخارج؛ حيث كشفت الحرب الأخيرة عن ضعف الإسرائيليّ وهشاشة جيشه، وإسرائيل الكرتون.

أيّها الحضور، وما دُمنا نستذكر ونتذكّر فلسطين، فإنّنا ننقل تاريخها للأحفاد، والتّاريخ لا يموت رغم ما يتركه من الأحقاد، وتبقى الشّواهد تُروي الحكايات على أنّ الحقّ حقّ لا يموت بالتّقدم، ويعيش يومياته بالتّلازم، وهي سمة الانتصار لفلسطين، وفلسطين حُبّ عروبتنا المُبين وهي تُنادينا بصيحات الصُّمود، ونداءات الجهاد، فهلا استمعنا ووعينا المصير وأين

حسن التدبير، بعد هذا الزمن العسير. ولكن علّمنا الإصرار على أنّه لا
مستحيل في ما هو راغبٌ، وعنوان كلمتي فلسطين ما ضاع حقٌّ وراءه طالبٌ.

منبر الترجمة للمجلس الأعلى للغة العربية*

- **الديباجة:** لقد عملنا مدة زمنية على أن يكون للمجلس لسان حال علمي عبر مجلاته الثلاث المعتمدة: اللغة العربية؛ وحقت معامل التأثير 2،1 مجلة معالم للترجمة؛ وحقت معامل التأثير 7،1 ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وقع عليها الطلب من مختلف الفئات الطلابية لنشر مقالاتهم وحصل أن نالت الاستقطاب الوطني والدولي، كما حصل لها الانتشار عبر سبع شبكات عالمية، وهي متداولة فيها في صورة PDF. ومجلة العلوم والتكنولوجيا وهي في صنف C وأول مجلة عربية لمؤسسة أكاديمية تنضوي تحت إمرة اتحاد الجامعات اللغوية، وعليها الطلب، وهي في بدايتها الأولى.

إنّ مجلة (معالم) حصلت سنة 2020 على أعلى معامل عربي، وأفضل مجلة عربية في نظام المجلات المعتمدة، وتحقق كلّ ذلك بفضل العمل الذي تعاضدت فيه جهود المخلصين: كتاب المقالات، رئيس التحرير + المدققون اللغويون + الموضّبون + المصّفون... وكان عملاً جماعياً أعطى ثماراً لهذه المجلة التي أخذت اليوم بعداً آخر، ويصبح لها منبر ترجمي يتابع أحداث الترجمة من وإلى العربية، وكلّ ما يدخل في باب التلاقح اللغوي، وتكون مجلة (معالم) لسان حال هذا المجلس في ميدان الترجمة فأجمل بكم أيّها السّاعون من أجل تطوير الترجمة في الجزائر! وبوركت خطوات الذين رفعوا التحدي لتكون مجلة (معالم) في مستوى قيمة المجلس الأعلى للغة العربية وفي ما تتأثر

* - الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس في افتتاح المنبر الافتراضي بتاريخ 20/05/2021 تحت عنوان تنصيب اللجنة العلمية لمنبر مجلة معالم الافتراضي.

أو تؤثر، وهذه هي الأبعاد التي نسعى إلى تحسينها وتفعيلها حالياً ولاحقاً. وكلّ الشكر للمساهمين ليحصل للمجلة الصّدارة في العالم العربي.

- **المقدمة:** إنّ نظرة عجلى لهذا العمل يتطلّب منا الإدلاء بقراءة وصفية تحليلية نقدية تخصّ المحلّة، والعهدة ليس على مسؤوليّة المترجمين، بل هناك أعمال مشتركة تعود إلى فقهاء اللغة ورجال المعلومات العاملين على سدّ الفجوات في برامج البحوث الدلالية، ومن تعقيداتها، وهي عمدة أولى لا بدّ من تذليل عقباتها؛ ليجد المترجمون ما يمكن أن يُضيفوه في مجال وضع البرامج الترجمة اليدوية. ولهذا، لا بدّ أن يقع التركيز الآن على صناعة ترجمة بشرية بمساعدة الذكاء الصّناعي، ولا بدّ إخواني الحضور والمتابعون من الرّهان من خلال هذا المنبر على سدّ التّأخير الذي تعرفه العربيّة في مجال الترجمة بالترجمة القائمة على التّحويل وباستخدام اللغة الوسيطة، والعمل ببرمجيات الترجمة الآلية الموجودة مع استحداث أنماطها، ويقع العول على الأدوات المساعدة في هذا الأمر؛ من مثل برنامج (Arabox) وبرنامج (Muti-trans) وهذه موظفة حالياً في أعمال شركة صخر للمعلومات وتصلح للعربية كوسيلة منطلق في برامج ترجمة (Arab comnirage) وبرنامج (Readiris). وبهذا يمكن أن نستدرك الضّعف والتقص والتّأخير، وإلاّ لا يكون للعربية موقع بين اللغات. وما نريد تحقيقه:

1- استكناه أهميّة التّواصل اللغويّ الذي اعتمدته اللغات في تطوير لغاتها؛ من تأسيس بيوتات تضمّ المتنوّرين في فعاليات المجتمع، وشهدنا كيف

تطوّرت اللغات عبر محطّات كان لها وقع وأثر في المجتمع، ويكفي أن نقرأ عن العربية وما شهدته في عهودها الأولى على الخصوص عبّر:

- بيت الحكمة؛

- الأسواق الشعرية؛

- الصّالونات الأدبية؛

- اللقاءات الدورية.

2-فتح النقاش حول الثقافة والأخذ والعطاء بين الثقافات واللغات.

3-تبادل الأفكار حول التجارب الناجحة في مسائل: الاستعراب/

الاستشراق/ الاستغراب.

4-تبادل المنافع اللغوية والأدبية بين الحضارات.

5-خدمة اللغة العربية في جانبها الترجميّ؛ نظراً لافتقار العربية إلى:

- المصطلحات عموماً؛

- المصطلحات العلمية خصوصاً.

6-افتقار العربية إلى الجوانب التقنيّة؛ وبخاصّة ما له علاقة بـ:

- الجوانب التطبيقية من برمجيات ومدونات تقنيّة؛

- علم المختصرات؛

- صناعة النانوتكنولوجي.

7-حاجة العربية إلى المعالجة الآليّة في حوسبة تراثها الممتدّ في الزّمان

والمكان.

8- حاجة العربيّة إلى البحوث الدّلاليّة.

9- حاجة العربيّة إلى التّرجمة الآليّة من العربيّة وإليها.

10- حاجة العربيّة إلى أساليب تقويم المهارات اللغويّة التي تعمل بها اللغات الأوروبيّة.

وهكذا يروم هذا المنتدى أن يمسّ قضايا التّرجمة المعاصرة في مجالات عدّة ويمكن أن نشير إلى أهمّها:

- التّرجمة الآليّة والتّرجمة بتوظيف تقنيات الحواسيب؛
- الكتابة العلميّة ومنطق الرياضيات؛
- نظم توليد المصطلح؛
- التّرجمة الفوريّة الشّخصيّة والآليّة؛
- تطبيقات ترجمة مساعدة؛
- هندسة اللغة، وهندسة المعرفة وحسن إدارتها في المؤسّسات العاملة على التّرجمة؛
- التجارة الإلكترونيّة والتّرجمة؛
- النّشر الإلكتروني والتّرجمة؛
- المعاجم الإلكترونيّة ودورها في صناعة التّرجمة؛
- نظم تسمية المواد والقطع والشّفرات بين اللغات؛
- استهداف التّرجمة لسلاح قادم؛ وهو تحقيق العيش معاً؛ باحترام الخصوصيات، والعيش معاً ضمن التّقد اللغويّ والتّنوع الثقافيّ، وتجسيد

صور حيّة حقيقية للأيام العالمية التي أقرتها اليونسكو وهي: حماية اللغة الأم/ العيش معاً بسلام/ التنوع الثقافي+ يوم الترجمة؛

■ معالجة صعوبات ومضايقات الترجمة، وأراها تكمن في الآتي:

- قلة المختصّين في مجال الترجمة في معناها امتلاك اللغتين امتلاكاً تخصصياً؛

- نقص الترجمات من العربية إلى اللغات الأخرى؛

- معظم خريجي الترجمة مدرّسون، وليسوا تراجمة وهم يُنظّرون ولا يترجمون؛

- ضعف التوثيق الترجمي، وقلة ميكنة مرحلة التوثيق الإلكتروني؛

- عدم الاهتمام باللغات الوظيفيّة بصفة عامّة.

وبالنسبة للعربيّة، هناك مفارقات كبيرة من حيث ضعف قاعدة البيانات ذات العلاقة بالمعاجم، رغم أنّ مؤسسات ومنظّمات ومجامع لغويّة تنتج هذه المصطلحات لكن دون التنسيق في ما بينها. وهناك بنوك مصطلحيّة عربيّة حيث لا تواصل معها ولا تمكّن أعمالها شبكياً على غرار: البنك الآليّ السعوديّ للمصطلحات+ بنك المصطلحات+ المعجم الآليّ الشامل لمكتب تنسيق التعريب+ البرامج المصطلحيّة الموزّعة عبر الجامعات ومراكز البحوث العربيّة.

- **ضرورة الدراية بالاختلاف الثقافيّ وهو اختلاف لغويّ:** لست هنا مُنظّراً

ولا مُقدّماً نصائح لأصحاب الدراية، بقدر ما أريد تأكيد فعل خيرة الترجمة من بناء جسور التواصل، وإعادة ترميم طريق الحرير عن طريق تلاقي اللغات، وتحيين طريق الملح من جديد، ليحصل من جديد تلاقح الثقافات

وبناء الآداب العالميّة، وهي نظرة جديدة لطريق العبور بين الضّفاف وتواصل لأولئك الذين نقلوا إبداعنا إلى الآخرين: الطّاهر بن جلون+ أسيا جبار+ محمد شكري+ محمّد أركون+ چاك برك+ جمال ميموني+ محمّد ديب+ كاتب ياسين+ محمّد يحياتن... وفي كلّ هذا سوف يقوم هذا المنبر على خدمة العربيّة، وكان قبلهم الذين انجذبوا للحضارة الشّرقية، وهاموا بها على غرار: فيكتور هوغو+ جان پول سارتر+ Jean jenet+ زكريد هونكه+ ليونارد دافيننتشي+ محمود الصّيني+ لويس ماسينون+ فرنسيسكو غابريلي+ ميزرا كاظم... وهؤلاء قامت في نفوسهم خدمة التّراث العربيّ، فقال بعضهم فيها وبها بأنّ العربيّة أمّ اللغات، ولها إمكانيّة جعل متنها علماً قياسياً كالنّحو وليس في العربيّة بحسب الأصل اضطراب، ولا يقال فيها بالشّدوذ ما وُجد وجهٌ للقياس، وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، ولا يحتجّ في اللغة العربيّة بشعر ولا نثر لا يُعرف قائله، ولا يُقبل في اللغة العربيّة قولٌ لا يعضده قياس، ولا يسنده سماع، وعدم السّماع لا يقتضي عدم الاطّراد مع وجود القياس... وكلّ هذا يتطلّب الدّراية العلميّة والعمل دون التّواكل ونعلم أنّ أحد الذين هاموا بهذه اللغة (محمّد إقبال) وليس عربياً، ولكنّه مسلم ذاب في لغة العرب؛ بحثّ على دور الشّخص في صناعة عقله وتطويره، لا تركّ المسألة إلى أمرٍ جَلَلٍ؛ بل الحكمة في صناعة وجدية واستعداد أهل اللغة، وهذا ما يستشفّ من هذه التّصيحة إنّك يا الله خلقت الليل، وأنا صنعتُ المصباح، وخلقت الطّين، وأنا صنعتُ القدح، وخلقت البوادي والجبال، وأنا صنعتُ الحقائق والبساتين..، ويدي أجعلُ من الحجر

مرآة، وأستخرجُ الترياقَ من السموم". هي صناعة الأمل في التغيير المنشود في الكون، واللغة عماد التغيير.

وكان لا بدّ من تفعيل خصوصيات الثقافة بين اللغات من مثل: تقدّم الفعل في العربيّة في حالة الإخبار عن مبتدأ مجهول: يقرأ محمد، وفي الفرنسيّة يتقدّم الاسم عن الفعل في الفرنسيّة Mohamed lit. وفي الفرنسيّة يطابق الفعل فاعله من حيث الافراد والجمع، ومن حيث كون الفاعل متكلّماً أو مخاطباً أو غائياً، ولا يطبّق في التأنيث كما في اللغة العربيّة. وانطلاقاً من ألفاظ الارتفاق باعتماد ألفاظ الارتفاق التي فيها خلاف، رغم أنّ الشّيء هو هو:

- صفّ مذكر في العربيّة $\neq$ فرنسيّة مؤنث une classe

- محبرة مؤنث بالعربيّة $\neq$ فرنسيّة مذكر un encrier

- المرأة مؤنث $\neq$ في الفرنسيّة مذكر le miroir

- الحزام مذكر $\neq$ في الفرنسيّة مؤنث la ceinture

- القميص مذكر $\neq$ في الفرنسيّة مؤنث la chemise

- الرأس $\neq$ في الفرنسيّة مؤنث la tête

- القفص $\neq$ في الفرنسيّة مؤنث la cage

أيّها الجمع المتابع، إنّ الحاجة تقتضي منّا معرفة الخصوصيات الثقافيّة ويعني ذلك حسن الممارسة والانتقال السّلس بين لغتين/ أكثر، مع ما يصحبهما من إعداد تطبيقات مصطلحيّة حاسوبية جّارة تقتضي على التّرادف والتّكرار والمشارك اللفظي، ولهذا، نريد من أهل الترجمة العمل على

تذليل هذه البيانات المصطلحيّة بين اللغتين؛ بالتركيز على إيجاد آليات كفيلة بمجرد جيّد للتراث العلميّ واللغويّ العربيّ جرّداً منهجياً لسدّ هذه الفجوات ولا يكون ذلك إلّا برصد مختلف المولّدات المصطلحيّة العلميّة والثّقافيّة والحضاريّة التي تظهر في مختلف الدّول العربيّة والتّعجيل بتوحيدها، وهذا من مقتضيات حوسبة المصطلحات على الصّعيد العالميّ، وتجريب النّظم والبرمجيات الجديدة، وتعميم بتاريخ ذلك على الجهات المعنيّة، وهذا ما يعطي لنا وللغتتنا موقعاً في خريطة العالم، وإلّا فنحن خارج التّغطية. وأمام هذا الوضع بات الأمر جديراً بتخصيص منبرٍ أكاديميّ ينطلق من المجلس الأعلى للغة العربيّة، ويكون رافداً من روافد نموّها العلميّ، وبدوره يعمل على الاستفادة من اللغات الأجنبيّة، ويحرص على التّفنّح على اللغات الشّرقية لما لها من تكامل منطقيّ بحكم الأرومة اللغويّة، والتّلاقح الذي حدث بينها في ما مضى من الزّمان.

- الترجمة وخريطة اللغات في المستقبل: يجب الوعي بأهميّة اللغة العربيّة في خريطة لغات المستقبل، وهذا الوعي يمّسّ كل القوى الحيّة وبخاصّة المترجمين، فما موقع العربيّة في سنة 2026م، وهناك دراسات تقول: هناك تغييرات لغويّة تمسّ موقع اللغات بصفة عامّة، فما محلّ العربيّة في هذه الخريطة القادمة؟ وهناك دراسات مستقبلية تقول: هناك كوليرا اللغات سوف تأتي على قتل الكثير من اللغات مع سنة 2050م، فما موقع العربيّة في هذه الخريطة التي تتقلّص فيها اللغات الطّبيعيّة، ولا تبقى إلّا اللغات القويّة مثناً وإنتاجاً وانتشاراً. وهل لدينا العُدّة العلميّة للمبادرات الحديثة خارج ميدان الشّعر، وهل نملك آليات الوقوف للنّدّ أمام الصّراع اللغويّ القادم، وأمام

الإنتاج الفكري والتّقاني؟ تلكم هي استعدادات كان علينا تهيئة الأجواء التي تُعلي من مقام العربيّة كلغة حضارة إنسانيّة، ولغة الحضارة الشّرقيّة، ولغة علم في ما مضى من الزّمان، ولغة علم في لاحقٍ منه. وهذا ما يجب التّخطيطُ له عبر الاستفادة من اللغات التي لها موقع علميّ جيّد لضمان الدّيمومة وبخاصّة اللغة الإنكليزيّة.

وبهذا المنبر الافتراضي للترجمة، نقوم على جمع مدوّنات وأفكار للقاءات افتراضيّة تكون عدّة المجلس، يعمل على نشرها، ويفيد منها غير المتابع افتراضياً، كما تبقى مدوّنات يعتمدها المهتمّون بأمر الترجمة ونأمل أنّنا نضبط بيت اللغة العربيّة في هذا المجال بسدّ النّقص في مسألة التّواصل اللغويّ، وفي بريد اللغات كما نطلق عليه في المجلس الأعلى للغة العربيّة.

إنّ المبادرة حيث في خطواتها الأولى، وتحتاج إلى تعضيد من مختلف الشّركاء: مؤسّسات + أفراد مختصّون + طلبة + تراجمة + أقسام الترجمة + هواة الترجمة + المدوّنون الافتراضيون في ميكنة الترجمة + مواقع الترجمة... ليحصل للعربيّة حسن الأداء وهي مبادرة من رئيس تحرير (معالم) الأستاذ المترجم (هشام بن شريف) وصحبه الأستاذ المترجم (هشام بن مختاري) من جامعة حسيبة بن بوعلي بالشّلف، وفريق المجلس الأعلى القائم على مصلحة الترجمة، فنسعى جميعاً للتّكامل، ورغد العربيّة في جانب التّلاقح اللغويّ عن طريق الترجمة. وسوف يعمل المجلس على تحسين أداء هذا المنبر الافتراضي باقتراح موضوعات مثيرة قيّمة تتطلّبها معطيات الرّاهن، كما يعمل على تسيير تطارح أفكار الترجمة بما يستضيفه من مُنظرين ومُترجمين ومُدّرّسين لهم أفكار نيّرة في هذا المجال، بالانفتاح على كلّ الفئات الترجميّة من داخل الوطن

وخارجه وعلى مستوى كل اللغات، وبخاصة اللغات الأهميّة؛ كون العربيّة لغة أُمّيّة، وكذلك على مستوى اللغات الشّرقيّة لما لها من تلاحق قديم جداً. وسوف تكون لقاءات مع كتاب اللغتين / أكثر؛ للاستفادة من التّنقل بين الثقافتين / أكثر، على غرار: (Jack lang) + عبد الله حمادي + غولدا يولدا + إبراهيم بن مراد + عبد اللطيف عبيد + واسيني الأعرج + محمّد ساري + عبد الحميد بورايو + عبد القادر بوزيدة + السّعيد بوطاجين + الأمين الزّاوي + (Jean jenet) + زهرة حاج عيسى + عبد العلي الودغيري + الدّكتور ظاظا + محمّد شكري + عبد القادر الفاسي الفهري + عبد الرّزاق عبيد + الطّيب ولد العروسي + عبد الرّزاق دوراري + عمر أزراج + محمّد مگاني + عمارة لخص + رشيد بن مالك + عبد السّلام شدّاد + محمّد آيت موهوب + إبراهيم الكوني + محمّد داود + محمّد علي اليوسف + محمّد العلوي + عبد الرّزاق مزيان + جيلالي خلاص + عبد العزيز بوباكير + أحمد منور + عبد السّلام يخلف + رشيد بوجدره + محمود إبراقن... ويسعى المجلس الأعلى للغة العربيّة أن يمتلك مدوّنّة مغاربيّة بأسماء التّراجمة من وإلى العربيّة؛ لتحسين وتفعيل هذا المنبر، وجمع شملهم في منبر عربيّ يكون في مقابل ما سوف تفرضه العولمة اللغويّة في لاحقٍ من الزّمان بالإضافة إلى السّماع لمقترحاتهم التي تعمل على الدّفع بالعربيّة إلى العالميّة.

ولهذا، إخواني المتابعون، إنّ هذا المنبر لكم، فأنتم الذين تعملون على تطويره وازدهاره واستمراره، وبأفكاركم سيكون له الانتشار والمتابعة ونسعد أن تكونوا أكثر عدداً في المتابعة، وفي تقديم الأفكار التّحسينيّة وهي خطوة أولى نسعد أن تتبعها خطوات منيرة، والطّريق تصنّفه أقدامكم إذا عقدتم

العزم على حسن تدبير المبادرة، وأحسنتم صنع المتابعة وبادرتم بتطبيقات ميدانية، وعملتكم على فعل الترجمة لما لها من خميرة الأخذ والعطاء، فأنعم بكم جميعاً! ونسعد بنقودكم المضيئة العاملة على التحسين ولا شك أنها ستكون من التجوم المهداة لعمل التبيين؛ للوصول إلى حسن الإضاءة بحسن التدبير وبما له من فكر التنوير، ورفع الغمة عن لغة الأمة، وما يعلق على الحراك اللغوي الذي يولد التفاعل البيئي، ولدخول محراب التبادل اللغوي؛ الذي يُقدّم الإضافات المفيدة لكل اللغات.

باسمي، وباسم زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية، ومن هذا المنبر الافتراضي أعلن البداية الافتراضية لهذا المنبر من رحاب المجلس الأعلى للغة العربية من خلال هذا اليوم (الخميس) الموافق العشرين من شهر مايو ألفين وواحد وعشرين (20/05/2021) ونسأل الله أن ينفعنا بعلمكم وبأفكاركم وبتشجيعاتكم. وعاشت الصداقة بين اللغات، ونعم للتكامل بين اللغات ولسرعة بريد اللغات، ولفعل خميرة اللغات، والسلام عليكم يا من يهتم باللغات.

النصوص التراثية في المناهج الدراسية ♥

الديباجة: شكراً لجامعة بسكرة محمد خيضر ممثلة في رئيسها المحترم على الاستضافة عن بُعد لإلقاء الكلمة حول موضوع الملتقى (النصوص التراثية في المناهج الدراسية) وتحية تقدير وتشجيع لأساتذة كلية الآداب واللغات وخبر (وحدة البحث والتكوين في نظريات القراءة ومناهجها) وإنه موضوع جدير بالدراسة من قبل مُنتجي الأفكار (البَحْثَة) بمعية صانعي القرار (رجال الميدان) وبخاصة ونحن نسمع ونقرأ من بعض الباحثين بأنّ هناك أزمة في التراث العربي/ الإسلامي، أزمة التطرف/ مواجهة التطرف، وهناك توجهات ونقود تدعو إلى تطهير هذا التراث؛ ولا بدّ من تطبيق سياسة الإغفال والتعمية والإخفاء، أو التعامل مع التراث بالقطعة والانتقاء، ونحن نواجه هذه الأمور في التدريس، وخاصة في التعليم الجامعي. والسؤال الذي نطرحه الآن كيف نتعامل مع هذه النصوص التراثية؛ وهي جزء من منظومتنا الحضارية والفكرية؟ وهل يمكن أن نواجه المستقبل وتراثنا مُغيّب، وهو في الحقيقة هويّة الماضي وزاد المستقبل، ولا بدّ من الإيمان به، وهو عماد الأمة ويستدعي الاعتراف به باعتباره جزءاً من الوجود والتاريخ والبقاء.

- **المقدمة:** يتفق الباحثون بأنّ تراثنا المازيغي والعربي غنيّ وكبير، وهو جدّ مهمّ لحمولته الفكرية والمعرفية والعرفانية، وما يُربيّه من قيم وأخلاق وعلم

♥ — أُلقيت الكلمة عن بُعد، لصالح جامعة بسكرة بمناسبة عقد ملتقى وطني حول عنوان موضوع النصوص التراثية في المناهج التربوية الجزائرية، بتاريخ 20 مايو 2021م.

وفقه وعُرف، ويكفي أنّ كبار العلماء أنتجوا فيه وبه أرقى تجليات خطابات اللغة العربيّة في شتى الميادين، دون حذف أو تقطيع، بل بحسن التبليغ وطريقة التدريس، وعماد ذلك تحيين وإصلاح مناسب للوضع ومرتبطة بالمتغيّرات والتراث هو هو لا يتغيّر، ولكن الحكمة في فهمه حسب المكان والزّمان وتبليغه بأريحيّة ومواجهة بعض التّأويلات المغرضة التي لا أساس لها في القاعدة، ومن الضّروري حماية حقّ التّأويل المضيف، وهو حقّ أصيل في كلّ إصلاح تربويّ. والآن نحن بحاجة إلى إجراءات حقيقيّة نحمي بها منظومتنا التربويّة، ونبني مجتمعاً لا يحمل الخدوش، ولا يؤسّس للتّطرف. ومن هنا كان على أجهزة الدّولة أن تُعيد الأمرَ للمؤسّسات البحثيّة التي تقدّم لمؤسّساتنا التربويّة آليات التعامل مع تلك التّصوص بفقّه الواقع على ضوء المأمول. وهذا ما هو من المنتظر من هذا الملتقى الذي نروم أن يُشخص التّصوص التراثيّة التي تحملها الكتب المدرسيّة في مراحلها العامّة، وعلى الخصوص في المراحل القاعدية، وعلى هديها يُبنى المجتمع المرغوب، نحو أخلقة عامّة لمجتمع الحداثة وما بعث الحداثة، ومجتمع المعرفة. وإلاّ سنبقى نحري وراء بقية لا ندرك، ونغيّر الإصلاح بإصلاح أو نعيد إصلاح الإصلاح، وهو تعطيل لطاقت وطنيّة، ونزيف للقدرات الطّبيعيّة. ومن هنا لا بدّ من حسن التّعرف على تراثنا، ففيه الكثير الكثير من المحاسن، وفيه ما هو من الغث، وفيه ما يحتاج إلى قراءة معاصرة وفيه ما يحتاج إلى حذف، وفيه ما لا يدرك إلاّ بقاعدة فقهيّة، وما يدرك عن طريق علماء موصوفون بقوله تعالى (الرّاسخون في العلم) وهم غير رجال الفقه ﴿لَكِنَّ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ

سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ النساء 162. ويقول: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ آل عمران 7. وحضور الراسخين في العلم يعمل على اختيار النصوص التراثية التي لها مواصفات الاستمرارية المتجددة، وهي تلك النصوص التي أخرجت جيل السبعينيات، وكانوا يتحكمون في علوم اللغة وفي قضايا معرفة التعامل بين الدالات الثلاث: الدين والدنيا والدولة. ونشهد بأن تلك النصوص مختارة وعالية الجودة وأكسبتنا التحكم في مهارات اللغة، ولم ترب فينا السطحية رغم قلة ذات اليد، ونقص الدراية بتكنولوجيات العصر، والعهدية فيها أن إصلاحات كانت تتم بوحي لغوي مرن، يشهد بعالمية العربية، وبتفتح المدرسة الجزائرية على مختلف التيارات الفكرية. ولم تعرف المدرسة الجزائرية الانتكاسة إلا مع إصلاحات العصر التي قوّضت أركان المنظومة التربوية بعدما أصبحت تخضع للمسؤول، ولا يتبعها التقويم/ التقييم، وتسير من وراء المكاتب، في ظلّ تغيب الفاعلين الحقيقيين، ولم الكفاية المطلوبة في باب التخطيط التربوي وهو عماد قيام المنظومة الاجتماعية، ولذلك لم تكن مخرجات الإصلاحات في المستوى المنتظر.

والآن ماذا عساني أقول في هذا الموضوع الذي نأمل أن نقدّم أفكاراً في تحسين مستوى الاهتمام بمنظومتنا الدراسية التي نريدها تجمع بين الأصالة والحداثة، منظومة وطنية عالمة متفتحة. وقد بصرت ببعض الأفكار، أقدمها في مجموعة من القضايا، وبالاختصار المضيف الذي ينيف في حدود متطلبات المناسبة، وما تقتضيه الدراسة:

1- **في صلب الموضوع:** إنّ ملتقاكم يحمل بذور الأمل نحو التّغيير التربويّ الواعي بأفاق الغد، ملتقى حول التّصوص التّراثيّة في منظور العصر، وأراها ثنائيّة من جدليّة مثيرة تطرح أسئلة عميقة ذات أوجه متعدّدة، لأنّها تتعلّق أولاً بنص تراثيّ، تحيطه هالة من التّقديس بما يكتنزه من معرفة وجمال، وما ينام عليه من أسرار عديدة، وتتعلّق الأخرى بإيديولوجيّة صادمة، تحاول أن تفرض سلطتها ورؤاها على التّصوص؛ بما تملكه من مناهج قرائيّة، وما تقدّمه من تصوّرات، وما تفرضه من اختبارات توجّه أسئلة ذات طابع شمولي مُقلق. في ظلّ هذا التّجاذب الذي لا يهدأ، وتتلوها أسئلة من مثل إلى أيّ مدى سيظلّ النصّ التّراثي مفتوحاً قابلاً للسّؤال، حاملاً للإشكالات، قابلاً للتّغيّرات مفتوحاً على التّقّد والتّجديد المعرفي والخطابي؟ وما المكانة التي يحظى بها تراثنا في الفكر الحدّاثي وما بعده؟ وهذا من المطلوب أن يجيب عنه هذا اللقاء العلمي، والوصول إلى رسم خطط تُؤثّر لهذا الموضوع، وتكشف عن بُور القراءة الحدّاثيّة لدى الدّارسين والمعلّمين والتّقاد، ولا بدّ في هذا المجال من مقارنة نقدية من خلال نماذج مختارة من التّصوص في ضوء إشكالية التّواصل الحدّاثي.

2 - **مركزيّة اللغة العربيّة:** وتقوم هذه المركزيّة على أنّ التّراث الذي وصلنا كان بواسطة اللغة العربيّة وهي التي حملت هذه الجبال من التّصوص ولهذا لا بدّ من التّماهي في أدبيات: السّماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة. وهي من الأمور في المركزيّة الثقافيّة التربويّة وتشكّل كلّ الانغماس في تراثنا الكبير وعن طريق اللغة العربيّة تُحترم الثّوابت التّراثيّة التي تسم أدبنا، وتجنّب آحادية المنهج التّحليلي، والإفادة من المناهج الحديثة دون تبنيها كلياً، والحرص على

المراجعة الدينية والاجتماعية والعلمية، وتعمل على إعادة النظر في أساليبنا وطرائق عرضنا، وفي ذات الوقت تتيح خيارات للمتعلم في الكتاب المدرسي وتعمل على الابتعاد عن عيوب تكديس النص والتراكم المعرفي الذي لا يبني الكفايات.

3- ارتباط العربية بالهوية والثقافة: وإنّ العربية باب من أبواب الهوية في معناها الشامل، فهي رمز للمجتمع الذي تعبّر عنه، وأداة تفاعله وطريقة عيش أهله وتفكيرهم. وللغة العربية موقع مهم في التراث الثقافي من حيث ما هو ملموس، وما هو غير ملموس، وهذا سبب اعتزاز الأمم بلغاتها، لما لها من وقع في الوجدان. ومن هذا المنطلق تعدّ الهوية الثقافية تعبيراً في غاية الأهمية وهي من مكتسبات الأمة التي تجمعها اللغة. ولهذا لا يمكن الفكاك بين اللغة العربية والهوية، فكلاهما صناعة الأجداد، وتجب المحافظة عليهما متكاملتين.

4 - السيطرة على مخرجات العلم والبحث العلمي والتقني: وهذا موجود في تراثنا، وهو متوقّف بالقوّة في ثقافات الشعوب الأخرى، وعلينا إرساء ثقافة الإبداع والتّطوير من خلال الأخذ والعطاء، ومحاربة الفكر الاستعماريّ والاستعبادي ضروري، ولكن من الضروري أكثر الاستفادة من لغاته والعمل على تعميم استعمال العربية في ما يُنقل من اللغات الأجنبية.

5- أهمية تراثنا في مناهجنا الدراسية: ويكون ذلك عن طريق ربط التراث بالهوية، وعن تحرك الشعوب لحماية تراثها، وموقف الإسلام من التراث الذي أبقي ما هو صالح من العادات والتقاليد، وأدخل عليها بعض

التحسينات، ونبذ ما هو غير صالح ليكون تفاعل الإسلام مع التراث تفاعلاً إيجابياً.

6- ضرورة تعزيز التراث في المناهج الدراسية: وهي ضرورة حضارية على

استمرار تواصل اللغة العربية دون انقصاص وانفصال منذ ما يقرب من 2000 عام. وفي هذه النقطة نؤكد بناء الهوية الوطنية كآلية إجرائية مركزية وهذا ما نادت به المقاربات التعليمية الحديثة، فوجهت عناصرها إلى خدمة المتعلم؛ فاهتمت بالمحتوى من جانب وظيفته، وذلك بتلبية متطلباته وحاجاته. وأظن أن عناصر الهوية الوطنية في النص التعليمي يأتي على رأس حاجات المتعلم الآنية ومتطلباته المستقبلية. وبخلاف ذلك تكون المنظومة التربوية قد أسهمت بتعرض من هم في داخل الوطن من أبنائنا إلى الاغتراب، في حين نرى ضرورة توجيه نداء إلى المغتربين بضرورة حماية أبنائهم في ديار الغرب من الغربنة الماسحة للهوية. وهذه النقطة تؤدي بنا إلى الافتخار بمآثر الأجداد أمامهم، وبالاهتمام بنصوصهم على غرار نصير الدين الطوسي في الهندسة + أبو بكر الرازي في الطب + أبو علي الحسن بن سينا رئيس الأطباء، وصاحب كتاب القانون + والجراح ابن النفيس + والعالم الكبير محمد بن موسى الخوارزمي + وصاحب البصريات ابن الهيثم + والفقيه السرخسي + ابن مالك + ابن خلدون + الخليل بن أحمد + ابن فارس + ابن منظور... وهذا كله يعمل على ترسيخ مبدأ السبق في العالمية والإسهام في الإنتاج المادي وغير المادي.

7- تبليغ أهمية المآثورات الشعبية، وما له علاقة بالسرديات التراثية

التي تعني بالمادة الحكائية في تراثنا: أي التي تتخذ من القصص وسيلتها لإيصال محمولها المعرفي، وبالتالي فهي تعني القصص الشعبي المطبوع والشفهي

الذي يشمل السّير الشعبيّة والأساطير والخرافات، والحكايات الشعبيّة... وهي تمثّل النشاط المدرسي، وتُسهّم في ربط النّاشئة بتراث أمّتهم، وبيعضهم البعض، وتمثّل أرضيّة مشتركة للمعرفة، وتعين على تدشين تبادل وتكامل للخبرات في مجال التعليم.

8- اختيار النصوص التراثية التعليمية التعليمية: ومن المتفق عليه أنّه لا تصلح كلّ النصوص التراثية لكلّ علميات التعليم. والنّص التعليميّ عليه أن يستوعب المعرفة العلميّة المستهدفة في المادّة المقرّرة؛ بحيث يذكّي القويّ التّفسيّة المصاحبة للعمليّة التعليميّة من تذكّر، وفهم، وتحليل، وتركيب واستدلال وتنظيم أفكار، والإسهام في بناء الأفكار الجديدة وترسيخها، وفي إدراك منطق التّفكير المميّز للهويّة المستهدفة.

9- تقديم نماذج لمستويات تعليم العربيّة والاستفادة منها في التراث: وهنا يأتي دور الجامعة للتحرّك في زيارات ميدانيّة لجمع التراث ودراسته انطلاقاً من تجارب مدججة ضمن فضاء الخطابات التراثيّة، حيث تحكّمه مرجعيّة معيّنة وينشأ وفق ظروف خاصّة. أي تحصل الانطلاقة من وحدات الطّالب ذات العلاقة بعلم التوثيق والأرشفة، وشروط المسح الميداني، واعتماد طرائق الجرد والحصر، ثم تقنيات وخصوصيات المادّة التراثيّة من خلال الجغرافيّة الثقافيّة وكذا قضايا التّنوع في التراث الشعبيّ الجزائريّ من خلال دراسة مجاله وتاريخه وأنماطه، وفي ذات الوقت اقتراح بدائل معاصرة لانتقاء التراث وخطط الدّفاع عنها في ظلّ العولمة اللغويّة.

10- اعتماد تقنيات تعليمية معاصرة في تدريس النصوص التراثية: بحث

تزامن والحدثة في كلّ وسائلها المعاصرة، في عمليات التلقي في الوسط التعليمي للتمكن اللغوي في: بنية النصوص + تركيب الفقرات + التقنيات الخطابية، وهذا ما يجعل النصوص الغائبة حاضرة، وفهم خصائصه بناء على محاله ومناسباته ومقامه وثقافته، وفي قالب ما تتطلبه الحدثة في العملية التعليمية.

11- ضرورة استبعاد النصوص التراثية العاملة للفكر الخرافي: إنّ اعتماد

النص التعليمي المكتوب في العملية التعليمية مظهر من مظاهر تسليط الضوء على التّمظهر المكتوب للغة، وفي ذلك مجال تتوسّع فيه إمكانية مضاعفة توظيف الخصائص الاجتماعية والثقافية المميزة للمجتمع، فيرقى بذلك النص التعليمي ليكون مصدرا غنيا منه يغرف المتعلم عناصر هويته بيسر، ولا سيما أنّها تتطابق وواقعه المعيش. وهنا يكون المعنيون على دراية بتلك النصوص التي تنمي الفكر الخرافي، وعدم اعتمادها لأنّها نصوص سوف تقوّض معيشتهم، ولا تقدّم له إلّا الفكر الغيبي.

12- ربط النصوص التراثية بواقع الحال: ونحن نعيش ألفة جديدة، بما لها من

تقريب المسافات، وما لها من منهجيات التدريس الحديثة في مركزية التعليم على آليات المعاصرة، وفي ظلّ عولمة تتصارع فيها الثقافات وتتسابق في التفوّق، ولا بدّ من احترام مصطلح الثقافة وحوار الحضارات وتقارب الحضارات، والعيش معا في سلام، واعتراف بواقع يستدعي شحذ الهمة من جديد، ولا نكون رجع صدىّ أو رد فعل للثقافة الغربية، وفي ذات الواقع لا نعاديها، بل نعمل على الاستفادة من أحداثها وفتوحاتها التكنولوجية.

13- تعريف المتعلم مرحلياً بأعلامنا الذين أنتجوا للحضارة الإنسانية فكراً

متنوراً على غرار الوعي الثقافي الذي حملته كتب التراث: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي 232 هـ الذي يقول: "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان" نصوص الجاحظ + ابن قتيبة + ابن طباطبا + المرزباني + السكاكي + عبد القاهر الجرجاني... نصوص المفضليات، الجماهرة والحماسة... كثيرة هي نصوص تراثية والدينية التي لها وزنها ونحن بحاجة إلى العمل بمحتواها للثبوت في رسمه المتغير في دلالاته. والمشكلة في كل أمات كتب التراث هي الوصول إلى تقنيات الاختيار للنصوص، وفي منهجية تبليغها من منظور تربوي يُراعي المتلقي ومستواه الفكري وحاجاته الإنسانية وميوله. وإذا كانت المخترعات القديمة التي تسم بالجوذة ولكنها تتباين في أسس تصنيفها وتبويبها، فإن كتب الأدب المدرسية تتطلب أسساً صارمة في التصنيف إضافة إلى الاختيارات الأخرى فهناك محاور هي جماع التربية السوية التي يقوم عليها تدريس الأدب هي: الإقراء والاستيعاب والحفظ والبيان والعمل.

- الخاتمة: إن صناعة المستقبل يكون في نهوض الأمة نهوضاً يعود بها إلى النظر في تراث السلف وإحيائه، والإفادة من منابع الفكر الخارجي واستصفاء ما يتناسب مع فكرها وتاريخها، وهنا لا بد من اعتماد النظرية التي تقول: لا بد من رجل في التراث، ورجل في الحداثة، والتماهي في الهوية من أجل التكامل في بناء شخصية المتعلم الذي يتأثر أيما تأثير في المرحلة القاعدية، وكان على التراث أن يكون بوابة على العالم من أجل التفتح ومواصلة الديمومة التي تعمل

على تحيين التراث؛ بما تعرفه طبيعة الإنسان أنَّ له أرضية معرفية متغيرة فكيف يكون على مستوى ثبات القاعدة وتغير الدلالة، وذلك ما يكسب المتعلم فهم العالم، بالربط بين الخبرة الراهنة والمعرفة السابقة. وأختم قولي بأنَّ النهضة العلمية أو الثقافية لأمة لن تتحقق إلاَّ بوعي مكوناتها، والنظر إليها لا كماضٍ غاب وانقضى بل هو حاضرٌ دوماً وحيٌّ، والتراث يبقى مُحفَظاً في الاندماج في الحاضر والإطلاقة بثقة على المستقبل، لا كقيّد يمنع عنك الصعود إلى القمر، أو يمنع عليك تأدية شعائر الدين، أو حج بيت الله الحرام. وفي هذا المنظور هناك الوسطية في كلِّ شيء، في اختيار التصوص التراثية، وفي التعامل معها بمنهجية شاملة جامعة بين الأصالة والحداثة. والأصالة في فلسفتها ترفض القطيعة مع التراث، أو التماهي مع الحداثة، ومتى أُسيء استخدام التصوص التراثية تُصبح سلاحاً يدفعنا إلى الماضوية والتخلف، ومتى أحسنّا استخدام نصوص تراثنا تُصبح حافزاً ومعيناً للرقي والتقدّم، والتهوض بالأمة، وذلك هو المأمول والمبتغى من مُخرجات هذا اللقاء العلمي في جامعتنا العتيدة ببسكرة السكرة، فأنعم بها من جامعة العلم والعلماء! ونأمل أن يتواصل اللقاء في شكل فرق البحوث التربوية والعلمية بين الوزارات المعنية؛ لتجسيد التواصل البيني، وبناء جسور التلاقي، لبناء جيل يحترم تاريخه ويتطلّع لمستقبله ويبنى مجده بنفسه بحكمة الأجداد، وبراعة الأحفاد.

النص التعليمي في المدرسة الجزائرية^٧ محطات تقييمية لقواعد: الانتقاء والبناء وآليات الإقراء.

- **الديباجة:** إنَّ أهمَّ قضية تربويّة في إشكاليّة هذه التدوّة تكمن في المقاربة النصّية التي تنشدها الإصلاحات التربويّة المعاصرة؛ بالخروج من النظرة الجزئيّة: جُمَل / مَسْكوكات / أمثال / حِكَم في ذاتها وليس في غيرها. والمقاربة النصّية نظرة معاصرة تنظر إلى أجزاء النصّ في إطار الترابط الكلّي المؤدّي إلى التّواصل، وأنّ الجزء إذا اعتُور يُصيب الكلّ. ولا بدّ من بناء بُنى النصّ بناءً يتوافق وكامل الخطاب في مستوياته اللغويّة الأربعة بوعيّ تداوليّ لتحقيق التّواصل حسب المقام والحال، وكذا المُرسَل؛ بما يحمل من رصيد معرفيّ مناسب، والمستقبل ممّا له من رصيد معرفيّ واعٍ بآليات استقبال مصطلحات اللغة بشكل طبيعيّ في المقام الأوّل قبل أن تكون اللغة صناعيّة تُتعلّم بُناها التّحويّة.

- **المقدمة:** نرى بعض المخابر في الجامعات الجزائرية تعمل على طرح أمثال هذه الموضوعات من جانب من الجوانب، وكثنا على تواصل مع جامعة حمّة لخضر بالوادي، وهذا الأسبوع مع محمّد خيضر ببسكرة في موضوعات متقاربة، وقد شخّصنا الأمر في بعض الأبعاد، وبدا لي غياب طرف فاعل في هذا الأمر، وهو وزارة التّربية الوطنيّة؛ لأنّ ما له علاقة بميدان التّربية لا بدّ

^٧ - أُلقيت المداخلّة عبر الزّوم، لصالح خبّر تعليميّة اللغة والتّصوّص، جامعة يحيى فارس بجامعة المديّة، بتاريخ 22 مايو 2021.

أن يكون طرفاً. ولهذا أمثال هذه الموضوعات تحتاج إلى رافدين: رافد منتج للأفكار، وهم أنتم أيها الجامعيون؛ بما لكم من تنظير وقراءات، ورافد مُطبّق للأفكار؛ وهم رجال الميدان؛ رجال التربية الذين يمارسون سلطات توصيل النصوص إلى المتعلمين. وهكذا يحصل التكامل في ميدان التعليميّة التعليميّة وفي ذات الوقت يحصل النقاش بين المعنيين في سدّ الثغرات التي تظهر في التنظير، وتظهر تأثيراتها في التطبيق. ولهذا نروم الوقوف عند محاور الندوة في معالجة ديداكتيكية تُراهن على نظرات جديدياتٍ مع الشريكين في المهارات الأربع: السّماع + القراءة + الحوار + الكتابة؛ وهذا من مستلزمات القاعدة التعليميّة، وفيها يتمّ تشكيل وعي لغويّ في استكناه النصوص ومعانيها والتي تقدّم بتقنيات حديثة تداوليّة، وفي المدرسة تتمّ عمليات التعليم وما يليها من طرائق المعرفة في اكتساب الخبرات المختلفة، وترتبط بكلّ المواد التعليميّة الأخرى في جميع مراحل التعليم، فلا يستطيع المتعلّم أن يتقدّم في أيّة مادة تعليميّة إلّا إذا تحكّم في مهاراتها الأربع. وبما أنّ إشكاليّة الندوة جدّ دقيقة، وهي تقنية غير مفتوحة إلّا للخاصّة، فلا يمكن أن نُحيط محاور الندوة من جميع جوانبها، إلّا اقتراح أفكار بصّرنا بها تمييزاً لاختياركم موضوع هذه الندوة؛ بدءاً من النصوص التراثيّة التي تعمل على نظرة كليّة، مثل المناظرات الأدبيّة أو النصّ الشعريّ القديم الذي لا يقف على المقدّمة الطلليّة، وما هي إلّا استفتاح لمكّمات القصيدة. وحرّيّ بنا نحن الباحثين تقديم طرائق بديلة في هذه المحاور المقترحة في تقييم القواعد التي تُعطى للمتعلّم، واقتراح بدائل في انتقاء النصوص، وفي كيفية بنائها، وآليات متابعتها، ومنطق إقراءها. وذلك ما سوف أقترحه على البحث المتابعين؛ بأنّه من الضّروري العودة إلى الكتب

المدرسية، والنظر فيها لذاتها، ومن خلال النظريات الرافدة لها، والاستدلال بالوثائق المرافقة للمنهاج، ومن ثمّ النزول للميدان لتفحص إمكانيات التطبيق، واقتراح البدائل النوعية.

1- في صلب المشكلة: هناك جملة من المتغيرات المعاصرة تدعونا إلى التجديد والبحث في المشكلات المستقبلية في ميدان التعليم والتكوين، مما يعزز أهمية البحث العلمي والتربوي في حل المشكلات التربوية التي تطرأ في الميدان حيث سيسهم ذلك في عملية إصلاح النظم التعليمية، وهذا يعمل على تشخيص مواطن الضعف، ومن ثمّ يعطي المواصفات المطلوبة للعلاج من خلال الاجتهاد في الإصلاح التربوي. ويكون ذلك من خلال البحوث في المقاربات النصية في المنظومة التربوية الجزائرية، ولا ندري إلى أي مدى استطاعت الإصلاحات التربوية الجزائرية حلّ المشهد التعليمي في هذا التوجه الجديد؟ وهل أعطت المتعلم الأولوية باعتباره القطب؟ وكيف تعاملت مع الدعامات البيداغوجية في ترتيب الأولويات، وفكّ الاشتباكات والتداخلات، وتناصها مع تخصصات أخرى؟ وهل هناك دراسات معرفية لفتح باب البحث العلمي التربوي وتشجيع الباحثين على الإبداع؟

2- في صلب الموضوع: في مفهوم المقاربة النصية لا يمكنني أن أرفع أمامكم في تحديد مفهومها، أو الوقوف عند أسسها وأعلامها، بقدر ما أريد التركيز على منطلقها من اللسانيات السردية النصية؛ بدءاً من النص باعتباره وحدة قاعدية وليس الجملة، وأنّ النص يحمل الوحدات اللغوية والروابط ولا يمكن أن يفهم إلاّ بالتعلق الذي يتم بين الوحدات والنظام اللغوي ومعطيات

السِّياق. وأنَّ اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة؛ بل في نصٍّ متماسك، بدءاً من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل الكبير (النَّص). ويعني ذلك أنَّه سلسلة من الأفعال الكلامية، وأنَّ دراسة النَّص لا تعني معرفة آليات تتابع الجمل؛ ولكن دراسة بنيته في علاقته بالبنى الاجتماعية التي تحيط به، فهو منتج المقام الذي يولد فيه، ومن ثمَّ لا يمكن أن يكون خارج السِّياق الذي يُنتجه ويتحكَّم فيه، وبذلك فهو في علاقة بمقام الفعل الملموس الذي هو جزء من النشاط اللغوي الذي يأتي به التحليل؛ والمقصود به القراءة العميقة للنَّص؛ أي الاحاطة بالمقاصد والمعاني والدلالات التي يسعى النَّص لتبليغها للمتلقي الذي تتفاوت قدراته القرائية، بين القراءة السُّطحية والقراءة العميقة. ومنهجية التحليل للنَّص تظهر في قراءة النَّص + تصنيف النَّص + تحديد عنوان النَّص + مصادر النَّص + القضية المُعالَجة + تصنيف النَّص من حيث نوعُ الخطاب + الخطاطة المناسبة للتحليل... وهذه تبرز في منهاج المقاربة النصِّية، وتُصوِّر مدى تمثُّل المنهاج للمقاربة النصِّية؟ ومدى انسجام الكتاب التعليميِّ مع المطالب التي حدَّدها المنهاج لتطبيق هذه المقاربة. وهذا مظهر خارجيٍّ، بله الحديث عن المظهر الدَّاخلي والمقصديَّة من: قدرة التلقي للمتعلم + فهم الموضوعات + إدراك البنية الكلِّية التي تكون وراء وحدة الموضوع + إدراك الترابط بين البنيات الفرعية + التمييز بين التَّصوص من حيث أنواعها وانتمائها الأجناسي هذا من جهة، ومن جهة أخرى تُظهر قوَّة الإدراك للمتعلم، وتسمح له: بابتكار الموضوعات + وضع مخطَّط مجمل للموضوع المبتكر + الترتيب السَّليم لعناصره + إمكانيَّة بناء نصٍّ مطابق للأنواع والنَّماذج النصِّية الجديدة، وهنا تكمن عبقرية المقاربة النصِّية

لأنه يستحيل قراءة نصّ ما دون معرفة مُرضية بالمستوى المعجمي والتركيبيّ للغة التي كُتب بها، وتتطلب عملية بناء المعنى إقامة علاقة بين المؤشرات الملتقطة من النصّ والتجارب القرائية السابقة للقارئ، وتفترض أيضاً جمع المعطيات النصّية وتصنيفها وتحويلها إلى مؤشرات دالة تُمكن من صياغة فرضية من فرضيات المعنى.

3- في صلب النص: لم تدرس النصوص العربيّة عند القدماء دراسة مستقلة، بل كانت هذه الدّراسة تحت باب (علم اللغة) ومقسّمة بين التّقْد والبلاغة وعلم القواعد، ودرست النصوص العربيّة صرفاً أو نحواً على مستوى الجملة، وحدّدوا نحو الجملة في غط تعليميّ قديم يعني بـ: استقلاليّة النّحو + إخضاع كلّ الجمل المركّبة لمجموعة من التراكيب البسيطة + الاطراد + المعيارية + الإطلاق + الاختصار. لكن علم لغة النصّ الحديث لا يرى أن النصّ توالي جمل كثيرة أو معيرة بحته؛ فالنصّ جزء فعليّ من الواقع لا يتوقّف عند كلمات النصّ وتحليلها في مستويات الدّرس اللغويّ صوتاً ونحواً وصرفاً ودلالة فقط، بل يهتمّ بالتّفاذ إلى ما وراء النصّ من جميع العوامل المعرفيّة والتّفسيّة والاجتماعيّة ومن العمليات العقليّة؛ لأنّ النصّ حصيلة تفاعل عوامل حدّدها المختصّون وهي توالي: المقاصيّة / الموقفيّة + السّبك التّحويّ + الحبك (التّماسك الدّلالي) + القصديّة + القبول + الإعلام + التّناص. وجميع هذه العوامل مجتمعة تستدعي العلوم الأخرى؛ وبخاصّة التي تهتمّ بالاتّصال الإنساني مثل علم الاجتماع، وعلم النفس وغيرها. ولعلم لغة النصّ ملامح واضحة وقسمات محدّدة؛ فقد بنى لنفسه معايير تأسيسيّة وتنظيميّة وكلاهما يساعدان في أن يتميّز النصّ عن غيره من المنطوقات

ويدرسان جودة النص وفعاليته وملاءمته. ولذلك لم يظهر مصطلح (علم لغة النص) في الدراسات اللغوية عند القدماء العرب، ولكننا نجد الاهتمام بدراسة/ بقراءة الأفكار عند البعض على غرار (عبد القاهر الجرجاني) وهو سابق أوانه بما أشار إلى هذا المعنى من خلال فكرة النظم. ولهذا، فعلم النص جديد ظهر عند الغربيين بمصطلح Discourse Analysis الإنكليزية. وأهدافه متعلقة بأشكال النص الممكنة، والسياقات المختلفة، وبمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية وهو متداخل الاختصاصات، ومرتبطة بظواهر ومشكلات تُعالج في علوم أخرى مثل علم اللغة العام، وعلم الأدب، وعلم الأسلوب، وعلوم الاجتماع، علم النفس، وأخيراً علم النص.

4- في صلب التقييم: من روافد نجاح العملية التربوية أن تكون هناك متابعة لمختلف عمليات التدريس: تقييم أولاً، ويؤدي إلى تقويم؛ حيث يعطي للعملية التعليمية بعدها التواصل أو بعدها التراجعي، ولما تكون العلمية تخضع للمتابعة تدخل في صلب المراجعات لا التراجعات، وهذا سنة التطوير في أية منظومة. ولا يأتي التقييم إلا حصيلة التقييم التي تتعلق بالنسق العام بأن المنظومة التربوية تحتاج إلى قاعدة تخطيط على الأماد الثلاث: سريع/ متوسط المدة/ طويل المدة، ويأتي هذا من نسق مجتمعي فكري هوياتي مخطط له من قبل المنظومة السياسية التي تتبع في البلد، ومنها تستشف السياسة التربوية التي تُعتمد في أركانها النسقية: نظرية لغوية+ مشيخة تربوية+ مريدون+ تطبيق جزئي+ تقييم وتقويم+ تعميم+ استمرار التقييم.

ولهذا إخواني الحضور، ترون خصوصية هذا الموضوع الذي يحمل في ذاته الخصوصية التسقيية الفكرية لنوايا التحسين في المنظومة الاجتماعية، وعمادها الاستثمار في التربية والتعليم، وهذه خصوصية تُستمد من المرجعيات السياسية التي تعتمدها الدولة، ومن ثم يأتي التخطيط التربوي الذي يأتي من خاصة الخاصة، ونجد فيه خصوصيات اختيار بناء التصوص من حيث الهيكله والروابط بين الفقرات الضمنية أو الظاهرة لتحقيق الانسجام الداخلي والخارجي للمتكون، بما للمنهاج المدرسي (الرسالة التخاطبية) من أهداف ومحتوى؛ ممثلة في محمول قناة الألفاظ ودلالاتها وحقولها الأدبية/ غير الأدبية وتركيب الجمل والوحدات الدالة. وبعد هذا البناء تأتي آليات الإقراء ويقوم بها المختصون وأهل الحل والعقد؛ حيث يتم دعوة المتعلم إلى متضمنات التصوص، وما يجري عليها من انتقاء بهدف التكوين المطلوب. ولما تتم كل العمليات الأساس سيحصل حسن التحكم في أركان المهارات وبخاصة مهارة القراءة وفهم مضمونها، وما يتبع ذلك من تدريبات مثيرة مكملة في العملية الفكرية ذات العلاقة باحترام ما يحتاج إلى احترام، وتقديس ما هو أهل لذلك، وفي كل مرة تحدث إصلاحات تربوية تحصل فيها نقل سلسلة أفكار هدفها البناء على بناء جيد وهو قاعدي، وتشطيب ما هو غير صالح للمتغيرات، ويكون مقبولا بفعل الحراك التربوي الذي يعيشه المتعلم من خلال المحيط العام الذي يتأثر ويؤثر. ومن هنا نرى عملية التقييم من الأهمية بمكان كي تتواصل مسيرة السيورة في إطار التحسين لا التراجع. وبكل ذلك نكون قد ضمنا مسيرة البناء التكاملي في سلسلة الحضارة التي

توضع لبنائها من صاحب الفكرة إلى مُطوّر الفكرة، والعاملين على توسيع الفكرة.

أيها المتابعون، لا يمكن أن نحكم على نجاح المقاربة النصّية إلاّ بحسن انسجام محتويات الكتاب المدرسيّ الحامل للنصوص التعليميّة، وفي ذات الوقت لا ينجح الكتاب المدرسيّ إلاّ بوعي مبلّغيه؛ أي العول على الانسجام الرباعي: المكوّن، والمكوّن، المنهاج، الكتاب المدرسي، وترون بأنّ هذه العمليات حلّقات مكوّنة للطريقة التعليميّة. ولضمان نجاح هذه السيّورة لا بدّ من تحقيق المهارات التي تعمل على تحليل النصّ في إطار تفاعل وانسجام النصوص الأخرى، والتّواصل معها، وبناء معناها بناءً ملائماً، وإظهار الكيفية التي يُبنى بها انسجام النصوص، من خلال اكتشاف مكوّنات النصّ الصّرفيّة والتّحويّة والدلاليّة، والتعرّف على أبعاده النصّية والتّداوليّة، وعدم الفصل بين الأنشطة اللغويّة، وفسح المجال لحرية التحليل بشكل يسمح للمتعلمين بترسيخ كفاءات علميّة تضمن استقلاليتهم وهم بصدد تلقّي النصوص. ولهذا من الأهميّة بمكان أن تُسند مهمّة صياغة المناهج وتحديد أهدافها وغاياتها، ورسم الطّريقة التعليميّة وصناعتها لذوي الاختصاص ممّن تشبّعوا بالمعارف القديمة والحديثة في مجال التعليميّة والدّراسات اللّسانيّة، وإشراك ذوي الكفاءات والخبرات في سائر التّخصّصات الاجتماعيّة والتّفسيّة والتّربويّة والعلميّة في تأطير العمليّة التعليميّة، وفي ذات الوقت العمل على صياغة المناهج والطّرائق التعليميّة باعتماد نتائج تحريّات البحوث الميدانيّة القائمة على الدّراسات التحليليّة، ومنطلقها البحوث الجامعيّة ذات العلاقة بالتّنظير أو ذات العلاقة بالميدان، من أجل الضّبط

الدقيق للمحتويات، وإطلاع القائمين على تنفيذ التصورات التعليمية من مفتشين ومعلمين على كيفية تطبيق الطرائق التعليمية الحديثة المعتمدة في المنهاج في دورات تكوينية منتظمة، فهم أهم حلقة يكتمل بها نجاح تطبيق أي تصور تعليمي.

3- ما قبل الخاتمة: أيها الجمع المتابع، إن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسات تطبيقية لمعرفة الترابط النصي الجملي الجزئي داخل النص الكلي وكيف يُعالج في ترابطات عبر مستويات: إعادة اللفظ + التّضام + التعريف + الإحالة + الاستبدال + الحذف + الربط الرّصفي. وكثير من الدّراسات التربوية تُراهن على تحليل المحتوى بالنّظر إلى الكتاب المدرسيّ على أنّه وسيلة من وسائل الاتّصال، تلك العملية التي تتكوّن من مُرسِل، ورسالة، ووسيلة ومستقبل. ولهذا لا بدّ من استيعاب أدوات تحليل المحتوى، وحسي أنّها تُبرز ما في الكتب المدرسيّة من قيم، وما يسودها من اتّجاهات أو مواطن اهتمام وما يحمله البحث عن المعنى الذي يحمله النص، أو القصد التّبليغي المضمّر داخل الموضوع، أو الرّسالة الكامنة في النصّ المُراد تبيّنه الى مجهول أو معلوم. ويمكن أن أقول إنّ تحليل المحتوى يُعدّ نوعاً من القراءة الأخرى المختلفة عن القراءة التّقليديّة، وغايته الكشف عن النصّ المكتوب، بل تتخطّاه نحو اللغة الشّفاهيّة والصّورة والحلم والموسيقى والمواقف والأصوات، والإشارات والإيماءات والحركات. وعلى هذا يكون السّعي نحو التّحليل بلوغاً إلى المعنى، استناداً إلى إحصاء مفردات بعينها داخل النصّ. ويؤدّي الأسلوب الإحصائي، والأدوات الكميّة دوراً بالغ الأهميّة في تحديد المضامين المستهدفة، حيث يتمّ الوقوف على صياغة كلمات يستخدمها كلّ

طرف إزاء الآخر؛ وصولاً إلى تحديد موقفه وميوله واتجاهاته. ولهذا نرى ضرورة الاهتمام بتحليل المحتوى الذي يُعتمد في ميدان الإعلام لما يُشخصه من تحليل الخصائص اللغوية/ الدلالية للرموز الاتصالية المستخدمة، وما يُحدّده من تكرارات أو ظُهور أو وُرود أو حُدوث هذه الخصائص بدرجة عالية، وتحديد القيم الكمية لهذه التكرارات، وإمكانية تمييز هذه الخصائص بمصطلحات ذات صبغة عامة، وتمييزها باصطلاحات ذات صلة بفروض الدراسة ومجالاتها، وهذا كلّهُ يؤدي إلى الضبط الدقيق المحكم لهذه الاصطلاحات المستخدمة التي تعمل على تحديد الأجزاء المكونة للمحتوى وتحديد العلاقات بين هذه الأجزاء، وتحديد طرائق تنظيم العلاقات بين الأجزاء في بنية المحتوى.

- **الخلاصة:** لا بدّ من التنويه بأهميّة هذه التدوّة، ونروم أن يتواصل البحث في هذا الموضوع من الأطراف المعنيّة؛ نظراً لما يكتسيه من أهميّة، وما توليه الدّراسات الحديثة من تحيين، وكى ننقل المدرسة الجزائرية إلى المحطّات العالميّة المنتجة للعلم، والمسايرة لأحدث تقنيات التّواصل التربويّ في الانتقاء والبناء والإقراء؛ بناءً على مقاربات معاصرة التي تلحّ على:

- 1- إعداد الخطط التعليميّة الفصليّة واليوميّة.
- 2- اشتقاق الأهداف التعليميّة التعلّميّة.
- 3- اختيار الاستراتيجيات التعليميّة التعلّميّة المناسبة.
- 4- اختيار الوسائل التعليميّة والتقنيات المناسبة.
- 5- بناء الاختبارات التّحصيليّة وفق الخطوات العلميّة.
- 6- تبويب أو تصنيف عناصر المحتوى لتسهيل تنفيذ الخطّة.
- 7- الكشف عن مواقف القوّة والضعف في الكتاب المدرسي.
- 8- زيادة كفاءة المعلّم في مواجهة الفروق الفرديّة من خلال تحليل المهارات.

9- تجنّب العشوائيّة في التّدريس.

ولا يسعني في التّهاية أن أشكر جامعة (يحي فارس) بالمديّة على ما ثوليه من تقديم أفكار تربويّة في عماد مستقبل الأمتّة، وهو ميدان التّربيّة والتّعليم كما أشكر الحضور طلبة وأساتذة ومُسيّرين، وكذا المتابعين على وسائل التّواصل الاجتماعيّ الذين ينقلون نشاطات المجلس الأعلى للغة العربيّة. وأجزل لكم الثّناء والحمد على حُسن استماعكم ومتابعاتكم لهذه الكلمات

التي رأيتها تعمل على تقديم أفكار في ندوتكم العلميّة العالمة هذه، ونأمل أن تُشَبَّعَ بالبحوثِ والدِّراساتِ والثَّقُودِ المُضيفَةِ التي تعمل على حَسْنِ الأداء في لاحقٍ من ندواتكم، وبوركتِ خطواتُ العاملين على صناعة جيلِ الرَّدِّ المُنيفِ، جيلِ الغدِ المُضيفِ. والسَّلام على طلابنا في المديّة، وتهاني الخاصّة بيومكم الوطني، وعسى أن نُحتَفِيَ بكم ناجحين، علماء راسخين، وللأفكار منتجين، وللمشاريع حاملين، وبكم نستنير، فأُنعِمُ بكم يا رجال الغد المنير! وهذا اللقاء من لقاء البديع، والسَّلام على الجميع.

اقتراح استراتيجية موحدة

للمصطلحات العلمية العربية[♥]

الديباجة: في الحقيقة يعدّ المصطلح العلميّ بالعربيّة من مضايقات اللغة العربيّة في عصرنا الرّاهن؛ نظراً لأهمّيّته المتناميّة في التّواصل الحضاريّ بين اللغة العربيّة وغيرها من اللغات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يدخل ضمن آليات تطوير العربيّة وجعلها وافيّة للغة العلم، وهذا ما يعطي البُعد الحضاري للأمة العربيّة، وتحديد ملامح ثقافتها، ووجودها على خريطة اللغات الحيّة؛ بما لها من حظّ وفير في كثرة المصطلحات وبما لوحدة مصطلحاتها من أثرٍ مباشر في وَحدة الأمة الفكريّة والسياسيّة. وفي كلّ هذا فإنّ قضية توحيد المصطلح العلميّ من القضايا المائزة لتشكيل الأثر الإيجابيّ والتّوعيّ في متن العربيّة- والدّفع بها إلى سوية اللغات العلميّة. ولا يمكن أن نستفيض كثيراً في هذه المسألة وسبق أن قدّمتُ محاضرةً موسومةً (نحو استراتيجية عربيّة لنشر المصطلح العلميّ) في رحاب مجمع اللغة العربيّة في دمشق بتاريخ 9- 12 أكتوبر 2004م، وقد وقع التّنصيب على توحيد منهجيّة وضع المصطلح مهما كان مجاله وهي التي تفرض توحيدَه، إلى جانب قضتي: الاستعمال والانتشار، وبصرتُ بضرورة توفير التّشريع الثقافيّ

♥ — أُلقيت المحاضرة عبر تقنيّة الاّتصال عن بُعد، لصالح الألكسو (المنظمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم) بتونس، بالاشتراك مع الأراسكو (منظمة المجتمع العلمي العربي) يقطر في 26 و27 مايو 2021.

والإعلامي في وضع وتوحيد المصطلح، وفي دعم المؤسسات المنتجة للمصطلحات مادياً وأدبياً في مشاريع التعريب، وفي إعداد العقول العاملة المؤهلة لهذه المهمة، وضرورة وجود مؤسسة مرجع واحدة. وخلصت إلى التنصيص على حلّ القضية بشكل نهائي عن طريق استصدار القرار الملزم لكافة الدول العربيّة والذي يكون من الزّامات تطبيقية من دورة من دورات الجامعة العربيّة، وتكون لجنة مراقبة تُتابع تطبيق القرار.

المقدمة: أبدأ كلمتي بالتذكير بما تقرّر منذ مؤتمر التعريب الأوّل في الرّباط سنة 1961، وما جاء بعده من مؤتمرات، والقضية لا تزال تُراوح مكانها. خمسون (50) سنة مرّت، ولم نخرج من أزمة المصطلح عامّة والمصطلح العلمي على الخصوص، فأين الخلل؟ نصف قرن ولا نزال نعيش في التّنبّير وفي خطاب الوعظ والإرشاد ممثلاً في (يجب الذي يجب). وما أحوّجنا إلى خطاب واقعيّ يُخرجنا من المقترحات إلى المُستلزمات؛ لأنّ مشكل المصطلح العلميّ ليس في الوضع، بل في الانتشار والاستعمال في تدريس العلوم بالعربيّة في مختلف المراحل التّعليميّة. وهنا تأتي مسؤوليّة مؤسساتنا المجمعية واتّحاد المجامع اللّغويّة ومكتب تنسيق التعريب، في وضع استراتيجية إيصال سفينة تعميم استعمال اللغة العربيّة إلى شاطئ الأمان عن طريق فرض استعمال المصطلح المنتج مهما كان مجاله، وتقديم استراتيجيات نشر الوعي المصطلحي بين الأساتذة والطلّبة، وتوفير المعاجم المتخصّصة والتّشترات والدّوريات التي تُعنى بالمصطلح العلمي، وفي إثراء المجلات العلميّة الحاملة للمصطلح العلميّ العربيّ... ولكن هي الآمال التي نحلم بها، وهي من المشاريع التي نرفعها دون تبليغ مقاصدها، ونحن لا نزال نعيش الفشل

والارتهاق، وما يصحبه من اليأس من اللغة العربيّة التي لا يقع توظيفها في الجانب العلميّ، فلا يُعطي ذلك إلاّ العقم.

1- انفرط عقد الأمة في عدم انسجامها لغويّاً: إنّ انفرط عقد الأمة العربيّة، وعدم انسجامها وتوحدّها، قد فرض عليها تبعيّة في مختلف المناحي ولهذا التّبعيّة آثار على لغتها بما تعرفه حالياً من تشتت الجهود وتعدّد المدارس، وكثرة الاجتهادات، وجعجات دون أثر، وهذا ما أبانته الدّراسات في مجال فوضى المصطلحات بشكل عامّ، فانفرط عقدنا المشترك وضاع دمّ العربيّة في الخلاف، وفي ازدواجيّة التأسيس المُنافي للتّنفيذ. وتشهد العربيّة حالياً بلبلة في مصطلحاتها على فقرها بالنسبة إلى التّقدّم العلميّ، وما توصم به وأهلها (بالشّعوب المتخلّفة) وتحصيل حاصل بلغة متخلّفة؛ حيث نأخذ ولا نعطي، فنعيش حقيقتين (20): التّخلّف العلميّ والتّقنيّ، وتشتّت الأمة العربيّة سياسياً وإدارياً؛ ممّا ينتج عنهما ازدواجيّة المصطلح العربيّ مقابل المفهوم الأجنبيّ. هي مضايقات معاصرة وعظيمة لا يمكن التغلّب عليها إلاّ بالعلماء والباحثين وأصحاب القرار وكان عليهم الاستئثار لا الإيثار، والبُعد عن التّرويج في الفرديّة والانحياز إلى أعمال الفرق من أجل أنّ خدمة العربيّة؛ لتكون لغة علميّة مطوّعة تجمع شتاتنا، وتكون لسانَ حالنا في الحاضر والمستقبل.

2- معرفة الخلل بطلان للعجب: إنّ جوهر القضية في توحيد المصطلح العلميّ وغير العلميّ تعود إلى تعدّد اللغات الأجنبيّة التي تستقي منها العربيّة مصطلحاتها العلميّة، وتعدّد الجهات التي تتولّى عمليّة وضع المصطلح العلميّ والتّقنيّ، إلى جانب تلك العمليات التي تتعلّق بالترادف والاشتراك

اللفظي في العربيّة ذاتها، وعزوف واضعي المصطلحات عن العودة إلى التراث العلميّ العربيّ أثناء وضع المصطلحات العلميّة الحديثة، وأهمّ نقطة عدم وضع المصطلحات العلميّة موضع الاستعمال والتّطبيق، وتعدّد المنهجيات المتبعة في وضع المصطلحات العلميّة. ويبدو لي بأنّ هذه الحوصلة كافية لاعتماد استراتيجيات حلّقة هذه القضايا في الرّاهن. ومن هنا بصّر المجلس الأعلى للغة العربيّة في الجزائر بمجموعة من المقترحات نقدّمها لمن يُهمّه الأمر، ونرجو أنّنا أسهمنا في نظرة مستقبلية لمسألة المصطلح العلمي التي تعيش عيش اللبد.

3- اقتراح استراتيجية موحّدة: إنّها استراتيجية عملنا عليها مدّة منذ سنوات ونحن نخوض ميدان المصطلح بصفة عامّة، وقد دافعنا عن ضرورة توحيد منهجية الوضع وهي السّبيل لتوحيد منهجية التّوحيد. وسبق أن دافعنا عن الخطوط العامّة للوضع وهي مستقاة من لقاءات عربيّة في ملتقيات دراسيّة، ومن خلال ندوات التعريب، ممثلة في:

1/3- ضرورة وجود مناسبة أو ما شابه بين مدلول اللفظ اللغوي ومدلوله الاصطلاحي.

2/3- لا يشترط في المصطلح أن يستوعب كلّ دقائق المعنى.

3/3- رفض التّرادف في المصطلحات العلميّة.

4/3- استخدام التّرجمة الدّلالية والمجاز.

5/3- إذا تعدّر إيجاد مصطلح عربيّ يُلجأ إلى التعريب.

- 6/3- تحديد الدلالة العلمية للمصطلحات المتقاربة، وعدم تقييدها.
- 7/3- توخي وضوح الدلالة وتجنب الإمام.
- 8/3- توحيد ترجمة المصطلحات المشتركة بين مختلف العلوم.
- 9/3- ضرورة وضع تعريف موجز لكل مصطلح عربي إمعانا في تحديد الدلالة.
- 10/3- مراعاة صلات الترابط الاشتقاقي والتصريفي والمعنوي بين المصطلحات.
- 11/3- تُقدّم الكلمة الخاضعة للاشتقاق على التي يصعب الاشتقاق منها.
- 12/3- تقدّم الكلمة الكثيرة الدّوران على النّادرة، والكلمة المنسجمة الحروف على المتنافرة.
- 13/3- تفضيل الكلمات العربيّة الفصيحة على الكلمات المعرّبة.
- 14/3- اعتماد تعريف المصطلح عند دلالاته على مهنة خاصّة.
- 15/3- تجنّب استخدام العاميّة وبخاصّة المحليّة أو الإقليميّة.
- 16/3- تُقدّم الكلمة الخاضعة للاشتقاق على التي يصعب الاشتقاق منها.
- 17/3- استعمال المصطلح الأجنبي لضرورات القاهرة.
- 18/3- الالتجاء إلى النّحت عند الضّرورة العلميّة.

هي أفكار نزعم أنَّها نوعيّة تعمل على تقديم أجزاء من الحلول في أزمة توحيد المصطلح العلمي في اللغة العربيّة، ورأينا أن نستكمل بمجموعة من المحدّدات المكملّة لها.

4- **رفع اللبس عن العربيّة:** لا بدّ من رفع اللبس والرّد على مَنْ يرمي العربيّة بالعُقم؛ فهي لغةٌ مِنْجَاب وَلُود، بما لها من إمكانات التّمو اللغويّ في شتّى المجالات، وبما تحملها في ذاتها من: توليد واشتقاق ومجاز وترادف ومشارك لفظيٍّ، دون الحديث عن طواعيتها في التّرجمة والتّحت. وإذا عرجنا على منتج المؤسسات فإنّه لا يمكن أن توفي هذه المحاضرة الحديث عن ذلك الكمّ، كما لا ننكر جهود الجامع والمؤسسات والأفراد في إثراء العربيّة بكمّ معتبر من المصطلحات العلميّة في مختلف المجالات، ويكفي أن ننظر في الأعداد الكبيرة للمصطلحات الموحّدة من إنجاز (مكتب تنسيق التعريب) سنرى الوفرة في مختلف المجالات، وفي آخر التّقانات المعاصرة، بله الحديث عن منتج مجمع القاهرة والعراق والأردن والمجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر، واتّحاد الجامع ووزارات التّربيّة في الوطن العربي، والجامعات العربيّة، والمراكز العلميّة ذات العلاقة، ومختلف البحوث التي عملت على ظهور مدارس مصطلحيّة مشرقيّة ومغربيّة... ولعلّ النّاظر في الأعمال الكبيرة التي صدرت ولا تزال تتوالى في الصّدور يلمس مقاربات نوعيّة في منهجيات الوضع والتّوحيد، وفي الدّعوة إلى المرجعيّة الشرعيّة في صناعة المصطلح، وهذا ما يشكّل قطب الرّحى في دراسة المصطلح العلميّ في الوطن العربيّ كلّّه، فإنّه من الواجب القومي والعقديّ أن نقول: إنّ جهوداً معتبرة أنجزت، ولكنّها دون رجوع الصّدى في التّوحيد قبل التّعميم، فلم تضيع

الجهود إذن؟ وما الغاية من كثرة المؤسسات المصطلحيّة وهي تنتج الشّتات المصطلحي، كما لا مفعول لمتوجّها، فذلك في نظري تشتت الجهود الكبيرة التي تُبذل لخدمة المصطلحات العلميّة. وإذا كانت النظرة إلى قضيّة توحيد المصطلح تمثل مشروعاً قومياً حضارياً، لا مندوحة لنا من السّعي للتهوض به وإنجاحه؛ فإنّ المسألة جدّ بسيطة يمكن التوصل إلى حلولٍ شافية وسريعة. لذلك، ينبغي أن يكون اتحاد المجامع اللغويّة العلميّة العربيّة قاضياً عدلاً يفصل في قضايا المصطلحات المتراكمة باعتباره مؤسسة جامعة ومنتجة للمصطلح، ويقدم ذلك لمكتب تنسيق التعريب؛ باعتباره مؤسسة تنفيذيّة.

5- **توحيد المصطلح استراتيجيّة حضاريّة:** هناك معادلة حياة المجتمعات تتمثّل في حركة الشّعوب وسرّ تفوّقها وبقائها، ومشاركتها في البناء الحضاريّ، فنلاحظ من خلال تلك المعادلة قائمة في البلاد الرّاقية والتي تهتمّ بلغاتها فاليهود في العصر الحاضر كانوا ملّة شتائاً وظلّوا حتّى جمّعوا أنفسهم وأقاموا دولة، وأحيّوا لغة ميّنة غدت في ما بعد لغةً في الأدب والسياسة، بل أرادوا لها كذلك أن تكون لغة علم فأنشؤوا الجامعة العبريّة سنة 1925م أيام الانتداب البريطانيّ، فاضطلعت بدورٍ قوميّ فريدٍ يقوم على أساسٍ تدريس العلوم باللغة العبريّة؛ فقد أيقن علماؤهم أنّ جمّعهم لا سبيل إليه إلّا بلغة جامعة. ومن ثمّ، فإنّهم اليوم أمّة؛ وأمّة هذه حالها لا تنفك أن تكون على خريطة الأمم الحيّة النّاهضة، عداك عن أممٍ أخرى لا تواجه لغائهم المشكلة التي تواجهها العربيّة، كالتركيّة والفارسيّة والألمانيّة والفرنسيّة وغيرها. وعليه فتُقاس الأمّة حضارياً بإحصاء مصطلحاتها اللغويّة واستكناه مدلولاتها وذلك ما يقطع يوحد الأمّة الفكريّة والسياسيّة من وحدة مصطلحاتها

اللغوية؛ لأنَّ حركة اللغات أخذًا وإعطاء، وتمايز من خلال استعمالها من أهلها في التدريس والتأليف وكتابة البحوث وغير ذلك من المناشط اللغوية. وهنا لبّ المشكلة في اللغة العربية، وكان علينا تحقيق غاية الهوية اللغوية وإشاعة العلم بها. ونطرح السؤال كيف السبيل للخروج من هذه الأزمة الحضارية؟ وكيف يمكننا العودة بالعربية لغةً عربيةً إسلاميةً موحدة لأقطارنا؟

6- إشكالية المصطلح العربي العلمي ليست فنية، بل هي إشكالية بحثية: من الهموم التي يعانيها المصطلحيون العرب الذين يبحثون عن منهج لتوليد المصطلحات العلمية أو ترجمتها عن اللغات التي درسوا بها في دول غريبة مسألة المصطلحات العلمية، فهي ليست مسألة فنية أو تقنية متعلّقة بترجمتها إلى العربية، فهذه مسألة سهلة، ولا تنتهي المهمة بترجمة المصطلح لكنّها مسألة بحثية في حدّ ذاتها، لأنّهم لا ينتجون المصطلح في ذات لغتهم بل يأخذونه من غير لغتهم، وكلّ لغة لها ثقافة في وضع المصطلح، ولها أرضية معرفية وثقافية خاصّة بها، ويمكنها لا تصلح للغة أجنبية. ولتجاوز هذا الأمر يحتاج إلى تواضع معرفي والاطلاع على ما أنجز في هذا الموضوع من توليد للمصطلحات وترجمتها، وإلى إدراك تطوّر العلوم التي تعكس توليد المصطلحات داخلياً وخارجياً، وذلك ما يعكس تفكيرنا وأبحاثنا بصورة حقيقية، إلى جانب الارتباط الفعليّ بمدى تطوّر العلوم اللغوية والاجتماعية والإنسانية عندنا، واستنباط مصطلحات فيها بيسر وسهولة. ولهذا لا بدّ من إقحام علماء اللسانيات في تقديم خطة استراتيجية متوسطة المدى؛ تبدأ بالبحث في تنقية إشكاليات المصطلح ممّا حصل فيها على مدى السنين الماضية، باعتماد نمط حضاريّ جديد خارج الأطر والطرائق التقليدية التي

سلكها العلماء والباحثون في العلوم الاجتماعية والإنسانية. إلى جانب الحاجة الماسة إلى وضع منهج واضح لترجمة المصطلحات بنقل المفاهيم وعدم الخلط بين الترجمة والتوليد. فكلّ مترجم، مختصّ، أو غير مختصّ، يقوم بدور في عملية النقل / الترجمة وخاصة أنّ الأصل في اللغة أن تكون العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية، وهو ما ينتفي في الصناعة المصطلحية؛ ذلك أنّ اختيار المصطلح اختيار واعٍ يعتمد على عدد من الأسس اللسانية والمفاهيمية. وهنا تأتي أهمية المعيرة اللسانية؛ باستحضار قواعد بناء الكلمة وقيودها ولذا لا بد من مؤسسة تُضفي الشرعية على المصطلحات وتقوم بتعميمها وتوحيدها بين الباحثين.

7- ضرورة تداول المصطلح العلمي: أيها المسؤولون، أيها العلماء ليس لدينا الوقت للالتفات إلى الوراء، علينا أن نتطلّع إلى مستقبل أفضل وتفرّغ عقول علمائنا إلى معالجة قضايا توحيد المصطلحات ونشرها ضمن عمليات مستقبلية جديدة تداولية، والتداول يُغربل ويُظهر المصطلح المقبول، وأؤكد ضرورة تجسيد استراتيجية عربية تصل بالعربية إلى شاطئ الأمان وإرساء قواعد المصطلح ونشره وإشاعته، وأن تتّصف تلك الاستراتيجية بسهولة التنفيذ وبِقصر المدّة، وهذا يحتاج إلى تعاون وتنسيق بين مختلف الشركاء. ولهذا من الضروري تنسيق جهود المؤسسات والأفراد في وضع المصطلح العلمي، بغية توحيده، وضرورة الاستفادة من المنهجيات الغربية. وإشراك الطلبة في الندوات الفكرية بالمصطلحات، وتشجيع الأساتذة الجامعيين في التخصص والتعريف بالأبحاث والمصطلحات، وربط الجامعات ومراكز

البحوث بنوك المصطلحات العلميّة العالميّة، مع العمل على استحداث بنوك عربيّة للمصطلحات العلميّة.

8- مواصلة تركيب التوحيد المصطلحي: لا نسعى إلى خلق البكرة من جديد، فهناك منهجيات رصينة اقترحت من لقاءات العلماء والمجمعين العرب، ويكفي أن تعتمد بالتوحيد الإلزامي، بدءاً من منهجية الرباط 18 - 20 فبراير 1981م، وهي منهجية جيّدة أبانت عن نتائج ممتازة في وضع المصطلح العلمي، إلى جانب تلك المنهجية الشاملة التي تمّت صياغتها في مؤتمر المجمعين في مجمع الأردن سنة 1984م، فهي من الخرائط العلميّة الدقيقة التي تفوق مواصفات توحيد المصطلحات التي تنجز في اللغات الأوروبيّة، بنظام الإيزو/ (ISO) فنحن لا نفتقر إلى منهج علمي لصياغة المصطلحات، بقدر ما نفتقر إلى منهجية تطبيق ملزم في ضوء حاجتنا المعاصرة، ومنهجية أعمال (الأكسو) في استراتيجياتها الموحدة وفي التخطيطات ومسارات توحيد المنهجية، وقد نصّت إحدى التوصيات على ضرورة إرساء مصطلحات عربيّة قادرة على نقل المفاهيم العلميّة بالدقة المطلوبة، وتوحيد منهجية استعمالها بعيداً عن النزعات القطريّة والفردية انطلاقاً من وضع منهجية محدّدة بوضوح، ينجم عن العمل بها الوصول إلى الكفاية المصطلحيّة. وهنا نتحدّث عن أزمة تطبيق المنهجية الموحدة لا عن أزمة المصطلح، وأقول: هناك منهجيات عديدة أنتجتها المؤسسات وكلّ منهجية تنضح بما فيها من توجه علمي وانتماء لغويّ، منهجيات بعضها متقاربة وبعضها متباعدة، وهناك منهجيات الأفراد... والحلّ يكمن في تطبيق

تلك المنهجية الشاملة التي أقرت في مجمع الأردن، وكفي الله المؤمنين شر القتال.

9- **تخطيط سياسة لغوية رشيدة مسنودة بنظرية لسانية:** لا يمكن أن ينجح وضع/ توحيد المصطلح إذا لم يحصل هناك تخطيط سياسة لغوية رشيدة بقوانين فقه اللغة العربية، وبمراعاة خصائصها ومن هنا تأتي أهمية السياسة اللغوية المستخرجة لتقوية التخطيط اللغوي، وهذا يستدعي وعياً جديداً بأهمية البحث في القضايا اللغوية للعربية في العصر الحديث وأن نخطط لسياسة لغوية مصطلحية تتموقع في إطار تركيبة من الأهداف يشكل مجموعها تجسيدا لسياسة نظرية معينة للغة، ضمن تحسين جودة اللغة وإصلاحها، وتعليمها وتعلمها. ولا بد من اعتماد النزعة العلمية المستحسنة في توحيد المصطلحات؛ بهدف الدقة العلمية، وفصاحة التعبير وسحر البيان ووحدة التفكير والثقافة في الأمة الواحدة.

10- **مؤسسة تشريعية منتجة للمصطلح، ومؤسسة منفذة للوضع:** وهذا موجود على مستويين هما: اتحاد الجامعات اللغوية العربية باعتباره يضم المؤسسات الجمعية والمجالس والاتحادات، فهو يستقبل المصطلح ضمن قاعدة بيانات تصفي الكم المصطلحي الوافد، ومن ثم تقدمه إلى مكتب تنسيق التعريب الذي يضيف قاعدة جوهريّة يعمل على ضوئها في عمليات التوحيد. كما يقوم بالشراكة مع مختلف الجامعات والمؤسسات على نشر معاجمه. ولماذا مكتب تنسيق التعريب؛ باعتباره له دراية علمية في تنسيق المصطلحات باستراتيجياته المعاصرة القائمة على مسايرة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية، بمراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية، دون

التخلي عن استكناه التراث، واعتماد التصنيف العشري الدولي لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها في منظومة التّخطيط المصطلحي. كما سبق أن وضع استراتيجيته وعمل على تحقيقها بشكل مقبول، وهي قائمة على خطة واضحة المعالم في إعداد المعجمات الموحدة، بتخطيط رباعي كما يلي: الخطة الأولى (69-1983) وهي مرحلة التّصور، والخطة الثانية (84-1989) مرحلة إعداد معجمات في موضوعات التعليم العامّ والتّقني والمهني والجامعي والعالي والخطة الثالثة (90-2000) مرحلة إعداد معجمات عامّة في موضوعات علميّة مختلفة، والخطة الرابعة (2000-2010) مرحلة إعداد معجمات في المصطلحات العلميّة الأساسيّة لمجمل المعارف الإنسانيّة.

11- **استصدار القرار السياسي الملزم:** أعرف سلفاً أنّ القرار الملزم ليس سهلاً استصداره، ولكنّه من الحلول التي تُخرج المصطلحات وما يتبعها من إشكالات العربيّة من نفق التّراجع، أو من رأس قينة الأمانى والتّنظير. بالفعل هناك قرارات صدرت وفشلت، وهل نترك الأمر على عواهنه؟ بل إنّ ذلك كان سبب تردّي أوضاع العربيّة، وحان الوقت لمراجعة استصدار القرار في صيغة المراجعة لا التّراجع كما جرى سابقاً، ويبدو أنّ المعطيات الحاليّة تستدعي ضرورة استصدار القرار السياسي الملزم لتوحيد المصطلح ونشره، وفق سياسة موحدة في الوضع والتّقييس والاختيار الدقيق المتفق عليه. ولهذا تقتضي ضرورة التّوحيد ومحاولة إثبات الدّات بعيداً عن الدّعاية والرّطانة والتّبعيّة، ألا نبقى تابعين تائهين حائرين، وأن نكون حازمين في تطبيق القرارات العلميّة التي تصدرها المؤسسات ذات العلاقة بتطوير

العربيّة؛ لتبيّن مدى إمكانية صنع هذه القرارات لآليات التّغيير المطلوب، مع ما يصحبها من إمكانيات التّنفيد.

الخاتمة: إذا جاز لي أن أقدم خلاصة أوقل: من الأهميّة بمكان العمل دعوة الألكسو إلى تنسيق جهود المؤسّسات والأفراد في وضع المصطلح العلمي، بعد توحيد المنهجية في بعدها العام، وضرورة الاستفادة من المنهجيات الغربيّة، وجعل مؤسّسة واحدة هي المشرّعة والمرجع في مجال المصطلحات العلميّة، ولا يتأتّى هذا بالسهولة إلّا بإجراء دراسات سنويّة حول شيوع وتقبل المصطلحات وتدارس النتائج. ومن هنا تتبع بتنشيط لجان التعريب الجامعيّة التي كانت نشطة في الثّمانينيات، وتحفيزها مادياً ومعنوياً، وإشراكها في التّدوات والمؤتمرات ذات العلاقة بالمصطلح. ولا بدّ من إقامة دورات للأساتذة الجامعيّين في التّخصّصات المتجانسة على المستويين المحليّ والعربيّ؛ يتمّ فيها التعريف بالأبحاث والمصطلحات واهتمام الجامعات العربيّة بعلم المصطلح، وإقراره على الطّلبة ضمن وحدات التدريس وربط الجامعات ببنوك المصطلحات العلميّة العالميّة. والسّعي لاستحداث بنك عربي للمصطلحات العلميّة العربيّة الموحّدة. ونقترح ألاّ يوظّف المصطلح العلمي إلّا إذا صدر عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط. وتوظيف الأصوات العالميّة التي نستقي منها المصطلحات الأجنبيّة، فنحن بحاجة إلى كتابتها كتابة دوليّة، وإلى نطقها كما ينطقها أهلها.

تلكم هي القضية، والمشكلة في أيديكم أيّها الباحثون أيّها المتابعون المختصّون، وعليكم البحث في استراتيجية إعادة العربيّة إلى مجدها وعلمها

وكيف السبيل للعودة إلى لغتنا التي انسلخنا عنها، ولبسنا لبوس غيرنا، وهل سيفكر المسؤولون اليوم في جدوى تدريس العلوم بالعربية في الجامعات العربية؟ وهل تستطيع السفارات العربية أن تُوظف أجهزتها لخدمة العربية وهل ستفعل جامعة الدول العربية دور مكتب التنسيق التابع لها، والأجهزة الأخرى ومختلف الدوائر التابعة لها؟ ونحن هنا لا نبحث عن المسؤول الشخصي بقدر ما نبحث عن الرجل الرشيد الذي يجمع شتات مختلف الاجتهادات الآتية من المؤسسات العربية أو الأفراد في مجال المصطلح العلمي الذي سيكون عمدة تعميم استعمال العربية؛ لتكون لغة العلم والحضارة. وأعلموا أن هذه المسائل مرتبطةً بحاضر أولادنا ومستقبلهم وكذلك بمضمون عقيدتنا التي نريد أن تُشبع بثقافتها العربية فساعتها يكون للعربية شأن آخر. وأنا على يقين بأنه ما ضاع حقٌّ وراءه باحثون رشيدون يُبصرون بالوحدة الشاملة للمصطلح العلمي الذي بقي طموحاً لكل عربيٍّ وربما سيكون الفرج الذي دعا إليه المخلصون أمثالكم في ما مضى من الزمان، وكلّ ما هو أنت عازم عليه فإنه آتٍ؛ إذا صدقت النيات بالإكبار وشُدّت العزائم بالإصرار، وساندتها الدول العربية بالقرار.

الخطّ العربيّ والكتابة

وضرورات مُسايرة نمطيات الرّقمنة^٧

■ **الديباجة:** تكمن أهمية هذا الملتقى في اختيار عنوانه (الخطّ العربيّ والكتابة الإملائية من التّأصيل إلى التّفعليل) وهو عنوان جامع بين فعالية تأثيل الخطّ العربيّ الأصيل الذي عُرفت به العربيّة، وبين ضرورة تفعيل بعض آلياته وفقاً لمتطلّبات نمطيات الرّقمنة في شكل آليات العمل الميكانيكي هذا من جهة، ومن جهة أخرى، ما يُستشفّ من الخطّ العربيّ باعتباره أحد أعمدة المهارات الأربع: السّماع + القراءة + الحوار + الكتابة / الخطّ. هذا الخطّ الذي انطلقت بدايته من خطّ المُسند - حسب أغلب الروايات - وعُرف منه أربعة أنواع: الخطّ الصّفوي؛ نسبة إلى تلؤل الصّفّا + الخطّ الثمودي؛ نسبة إلى ثمود سكان الحِجر + الخطّ اللحياني؛ نسبة إلى لحيان + الخطّ السّبيّ / الحميري الذي وصل من اليمن في جنوب الجزيرة العربيّة. وهكذا عرّف إلى الحيرة، ثمّ الأنبار، ومنها إلى الحجاز غرب الجزيرة العربيّة. وهكذا عرّف الخطّ العربيّ تغييرات كبيرة في الكتابة من التّأسيس الذي تجسّد في كتابة المخطوطات، وما قرأناه من الخطّ المكي والمدني، ثمّ الأندلسي والمغاربي...

^٧ أُلقيت الكلمة في الملتقى الدّولي الذي نظّمه المركز الجامعي (عبد الحفيظ بوالصوف) بميلة بتاريخ 20- 21 جوان 2021م، بمشاركة: مختبر اللهجات ومعالجة الكلام بجامعة وهران + مختبر الممارسات اللغوية بجامعة تيزي - وزو + مختبر الدّراسات اللغويّة والتّطبيقية بجامعة المسيلة، تنظيم خلية ضمان الجودة بنفس المركز.

إلى عصر خطوط الحاسوب وما وقع من تنميط أشكالها في مربعات اللغات الطبيعية. علماً أنّ الخطّ العربيّ فنٌّ وتصميمٌ متّصلٌ قابلٌ لاكتساب أشكال هندسيّة مختلفة من خلال المدّ والرّجع والاستدارة والتّزوية والتّشابك والتّداخل والتّركيب... إضافة إلى ما عرفه من زخرفة مسّت المساجد والقصور، كما تجلّت معالمه الفنيّة أكثر في الأواني والتّحف والزّرابي، وفي تحليّة المخطوطات والكتب؛ وبخاصّة نسخ القرآن الكريم. وهنا تجسّدت آيات الابتكار والإبداع بما عرفه الخطّ من: نسخٍ وتلّثٍ ومعلّقٍ ورّقعةٍ وكوفيٍّ وفارسيٍّ وديوانيٍّ... وكانت الأقلام تتبارى في جودة هذا الخطّ بشكل لم تعرفه خطوط اللغات الأخر.

1- الخطّ العربيّ والكتابة: يُعرف الخطّ العربيّ بكتابة الحروف العربيّة المفردة أو المركّبة بقلب الحُسن والجمال، أو ما يُعرف بفنّ الخطّ. ويقول القلقشندي في (صُبْح الأعشى) الخطّ ما تُعرف منه صُورُ الحروف المفردة، وأوضاعها وكيفيّة تركيبها خطّاً. وقال (ياقوت بن عبد الله الموصلّي) "الخطّ هندسة روحانيّة ظهرت بآلة جسمانيّة، إن جودت قلمك جودت خطّك، وإن أهملت قلمك أهملت خطّك". والكتابة من (كتب) بمعنى إذا خطّ بالقلم وضُمّ وجمع وخاطّ وخرزّ، ويقال كتب قرطاساً؛ أي خطّ فيه حروفاً وضُمّها إلى بعضها، وكتب الكاتب؛ أي جمعها. وقد شاع إطلاق الكتابة عرفاً على أعمال القلم باليد في تصوير الحروف ونقشها وعلى نفس الحروف المكتوبة. إذأ هما بمعنى واحد، رغم أنّ الكتابة تُطلق في الاصطلاح الخاصّ بالأدباء على صناعة الإنشاء.

2- التطوّر الذي عَرَفه الخطّ العربيّ: هناك بدايات قديمة جداً لظهور تدوين اللغة العربيّة قبل العصر الجاهلي في منظومة اللغات العروبيّة واختلفت الآراء، ولهذا يمكن الحديث فقط عن تلك الكتابة التي ظهرت في تدوين القرآن الكريم على يدّ (زيد بن ثابت) وكتّبة الوحي، ثمّ الرّسم العثماني، ثمّ ما عرفه من إعجام منذ أبي الأسود الدؤلي 69 هـ، فاجتهاد (نصر بن عاصم) 90 هـ، فالخليل بن أحمد الفراهيدي 170 هـ، وضُبطت الحروف العربيّة بثمانية وعشرين (28) حرفاً. خضعت لترتيبات مختلفة تفاوتت في الواجهة والمعايير المستعملة:

2/ 1- الترتيب الأبجدي: تمّ تصنيفه بناءً على معيار الأصول التاريخيّة/ مخارج الأصوات وهي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سغنص، قرشت، نخذ ضطغ.

2/ 2- الترتيب الهجائي: تمّ ترتيبه شكلياً يعتمد على الأشباه والنظائر أي تشابه أشكال الحروف من حيث الرّسم، ويعود هذا التّرتيب إلى اللغوي (نصر بن عاصم الليثي الكناني) وهي: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي. يُعدّ هذا التّرتيب أكثر تداولاً لسهولة البحث وتوافقه لآليات الكتابات العالميّة. كما نشير إلى ظهور اجتهادات معاصرة من مثل أعمال المجمعين واجتهاد لخضر غزال 2004م، في نظامه (العمم - شع). ولقد عرف الخطّ العربي جملة من التّطوّرات في تجويد الخطّ على يدّ الخطّاطين أمثال: أبي علي بن مُقلة، علي بن هلال البغداددي، ومير علي الهراوي التبريزي، والضّحّاك

بن عجلان، وإسحاق بن حماد... ثم ما شهدته التغيرات الخطية في الأندلس وفي عهد المرابطين وعند الموحدين، وفي دول الإمارات، وما عرفه من تزيين نوعي على يد الخطاطين العثمانيين بخطهم المعروف (الديواني) وعند الإيرانيين في لوحات فنية مشكّلة للصّور، ثم ظهور أقلام عُرفت بـ: السّجلات + الديباج + الطّومار + الثّلاثين + المفتح + الحَرَم + العهود + القصص + خطّ الإجازة/ التّوقيع... وإلى جانب تلك التّطوّرات التّقنية المعاصرة في مهارة صناعة هذا الفنّ، وما عرفه من إضافات عبر نظام ميكني في ما يُعرف (Caractères Spécieux).

وفي كلّ هذه التّطوّرات، فقد شكّل الخطّ العربي أحدَ المظاهر البارزة والرئيسة للحضارة العربيّة الإسلاميّة، منذ صيرورتها الأولى وحتى اليوم فقد تطوّر قليلاً مع تطوّر الحضارة السّريع، وكان الوسيلة الأساس في نشرها وتعميمها، وفي نفس الوقت عومل هذا الخطّ كعمل فني قائم بذاته له خصائصه ومزاياه التشكيلية والتّعبيرية، والتي شهدت بدورها تطوّراً كبيراً خلال مراحل تطوّر الحضارة العربيّة الإسلاميّة. ومع كلّ ما يعرفه هذا الخطّ من نقائص حديثة لا يزال موضع اهتمام وبحوث وتجارب؛ بهدف استيلاد مُنجز بصريّ عربيّ مُعاصر، بما يكتنزه من قيم تشكيليّة ودلاليّة وتعبيريّة وأضحى محلّ دراسات علميّة في مخابر القياسات، ولدى مُنظّمات المواصفات والمقاييس العالميّة؛ ليكون عامل قياس نمطي يجعل منه محارف نمطيّة تخضع للضّبط الدّقيق الذي تقبله الآلة المُعاصرة في الطّول والعرض وقابليّة التّشكيل. ولقد احتفظ هذا الخطّ بنظام جعله ينقل العربيّة في التّعليم للأجيال القادمة لما له من مرونة ومُسايرة لليدّ التي تكتبه وللآلة التي تُنمّطه

مّا خلق فيه هالة/ نظرةً تقديسيّةً بخصوص حَمَلِهِ للقرآن الكريم وللفنّون الإسلاميّة؛ حيث شكّل هذا الخطّ عنصراً رئيساً من عناصر اللغة العربيّة في تزيينها وتحسينها، وكان هذا الخطّ الرّافعة الأساس لجمالياتها البصريّة والدلاليّة، وهذا ما دفع أغلبيّة الباحثين والدّارسين اعتباره أكثر الفنّون عُروبةً، لارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم وبالشرّعة الإسلاميّة.

وفي كلّ هذا لا تزال العربيّة تعرف مُضايقات في مجال الإملاء؛ رغم ما قدّمه المجمعون من الاجتهادات التي لم تخرج عن قضايا الهمزة وبعض التيسيرات الخفيفة في الكتابة، وبقيت إشكالات الرّاهن تعيش المضايقات من مثل: الشّكل + عدم الخروج عن الكتابة الموروثة في القرآن (مصحف عثمان) + رفض الخروج عن التّقليديّة في الكتابة الموروثة من مثل: مائه/ شئون/ هيئة/ قراءوا، ونظر إلى كتابة القرآن الكريم فيها ما لا يلقاه التّلميذ في الكتاب المدرسي، فهنا عليه أن يتعلّم أكثر من خطّ، وانظر مثلاً إلى قوله تعالى ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوبِلْنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف 49. وهذا نموذج لا ندخل فيه بقدر ما نسعى أن يكون الخطّ موحّداً، وما له علاقة بالقرآن نحافظ على قدسيّة الكتابة العثمانيّة... ولكن المهمّ في الأمر هناك صدور قرارات مَجْمعيّة تحثّ على تطبيق الكتابة المعاصرة، ويبدو لي هناك رفض إضافة أشكال جديدة في منظومة الخطاطة العربيّة (مجموعة القرارات العلميّة في خمسين عاماً، 307 - 325) وظلّ المحافظون متمسّكين بموروث السّلف في المكتوب على أنّه من التّاريخ المقدّس، كأنّه نزلت القراءة القرآنيّة بذات الخطّ، وكان ذلك من المشكلات التي تُرهق متعلّم اليوم في

كثرة الخطوط وفي نقص الخطوط الوظيفية التي ظهرت مع الحركات الثقيلة التي تعرفها المجتمعات العربية والإسلامية في الاحتكاك بالآخرين، وما تُضيفه التقانات المعاصرة من تسميات تحمل أصواتاً ليست في منظومتنا الخطية... وكلّ هذا كان من العوامل التي تجعلنا في موقف إعادة النظر في قضايا لم يقع الفصل فيها في مسألة المكتوب العربي، ونحن بحاجة إلى فتوحات معاصرة بهذه اللغة.

ولأهمية هذا الموضوع في وقتنا المعاصر، ظهرت دراسات تحمل مصطلحات: التيپوگرافي/ الكاليگرافي بخصوص تجسيد التشكيل بواسطة الحروف، وهي من هواجس العصر في الرفع من سوية الخط العربي ليكون له موقع في خريطة اللغات النمطية التي تُكتب بالسماع، ويحدث فيها ما يحدث من كتابة دقيقة حسب المسموع. وبات حرياً الآن تحقيق أيقونات خطية جديدة تُحافظ على استمرارية الخط العربي، وتستوعب أبعاد تحقيق ذلك في كتابات الخطّاطين على مدى قرون عديدة ممتدة من القرون الهجرية الأولى حتى وقتنا الحاضر، بتحقيق: القرائية + الجمالية + الدلالية، وصولاً إلى الميكنة الحديثة.

3- مضايقات معاصرة للخط العربي: هناك جملة من المضايقات نعرضها باختصار، وهي:

3/1- كثرة الخطوط العربية التي أصبحت مُداولة.

3/2- تنوع كتابة المخطوطات العربية بخطوط وحواشٍ لا تكاد تُشفر.

3/3- غياب التّميّط الخطّي في الكتب المدرسية.

3/ 4- عدم التّمييز بين التّزيين والزّخرفة، وبين خطوط التّدريس.

3/ 5- ضعف الاهتمام بالمختصرات في الكتاب المدرسيّ، وعدم تدريس علم التّعمية.

3/ 6- غياب تدريس مصطلحات المختصرات، وعدم استعمالها في العربيّة إلّا في العلوم وفي الرياضيات.

3/ 7- عدم وقوع الصّائت على الصّامت.

3/ 8- ثبات النّص العربيّ الخطّي على التّسعة والعشرين (29) حرفاً/ نقص جملة الأصوات التي نسمعها في لغة التّداول اليومي، ولا نجد لها في منظومة الخطاطة، علماً أنّ سيّويه (الكتاب، الجزء 4، ص 431 – 433) في باب الإدغام) قال: "... وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هنّ فروغ وأصلها من التّسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار... وتكون اثنتين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيّته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن ولا في الشّعر... وهذه الحروف التي تَمْتُها اثنين وأربعين جيّداً ورديّها أصلها التّسعة والعشرون لا تيين إلّا بالمشافهة، إلّا أنّ الضّاد الضّعيفة تُتكلّف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلّفتها من الجانب الأيسر وهو أخف؛ لأنّها من حافة اللسان مطبقة..."

4- ضرورات مُسايرة نمطيات الرّقمنة: لا نسعى من وراء هذا الابتعاد عن الشّكل العربيّ مُطلقاً، بقدر ما نروم تحسين وإضافة ما يتمشّى مع العولمة

اللغوية التي تفرض علينا جملة من المضايقات الخطية، ولا بدّ من التّفعيل داخلها كي لا تنكمش لغتنا العربيّة، أو تُعرف القهقري، ولا تنال السّوق العالميّة وهذه جملة الأسباب:

4/1- ضرورة التّماهي مع العولة بالمحافظة على الخصوصيات العربيّة.

4/2- ضرورة الوعي اللغويّ في حاجة العربيّة إلى ترجمة العلوم وترجمة المصطلحات، فنحن نأخذ من اللغات الأجنبية فقط، ولا نبدع بالعربيّة، وكان حريّاً بنا أن ننقل هذه العلوم بأسمائها في كثير من الأحيان.

4/3- لا مشاحة في نقل المصطلحات الأجنبية، فالعلوم مثل الرياضيات والطبّ لا لغة لها، بل يمكن نقل المصطلحات مع محاولة تكييف بعض أصواتها وفق ما يقبله الدّوق العربي، أو نقله كما هو، كما نصّت عليها قواعد التّعريب.

4/4- هناك أصوات في اللغات التي ننقل منها العلوم لا توجد في أصوات العربيّة، فكان لا بدّ من نقلها كما تُنطق في لغاتها؛ ليكون الفهم أدقّ وأوضح، باعتبار العربيّة تأخذ ولا تُعطي في الوقت المعاصر، من مثل اسم الدّواء (Paracétamol) / پراسيتامول. ونعني هنا تلك الأصوات التي يكثر دورانها في القضايا اليوميّة التي نجد ضرورة النّطق كما هي من مثل: $p+v+$... $j+$ $zz+$ $g+$ q

4/5- هناك أصوات في الدّوارج العربيّة، ولا توجد في المنمّط المكتوب في الحروف التسعة والعشرين، فما العمل ونحن نتعامل مع ألفاظ الحياة

العامة، وفي أسماء الألقاب وفي أسماء الأماكن المرتبطة بواقع لغويّ ما، وفي نقل الأدب الشّعبي، وفي المسكوكات القديمة والحديثة، وفي إنزال اللغة الوظيفيّة المحلّ التداولي.

4/6- إنجازات أوليّة في المعجم التاريخي للغة العربيّة، والعربيّة منبُها اللغات السّامية القديمة، وقد تفاعلت معها: العبريّة + الآراميّة + الحبشيّة + السّريانيّة + الثّموديّة... وفيها أدبنا القديم بما يحمله من أصوات الزّمن الغابر كما نجد نقوشنا التي هي تاريخنا القديم، فهل نترك كلّ ذلك دون نقله كما يُنطق، ونستخلصه من تلك اللغات التي استحوذت عليه، بل تأثّرت به.

4/7- موقف العربيّة في العصر الحاضر والمستقبل أمام لغات العولمة (Lingua –Franca) في تبادل المصالح المُرسلة، وفي قضاء الحوائج التجاريّة وفي الأسفار، وفي نقل التكنولوجيا، وما يتبع ذلك من التّواصل العالمي عبر الضّخ المعلوماتي بلغات نحن بحاجة إلى الإفادة منها، وإلى العيش ضمن دائرة تبادل المنافع (الأخذ والعطاء).

5- المتغير المطلوب في نمطيات الرّقمنة: كي نلحق الرّكب، لا بدّ أن نتعوّل بلغتنا، ولا نجعلها منعزلة، وعند ذلك نحكم عليها بالفناء. وإنّ العربيّة تمتلك النّظام الاشتقاقي الذي لا مثيل له في اللغات العالميّة، وعليه فإنّ الغاية من هذه الكلمة هي إسباغ الطّابع العربي على العلم؛ بجعلِهِ يبدو كأنّه ينبثق من بيئة عربيّة وفكر عربي. ولذا من الضّروري الخروج التّدرجي من الأسر الذي كبّلنا فيه أنفسنا في الرّموز الأجنبيّة، ولا يعني هذا عدم الأخذ بما هو مختصر علمي؛ بل كيف نجعل مختصراتنا تنال موقعها في المؤسّسات الدّوليّة

على غرار مواصفات (ISO)، ومن ثمّ البقاء داخل منظومتنا الخطيّة العربيّة والمحافظة على جمالها، دون المساس بها، وقاعدتنا الإضافية من خلال استحداث بعض الرّموز للحروف القريبة من الحرف القديم للاستجابة للصّوت فقط. ومن هنا من الضّروريّ سنّ منهجيّة عربيّة متّفق عليها، ومن ثمّ يأتي الوضع على قواعدها كي لا ندخل في خلافات الرّموز. وهنا لا نطلق من الفراغ أو البداية من الصّفر فهناك اجتهادات ومشاريع جيّدة يمكن الاستهداء بها، كما يمكن تحيينها والإضافة إليها على غرار عمل المجمع الأردني الموسوم (مشروع مجمع اللغة العربيّة الأردني للرّموز العلميّة والعربيّة، 1985م). وهنا يمكن القول بأنّ القضية يمكن أن تفضي إلى حلّ هذه المشكلة بشرط الاستعمال؛ فهو الذي يجعل المصطلح سهلاً ميسّراً مقبولاً.

وفي هذا المجال أوجّه الطّلبة لحسن توظيف الرّموز الرّياضيّة؛ فهي القاسم المشترك بين اللغات، والرّياضيات لا لغة لها. وإليكم هذه الصّورة التي يجب العلم بهذه الرّموز:

5/1_ دلالات الرموز الرياضيّة:

الرموز الرياضيّة									
$\backslash$	$\times$	$\equiv$	$\div$	$\cdot$	$\times$	$\mp$	$\pm$	$-$	$+$
$\sim$	$\parallel$	$\wedge$	$\neq$	$\equiv$	$\div$	Ω	$\approx$	$\neq$	$=$
$\square$	$\square$	$\square$	π	$\triangleright$	$>$	$\wedge$	$\sqrt{\square}$	$\sqrt{\square}$	$\{...\}$
$\lceil$	$\ll$	$\gg$	$\rightarrow$	$\downarrow$	$\uparrow$	$\leftarrow$	$... $	$[...]$	$(...)$
∇	∇	∇	$\wedge$	$\vee$	$\geq$	$>$	$\leq$	$<$	$\lessgtr$
∞	∇	$\oplus$	$\otimes$	$\#$	$\dashv$	$\exists$	$\leftrightarrow$	$\leftarrow$	$\neq$
$\ni$	$\in$	$\nsubseteq$	$\not\subset$	$\supseteq$	$\supset$	$\cap$	$\cap$	$\cup$	$\cup$
$\emptyset$	$-$	$\square$	$\cap$	α	Σ	Σ	I	$:$	$-$

5/1/1: إشارات ابتدائية:

الرمز	دلالاته
$+$	إشارة عمليّة الجمع، وإشارة العدد الموجب.
$-$	إشارة عمليّة الطرح، وإشارة العدد السّالب.
$\mp / \pm$	إشارتا موجب أو سالب، مثل $4 \pm$ تعني: 4 أو -4.
$\times$	إشارة عمليّة الضرب القياسي، والضرب الديكارتي (المتجه).
$\cdot$	نقطة، وإشارة ضرب، والضرب الداخلي: أ.ب / أ.ب.
$\div$	إشارة عمليّة القسمة.

-	خطّ الكسر في مثل $\frac{1}{2}$ وقد يكتب $\frac{2}{1}$ أو $\frac{1}{2}$. لاحظ أن المخرج دائماً تحت الخطّ.
/	خطّ الكسر في مثل (أ- ب) / ج. لاحظ أن المخرج تحت الخطّ.
%	إشارة النسبة المئوية.
=	إشارة التساوي.
≡	إشارة التساوي حسب التعريف: $\text{هـ} > = \text{د}$.
≠	إشارة نفي التساوي: $4 \neq 5$.
≈ / ≅	إشارتا التساوي بالتقريب: $3,1416 \approx \frac{22}{7}$.
≲	إشارة التساوي بالتقارب: $\text{س} \leq 5$ ، مثل $\text{س} \leftarrow 5$.
≡	إشارة التطابق: $3 \equiv (2 \text{ مض})$ $7 \equiv (2 \text{ مض})$.
≇	إشارة نفي التطابق.
△	إشارة التقابل، في مثل: كل نقطة على الخارطة تقابل (أو تمثل) مليون نسمة).
∠ / ∠	إشارتا الزاوية.
└	إشارة الزاوية القائمة.
⊥	إشارة التعاقد.
// /	إشارتا التوازي.
Δ	إشارة المثلث.
←	إشارة التقارب، يستعمل ← / ↔ بمعاني أخرى معروفة.
≈	إشارة تشابه المحاذاة.
()	{ } / [] أقواس وحاصرات تُستعمل بأحجام مختلفة ومعاني تتباين أحياناً

2/1/5: إشارات التباين:

الرّمز	دلالته
$>$	إشارة (أصغر من): $4 > 3$.
$\geq$	إشارة (أصغر من أو يساوي): $\geq$ ب يعني $>$ ب أو $=$ ب.
$\gg$	إشارة (أصغر من بكثير): $100 \gg 3$.
$<$	إشارة (أكبر من): $3 < 4$.
$\leq$	إشارة (أكبر من أو يساوي).
$\ll$	إشارة (أكبر من بكثير).
$\nless$	إشارة (ليس أصغر من): $5 \nless$ يتضمّن أنّ $5 \leq$.
$\nless$	إشارة (ليس أكبر من).

3/1/5: إشارات المنطق الرياضي والتحليل العددي:

الرّمز	دلالته
$\sim$	إشارة التّقي. مثلاً: $\sim$ ق تعني (ليس ق).
$\neg$	إشارة نفي أخرى.
$\wedge$	إشارة عطف، مثلاً: ق $\wedge$ ض تعني (ق و ض).
$\vee$	إشارة اختيار بمعنى (أو)، مثلاً: ق $\vee$ ض تعني ق أو ض، أو كليهما.
$\downarrow$	إشارة الإنكار الشّامل ق $\downarrow$ ض تعني أنّ كليهما خطأ.
$\Leftarrow$	إشارة التّضمين: ق $\Leftarrow$ ض تعني أنّ ق تتضمّن ض.
$\Leftrightarrow$	إشارة التّكافؤ: ق $\Leftrightarrow$ ض تعني أنّ كلا منهما تتضمّن الأخرى.
$\forall$	إشارة التّعميم: $\forall$ س تعني لكلّ قيم س (يتحقّق شرط ما).
$\exists$	إشارة تخصيص: $\exists$ س تعني هنالك عدد ما س (يحقق شرطاً ما).

1/1/5: إشارات نظرية المجموعات والتحليل الرياضي:

الرّمز	دلّالته
U	إشارة الاتحاد: $S \cup T$ ص تعني جميع عناصر S و T (المشتركة والغير مشتركة).
$\cap$	إشارة التقاطع: $S \cap T$ ص تعني العناصر المشتركة بين S و T .
$\subset$	إشارة الاحتواء: $S \subset T$ ص تعني أنّ S يحتوي على T وإنّ T مجموعة جزئية فعلية من S .
$\subseteq$	إشارة الاحتواء: $S \subseteq T$ ص يعني أنّ T مجموعة جزئية من S (وقد تكون هي S).
$\not\subseteq$	إشارتنا نفي الاحتواء.
$\supset$	إشارتنا احتواء: $S \supset T$ ص، $S \supseteq T$ ص يعني أنّ S محتواة في T .
$\not\supset$	إشارتنا نفي الاحتواء.
$\ni$	إشارة الانتماء: $x \ni S$ ص يعني x عنصر من عناصر S .
$\not\ni$	إشارة نفي الانتماء.
$\in$	إشارة انتماء $S \in T$ ص يعني S هي المجموعة التي ينتمي إليها العنصر T .
$\notin$	إشارة نفي الانتماء.
$(\{ \})$	قوسا الثنائي المرتب، والعناصر الكثيرة المرتبة، $\{ \}$ قوسا المجموعات.
$\oint$	إشارتنا التكامل، باعتبار $\int$ حرف الكاف محرفا.
Δ	إشارة مقدار الزيادة أو النقصان: Δ ص تعني زيادة ما في S (موجبة أو سالبة).
$!$	إشارة المضروب، مثلا $3! = 1 \times 2 \times 3$.

Π	إشارة ضرب عدّة عوامل ينتظمها قانون واحد.
Ø	إشارة المجموعة الخالية ¹ .

5/2- ضرورة التّدخل في مجال استحداث المختصرات في كلّ العلوم لأنّ قانون (البقاء للأسهل) قائم ويتعزّز باستمرار، ثمّ إنّ اللغة العلميّة تفرض علينا هذه التّمطية الاختصارية.

5/3- استيعاب آليات الحوسبة والهندسة اللغويّة، فهي القاسم المشترك بين اللغات الطّبيعيّة، ولا حرج من استعمال الرّموز المتفق عليه/ ما يكثر دورانها، والحوار بالعربيّة، وهذا ما يجعل للعربيّة موقعاً بين اللغات. فأين الخلل إذا وظّفنا ما يلي: & @ \$ # © ®

5/4- إضافة الأصوات العربيّة الدّارجة والمازيغيّة والتي لا يكثر دورانها في الاستعمال الوظيفي؛ وهي غائبة في منظومة الخطاطة العربيّة على غرار: ث پ گ چ ڦ ڳ. علماً أنّ إضافة هذه الحروف المعدّلة يدخل في كتابة الأسماء والألقاب وأسماء الأماكن كما تُنطق، وبخاصّة في بلاد المغرب هناك تسميات مازيغيّة من الضّروري أن تكتب صحيحة وكما تُنطق عند السّاكنة.

5/5- ضرورة استعمال الأرقام الرّومانيّة في الكتابة العالميّة الخاصّة بالقرون والملوك، وما له علاقة بحضارة ونهضة أوروبا، وكذلك تدخل في ترقيم الصّفحات، وهذه خاصيّة دوليّة، فلماذا يغيب استعمالها في الكتابة العربيّة، بل تدخل في إطار العولمة:

¹ - مشروع مجمع اللغة العربيّة الأردني، للرّموز العلميّة والعربيّة، 1985.

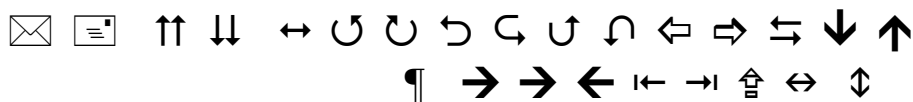
10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
X	IX	VIII	VII	VI	V	IV	III	II	I

6/5- إضافة المختصرات العربيّة في أيقونة اختصاراً لجملة كبيرة لتجسيد نظرية الأقلّ جهد في المكتوب، إضافة إلى ما تحمله من تزيين نوعي يدخل أحياناً في بعض أبواب الكتابة العربيّة، من مثل:
 رمضان         
 الله         
 الله ربّ العالمين.

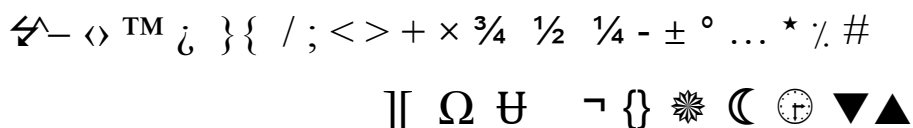
7/5- إضافة ما يستعمل بشكل يوميّ في وسائل التّواصل العالميّ في صورة عربيّة دون مشكلة، ويمكن أن تكتب أوّل مرّة بصورتين هكذا: زووم/ Zoom، وعند تكرارها نكتفي بالحرف العربي، كما يمكن أن تكون مقرونة بصورتها العلميّة. وهذه مرحلة بسيطة والتعود على الاستعمال سيزيل الكثير من الحواجز:

سناب شات Snapc hat	يوتوب YouTu be	استغرا م Instagr am	سكاي پ Skyp e	فايبر Vibe r	تويتر Twitt er	زووم Zoo m	واتساب WhatsA pp	فايس بوك Facebo ok
								

8/5- استعمال في الكتابة العربيّة المختصرات العالمية في الشّارات الدّوليّة حالة ما تقتضي الضّرورة، بدل الشّرح؛ فالشّارة تُغني عنه من مثل الرّموز التّاليّة:                



9/5- حُسْنُ التَّعامل مع أنظمة المختصرات المطلوبة في واقعنا المعاصر
من مثل:



10/5- ضرورة التّماهي في توظيف المختصرات العربيّة في جميع ألفاظ
الحياة اليوميّة بصورة ذوقية مقبولة، ولا يمكن أن نقول بأنّ هذه العمليّة
سهلة، ولكن يعوّل على تجسيدها عن طريق الاستعمال في مختلف مناحي
الحياة اليوميّة، ومع الجيل القادم. ونعرف بأنّ كثرة الاستعمال يولّد النّسخ
ويسبق التّطبيع، ولكن لا نعدم نجاح توظيف مختصرات الحياة اليوميّة عن
طريق كثرة التّوظيف. وإليكم بعض المقترحات:

المستعمل الحالي (المطبوع)	المقترح القادم
AG	ج ع
FLN	جتو
SNTV	محطّة نقل
RCD	تثد
PORT	ميناء
GARE	المحطّة
RDC	طبقاًرضي
TAJ	تاج

CAMPUS	حَرَم
المجلس الأعلى للغة العربية	مجلس العربية
UNESCO	يونسكو
ALECSO	ألكسو
APC	مجلس بلدي
SHOPING	تسوق
OK	أوكي
BEY BEY	وداعاً
المعجم التاريخي للغة العربية	متع
كتاب الطبقات الكبرى للطبري	الطبقات
تعليم العربية لغير الناطقين بها	تعغن
شبكة وسائل التواصل الاجتماعي	شواتج
وسائل الميديا الجديدة	ومج
لغة الطيران المدني	لطم
TRAM	ترام
TRAIN	قطار
المكتبة الوطنية	مط
المكتبة الجامعية	مج
رئيس مجلس الأمة	رئيس مجم
رئيس المجلس الشعبي الوطني	رئيس مشو
السناتل الجزائري	ساج
المنظمة الوطنية لحماية المستهلك	موحم
الأمانة العامة للحكومة	أعح
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية	ججدش
قيادة أركان الجيش الوطني	قأجو
وزارة الداخلية والجماعات المحلية	وزارة دجم

وزارة البريد والمواصلات السلكيّة واللاسلكيّة	وزارة بمسّس
SONACOME	شوص
SONATRACHE	شوبت
SONALGAZ	شوكغ
...	

وعلى العموم، فإنّ هذه المختصرات لا يحصل لها القبول في البداية بسبب ترسيخ المختصر الأجنبي بطول المدّة، وتناقلها عبر الأجيال، ولكن نحن نزرع للجيل القادم. وعليه، فإنّه يمكن الآتي:

1- الاتفاق على تصدير الحرف الأوّل من الكلمة قدر الإمكان.

2- السّعي لمشكلة كلاميّة ذوقيّة من خلال جمع المتخالفات.

3- العمل على توظيفها في الكتاب المدرسي وفي نشرها إعلامياً.

4- تعميم استعمالها سيكون في لاحق من الزّمان؛ عبر ترسيخ قاعدة المختصرات في العربيّة، ولا شكّ أنّ الدّوق اللغويّ للمختصر البديل هو الذي يفرض نفسه إذا كان مقبولاً ولا يُتقرّز منه.

ولذا، لا بدّ من الرّهان على الدّوق والنّحت، رغم أنّ من خصائص العربيّة أنّها ليست من اللغات اللصقيّة، أو من اللغات التي تستعمل بالكثرة النّحت. ولكن إنّ عملية كسب الدّوق تعود إلى استراتيجيّة وضع رموزها الوسميّة في الوثائق، ومن ثمّ إلى الإعلام الذي يعمل على انتشارها، وإلى مدّة زمنيّة حتى يحصل تعميمها. وفي الحقيقة ليست من المشكلات التي نبقى دائماً نستعمل الألفاظ الأجنبيّة التي أصبحت جزءاً من منظومتنا اللغويّة.

ومع ذلك فإنَّ الضَّرورة المعاصرة تقتضي مَّا خلق منظومة مختصرات تواصلية في مختلف مناحي الحياة اليوميَّة، وتكون للعربيَّة السَّيادة الاستعماليَّة.

الخاتمة: لا يمكن الرّهان على الثّقلات التي سوف تعرفها خريطة اللغات في التّغيّر الذي تلحقه كوليرا اللغات باللغات التي لا تعرف التّقدّم إلّا بضرورة العيش ضمن السيّورة العولميّة التي لا ترحم اللغات التي لا تُنتج العلم، أو اللغات التي لا تريد مُسايرة الحداثة. والعربيّة لا يمكن أن تبقى حبيسةً نمطيّةٍ وُضعت في القرون الأولى لعصر التّدوين، ونربط ذلك بالمُقدّس الذي لا يُمسّ، واللغة ليست (الذّكر) ويمكن أن نتأمّل ذلك في معاني الآيات التي ذُكرت فيها كلمتا: (الذّكر + ذِكر):

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر 9.

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء 105،

﴿ وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ الحجر 6.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل 43.

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل 44.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأنبياء 7.

﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ الفرقان 18.

﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ الفرقان 29.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ يس 11.

﴿ ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ص 1.

﴿ أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ۖ بَلْ فِي ذِكْرٍ لِّبَلَاءٍ يَذُرُّهَا ۚ ﴾ ذكر 8.

﴿ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ الزخرف 5.

﴿ أَمْ لَيْلِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ القمر 25.

﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ ﴾ القلم 51.

والخلاصة بأن كلمة (الذكر) تدل على أن الله حفظ القرآن الكريم فقط.

ويمكن أن نتأمل ذات الكلمة في صورة تجريدها من التعريف (ذكر) في الآيات التالية:

﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتُنقُوا ۚ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف 63.

﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا ۚ ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف 69.

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ يوسف 104.

﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ يُحَدِّثُ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الأنبياء 2.
 ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء 24.

﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُوكُم بَالِيلٍ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴾
 الأنبياء 42.

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ الأنبياء 50.

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ يس 69.

﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّغَابٍ ﴾ ص 49.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ص 87.

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ القلم 52.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ التکویر 27.

ونرى بأن كلمة (ذکر) في هذه الآيات دلّت على معنى القرآن الذي أنزل
 لكافة الناس، ولا يعني اللغة؛ لأنّ الشعوب غير العربيّة تتلاعى بغير العربيّة وما
 دام القرآن للعالمين، فإنّه (الذكر + ذکر) يعني القرآن فقط. فالله حفظ ذكره ولم
 يحفظ اللغات من خلال هذه الآيات. وهناك آية صريحة تدلّ على ذلك قوله
 تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾
 الأنبياء 105. يعني أنّ الزبور لم ينزل في العرب، ولم يكن بالعربيّة، هو ذكر
 يعني تعاليم سماويّة، والزبور حفظه الله، ولكن اللغة التي كتب بها الزبور
 غير محفوظة، وربط الله ذلك بالذكر وهو القرآن الكريم، ونفس ما نفهمه من
 قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ فصلت 11.

وحجّة أخرى أنّ العربيّة والدّين الإسلامي دخلا معاً إلى: آسيا الوسطى / بلاد ما وراء النهرين + بلاد السّند + أفغانستان + باكستان + أرخبيلات: ماليزيا / الفيتنام / الفلبين / بورما / إندونيسيا / تركيا + إيران + أوروبا الشرقية / أوروبا الغربيّة (فرنسا + إسبانيا + مالطا + البرتغال + إيطاليا) + الصّين + منغوليا + روسيا البيضاء + الدّول المستقلّة عن الرّوس ... بلاد كثيرة من أفريقيا من مثل: نيجيريا + النّيجر + تشاد + مالي + ساحل العاج + تانزانيا + الكاميرون + مدغشقر + سيراليون + بوركينافاسو + السنغال + الكونغو + الزّير + الطّوغو + كينيا ... إضافة إلى جُزُر كثيرة أصبحت مُسلمة، والتي تعرّضت ذات وقت بالعربيّة، وأصبحت لغاتها تُكتب بالحرف العربيّ ... وفي كلّ هذه البلاد بقيَ فيها (الإسلام) ولم تبقَ فيها (العربيّة) بل العربيّة عادت إلى بلادها باحتشام. وإنّ الحفظ يكون للغة العربيّة في العمل على تطويرها واستجابتها لمتطلّبات الرّاهن. وهذا هو المطلوب من طُلابنا اليوم؛ بالعمل على الابتكار بالعربيّة، وفي ذات العربيّة، على شعار (بالعربيّة نبدع)؛ كي تنال مواقع إضافية على غرار اللغات الأُميّة؛ وهي منها، فكيف السّبيلُ إذاً لرفع المضايقات التّقنيّة التي تجعلها في بعض المواد تعرف القهقريّ؟

ونترك هذا السّؤال ليُجيبَ عنه الطّلبة الباحثون بما يُبدعون في عالم التّطبيقات الحديثة التي تعرف رفع قيمة اللغة بما تُنتجه منها، وتحطّ من قيمة اللغة إذا بقيت منعزلة عنها. فلا فائدة في لغة عربيّة لا تأتي على أجنحة التّقانات المعاصرة، أو لا تجعلني أعيش الحداثة لما لها من فتوحات في الهندسة

اللغويّة، وفي متّوج الثّانوتكنولّوجي، وفي ميدان الرّقمنة فأنّعم بكلّ طالب ينحو هذا المنحى! ويعمل على تقديم الإضافة في ذات العربيّة وبالعربيّة. فكونوا أنتم لها معاول بناء، ومَناراتِ ثراء، تَكُنْ لكم مِطْوَاعَةً سَهْلَةً للبناء مُشِيعَةً للعلماء.

البحث اللساني العربي بين الأصالة والحداثة[♥]

■ **الديباجة:** نعلم بأنّ البحث اللساني العربيّ عرف قاعدة تأسيس أصيلة مبنية على مجاري كلام العرب في مسالك القول في: النحو والفقه والمصطلحات، ونشأت أبحاث مشتركة على شكل (كتاب/ كتب... تجمع علوم اللغة العربيّة؛ عمادها التّفصّح في بنية القول مجارة بالوضع الشعريّ الذي كان السّمة الغالبة في سوق العربيّة التي اعتلت فنون القول من خلال الأسواق والتّفاخر بأجود الكلام أيام الحروب وفي الانتصارات والإغارات. وكان البحث اللساني في مبدئه يدور في ما يحسن السّكوت عنه، وما لا يُقال من مثل البحث الخالص في النّحو الحامل لكلام العرب بما فيه من: قراءات وأصوات ونحو وبلاغة. وهذا ضمن خطاب لغويّ بحث في مفاهيم تخصّ دلالات الكلام، والمقام، والسّياق، وما له علاقة بعلم النّحو في الرّفْع والتّصَب والجَرّ والجزم. وكان كلّ هذا ظاهراً في الكتاب لسيبويه، ويظهر ذلك في باب حسن الاستقامة من الكلام والإحالة: مستقيم حسن: أتيكَ أمسِ. الحال: أتيكَ غداً. المستقيم الكذب: حملتُ الجبال. المستقيم القبيح: قد زيداً رأيت. الحال الكذب: سوف أشربُ ماءَ البحر. ونجد أنّ مجاري الكلام هنا قامت على أساس التّأليف والتّركيب وبناء المعنى، وصدّق ما ورد فيه. ولقد استخدم سيبويه مصطلح الجملة أوسع من الجملة ذاتها، وقاطع مصطلح الكلام الذي يقترب بمفهوم الخطاب، كما نستنتج أنّ سيبويه يريد

♥ أُلقيت المحاضرة في لقاء مع طلبة الدّكتوراه بجامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم بتاريخ 26

جوان 2021م.

ضمّ مفهوم الكلام بضمّ بعض الكلمات بطريقة خاصّة وصولاً إلى المعاني التحوّية، مع مراعاة السّياق الكلامي دون الفصل بين المعاني التّحوّية والبلاغية، فهو إذن لا يعتني بالتّحو فحسب أو يعزله، أو يجعله مستقلاً عن الظّاهرة الاجتماعيّة وأغراض المتكلم، ومقام السّامع والوسائل الموصلة للكلام، بل يجعل كلّ ذلك كلّاً متكاملأً متناسقأً، مازجأً بين الباثّ والمتلقّي من خلال القناة والفهم، والسّياق. وتواصل هذا البحث عند (ابن جني) عند حديثه عن اللغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وهي اجتماعيّة اصطلاحية فكرية. وفي كلّ هذا كانت اللغة عنده تحمل شجاعة عندما تحدّث عن أنّ العرب تعني بنظم ألفاظها وترتيبها، لأنّ ذلك هو طريقها لإظهار أغراضها، ومعانيها، وما الألفاظ إلّا خدماً للمعاني، وهذا بابٌ من أشرف فصول العربيّة وأكرمها وأعلاها وأنزهها، وإذا تأمّلتها وعرفت منه وبه ما يؤنّفك، ويذهب في الاستحسان له كلّ مذهب، وذلك أنّ العرب كما تعني بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلحظ أحكامها بالشّعْر تارة والخطب تارة أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلّف استمرارها، فإنّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخر قدراً في نفوسها وينظر (عبد القاهر الجرجاني) إلى شموليّة التّحو فيجعل العامل مرتبطأً بالمعمول، وأنّ التّحو أوجدَ للعمليات التّواصلية، وهذا وفق منطق اللغة القائم على غرض المتكلّم ومقصوده. ومن كلّ هذا نراه ينطلق من أساس اللغة وهو التّحو المنسجم مع مقصد التّأليف الكلامي الذي يراعي عنده الدّلالة والسّياق الكلامي، وإقامته على النّظم وعلى المعاني، وذلك أنّ فهم العبارة لا يكون إلّا بفهم أبعادها الدّلاليّة وموقفها الاتّصالي الذي تتمّ فيه عبر الأصوات اللغويّة، ومدار المتلقين

أساسه التفاعل بين التراكيب. ونجد توالي البحث اللساني يعرف مصطلحات متعلقة بالنحو على يد (الزّخشي 538 هـ) و(ابن يعيش 643 هـ) و(ابن أجروم 989 هـ) ويأخذ النحو بعد القول المفيد بالوضع، وما دلّ على معنى يحسن السّكوت عليه. وهذا البحث كلّه كان يتماهى مع الأصوليين الذين تحدّثوا عن الخطاب الذي يحمل دلالة تحيل على البروز والظهور، وتستبعد التأويل، حفاظاً على أدلة الأحكام في القرآن والحديث. وبالفعل لقد وضع العرب القدامى بعض أسس البحث اللساني التراثي بما لهم من مفاهيم اصطلاحية مقارنة، فقد ماثلوا به مصطلح الكلمة والكلام كما توجد إشارات مصطلحية أخرى تبين هذا الدال.

المقدمة: هناك مقولة مفادها إنّ العلوم تتطور على اختلاف أنواعها ومباحثها، وفق جبهتين: جبهة التراكم، وجبهة القطيعة، فعلى صعيد التراكم يكون عبر منتج الحاضر الذي يُضاف إلى مجهودات المتقدم؛ مع بقاء مجال الرؤية موحّداً مستمرّاً على ذات الوتيرة نفسها، وأما على جبهة القطيعة تكون حركية علم من العلوم مبنية على الاتصال والانفصال في آن واحد فبقدر ما يمعن المتأخرون في تغيير مسارات البحث ووسائله النظرية والمنهجية، بقدر ما يدفعون بالعلم أشواطاً إلى الأمام، أو يبتون نفساً جديداً غير أنّ الأهم في كلّ ذلك هي لحظة وقوع الاتصال وحدوث الانفصال؛ إنّها نقطة انعطاف وتوقّف يستدير فيها العقل إلى الوراء لمعاينة الصّرح المعرفي الذي شيّده، ويحاول تقويمه وتقييمه؛ تحسباً لمواصلة المسيرة، عبر طرح آفاق علمية استشرافية جديدة. ومن خلال هذا نعلم أنّ المنجز اللساني العربي ركّام معرفي كبير وضخم عاش لحظات الذات العارفة لمعرفة معينة معاينة

ومحلّلة وناقدة، وكانت بعضها محاولة لقراءة الخطاب المعرفي اللساني من خلال أدوات قرائية تصطنعها لنفسها فتنظر بذلك إلى منجزها عبر محطّات زمنيّة متعاقبة، ووفق رؤى ليست بالضرّورة متجانسة. ومن كلّ هذا فقد عرف الخطاب اللسانيّ (Le discours Linguistique) بأنّه خطاب علميّ واصف، جمع بين التّقرير والتّفسير، في رؤى مُنفصلة أحياناً، ومتشابكة أحياناً أخرى، بما يحمل من تعدّدية الأنماط؛ حيث تأخذ موضوع اللغة مادة/ موضوعاً بغرض بحثها وفق معطيات منهجيّة محدّدة.

1- **البحث اللسانيّ التراثي:** هناك بحث لسانيّ عربيّ زُرِع في تربة عربيّة بصفة عامّة، وهذه التربة أعطت له خصوصيّة للثُمُو؛ ضمن أرضيّة معرفيّة ومرجعيات فكريّة ولغة شرقيّة. وكان هذا البحث يحمل غمطاً لسانياً أصيلاً/ أثيلاً، أفرزته الرؤى البحثيّة المتقاربة المتمثّلة في مقولات القدامى في شتّى ضروب المعرفة. وكان هذا البحث اللسانيّ مؤسساً على ثقافة حمل الفرع على الأصل بتناول الظّاهرة اللّغويّة من خلال التّظر في قضايا لسانيّة تراثيّة بإسقاط المرحلة الحضاريّة الإسلاميّة العربيّة إبان عهدها الزّاهيّة من تاريخ البحث اللّسانيّ البشريّ عبر امتداده الزّمنيّ من عصر التّدوين إلى مرحلة دول الإمارات، وفيه ظهرت أشهر الكتابات اللسانية بمفهومها التّأصيلي.

2- **البحث اللسانيّ العربيّ المعاصر وخلاف الرّؤية:** مع تقدّم الأبحاث اللسانية المعاصرة في الوطن العربيّ ظهرت أفكار متباينة تجاه البحث اللسانيّ التراثي؛ فمن مؤيد للقديم، ومن ممارس للقطيعة، ومن متّصل لكلّ أشكال البحث اللسانيّ التراثيّ العربيّ، ومن يحمل ميولاً توافقية. ومن هنا يمكن تسليط بعض الضّوء على كلّ البحوث اللسانية التي تحمل هذه الرّؤى

المختلفة ضمن التماهي مع الماضي فقط، وهذا يشكل عائقاً أمام التّقدّم وتعيش العربيّة القهقري، كما أنّ ممارسة القطيعة مع التّراث/ المنجز يُعتبر حديثاً تنكّرياً للمنجز، ويبقى أنّ أصحاب الميول التّوافقيّة عملوا على التّخفيف من حدّة الخلاف الذي وصل في بعض البحوث إلى ميزان التّطّرف. على أنّ إعادة قراءة الفكر اللّغويّ القديم على ضوء المباحث اللّسانية المعاصرة ضروريّة، وكلّ بحث تقريبيّ/ توفيقيّ، يزيد من متن البحث اللسانيّ العربيّ. وهذا ما يثبت صلاحية تراثنا في الماضي والحاضر، وأنّ القراءات/ الأبحاث المتنوّعة تجعل الحضارة العربيّة الإسلاميّة تقوم على مبدأ النّشوء والتّولّد ويتناسل الموروث عبر الزّمن؛ فتتولّد من الوجود الواحد كائنات متعدّدة على قدر ما تتولّد من النّص نصوص تلو النّصوص. وأنّ بعض الأبحاث التّراثيّة مطابقة للدّرس اللسانيّ الحديث لا يعود لخصائص تسمّ هذا الصّنف من البحوث، بل لما وفرته التّقانة من آلات يسّرت عمل الباحث اللّسانيّ المعاصر، ليس إلّا.

3- **خطابات لسانيّة عربيّة متعدّدة:** في عصرنا نشأت خطابات لسانيّة تحمل أنماطاً ونماذج متعدّدة، وهذا التعدّد يعكس تعدّد المرجعيّات/ الخلفيّات التي تضبط وتحدّد هذا التّمودج من الكتابة اللّسانيّة أو ذاك. وسوف أعرض المفاهيم الكبرى التي قامت عليها البحوث اللّسانية المعاصرة. ويبدو لي بأنّ أنماط الخطابات تنوّعت بين: الخطاب اللّسانيّ التّراثيّ (القرائيّ الشّارح) + الخطاب اللّسانيّ المتخصّص (التّوليديّ التّحويليّ/ الوظيفيّ) + الخطاب اللّسانيّ التّقديّ. واعتمدت هذه الخطابات مناهج مختلفة تتوزّع بين: المنهج التّعليميّ + المنهج القرائيّ + المنهج التّقديّ. وهي التي شكّلت أنماط الخطابات

اللسانية التي أدت إلى ظهور مؤلفات متباينة على غرار: مباحث تأسيسية في اللسانيات لعبد السلام المسدي/ مبادئ في اللسانيات لخلوة طالب الإبراهيمي/ مدخل إلى لسانيات سوسير لمبارك حنون، هذا في بلاد المغرب دون الحديث عن البلاد العربية التي عرفت خريطة البحث اللسانيّ نصوصاً من الثقافة العلمية الموروثة، ونصوصاً من التّصوّر القبليّ لمنشأ الخطاب التعليميّ/ التبسيطيّ... وهذا ما خلق بؤرة أخرى في ضعف الجهد المبذول في مجال الترجمة اللسانية.

4- **مرتكزات البحوث اللسانية الحديثة:** عرفت البحوث اللسانية اجتهادات في ذات العربية، كما تماهت بعض البحوث اللسانية في خارج العربية وأسفر العمل على أنّ مضامين البحوث تدور في التعريف باللسانيات من منظور مغاير لمنظور الكتابة اللسانية التأسيسية/ التعليمية+ التعريف بموضوع اللسانيات وهي اللغة+ تناول الظاهرة اللغوية من قبل بيئات معرفية تراثية مختلفة+ الإشارة إلى احتواء التراث على بعض التخصصات اللسانية المعروفة. ويمكن القول بأنّ هذا البحث/ النشاط اللسانيّ جيّد بما يحمله من أنماط الخطابات اللسانية والأنساق المعرفية الحاملة للاستعراض ونقد الأسس النظرية والمنهجية لبعض البحوث اللسانية واستشراف الأبعاد الجديدة للسانيات العربية. وهذا تأثّر بمنهج الغرب من (تمام حسان) و(كمال بشر) إلى (أحمد المتوكل) و(الفاسي الفهري) و(مازن الوعر) وظهور المتابعات الغربية في أفكار (فراز بوب) في نظام التصريف في اللغة السنسكريتية - المرتبطة بالتزعة السلوكية - مقارنة مع اللغات الإغريقية واللاتينية والفارسية والجرمانية إضافة إلى بحوث كل من: الإخوة (شليجل) و(كريم) و(شليغر)

وأبحاث التحو المقارن، ودراسات النّحاة الجدد، ثمّ ما أتى به العالم (سوسير) من معالم اللسانيات البنيويّة، والتّفريق بين الدّراسات الدّيّاكرونية والتّعاقيبة واللغة والكلام والقول... وفي ذلك المخاض جاء التّسليم بالمرجعيّة الغربيّة في كثير من الأحوال وإن كان هذا مقبولاً؛ لأنّ اللسانيات التّاريخيّة سبق ظهورها لدى العرب، إلّا أنّهم لم يُولوها ما كان عند الأوروبيين، ولهذا أخذت المفهوم العلمي لدى الغرب، فتماهى الباحثون العرب معها بما لها من مرجعيات تتأسّس على حدّ قولهم على منطق اللغة. وفي هذا الزّخم التّحليليّ اللسانيّ تظهر اجتهادات التّحليل التّوزيعي (بلومفيلد) و(هاريس) ونجد (ريمون طحّان) يميل لهذا التجريد في منطق دلالة الكلمة في العربيّة في مفهوم الأصوليّة والجملة. وكان عماد التّماهي مع المدرسة التّوليديّة التّحويليّة وهي امتداد لجهود (بلومفيلد) و(هاريس) رغم أنّ لها الكثير من الظّواهر التي تسجّل لصالحها من حيث تخطّيها للدراسة السّطحية التي تنتهجها اللسانيات البنيوية، ولا تأخذ مبدأ التّأويل في حسابها، حيث تعالج عمليات التّكلم ومكانيزماتها التي تظهر في الاستعمال المبدع للغة.

5- البحث اللساني العربي المعاصر: لا ننكر أنّ هناك بعضاً من التّماهي مع اللسانيات الغربيّة عند بعض الباحثين العرب، ولكن هناك من استطاع فهم التّظريات الغربيّة وعمل على نقدها واكتشف قوائمها، وبدأ في التّقابل بينها وبين اللسانيات العربيّة، ووضع ترسيمات توضّح أصالة الدّرس اللسانيّ العربيّ، ونمذجات عربيّة ظهرت في الفرنسيّة وفي اللغة الإسبانيّة وكثير من اللهجات الأوروبيّة، كما ظهر الأخذ والعطاء بين نظريّة النّظم (للجرجاني) وتوليديّة (تشومسكي) وأفكار تحليل الخطاب في البلاغة

العربية... وقد تجسّدت الكثير من معالم التّلاقي اللسانيّ في فكر (الفاسي الفهري) من خلال حديثه عن الأدوات اللسانية الكفيلة بخدمة العربية في مشروعه اللغة والهوية، تمكين اللغة، توطين المعرفة اللسانية. وهو مشروع يعيده صاحبه إلى تأسيس نظرة لسانية محدّدة، وقائمة على التزامات إبستمولوجية للنحو التوليدي، ولكنها قائمة في النحو العربيّ. ويدعو إلى الفصل بين اللغة العربية قديمة أو حالية، وبين مفاهيم النّحاة وأوصافهم وهذا معطى يُرخص لنا إعادة النّظر في أوصاف النّحاة، وأنّ المعطيات التي نجدها عندهم ناقصة وغير ذات تمثيليّ؛ فضلا عن كون كثير منها زائفة وهناك حاجة معاصرة تدعو إلى بناء أنحاء جديدة. وهذا خطاب لسانيّ معاصر يقوّي العمل في تكريس تقاليد علميّة قائمة على المراكمة والتّجاوز وفي مأسسة البحث العلميّ ونقله من الخاصّ إلى العامّ المشترك المنضبط وعدم الرّكون إلى المعرفة السّطحيّة والمبتدلة. ونفس الأفكار نجدها عند (عبد الرحمن الحاج صالح) في النّظرية الخليليّة الحديثة، وهي قائمة على تنظير لا تطبق. وكلا الباحثين فشلا في إيجاد المتن اللغويّ، ولم ينقلا أفكارهما إلى الموردين، ولم يصلا إلى بناء نظرية متّسقة لها صفة الشّمول والامتداد في الزّمان والمكان. ونأسف كلّ الأسف أنّ الرّكام المعرفي اللسانيّ العربيّ لم يصل إلى بلورة نظرية لسانية لها صفات النّظريات المعروفة وهي: التّسق العامّ + البنية الفكرية + وجود الموردين + البعد الزّمنيّ + البعد المكانيّ + قابليّة التّكيف، ولهذا لا يزال البحث اللسانيّ العربيّ شبه تابع للمدارس الغربيّة من مثل: السّوسورية / التّشومسكية / المارتينية / التّوزيعيّة / الشّكليّة. وأين مقام الدرس اللغويّ العربيّ المعاصر من الفكر العربيّ القديم والحديث

الذي لم يستطع تأسيس نظرية تطبيقية تناسب الدرس العربي في قدمه وفي تطوره، وكيف يمكن للعربية أن تعيش المعاصرة مع آليات البحوث المرتبطة باللسانيات الحاسوبية، وهذا كما جعل علماء لم يفلحوا في خلق البنيات الوظيفية من خلال العربية بما فيها من نسق/ خطاب ذاتي، وبما له من مرونة التعامل العلمي مع كل اللغات الطبيعية. وأين الخلل؟ نحتاج إلى رجل لساني فقيه؛ يعرف خصائص العربية، ويربط بين ذلك ببنيات الحداثة التي تنقل وعي اللغة العربية للتكيف مع آليات اللغات في متوجها الحضاري المعاصر في بناء أنماط/ أنساق لغوية توضع الآن في التعرف على نمطيات الحرف العربي، كما تعمل على قراءته وفق خريطة التحو العالمي، ووفق بنيات اللغات في ما يجمعها من منطق، وهذا ما يجعل قراءة العربية سهلة متوافقة مع الذكاء الصناعي الذي يتعامل مع التمدجات العالمية، وليس الأمر بالصعب، بل نحتاج إلى وصف جديد لمستعمل العربية في حدودها الوظيفية فقط، كما نحتاج إلى مسيرة متواصلة لفرق البحوث التي تجتهد في أعمالها تحت مشيخة لغوية عمادها الصبر والاجتهاد، وتنويع المهام والتنسيق بين الفرق؛ ليحصل التكامل في العربية في خصائصها ومشاركتها، ولا بد من تحريك المؤسسات العاملة على رفد العربية لبناء محتواها الرقمي، والتعامل بينها وبين اللغات التي تكتب بحروفها للعودة من جديد إلى عولمة جديدة في مسيرة الحضارة الشرقية وإلى مسيرة الجيل السالف عربية أفريقيا بامتياز.

ومن خلال هذا يجب أن نعرف بأن البحث اللساني العربي المعاصر له ارتكاسات جعلته ينقل دون وعي في بعض النقول، وبعض البحوث تُترجم دون تكييف لما يتناسب وخصائص العربية، كما نجد طغيان لسانيات (دو

سوسير) هي البانيّة وهي الطّاعيّة، رغم ما فيها من البنيات المغلقة التي لا تصلح إلّا للغة في فترة معيّنة؛ من مثل اهتمامه بدراسة اللغة كبنية مغلقة في ذاتها ومن أجل ذاتها، بمعنى الدّراسة العلميّة، وهذا ما جعله يغفل مفهوم الخطاب، باعتبار أنّ الكلام هو الممارسة الفعلية للقواعد والعلامات اللسانية، أو هو الجانب الإبداعيّ الفرديّ من اللغة، وهو مرتبط بالذات المتكلّمة، وهكذا يأتي الكلام في المرتبة الثّانية بعد اللغة. ومع كلّ ذلك فإنّ أتباعه الوظيفيين لهم مكانة جيّدة في البحوث اللسانية، وهم الذين أرسوا حلقة براغ، ونشير إلى أعمال (تروبتسكوي) و(مارتيني) و(جاكوبسون)... ومن سار على هذا التّهج مثل (دانس) و(بوفودا) و(فيرباس) و(سكال)... وغيرهم الذين عرفوا بوجهتهم الوظيفيّة للجملة وأكّدوا مفهوماً مركزياً يتمثّل في ما أسموه بـ ديناميكيّة التّواصل.

6- البحث اللسانيّ العربيّ وأزمة الخطاب اللسانيّ العربيّ: على الرّغم من كثرة الدّراسات اللسانية والتي تناولت مسألة البحث اللسانيّ العربيّ، إلّا أنّه لا تزال أوضاع أخرى تحتاج إلى بحوث قد تعمل على حلحلة الموضوع وتكشف بعض الغموض، كما يقتضي البحث العودة الى مجمل آراء القدماء ثمّ بعد ذلك الى مجمل آراء المحدثين، ثمّ الانتقال الى محاولة كشف جوانب من غموض البحث اللسانيّ العربيّ، وصولاً إلى حلّ الإشكال الفكريّ والشّلل الإپستيمولوجي اللذين يكشفان مسيرة التّطور العلميّ اللسانيّ. وفي هذا الوقت نحتاج إلى تدبير الاختلاف بين الخطاب اللغويّ العربيّ القديم والخطاب اللسانيّ الحديث، وهذا من متطلّبات التّهوض العربيّ المعاصر الذي يجمع بين التّراثيين والحداثيين والتّوافقيين. ولا بدّ أن نسير ضمن

منحى التواصل مع الماضي بمعطيات الحاضر، لا البقاء في دائرة (كان أبي فقط) وإلاّ (الخروج من بيت أبي) باعتباره هو الحلّ. ونحتاج إلى قراءة شموليّة وقطاعيّة وإلى النموذج الواحد؛ بغية استكمال البحث اللسانيّ التراثيّ القائم على الأصالة لا على النسخ، ويحمل صفات الإبداع التي تتناول كلّ مستويات اللغة العربيّة في معناها وفي مبناها، كما هي لغة لها بنية وشجرة ولغة قديمة قدمي؛ قائمة على بنيات عقلية طبيعيّة. وآن الأوان أن ننقل البحث اللسانيّ إلى بحث لغويّ وظيفيّ لسانيّ لتجسيد قيمة معرفيّة للتراث اللغويّ العربيّ وللتظريات اللسانيّة الحديثة في الوقت نفسه، حسب ما يدعو إليها (أحمد المتوكّل) ولا بدّ من إيلاء الأهميّة إذن للسانيّات الوظيفيّة رغم أصولها البراغيّة، ولكن المعرفة لا حدود لها حتى نستكمل آليات البحث اللسانيّ العربيّ، ومن ثمّ يقع العول على لغتنا عندما تنتج العلم والمعرفة بشكل تراكميّ كبير. ندعو الطّالب أن يعتمد قراءة جديدة تصل حاضره بتراثه الفكريّ والعلميّ، ليضع رجلاً في الأصالة، وأخرى في الحداثة، وأن يكون له منهج القراءة المعرفيّة التي تُخرج التراث اللغويّ من جديد إلى حيّز الوجود الثقافيّ المعاصر. وهي دعوة للباحثين أن يعيدوا صياغة مسائل التراث ومواده وظواهره وفّق الإشكالات المعرفيّة الحديثة ليسهل إدراكه، ولإمالة الحواجز التي تراكت عبر السنين. وإنّ الطّالب الجامعيّ مطالب أن يأخذ مكانته العلميّة في الجامعة، وفي المراكز العلميّة، وأن يكون عماد الغدّ وأساس البناء. وإنّ الأمّة العربيّة مهدّدة في أبنائها الذين يبيتون ساهرين في أمور تافهة تستهلك طاقتهم وأوقاتهم، وهم يحملون أجهزتهم الهاتفيّة، ولا تمدّهم إلّا بسقط الصّور، وعلى الطّالب أن يعود إلى

فضاء العلم، ويجلس إلى مجالس العلم للسمع والمناظرة والتلقي والمناقشة
فتلك هي بذور رجل المستقبل الصالح الذي يقود الأمة لبرّ الأمان.

الاتصال المؤسّساتي:

الواقع، التّحديات، الآفاق^٧

- الشكر والعرفان: إنّهُ لمن دواعي الغبطة أن أحضر هذا المحفل الخاصّ برجال (مهنة المتاعب) والذي يُشرف عليه الاتحاد الوطنيّ للصحّفيين والإعلاميّين الجزائريّين، المكتب الوطني، وأكون أمامكم وجاهةً مثلما كنّا معكم عبر الدّورات التّكوينيّة التي أنجزها المجلس الأعلى للغة العربيّة لصالح رجال الإعلام عبر دورات وطنيّة بدأناها سنة 2017م ولا تزال الدّورات التّكوينيّة تعيش الاستمراريّة، إضافةً إلى تلك المدوّنات التي قدّمناها ورقياً وشبكياً تخصّ حُسن استعمال العربيّة للإعلاميّين وعبر الأدلّة المنجزة لهم في حُسن التّحكّم في اللغة الإعلاميّة الوظيفيّة، والكلام بصفر خطأ. وهي على التّوالي: حسن استعمال اللغة العربيّة في وسائل الإعلام + حسن استعمال العربيّة الوظيفيّة + المكمّل في القواعد والبلاغة (المستوى التّهائي) + استعمال اللغة العربيّة في التّلفزيون الجزائري + الدّلّيل الوظيفي للإعلاميين، قواعد وظيفيّة + الدّلّيل الوظيفي في حسن استعمال العدد.

أيّها الجمع الكريم، يسعدني أن أكون معكم عبر كلمتي المباشرة هذه وفي جامعة عبد الحميد بن باديس، جامعة الثلاثي المتراكب: الجزائر وطننا والعربيّة لغتنا، والإسلام ديننا، وبرعاية السيّد وزير الاتّصال والنّاطق الرّسمي للحكومة، وحضور رجال الدّولة الجزائريّة من والي الولاية

^٧ - أعدت الكلمة لصالح الاتحاد الوطنيّ للصحّفيين والإعلاميين الجزائريّين، المكتب الوطني بجامعة مستغانم، يوم 27 جوان 2021م.

والمديرين التنفيذيين، والبروفيسور بلحاكم مصطفى وفريقه التّشيط الذي أحدث حراكاً ثقافياً في جامعة عبد الحميد بن باديس، بمختلف التّظاهرات التي تتوالى وتكبر كبر المشاريع التي تُنجزها هذه الجامعة. وماذا عساني أقول أمامكم أيتها الصّحافيات أيتها الصّحافيون في موضوع (الاتصال المؤسّساتي: الواقع، التّحدّيات، الآفاق) وباختصار بصُرت بهذه الكلمات عسى أن تكون في صميم اللقاء.

- في الاتصال المؤسّساتي: إنّ مدلول الاتصال يعني ما يذيع ويُذاع وينتشر ويشترك في المعلومات مع شخص أو مجموعات أو مؤسّسات بكلّ ما تحمل كلمة (اتّصل) من اشتقاق ومشارك لفظي في تبادل للحقائق أو الأفكار أو الآراء أو المعلومات ومّا يتطلّب عرضاً واستقبلاً ومحتوى؛ وما يؤدّي إلى التفاهم بين كافة العناصر المتبادلة بغضّ النظر عن وجود أو عدم وجود انسجام ضمنيّ. فهو عملية تفاعل اجتماعيّ معلوماتيّ هادف. إخواني، لست هنا لأحدثكم عن أنواع الاتّصال والمؤسّسات التي يقع معها التّفاعل، بقدر ما أتحدّث عن أهميّة فواعل عمليات الاتّصال: مُرسل + مُستقبل + مُصدر + رسالة + قناة + رَجْع الصّدى. وكيف تحدث عمليات التّكامل في هذا السّداسيّ المتكامل. وبالنّظر إلى الواقع؛ فإنّ عمليات الاتّصال تتمّ بشكل أو بآخر، وفيها المضايقات التي لا تخلو من حلول، وعلى الإعلاميّ المعني أن يكون مبتكراً لها حسب المعطيات، وما يتطلّبه فنّ التّعامل مع المؤسّسة التي تتّخذها الدّولة وسيلةً لإدارة مرافقها لتقديم خدمات أساسيّة للمجتمع كالّتعليم والصّحة والبريد والأموال والدّفاع والأمن والخدمات الاجتماعيّة الأخرى... وهنا على الإعلاميّ إتقان فنّ إدارة التّقند، وإدارة التّشجيع

وحسن تدبير اقتراح الأفكار. وهذه من المهام التي تُوكّل لرجال الإعلام في التصدي لمظاهر التّيل من المؤسّسات على اعتبار أنّها لا تقدّم إلّا الخِدمات البسيطة، وأثرها في المجتمع منعدم. وتلكم قسيمة الهدم في الحوكمة وفي الحكامة وفي مقام المؤسّسات التي ليس لها الانتشار، أو تنعدم فيها وسائط التّواصل بينها وبين القاعدة.

أيّها المعنيون بالأمر، إنّ من مهامكم الانتصارُ في أداء الاتّصال التّنظيميّ ومن مهامكم بناء علاقات وظيفيّة تخصّ الأداء الوظيفيّ ولا يتحقّق الأداء إلّا بجودة الخِدمات التّواصلية، وهي الوسيلة الإعلاميّة الاجتماعيّة التي من خلالها يقع سبل التّفاهم والتّفاعل البناء داخل البنيات المؤسّساتيّة في إطار تحقيق الأهداف المُبتَغى إنجاءها. وعليه، فإنّ الواقع لا يكذب المنجز، والمنجز يدافع عن نفسه، وعليكم أن تُبرزوا أهميّة الاتّصال المباشر وغير المباشر في التأثير والتّغيير والتّعديل، وقوّة دوره في الحصول على البيانات والمعلومات الضّروريّة التي تكملّ عمليات مسار حسن الأداء، وما يتبع ذلك من تحقيق عناصر التّخطيط والتّنظيم والتّوجيه والرّقابة والتّسيق. وعليكم ركوب مخاطر التّحدّيات من الوصول إلى المصادر، وتفهّم الأوضاع، وتبادل المعلومات المهمّة، وعدم الوقوف على تفاهات التّعطيل أو سقط المعلومات. وهنا تبرز مسؤوليتكم في فنّ إدارة الاتّصال المؤسّساتي في علاج المضايقات بالإقناع والحجّة والبرهان، وفي تكامل مضيف لتنمية العلاقات الاجتماعيّة والرفع من سويّة الرّوح المعنويّة الوطنيّة، والإسهام في الحدّ من انتشار الشّائعات والمغرضات والمراجعات التاريخيّة، وفي كلّ مرّة نعود إلى نقطة الصّفر وإظهار مواقع الخلل بقوّة عمياء بدل اقتراح أفكار التّعديل في صور

التحسين الذي يأتي عبر الوقت، بدل الطعن في المؤسسة التي هي شريك اجتماعي، وهي في يد المسير والمؤسسة لا تزول بزواله، بل تتخذ منهجاً مغايراً، ولا شك أنه سيتحسن بفعل عامل التطوير الذي تعتمد المؤسسة في بنياتها القاعدية.

أيها الإعلاميون، عليكم رفع التحديات في المهام الإعلامية من منطلق السلوك الإعلامي للاتصال من خلال حسن التصرف في تدفق المعلومات وفي المهمة الانضباطية، والمهمة الإقناعية، والمهمة التكاملية، وفي كل المهام ذات العلاقة الموصلة إلى إمكانية التفاهم العام، مع ضرورة القيام بالعمل التنفيذي للمؤسسة لتحقيق مهام أساسية في عملية توصيل ونقل المفاهيم والمعلومات المختلفة، وتوضيحها لكل شخص له صلة أو حاجة بهذه المعلومات والاتصالات. وإنه لا يسع المقام للاستفاضة في مهام المؤسسات الإعلامية التي نروم أن نحقق أهدافها بمعالجة الواقع داخل ذات الواقع وبنبي جسر الآفاق نحو مزيد تجسيد مقولة (الطريق تصنعه الأقدام) هي مقولة من مقولات القوة الناعمة، التي تبنينا ثقافة الاستقطاب عبر عمليات الاتصالات التي نعتبر عندها السلطة الخامسة التي لا تقهر بل هي العصب الرئيس للمؤسسات وتدفعها في اتجاه تحقيق الأهداف الرئيسة لها.

وإنه لحري بنا اليوم أن نخطط لمنهجية معاصرة ضمن آليات العولمة التي تنافسنا في كل شيء، وكيف يمكن اتخاذ القرار السليم، وتحديد الاختصاصات، وتوزيع العمل، وحل مشكلاته، والوقوف على مدى تقدمه وتقويم نتائجه، وتتبع الجهود التي تبذل من أجل الوصول إلى الهدف الذي تعمل المؤسسة التي أنت تابع لها، وما هي سبلك الخاصة من أجل التفعيل

ضمن آلياتها القانونيّة، ودرجة الولاء لمؤسّستك، والثّقة فيها وبها والمعايير الإيجابيّة للحصول أو توزيع المعلومة في حدود القانون، وما تسمح به الأنظمة الوطنيّة وما تتطلّبه آليات توصيل المعلومة إلى البيت والمرونة في التعامل الإداري، وشطب عوامل البيروقراطيّة. وهذه كلّها تضمّنها مستويات الاتّصال عندما تكون مضبوطة وعالمة، وكان لها إعلاميّ فذلكيّ ناجحٌ يعرف من أين تُؤتّى الكلمة، وكيف يُرافع عنها ويُنافح، وكيف يبتكر الحلول من العدم، ويتصرّف حالة سرعة الطّلب، بل كيف يعيش مع المستجدات؛ وهو في تواصل ذاتيّ أو بينيّ أو وسطيّ أو جماهيريّ، وكيف يكون وسيطاً ناقلاً للخبر أو مُنشِطاً أو مُوجّهاً؛ حيث تستقيم عمليات التّواصل التي لا تחדش أذن السّامع، ولا نظر الرّائي. وفي كلّ هذا هناك لغة التّواصل، فما مستوى هذه اللغة؟ تلك قضيّة أريد الوقوف عندها أيّها الإعلاميّون، فأنتم شريك في عمليات التّطهير اللغويّ أو ما يُسمّى بالتّلوّث اللغويّ. فمن بين التّحدّيات التي نراها حلاً هو إسهاؤكم في آفاق الحلول التّوعيّة لتطوير العربيّة التي هي لغة المؤسّسة الاتّصاليّة التي تتمنون إليها عموميّة أو خاصّة، واللغة الجامعة المشتركة وما هي البدائل التي يُعوّل عليها من قبلكم في حسن الأداء اللغويّ. ولغة الإعلام تبني بناءً رصاً ما تضعه المدرسة وكلّيات الإعلام، بدل أن تهدم المتن الموروث، ولهذا عندما سُمّيتم بالسلطة/ القوّة الرّابعة لم يكن جزافاً واليوم توشّحون بالسلطة/ القوّة الخامسة الحميّة بجناح القوّة النّاعمة فأنعم به من سلطة قوّة!

- اللغة العربيّة والتّواصل المؤسّساتي: أيّها الشّركاء، نحن هنا لا نريد القيام

بتوزيع الأدوار، بل نسعى لتحملّ المهام، هي مهام مشتركة ذات العلاقة

بالوعي اللغوي، والاعتزاز بالمواطنة اللغوية التي لا نريد أن تعيش شذر مذر أو تذروها الرياح حيث الدوبان والهذر، ولا الإقرار تحت بند مقولات لها مقاماتها: غنيمة حرب/ المهمّ الفهم/ اللغة الرّسميّة لغة مثلها مثل كلّ اللغات/ اللغة وسيلة/ البقاء للغة الأقوى... وننسى أنّ اللغة المشتركة سلطة ومركز وأمن ثقافيّ مثل الأمن السّياسي والغذائيّ ولم يثبت أنّ أمة في العالم ارتقت وتطوّرت باللغة الأجنبية، فلمّ التّعطيل؟ وهذه اللغة العربيّة هي التي بنت لنا مجدنا، وتحتاجكم للعمل من أجل رفع مضايقات: الأخطاء الشائعة/ أخطاء الوثائق/ أخطاء اللافتات والشارات/ أخطاء التّواصل المرئيّ والمسموع/ أخطاء إدارة الجلسات/ أخطاء المحال التجاريّة/ أخطاء الشّاشات... وما يسمع من تهجين لغويّ يكاد يميل باللغة العربيّة إلى الخسران، والتّاريخ يُسجّل علينا هذه الثّغرات التي لا نعالج جذورها في البداية، وسيكتب علينا يوماً لافتة تقول (التّوبخ على متسامحي التّحريف). فيا أيّها الإعلاميون، بكم ترتقي اللغة العربيّة التي تعملون على انتشارها وبكم نستنير في توسيعها، وقبول ما تنتجونه من مصطلحات مضيّفة تعمل على الثّراء والنّمو. فنريد شحذ الهمة، في رفع الغمّة، عن كلّ ما لا يخدم لغة الأمتّة، وننافح من أجل كلّ منفعة وهمّة تحت راية قواعد اللغة. فالمجلس الأعلى للغة العربيّة يرافقكم، ويسعد أن يكون معكم في التّكوين، وفي تفعيل آليات العربيّة في حوسبتها وهندستها وفي بناء ذكائها الصّناعي ومنصّاتها الرّقميّة، وهو جدير بخوض هذه المشاريع التي فتحها ونجح في تطوير الرّقمنة بشكل مائز وطنياً وعربياً، بل أضحي مرجعيّة في العمل على تطوير العربيّة وتحبيبها، وهو ليس شرطة اللغة ولا من جنس (قلّ ولا تقلّ) بل يسعى إلى

اعتماد سلطة التّكامل البيئيّ في خدمات جماعيّة من مختلف الشّركاء الاجتماعيين، وبخاصّة تفتّح المجلس على وسائل الإعلام التّقليديّة والإلكترونيّة، وعلى مقاولات الشّباب (StarTup) وما يقوم به من توجيه واستقطاب واعتماد الكفاءات الشّبابيّة من مختلف الجامعات الوطنيّة ومن مراكز البحوث، ويدعو دائماً إلى بناء الأقطاب في حسن التّمكن في اللغات ويولي العربيّة فصل المقام، بما يقدّمه من آليات التّطوير ضمن آليات برامج الحوسبة والنّانوتكنولوجي، وما له علاقة ببناء التّطبيقات في مختلف التّخصّصات، وتحت بند العمل على ازدهار العربيّة، وتعميم استعمالها في العلوم وفي التّكنولوجيّة، والتّرجمة منها وإليها، وهذا من أجل رفع المحتوى الرّقمي لتكون العربيّة فعلاً لغة النّد ولما أهلتها هيئة الأمم المتّحدة من أنّها لغة الحضارة الإنسانيّة، ولغة أميّة بما لها من رصيد لا يوجد في اية لغة في العالم، يجذورها 16800 وعدد كلماتها التي نيّفت 12 مليون كلمة.

أيّها الحضور، إنّ والعهدة عليكم بمرافقتنا في مشاريعنا، وفي برامجنا السنويّة، وندعوكم لزيارة موقعنا وهو www.hcla.dz والتّواصل في عمليات المشاريع العملاقة التي تُفتح لأوّل مرّة في التّاريخ، وهي مشاريع: الموسوعة الجزائريّة + بناء مكتبة رقميّة كبيرة + المعجم التّاريخي للغة العربيّة + المعجم الطّوبونيمي الجزائري + المعجم الثّقافي الجزائري + معلمة المخطوطات الجزائريّة + أدلّة رقميّة في اللغات الوظيفيّة + معجم ألفاظ الحياة العامّة في الجزائر + الرّصيد اللغويّ الوظيفي + الألعاب اللغويّة... وفي ذات الوقت يمكنكم تحميل كلّ متوجنا مجاناً باستعمال الوسائط المعاصرة من مثل شفرة القراءة السّريعة وهي خدمة مجانيّة على أنّ مؤسّسة المجلس الأعلى هيأة غير

نفعيّة، بل حياة تقديم خدمات في اللغة العربيّة، وتوصيلها لكلّ من يهّمه أمر تطويرها في حدود القواعد المنصوص عليها والتي تأتي من المؤسسات المجتمعيّة التي نحن شريك معها، وهذا ضمن فعاليات علميّة نسهم فيها بتقديم أفكار تخدم منظومة العربيّة في معناها وفي مبناها

 ونروم أن تكونوا معنا عبر الحدث العالميّ والذي يحصل لأوّل مرّة حسب برنامججه وهو الاحتفاء بشهر اللغة العربيّة، وسيكون من الأوّل (1) ديسمبر 2021م، إلى الواحد والثلاثين (31) منه ببرنامج كبير يعزّز من مكانة اللغة العربيّة، ورجال الإعلام شركاء في الاحتفائيّة العلميّة الوطنيّة الجمعيّة والتي تزيد من قيمة العربيّة، فمرحبا بكم جميعاً. ومرحباً بكم عبر الأيام العالميّة القارّة: 21 فبراير يوم اللغة الأمّ + 1 مارس يوم لغة الضادّ + 16 مايو يوم العيش معاً بسلام + 21 مايو يوم التنوّع الثقافيّ + 18 ديسمبر يوم عالميّ للغة العربيّة.

إخواني، هي كلمتي أمامكم، أشكر دعوتكم لحضور متدّاكم هذا وأباركم جهّذكم جميعاً في هذا اللقاء الذي نريده أن يتواصل في شكل ندوات تُعالج قضايا الرّاهن، وتكشف عن سوء الأداء، وتعالج الثّقائص وتقدّم ما يبصر به الحضور من حلول تعمل على حسن التّواصل بمقولة الأجداد (إنّ أحسن اللاحق فإنّ الفضل للسّابق) (الاستمراريّة المتجدّدة فعل حضاريّ لا يقوم به إلّا المتحضّر) (ومن سار على الدّرب واجتهد وصل) سيروا أيّها الإعلاميّون وسوف تصلون، ويقع عليكم العولّ، ومسافة الألف كيلومتر مبدؤها مدّ القدم، والطّريق تصنعه الأقدام، وكرة الثّلج تكبر كلّما تدرّجت. مزيداً من التّألّق، وزيدونا جمالاً وتألّقاً، وإلى الأمام.

الوفاء لرموز الجزائر ♥

- **التشكرات:** كلّ التّحايا أقدمها لمنظّمي هذا اللقاء في (المنظمة الوطنية للطلّبة الأحرار) على هذه الصّحوة الشّبانيّة، وعلى استنكار ما آلى إليه الوضع من تسامح في قضايا تعمل على التشكيك أو التّراجع عن المكتسبات، وكأنّنا في كلّ مرّة نبدأ من جديد، وإلى نقطة الصّفر نعود بغياب ثقافة (إن أحسن اللاحق فإنّ الفضل للسّابق) وويل لأمة لا تعترف برموزها، ولا تقرّ بعلمائها وتتنكّر لشهادتها. والتّوبيخ التّوبيخ على منكري التّاريخ، وهذا نكران وعقوق لمن جعلونا نستريح، ونكون في هذا المكان المريح.

أيّها الحضور، يقول المثل الذي درسناه في المدرسة (أكلتُ يومَ أكلِ الثّور الأبيض) اليوم نطعن في العظماء والشّهداء وفي رجال الدّولة، وفي مؤسّسي أوّل دولة جزائريّة حديثة، ونسكت عن فعل التّقصير، وغداً يأتينا ما هو من التّدمير، بتغييب التّعامل بصرامة القانون، وعدم تجسيد نصوص الدّستور وقانون المجاهد والشّهيد، وقوانين الجمهوريّة. ومن الشّار أن نفتح الباب أمام تصريحات تفتقر إلى العلميّة والمصداقيّة، ونروج لها دون تحرّز وتحرّج. وهكذا سيؤكل الثّور الأسود، وسيأتي الدّور على بقيّة الألوان وتبقى السّاحة للغربان.

أيّها الجمع الكريم، بالفعل لقد وقع التّسامح في التّعامل مع المسيئين لرموز البلد، فالأمم التي لا تملك رموزاً تصنعها من العدم، بل تأتي بنكرات وتجعلهم

♥ — أعدت الكلمة لصالح (المنظمة لوطنيّة للطلّبة الأحرار) وألقيت يوم 29 جوان 2021م في تجمّع طلابي بجامعة أبي القاسم سعد الله بالجزائر.

رموزاً، ونحن نملك الشّاحات، ويقع التّطاول عليهم، وهذا هو الويل الذي يعلق بالأمّة التي تُحدث فيها الثّغرات والطّفرات التي تزيد في التّمزيقات. فويل لأمّة لا ترفع صوتها إلّا في جنازة، ولا تفخر إلّا في الطّعن على القدوة وهنا طعن في المشيخة، ويؤدّي إلى البوار، وننسى أثرنا الذي يقول أذكروا محاسن موتاكم". وعلى الشّباب أن يكون على دراية بتقديس السّلف الصّالح ليكون خير خلف، وإلّا لم ينقلوا رسالة العظماء والعظماء لا يموتون، بل يتناسلون، وبكم أيّها الشّباب لا يموت العظماء.

- كلمات في الأمير: أفتر في حديثي عن الرّمز الخالد عبد القادر محيي الدّين الحسني؛ سليل الشّجرة المباركة العالمة، ومن بيت العلم والعلماء، وقد جمع بين المحاسن: العلم والشّعر والقيادة والتّوجيه والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وحدة الدّكاء وحسن البصيرة... وأمام هذا تخونني الكلمات التي تفي هذا الكبير كبر الجزائر حقّه، فلقد شرى نفسه هبةً لبلده منذ بيعة شجرة الدّردارة، وحصلت انتفاضات تلو الأخرى، وظلّ الجزائريون يقاومون حتى يوم استقلالهم، بفضل تلك الملايين التي سالت دماؤها عبر مئة واثنين وثلاثين (132) سنة وكان التّصر الممين، ويقول (علي الصّلابي) في كتابه (كفاح الشعب الجزائري) "وبالرغم من ضعف التّخطيط والإعداد لثورة المقراني إلّا أنّها كانت الحدث الكبير الثّاني بعد ثورة الأمير عبد القادر، وبسبب المشاركة الوطنيّة الواسعة فيها والخسائر الضّخمة التي لحقت بالشّعب في الأرواح والممتلكات تركت آثاراً عميقة في النّفس الجزائرية توارثتها الأجيال لتظهر مستقبلاً في الأحداث".

إنَّه ابن الأربعة والعشرين سنة يتلقَّى البيعة من الجموع التي تعضده وكان لها فتى عصره، وعمل على تحقيق الانتصارات على الغزاة الفرنسيين، ويعمل على تحسين الوضعيَّة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، ويقيم أركان الدَّولة الحديثة ويؤسِّس جيشه الذي يتصدَّره دائماً في الملمَّات، وهو الذي يقول: "ذا كنتُ قد رضيتُ بالإمارة، فإنَّما ليكون لي حقَّ السَّير في الطَّليعة، والسَّير بكم في المعارك في سبيل الله". إنَّه الأمير الذي عمل على وحدة الأُمَّة رغم عراقيل الاستخراب الفرنسي والصَّعوبات التي تلقاها من بعض رؤساء القبائل الذين لم يكن وعيهم السَّياسيِّ في مستوى عظمة المهمَّة، وكانت طريقته في تحقيق الوَحْدَة هي الإقناع أولاً والتذكير بمتطلَّبات الإيمان والجهاد، لقد كلَّفته حملات التَّوعِيَّة جهوداً كبيرة؛ لأنَّ أكثر القبائل كانت قد اعتادت حياة الاستقلال ولم تألف الخضوع لسلطة مركزية قوية. وبذلك الحكمة انضمت إليه قبائل كثيرة بدون أن يُطلق رصاصة واحدة. إنَّها الحكمة في حسن التَّسيير، وتحقيق التَّدبير في شؤون الدَّولة. وسجَّل التاريخ أنَّه قام بإصلاحات جبارة من مثل: محاربة الفساد الخلقي + منع الخمر والميسر + منع استعمال الدَّهب والفضَّة للرَّجال... إضافة إلى تكوين جيش مننَّظم وتأسيس دولة موحَّدة، وتقسيم التراب الوطني إلى 8 وحدات: مليانة + معسكر + تلمسان + الأغواط + المديَّة + برج بوعريريج + برج حمزة + بسكرة + سطيف، وأنشأ مصانع للأسلحة، وبنى الحصون والقلاع) في: تاكدمت + معسكر + سعيدة. وشكَّل حكومة من خمس (5) وزارات، واختار أفضل الرِّجال ممَّن تميَّزهم الكفاءة العلميَّة والمهارة السَّياسية إلى جانب فضائلهم الخُلُقيَّة، ونظَّم ميزانية الدَّولة وفق مبدأ الزَّكاة

لتغطية نفقات الجهاد، كما اختار رموز العلم الوطني وشعار للدولة هو (نصر من الله وفتح قريب)...

هذا هو الأمير السياسي القائد المحنك الذي تُحسب فرنسا له ألف حساب وهي تمضي معه معاهدة (تافنة) و(لاموريسير) كرهاً، وتعترف له بحقوق الجزائريين، وتهادنه أحياناً، كما تباغته تارة، وهو بالمرصاد، حتى ترجّل بالقوة نهاية سنة 1847م، ويتنصر رغم المكاره، ورغم النفي المكروه والسجن، ويكون له المقام والشورى في فرنسا سجيناً، وفي تركيا مستشاراً وفي سوريا المنفى يكون مفتياً ومعلماً مصلحاً وبانياً للمكتبات، ومسيراً للجان فِعْل الخير ويتلقى النياشين تلو الأخرى؛ بفضل مهاراته في إدارة الأزمات العالمية، وإطفاء فتن الطوائف، وإنقاذ حياة المسيحيين في سوريا. ويشاد به في المحافل الكبرى وتسمى مدينة باسمه في أمريكا، ويكون له الشأن العالمي، بله الحديث عن بلده، وتعود رفاته إلى مربع الشهداء، بعدما كان بجانب الشيخ الأكبر (محي الدين بن العربي) وإلى الولي الصالح (عبد القادر الجيلاني). فيا أيها الشهيد الأمير عبد القادر أنت لم تُمت، أنت حيّ بيننا؛ حيّ بما تركته من صدقات جاريات، حيّ في ضميرنا، في مؤسساتنا. أنت رمز وطني حيّ، وتبقى حياً رغم بعض التّطاول غير المؤسس والتّطاول يحتاج إلى سلاح العلم والدّراية والحجّة والوثيقة وإثبات الدّليل. أفي كلّ هذه العظمة يحصل الشك والتّطاول، شخصية بهذا الوزن الذي وشّحته نياشين الخلود، وأوسمة المجد:

• وسام المجيدة من السلطان العثماني؛

• وسام المنقذ الذي قلده إياه ملك اليونان؛

- وسام النسر الأسود من ملك بروسيا؛
 - وسام النسر الأبيض من قيصر روسيا؛
 - نیشان بيوس التاسع من البابا؛
 - وسام الشرف درجة الصليب الأكبر من الإمبراطور الفرنسي نابليون في 1860 الذي لم يشبه أيّ وسام منح قبلاً.
 - إهداء الملكة فكتوريا بندقية من ماسورتين مرصعة بالذهب؛
 - إهداء أبراهام لينكون رئيس الولايات المتحدة مسدّسان مدّهبان...
- إنّه الأمير عبد القادر أيّها الحضور، وقالت فيه جريدة (نيويورك تايمز) سنة 1883 "يستحق أن يُصنف من بين أفضل الرجال العظماء القلائل في هذا القرن". وقال فيه رئيس وزراء بريطانيا (ويليام كلدستون) حاولت بكلّ ما أملك أن أقنع الأمير السيّد عبد القادر الجزائري بمنصب إمبراطور العرب لكي نوظّفه ونستغله ضد العثمانيين، وبالرّغم من العداء الشّديد الذي كان بينه وبين الأتراك فإنّني لم أفلح بالرّغم من كلّ الإغراءات والوعود والمزايا التي وضعتها فوق الطّاولة للأمير بما فيها استقلال الجزائر وخروج المحتلّ الفرنسيّ من الجزائر، لكنّه كان يرفض ذلك جملةً وتفصيلاً ومن دون نقاش... حتى دخلني اليأس أنّ العرب لا يمكن توظيفهم واستغلالهم واستعمالهم، ولكن آخر كلمة أثّرت في مسامعي وبقيت تدوي في عقليّ، وأخبرني أن أنقلها إلى الفرنسيين، إنّ الجزائر ستحرّر وتنال استقلالها من دون معروف وبركة طرف أجنبيّ، ولن تجد جزائرياً بعدي ولا قبلي سيقبل أن يكون خادماً عندكم أو

وكيلاً لمخططاتكم، وسيكون استقلال الجزائر العائق الذي لا تطيقونه لعقود من الزمن، ومن أرضنا ستعثر مشاريعكم. فلستُ بحاجة لأن أكون ملكاً أو إمبراطوراً أو سلطاناً، فما يهمني بالدرجة الأولى هو أن أواجه المحتلّ الفرنسي وتغلغلكم في البلاد الإسلامية وفي نفس الوقت الخلافة الفاسدة التي تستعمل الدين لتحقيق أطماعهم الشّخصيّة الفاسدة.

- **الخاتمة:** إياكم والمغالطات التاريخية التي تروج للكرهية والحقد وربّما تندرج في عمل ممنهج لتكسير كلّ رموز الجزائر، وزرع الشكّ في تاريخ الجزائر؛ حتى يكبر الجيل الجديد وهو يشكّك في كلّ رموزه وتاريخه، وسنصبح بلا تاريخ. وإنّه لقول لا يقال ممّا نسمع من بعض المتقوّلين ومن بعض الذين يخفون أسماءهم في وسائل التواصل الاجتماعي، ويشيرون بعض الفوضى والإرباك بغير وجه حق، في الوقت الذي نسعى إلى رأب الصدع من بعض المقول، وسيحاسبنا الشّهداء على كلّ إساءة، وهي تعدّ من الجحود. وما على المشكّكين إلّا الاعتذار وفاء للشّهداء، وللذين أسهموا في استرجاع السّيادة الوطنيّة الكُثر، ومن الوفاء ذكر بعضهم والاحتفاظ بفضائلهم على الجزائر والجزائريين، فاسترجاع السّيادة الوطنيّة حقّ كلّ من شارك ودعّم بما يملك ويقدر عليه، ولا يمكن بحال احتكارها والادّعاء أنّها لوحده دون غيره. وأمام هذا ماذا نقول: نحن بحاجة إلى ترميم ذاكرتنا عبر المدرسة التي تعمل على احترام الثّوابت وتقديسها وعدم الطّعن في الرّموز قبل الدّهاب التعزير. فيا أيّها الطّالبات والطّلبة عليكم استدراك ما فات، والعض على الدّكرة الوطنيّة بالتّواجد، فأمة بلا تاريخ لا مستقبل لها، وأمة تنكّر لرموزها سوف يأتي عليها الفناء. وأختم إخواني بمأثورة نشيد وطنيّ تربّينا عليها وهي:

يَا شَهِيدَ الْوَطَنِ، يَا مِثَالَ الْوَفَاءِ

يَا شَهِيدُ، يَا شَهِيدُ

أَنْتَ أَغْلَى فَتَى يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ

يَا شَهِيدُ، يَا شَهِيدُ، يَا شَهِيدَ الْوَطَنِ

أَنْتَ فِي الْخُلْدِ أَعَزُّ الْخَالِدِينَ

سِرْتَ لِلتَّارِيخِ مَرْفُوعَ الْجَبِينِ

وَأَفِرَ الْحَظَّيْنِ مِنْ دُنْيَا وَدِينِ

ذَكَرُكَ الْغَالِي عَلَى مَرِّ السِّنِينَ

سَوْفَ يَبْقَى عَاطِرًا طُولَ الزَّمَنِ

كلمات في المعجم الطوبونيمي الجزائري^٧

الجزء الأول

- **الديباجة:** إنها مناسبة كبيرة وعالية وعظيمة أن نلتقي في احتفال وطني مهم؛ احتفال يجمع عيد الاستقلال وعيد الشباب، في هذا اليوم الأغر الذي يحتفل فيه الشعب الجزائري بالانتصار والاستقلال وتقرير المصير يحتفي بالمناسبة المجلس الأعلى للغة العربية بتسلم الجزء الأول حول (معجم الطوبونيمي) الذي يحمل (المعجم الطوبونيمي الجزائري، ج1) وهذا الجزء يحوي ست عشرة (16) ولاية؛ من أدرار إلى الجزائر العاصمة، بترقيم وطني 01 — 16. هذا العمل الذي تحتفي به أيها الحضور لم يأت إلا بتجديد فرق بحث وطنية؛ نزلت الميدان في تحري الدقة العلمية تحقيقاً وثبثاً في الأماكن/ الأنوماستيكية التي تحمل دلالات مرتبطة في الغالب بالتفاعلات التي تحدث بين الإنسان ومجاليه المحيطي، وباستيقاء التسميات الصحيحة التي ترتبط بالواقع اللغوي وما يحيط به من تسميات وفي ذات الوقت ترتبط بنمطيات ثقافة المجتمع الجزائري، إضافة إلى ما تقدمه من معلومات مهمة للباحثين في التاريخ والأنثروبولوجيا، توفيراً للتضارب في الهوية.

إنه علم الأعلام الجغرافية، والمسمى عالمياً (الطوبونيميا) وتكمن أهميته في السعي لفهرسة أسماء المواقع التاريخية، ونحن بحاجة إلى الدراسات اللغوية التي تتطرق إلى تفاصيل دقيقة، كدراسة أسماء الأعلام/ دراسة أسماء

^٧ الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في حفل تسليم الجزء الأول من عمل مجموعة الطوبونيمي، في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية، بتاريخ 4 جويلية 2021م.

المواقع، وكلّ ما يدخل في تصنيف نوع معجميّ واحد من المادة اللغويّة. وترون بأنّ أهميّة هذا العمل تكمن في ماضيه وفي حاضره، وأنّ أسماء الأماكن جزء من ذاكرة الشعوب، وأنّ دراستها تُزوّدنا بمعلومات عن الطّبيعة الجغرافيّة والطّبوغرافيّة والجيومورفولوجيّة للمكان وبيئته القديمة وما طرأ عليها من تحوّل طبيعيّ/ مقصود، كما تمدّنا بمعلومات عن مراحل السكّنى البشريّة وتنوّعها؛ وهي تمثّل جزءاً أصيلاً من موضوع دراسة الجغرافيّة التّاريخيّة القديمة، ولها أهميّة في الأبحاث التي تُعنى بدراسة اللغات واللهجات القديمة، وعلم اللغة المقارن، والتي تُعيننا بدورها على الإحاطة بالجوانب الثقافيّة والدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والحضاريّة المختلفة للمكان وسكانه.

- **المقدمة:** إنّ العمل الذي أقمنا له هذه الندوة الإعلاميّة هذا اليوم؛ عمل أكاديميّ تعاونت على إنجازه فرقٌ من المجلس الأعلى ممثّلين للبحّث من الجامعات الوطنيّة، ومن مراكز البحوث، ومن المعهد الوطني للخرائط والكشف عن بُعد من وزارة الدّفاع الوطنيّ، ومن وزارة السيّاحة والصّناعات التّقليديّة والعمل العائلي التي أمدّتنا ببعض المواقع والمعالم وكما تعاون معنا المركز الوطنيّ في البحث في الإنثروپولوجيا الاجتماعيّة والثّقافيّة في معلومات وأفكار نظريّة حول هذا العلم. كما نُعلم الحضور بأنّ هذا العمل استغرق سنة تقريباً، وسبقته مرحلة جمع المادة وتصنيفها من مصادرها الأولى. وهي تُعد الإحاطة من أدبيات البحث العلميّ، وما يتطلّب من استقصاء معلومات بما هو مكتوب، وما في الشّفاهيّة التي تحتاج إلى تدقيق وتثبيت وكلّ ذلك يتطلّب الحذر ثمّ الحذر لتحقيق المادة في صورتها الصّحيحة، مع العمل

بنظام ما يُجمع عليه، والحذر كذلك من تلك الصّور/ الكتابات المنشورة بلغات غير متداولة على نطاق واسع. علماً أنّ المجلس الأعلى للغة العربية يعمل بتقنيّة العودة إلى المراجع وإلى أمّات المصادر، وهذا منهج يعتمد في كلّ منشوراته. كما نعلم الحضور أنّ المجلس سبق أن مهّد لهذا العمل بملتقى مشترك مع CRASC في 28 أكتوبر 2020، وكان بعض الحضور وجاهة وبعضهم تمّ بطريقة التّحاضر المرئي عن بُعد، وأصدر المجلس أعماله بعنوان (المعجم الطوبونيمي الرّقميّ في الجزائر) في السّداسي الأوّل 2021م.

- **أهميّة العمل:** أيّها الإعلاميون، إنّ الطوبونيميّة/ الطوبونيميا علم يهتمّ أساساً بالأصل اللغويّ الإنشروپولوجيّ لأسماء الأماكن والمناطق الجغرافيّة في كلّ منطقة من مناطق العالم، وأهميّة هذا التّوع من البحوث والدرّاسات تكمن في محاولتها التعمّق في فهم الأصول اللغويّة لأسماء الأماكن ودلالاتها؛ فأسماء الأماكن تتسم بالمحافظة بصيغها في أغلب الأحيان كما أنّ مثل هذه الدّراسات تُسهم في رفد المادة المعجمية للغة/ لهجة بعينها بمادّة قد لا تكون قد صنّفت، كما توضّح مجال التّوسّع في المقارنات اللغويّة لتشتمل لغات ولهجات في سياق جغرافيّ أوسع، يعني أنّ ذلك يعطيك فهماً أعمق وأشمل للسياقات الحضاريّة للمكان. ومن الطّبيعيّ أنّ لكلّ منطقة جغرافيّة في العالم أسماء خاصّة؛ ترتبط بشكل وثيق وأساسيّ بالمجتمع والإنسان الذي سكن أو يسكن في تلك المنطقة وما يحمل من لغة وثقافة وهي التي تعبّر عن كينونته. وعلى هذا الأساس ففي بلادنا الجزائر ذات البعد التاريخيّ الكبير، وذات المساحة القارة، فقد عرفت أجناساً بشريّة سكنوا المنطقة وتركوا أسماءهم هنا، وقد بقي البعض، والبعض مرّ، ومع

ذلك لكل واحد بصمة وتاريخ واسم، وارتبط كل ذلك باللغة والعادات والثقافة. فنجد تسميات مختلفة من مثل: وهران + أليگايث + غليزان + أذرار + بـالـيسترو + إن أمناس + تبسة + عين صالح + المطمر + المدية / جبل عمّور / أولاد نايل / الهامل / سيدي صالح / بسكرة / الزّاب / الوادي / طولگة / أفلو / الشّلف / الأصنام / الأغواط / الجلفة / باب الصّحراء / ميزاب / بوسعادة / عين الصّفراء / الهامل / المسيلة / الشّعبية / قصر الشّلالة / باتنة / خنشلة / الصّومام / ثوفيرت / المغير / وادي سوفلات / تيميمون / تامنراست / بني بهدل / القنادسة / بشار / تلمسان / معسكر / تندوف / تعزيت / أمشدالة / السّماش / آث منصور / لعذاورة / وادي سوف / ثيگجذا + شيليا + لالة سّتي + سيدي بلعباس + تيهرت + فراندا + مليانة / سوق أهراس / الطّارف / عبّابة / سكيكدة / كالمّة / توگرت / ثيفرکانين + خميش الخشنة / خميس مليانة... وإنّ بعض هذه الأسماء لها علاقة باللغة المازيغية / لغات ما قبل الإسلام / اللغة العربيّة / الإسبانيّة / التّركيّة، وأحياناً بثقافة أو لغة المستدّمر الفرنسي. علماً أنّ الأعلام الجغرافيّة هي التي تحافظ على الكيان الثّقافي للمجتمع البشريّ في العالم، والعلم الوطني وثيقة تاريخيّة ثمينة لا تقلّ قيمة عن الوثيقة التي تتمثّل في القطع التّقديّة وغيرها. وهكذا إخواني الحضور نرى مختلف التّسميات تُتداول في محيطنا وبعضها لا نعرف مصدرها، ولا كيفيات تشكّلها، فهل نبقى نحافظ على تداولها دون معرفتها أو دون تصويبها، أو العمل على نقلها صواباً لأجيالنا؟ وهل نترك هذا سهلاً في تلك التّسميات القادمة لأحياء عمرانيّة جديدة؟ وهل يمكن ربط هوياتنا بإطلاق تسميات على أولادنا تحمل خصوصياتنا ومرجعياتنا وثقافتنا

بدل الانسياق والتماهي في ثقافة ليست منا، ولا تقبل بنا؟ أليست لنا هويّاتنا ومرجعياتنا التي يجب العضّ عليها بالتّواجد لاستمرارنا في التاريخ والجغرافيّة؟

أيّها الحضور، تزداد أهمية دراسة الأعلام المكانية في المجتمعات التي تفتقر إلى أرشيفات الوثائق المكتوبة؛ لأنّ الهدف هو قراءة وفهم معاني الأعلام الجغرافيّة التاريخيّة التي اندثر بعضها من الوجود وبقي فقط في النصوص المكتوبة أو اللغة العامّة. بالفعل لقد اندثرت بعض التسميات واستمرّ البعض منها رغم كلّ التغيّرات التاريخيّة، وبقيت بعض المعالم دالّة عليها. وبتقدّم العلوم ظهرت طوبونيمات ارتبطت بمجالات متنوّعة: تاريخ/ جغرافيّة/ بيئة/ نوازل/ مجاري/ أنهار/ فلاحية/ أشجار/ سواقي/ بونة/ معادن/ سيرتا/ موقع الرّيح/ تقديس/ أسماء الحيوان/ لامبيز/ لافيجري/ عيون الماء/ عشيرة/ قبيلة/ شخص/ ألوان/ ولي صالح/ التضاريس/ مواقع... وإنّه عندما نحاول دراسة تاريخ الذّهنيات والثّقافات والمعتقدات نستقي كثيراً من المعلومات والإشارات التي تدلّ على ارتباط ديمغرافيّة مجموعة بشرية بالمجال الحيويّ، ولهذا، فإنّ الطّوبونيميا الذي يتسمّى (علم الأماكنيّة) يعني بدراسة الأعلام الأماكنيّة الذين يرتبط بهم الإنسان مثل السّكن والمكان والمحيط العامّ، وتلك التسميات التي تعبّر عن خصائص المحيط والثّقافة، وما يعيش فيه الإنسان كفرد أو جماعة بمكان معيّن تنشأ معه الحاجة على إطلاق أوصاف أسماء على الأماكن بالسّكن أو الارتباط بالفكر والخيال. ويعني كلّ ذلك ارتباطه بالبُعد الجغرافيّ أكثر من الأبعاد الأخرى. وهكذا يعدّ (علم الأماكنيّة) من العلوم البيئيّة لما له من علاقة وطيدة باللسانيات والتاريخ

والعلوم الإنسانيّة والطبيّعة، أضف إلى ذلك مُتعلّقات العِلْم مُقابل مُحيطه ودرجات تقاطع وإحداثيات موقعه من خلال خطوط الطّول والعرض وموقع مكانه في الشّرق/ الغرب/ الوسط/ الصّحراء/ السّاحل/ الجنوب/ الشّمال... ومن خلال هذا نعلم أنّ التّسميات نظام فكريّ يساعد على فهم المشهد العامّ لمجال المكان المُسمّى لذلك فالعِلْم المكانيّ يتميّز بخصائص علميّة وشخصيّة وجنسيّة وقصديّة، ولا يأتي عبثاً مطلقاً، إلّا لرابط بينيّ علائقيّ.

أيّها الإعلاميون، لست هنا لأفيدكم في حديثي عن الأماكنيّة، فلقد دعوناكم لتغطيّة منجزنا في مجال الطّوبونيميا في مجلّده الأوّل، وتترى المجلّدات الثلاثة لاحقاً، ونزعم أنّه أوّل عمل باللغة العربيّة؛ يكون له هذه الحثييات العلميّة، وما لها علاقة بالخرائط والأبعاد الجغرافيّة، ويدخل في باب تعميم استعمال العربيّة في كلّ مناحي الحياة اليوميّة، وإعادة تصحيح التّسميات؛ والتي نالتها بعض التّغييرات من خلال التّضاريس، وبعض التّغييرات من خلال تدمير المستخرب لهويّتنا الثقافيّة، والمسح والمسح الذي طال الكثير من مناحي وجودنا. ولقد آن الأوان أن يقع الاهتمام بأسماء الأماكن في البُعد الجغرافيّ لمرجعيتها، هو اهتمام بأسماء أماكن ناطقة تفصح عن شكلها الطّوبوغرافيّ، وغطائها التّباتيّ، ونشاطها الفلاحيّ، ومجراها المائيّ، ومظهرها الجغرافيّ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن يحصل الضّبط في التّاريخ للتّسميات إلى جانب معطيات أخرى تكشف عن جانب مهمّ من تاريخ المكان، وترسم سُبُل الوصول إلى التّعرف على الحلقات المفقودة من تاريخها، مما يبرز جانباً بالغ الأهميّة للطّوبونيميا ليس في علاقتها بالمكان فحسب، بل في علاقتها بالإنسان الذي يعيش في المكان.

أيها الإعلاميون نريدكم تبليغ أهمية محتوى هذا العمل الطوبونيمي الوطني وما يقدمه للذاكرة الوطنية لتبقى حية بنصوصها ووثائقها ومعالمها الأماكنية وإنه لمخزون نوعي، ومهما علا رصيده لن يكون حاضراً بكل اشتقاقاته إلا إذا استند على التاريخ لتجلية معانيه، مما يجعل البعد التاريخي حاضراً أثناء ضبط الأعلام الجغرافية. وهذا ما يظهر في أسماء القبائل / الأسر / الجماعات / الأفخاذ / العروش... ولن يكون جاداً إلا إذا اعتمد المصادر والمراجع الموثوقة، وعاد للميدان، واستكنه التاريخ من واقعه، ولن يكون له موقع إلا إذا كانت له رؤية علمية تحت نظرية لسانية على غرار ما تقوم به الشعوب التي عملت على المحافظة على هوياتها دون تزيّد أو إنقاص.

أيها الإعلاميون، إنّ المجلس في إطار مشاريعه الكبرى، وفي إطار أن تنال العربية موقعها كلغة رسمية يسعى من خلال هذا المنجز العمل بالشراكة مع من يهتم الأمر لإعادة التسميات إلى أصلاتها بعدما تأدلج بعضها، وبعضها مسّها التحريف، فريد وضع خرسانة صحيحة لا تتغير بسهولة، ولتوصيل الصواب الاسمي لأبنائنا في أن يهتموا بأصولهم المازيغية العربية؛ في إطار تكاملي مضاف، وبحضارة شرقية يقع الاعتزاز بها، مع المقاربة السياسية الرسمية ذات البعد الوطني الذي يقضي بأفريقيتنا، وبعروبة الفضاء المغاربي وانتمائه اللامشروط للأمة العربية، ولا ندخل في صراعات طواحن الهواء التي لا تأتي إلا بالفراغ. ولا بدّ أن نراعي خصوصياتنا في إطار الحفاظ على هويتنا، ونعمل على إبرازها والاعتزاز بها، فقانون المنتصر لا يرحم المنهزم كما أنّ قانون تُشدان الأفضل هو المنتصر في لاحق من الزمان.

إنَّه يوم الاستقلال الوطني، يوم الخامس (5) من جويلية 1962م، إنَّه يوم الانتصار الذي نريد أن نحتفي به مع الإعلاميين في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية، لنقل بعض من تحقيق مشاريعنا الكثيرة، وبما يحمله حدث هذا المشروع المهم من هذه الخرائط بإحداثياتها وجداولها وطوبونيماتها الدالة على وجودها وحركاتها وتفاعلها وأنظمتها الاجتماعية وتاريخها المشترك وما له علاقة بالدراسات المتعلقة بالملكية والميراث والزواج والقرابة، وكل أشكال الممارسات الماضية والحاضرة. وهذا ما نريد تفكيكه من مفاهيم ينتجها الأفراد في شكل علاقات وأنظمة يحتضنها البناء الاجتماعي لعلم الأنثروبولوجيا، ويكون المجلس قد أنتج مدونات ذات العلاقة بالانسجام الجمعي، وباللغة المشتركة التي تحمل هويتنا التي تجعلنا لا ندوب أمام العولمة التي تأتي على إلحاق الضعيف وجعله مهزوماً ويكون تابعا ودون هوية لها المقام في خريطة العالم.

وفي المحصلة العامة، إنَّ الثقافة الوطنية الجزائرية هي القاسم التفاعلي وهي التي تدخر الثقافة الدخيلة المهيمنة، والتي تسعى دائماً إلى إغراق وطمس هويات الشعوب المهزومة، فصراع اللغات والثقافات والهويات هو وجه من الوجوه الخفية للحرب، وطمس التسميات الأصيلة التي دونها التاريخ في (معاجم البلدان) ومثل هذا العمل يكشف الصواب من الخطأ ويعيد الأمور إلى أصحابه، بل يعمل على غرس المواطنة في أبعادها القديمة وفي أبعادها التفاعلية بناءً على أنَّ الإنسان ابن بيئته، ويتفاعل معها في الغالب بإيجابية. وهذا ما نرومه من خلال هذا المنتج التوعوي الذي نبارك للمجلس عمله المائز والأول من نوعه، ولكل الفرق التي أعملت البصر والبصيرة

وشدّت الهمة حتى بلغت الحقائق المهمة، وكشفت عن تزييف في الهوية، بما
مسّ علم الأماكنية.

يمتدّ الشكر ويتّسع؛ لرجال الإعلام في سلطاتهم التواصلية؛ من رابعة إلى
خامسة، ومن رقمية إلى سماعية، ومن مكتوبة إلى مسموعة، ومن سمعية
بصرية إلى فسيكية، فيا أيّها الإعلاميون إنّ المجلس الأعلى للغة العربية يتألّق
بكم، فأنتم منّا في حمل رسالة تعميم استعمال العربية، وأنتم شريك في
الدّود عن حياض العربية لانتشاركم وتأثيركم، وأنتم منّا في ما تقدّمونه من
فتوحات لغوية في حسن استعمال العربية، وبكم تُشرق العربية في كلّ
القنوات، فبوركتكم أيّها الإعلاميون، وزيدونا تألّقاً زيدونا.

تقهقر وهج الفرنسية

وتشبّت النخبة الفرنكوفونية[♥]

- **الديباجة:** طُلب منّي الإسهام عن بُعد في حصّة (للحصّة بقيّة) من قناة الجزيرة بدولة (قطر) حول الفرنكوفونية وأبعادها، ودور النخبة في التّبعيّة اللغويّة. واستجبت فوراً للطلب، وكتبت هذه المقالة ووسمتها (تقهقر وهج الفرنسية، وتشبّت النخبة الفرنكوفونية) وهذا لنشرها لمزيد من الاستفادة. مع تلخيص عامّ قدّمته مشافهة. بالفعل رغبت الحديث في هذا الموضوع الذي أملك أفكاراً كثيرة، وسبق أن لُمت النخبة المغاربيّة على انهزامها وضعفها واستسلامها للفرنسيّة التي يرون فيها الخلاص دون غيرها من اللغات الأجنبيّة، وقدّمت الحجب التي تعكس هذا الكلام والوضع غير الطّبيعيّ المنتهج من النخبة العربيّة بصفّة عامّة¹. ولقد سبقت الحصّة بشريط واسع يتحدّث عن (الفرنكوفونية) بصفّة عامّة، واستعمال الفرنسيّة في المغرب+ تونس+ الجزائر، بصفّة خاصّة؛ على أنّ المغرب وتونس أعضاء في المنظّمة الفرنكوفونيّة، يستفيدان من برامج المنظّمة ودعمها الماديّ، وأنّ التّعليم في البلدين العضوين جيّد، وأنّ الجزائر ليست عضوة، ودخلت المنظّمة سنة 2001م، بصفّة مراقب، ولا تستفيد من خدمات الفرنكوفونية، ولكنها تُعدّ من

♥ الكلمة التي أعدّها رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة (صالح بلعيد) حول موضوع (الفرنكوفونية) وكان الحوار عن بُعد بمشاركة وزير خارجيّة تونس سابقاً (أحمد ونيّس) ولخصّها الرّئيس في ربع ساعة/ 15 دقيقة، في برنامج (للحصّة بقيّة) بتاريخ 5 جويلية 2021.

أكثر بلاد المغرب استعمالاً للفرنسيّة وهذا حسب الشّريط / التقرير الذي سبق الحصّة. وقد عرّضَ التقرير إحصائياتٍ وهميّةً من منبع المنظّمة الفرنكفونيّة، ولم تكن الإحصائيات ولا اختيار المتدخلين في الحديث عن الفرنكفونيّة مُغفلة عن الانتقاء والتّغليط وعن التّوجيه الإيديولوجيّ الفرنسيّ. والمهمّ تابعت واستمعت للشّريط الذي قال: إنّ الفرنسيّة تحتلّ الآن الرّتبة الخامسة في العالم من حيث عدد النّاطقين بها، ويؤكد معدّ الشّريط أنّ مُستقبلها في أفريقيا وفي البلاد العربيّة جيّد، وفرنسا الحكومة تستثمر في هذه البلاد؛ لأنّ سكانها يتزايدون بسرعة، وسيفوقون عدد النّاطقين بالفرنسيّة في أفريقيا والبلاد العربيّة عدد الفرنكفونيين في بقية العالم. كما يذكر الشّريط بعض الإحصائيات التي تشير إلى أنّ بلاد المغرب فضاءً فرنكفونيّ بامتياز، ونسبة النّاطقين بالفرنسيّة في تونس تتجاوز 50 % وفي المغرب 40 % وفي الجزائر 35%. ولم يعط الدّليل / المرجع في ذلك. ولم نلمس المصادقيّة في الأرقام ونحن قرأنا وسجلنا عن وسائل الإعلام التّونسيّة والفرنسيّة أنّ سبعة (7000) آلاف من تلاميذ تونس لسنة 2017 أحرزوا صفراً (0) في نتائج البكالوريا، وأنّ بلاد المغرب لا تسمع الفرنسيّة إلّا في الخطاب المدرسيّ وأما في الجزائر فإنّ نسبة استعمال الفرنسيّة لا تفوق 11%. وأما ترتيب الفرنسيّة في لغات الأكثر استعمالاً في العالم فليس لها موقع بين اللغات الأكثر استعمالاً وهي: الإنكليزيّة + الصّينيّة + الهنديّة + العربيّة + الإسبانيّة + الرّوسيّة + البرتغاليّة + البنغاليّة. إذن هو تضخيم وتضليل ومغالطات من المعلومات التي أخذت من المنظّمة الفرنكفونيّة ذاتها ولا شكّ أنّها تعمل على إدارة الأرقام لصالحها توهمًا.

والآن هناك جدل بين النخبة المغاربية في صلاحية هذه اللغة في التدريس وبقائها في الإدارة وفي الاستعمال العام، وبقاء الوضع اللغويّ دون تعريب تجسيدا لما يعرفه المحيط من تراجع تعميم استعمال العربية في بعض البلاد العربية، ولما تعرفه حالياً بلاد المغرب من تراخٍ في تطبيق النصوص القانونية لصالح تعميم استعمال العربية، وهذا الوضع أسهمت فيه النخبُ المغاربيةُ في التّشبّث بلغة المستدمر (الفرنسية) على أنّها نافذة اللّحاق بالتّقدّم، ولا يمكن أن تنافسها لغةٌ أخرى مهما علا شأنها لموقع الفرنسية في الاستعمال العام، والحميميّة الشّعبيّة المغاربيّة تجاه هذه اللغة التي تلقى الكثير من الرّعاية من النخبة المغاربيّة المفرنسة على أنّها (غنيمة حرب) لا يجب الإفراط فيها. وفي المقابل هناك من النخبة المغاربيّة التي لا تذهب هذا المذهب، بل تدعو إلى إيلاء اللغة الأمّ (العربية) القيمة العُليا في استعمالها في العلوم، والتّفنّح على الإنكليزيّة على أنّها لغة العولمة التي تُطلّب في عقر بلاد فرنسا، وتنهزم الفرنسيّة علمياً أمامها، بل تعيش الانتحار اللغويّ يومياً أمام الفتوحات العلميّة في بعض الجامعات الفرنسيّة التي أصبحت تُدرّس بالانكليزيّة.

كلّ فئة من الفئتين تعتمد حُججاً تُرافع من أجلها، ولكن فئة التيار الوطنيّ الداعم للعربيّة تستند إلى أنّه لم يسجّل التّاريخ أنّ أمة من الأمم تقدّمت باللغة الأجنبيّة، وأنّ البلاد التي تستعمل الفرنسيّة في الماضي والحاضر لم تتقدّم، بل تعيش هذه البلاد مشاكل وصراعات وتخلّف وهجرات... فلم التّعطيل في تعميم استعمال اللغات الوطنيّة؟ علماً أنّ اللغات الوطنيّة هي المنقذ من التخلّف الذي أسبغته الفرنسيّة على الشّعوب التي تستعمل لغتها. وهذه الفئة/ التيار ضدّ الفرنكفونيّة ترى أنّ الفرنسيّة عطّلت التّنميّة في كلّ البلاد

التي حلت فيها، وماذا قدّمت لبلاد المغرب التي تستعمل هذه اللغة منذ 1830م بدخول المستعمر ولغة المستعمر أوّل بلد مغاربيّ (الجزائر). ثمّ دخوله إلى تونس 1912م كمستعمر خارج المسح الثقافي، والحماية التي كانت على المغرب. وهذه الفئة/ التيار تتبنّى خطاب المواطنة اللغوية بإنزال العربية المقام العالي مع المازيغية لغات رسميّة والتفتّح على لغة عولميّة وهي (الإنكليزيّة) وغلق ملف الفرنسيّة للحاق بالركب، إضافة إلى تحقيق التعدّدية اللغوية التفعيّة، فحيث وُجدت المصلحة العامة فثمّ شرعُ الله، وأنّ العِلْمَ لا يقطر من الفرنسيّة دون غيرها من اللغات؛ حيث يوجد في ثمان (8) لغات، ومن الضروريّ اعتماد التخطيط التربويّ العلميّ المرحليّ التراتبيّ لتحقيق المواطنة اللغوية والتفعيّة اللغوية في لغات العلوم، لا لغة العلم (الفرنسيّة وحدها كما تنوّهها بعض النخب المغاربيّة والأفريقيّة).

وهكذا رافعتُ -في الحصة المذكورة- لصالح الدّعوة إلى تمكين العربيّة تمكيناً قوياً لاكتساب آلياتها التّحويّة وأنماطها الفكرية والمنطقيّة بما لخصوصياتها من مسكوكات وحكم وأمثال وشعر في المرحلة الأساسيّة مع الاهتمام بالمازيغيّات؛ وكلّ مازيغية في مناطقها، ومن ثمّ اعتماد تعدّدية لغويّة نفعية بتخطيط تربويّ مرحليّ؛ يستجيب لمقام لغات العلم ويكون حسب الطّلب الوطنيّ والدّوليّ، وحسب القطب الذي يُتنفع به من اللغات الأجنبيّة؛ يعني علوم البحار = الإسپانيّة. الصّناعة الثّقيلة = الرّوسيّة. الفلسفة = الألمانيّة. الطبّ = الفرنسيّة. الإعلام الآلي = الإنكليزيّة + التفتّح على اللوزوفونية + التفتّح على الصّينيّة + التعامل مع اللغات الشّرقية = التّركيّة + الفارسيّة + العبريّة.

- **المقدّمة:** سيكون كلامي عن الفرنكفونيّة التي أصبح وهجها يأفل ويتقهقر، ولم تعد من صيد اللؤلؤ، أو من لغة بلاد الجنّ والملائكة العالمة وتبحث فرنسا الآن عن الفردوس الأفريقيّ/ العربيّ/ ما وراء البحر؛ للبقاء محافظّة على وهجها خارج موطنها. ويعلم الفرنسيّون التّزيهون بأنّ اللغة الفرنسيّة مُهدّدة من أهلها، ومن غير أهلها، وبخاصّة عندما بدأ المؤرّخون الباحثون يكشفون عن تاريخ فرنسا الإجراميّ الذي حصل في البلاد المستعمرة، واللغة الفرنسيّة ليست بريئة في حروبها في الهند الصّينيّة وفي شمال أفريقيا، وبخاصّة في الجزائر، التي أبادت ما يزيد عشرة (10) ملايين من السّاكّة، وأعملت المُنْخ والمُنْخ للذكّارة الوطنيّة لإحداث القطيعة مع تاريخ المنطقة في ماضيها وفي خصوصياتها. ولقد دخلت سنة 1830 بوجود عشرة ملايين جزائريّ متعلّم، ونسبة الأميّة أقلّ من ثلاثة 3%، وخرجت بأقلّ من ذلك؛ يعني لم تحصل الزّيادة البشريّة خلال قرن واثنين وثلاثين (132) سنة ونسبة الجهل معكوسة 97%. دون الحديث عن جرائم أخرى لفرنسا الكولونياليّة التي ارتكبت في الهند الصّينيّة، وفي هايتي ومناطق التّفي في كايان وجزر الموت التي تسوّق فيها الأفارقة بالآلاف، وتستعبد لهم لصالح مُعمرّيها الذين غزوا هذه المناطق خدمة لفرنسا المغامرة والسّاعيّة للاستحواذ على ما وراء البحر. ويكفي أن نشير إلى المِحْرقَة التي أقامتها في (رواندا) أواخر القرن الماضي، وهي عبارة عن إبادة جماعيّة دامت ثلاثة (3) أشهر سنة 1994م أسفرت عن قتل قرابة مليون قتيل رواندي. ويقول (خالد سعد الله) ((... عبر ما صرّح به الطّبيب الفرنسيّ جون هرفي برادول / (Bradol) المسؤول في منظّمة (أطباء بلا حدود) إنّ الأشخاص الذين يقومون بالاغتيالات اليوم

والذين ينفذون هذه السياسة المحكّمة التخطيط والمنهجية التي تستهدف الإبادة الجماعية، يتمّ تمويلهم وتدريبهم وتسليحهم من قبل فرنسا!)). ... كانت (صقور الفرنكفونية) في الرئاسة الفرنسية سنة 1994 الحبيطة بالرئيس (ميتزان) ترى ضرورة الحدّ من توسّع أرض التوتسي / (Tutsi land) والتوتسي قبائل منتشرة بوجه خاصّ في رواندا وبورندي وأوغندا والكونغو وتانزانيا وتتهمهم فرنسا ضمناً بأنهم مدفوعون من (بريطانيا وأمريكا) ضدّ (الربيع الفرنسي) في أفريقيا... ولذا كانت فرنسا تقدّم الدّعم بكرم كبير للجناح الفرانكفونيّ في (رواندا) خلال المرحلة التي سبقت المجزرة؛ لتكون له الغلبة على الجناح الأنكلوسكسوني. وقد أدّى هذا الصّراع إلى عملية الإبادة الجماعية التي تطاحنَ فيها الجناحان في قالب حرب أهلية عرقية... أما قائد ضحايا المجزرة آنذاك والذي درس بالولايات المتحدة، فهو (بول كاغامي Kagamé) رئيس (رواندا) منذ 2000 حتى هذه السّاعة. وكان قبلها نائباً لرئيس البلاد من 1994 إلى 2000م ويُعتبر الروانديون (كاغامي) مُنقذ البلاد بعد عملية الإبادة، ومُهندس المصالحة بين المتناحرين. وليس هذا فحسب؛ بل إنّه يَسُوس البلاد بحكمة ليخرجها بخُطى ثابتة من التّخلف!! وما يثبت حنكته أنّ (رواندا) تُعتبر سابعَ دولة في العالم في باب جودة التّسيير، وأنّها توصف الآن بـ (سنغافورة أفريقيا) وبـ (المعجزة الاقتصادية) إذ يبلغ مُعدّل نموّها السنويّ منذ بداية القرن 7؛ وقد انخفض مُعدّل الفقر خلال العقدين الماضيين بنسبة 25٪. وبماذا حصل لها كلّ ذلك؟ بخروجها من وهن المنظّمة الفرنكفونية؛ ففي أقلّ من عشر (10) سنوات، تحوّلت (رواندا) بشكل كامل من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإنكليزية، منذ أن أعلن الرئيس

الرّواندي قراره باعتماد الإنكليزية لغة أولى في البلاد بدلاً من الفرنسية وهذا قوله: "سنعطي الأولوية للغة التي تجعل أبنائنا أكثر كفاءة، وتخدم رؤيتنا لتنمية البلاد". وهكذا فرنسا تخسر مجدها اللغويّ في (رواندا) ومع ذلك تعمل (فرنسا الأم) على انتخاب (لويز موشيكيوابو) وزيرة الخارجية الرواندية سابقاً على رأس المنظّمة الفرنكفونية؛ سعياً إلى إعادة (رواندا) إلى بيت الطّاعة الفرنسية. وتصريح المعنّية قائلة "... لا تناقض في هذا الوضع، وأنّ القرار اتُخذ؛ لأنّ الأنكليزية هي لغة التكنولوجيا والبحث وشبكات التواصل الاجتماعي". هي معركة كبيرة يقودها المسؤولون الفرنسيّون لصالح انتشار الفرنسية خارج فرنسا التي لا تزال تلاحقها الكثير من المضايقات التي سبّبتها للدول التي استعمرتها، والآن تقطف آثار ذلك عن طريق المهاجرين، وتعيش إشكالية تسوية أوضاعهم/ تسفيرهم إلى بلدانهم الأصلية، وتدرك تدهور نفوذها اللغويّ والحضاريّ والثقافيّ والاقتصاديّ والسّياسيّ لصالح أمريكا وللغة الإنكليزية. وهذا الأfol في الحقيقة بدأ منذ الستينات في التراجع الذي مُنيت به تكنولوجياً، ولم تستطع التّنافس في ميادين: التّفوق التّكنولوجيّ + الصّناعة الإعلاميّة + التّفوذ الاقتصاديّ الذي كان لصالح الأنكلوساكسونيّ وحاولت أن تسترّ ضعفها بتأسيس قطب الفرنكفونية سنة 1970م.

وإنّنا اليوم نطرح هذه الإشكاليات: إلى أيّ مدى يمكن أن نقول: إنّ وهج الفرنسية باقٍ في داخل وخارج فرنسا؟ وهل الفرنسية الآن ما يزال يُطلب ودّها؟ ألا تعرفُ الفرنكوئيّة الانحسارَ والانكفاء في بداية خروج/ انسحاب أعضاء المنظّمة تبعاً؟ وما هي (الكابون) تلحق (رواندا) أليس هذا معاناة ومضايقات للفرنسيّة في الخارج، بله الحديث عن مضايقات في بلدها فرنسا؟

ألا يُعنيها أمرُ المسؤولين الفرنسيين الذين يُرافعون لصالح الإنكليزية ويرون بأنها لغة المستقبل، ولا بدّ أن تنال موقعاً في التربية والتعليم والبحث العلمي والاستعمال العام في فرنسا؟ وهذا قول وزيرة التربية الفرنسية (Vallaud Najat) "... يجب على الأستاذ الفرنسي أن يتقن الإنكليزية لأنها لغة المستقبل". أليس البحث العلمي المعاصر تتحكّم فيه لغة العولمة؟ ألا ننظر إلى تصنيف اللغات؛ فنجد الفرنسية في خاتمة عشر (10) لغات متقدمة؟ وهل الجامعات الفرنسية لا تعاني صعوبة في البحوث العلمية باللغة الفرنسية؟ وكيف السبيل لبقاء شعاع الفرنسية خارج بلدها؟ ولماذا يتّجه الفرنسيون إلى الإنكليزية في إصدار مجلاتهم العلمية على غرار (Science et Vie) بنسخة إنكليزية إلى جانب النسخة الفرنسية؟ ولماذا تحفظ معهد باستور من إصدار مجلّته بالفرنسية، وبقيت لا تصدر مدداً حتى انقلب إصدارها لنسخة إنكليزية؟ لماذا تشترط الجامعات الفرنسية تدريس الإنكليزية، وفتح مشاريع الماجستير والدكتوراه باللغة الإنكليزية فقط؟ ... تلکم قائمة أوليّة لمعاناة الفرنسية في أرضها وخارج موطنها وهي معاناة الفرنكفونية التي تعرف تراجعاً على كثير من الصُّعد ونرى العربية في مجال الاستعمال أكثر مقاماً منها، وأنّ تصنيفها في الانتشار أفضل منها بكثير، فلماذا نُهين لغتنا العربية ونبقى نمجّد لغة عفا عليها الزّمن الحاضر، وهي ليست من ذاتنا، واللغة وسيلة تواصل ولكنها شخصية واعتزاز وانتماء وتنمية وانسجام وتكامل وتطوير؟ أليس حرياً بنا -نحن المغاربة- الاهتمام باللغات الوطنية والعمل على تعميم استعمالها في العلوم وفي التّقانات المعاصرة؟ ... وفي كلّ هذه الإشكالات كان يجب أن نعلّم بأنّ العربية ليست مجرد واحدة من 7117 لغة

يتحدّث بها سكان الكوكب اليوم، فهي ضمن أعلى عشر (10) لغات انتشاراً واستعمالاً حول العالم، وهذا مكسب كان على النخبة الوطنية في كلّ البلاد العربيّة والإسلاميّة الوعي به، وكان على النخبة الوطنيّة العربيّة الوعي بتاريخها اللغويّ، فما حدث من مضايقات في البلاد العربيّة جاء بعد تبني لغة تدريس أجنبيّة غير العربيّة في الجامعات العربيّة، وذلك ما فتح الباب واسعاً أمام هجرة الأدمغة الشّابة التي تكوّنت لصالح البلاد الغربيّة وحصل القضاء على التّرجمة العلميّة إلى العربيّة، وغرس الفكرة الخاطئة بأنّ العربيّة عاجزة عن إنتاج العلم، بله نقله واستيعابه، وأدّى ذلك إلى تقهقر سريع للغة العربيّة العلميّة؛ جرّاء عدم استعمالها في التدريس والتّأليف والتّرجمة. وفي الحقيقة إنّ الواقع غير هذا؛ لأنّ العربيّة من أغنى اللغات بتعابيرها وأساليبها وهو ما يضمن لها مقاماً علمياً مرموقاً في توصيل المعلومة العلميّة بشكل سليم وسلس، ويحلّ ذلك مشكل نقص المصطلح العلميّ الذي لا يزال عالقاً. ولهذا يفرض الوضع الحالي على الدّول العربيّة، وعلى النخبة الوطنيّة العمل على تسهيل التدريس بالعربيّة والتّمكن لها في البحث العلميّ، وأن تعمل الدّول العربيّة على الانفتاح الأوسع على العالم، بعدما تعمل على دعم العربيّة واللغات الوطنيّة في جميع المجالات وبكلّ الوسائل، وبخاصّة في: التدريس + الإعلام + الإدارة، وبالموازاة ينبغي التّركيز على تعلّم لغة العلم الأكثر انتشاراً (الإنكليزيّة) إذا ما أردنا التّواصل مع الغير وعدم التّفوق.

1- **أهميّة اللغة الفرنسيّة في الماضي:** لا ننكر أنّ الفرنسيّة كان لها الوهج العلميّ؛ وبخاصّة في القرن السّابع عشر الميلاديّ أيام مجدها كلغة آداب وفنون، وكان لها وقع كبير في ثورة البخار، وعرفت الانتشار الدّولي كلغة

عولمة آنذاك، بما أبدع فيها أدباؤها الكبار والذين نقلوها إلى أدب رفيع ونشير إلى الشاعر فيّون/Villon وهو من أبرز الشعراء القدامى + رابليه/ Rabelais + مونتيني/ Montaigne + جماعة البليياد/ Pléiade بشاعرها الكبير رونسار/ Ronsard + كورنييه/ Corneille + راسين/ Racine + موليير/ Molière + لافونتين/ La Fontaine + پاسكال/ Pascal + بوالو/ Boileau + فينيلون/ Fénelon + فولتير/ Voltaire + روسو/ Rousseau + لامارتين/ Lamartine + هوغو/ Hugo + ألفرد دو موسيه/ de Musset + ستاندال/ Stendhal + بلزاك/ Balzac + أراغون/ Aragon + جيد/ Gide + كامو/ Camus + ساتر/ Sartre ... والقائمة كبيرة من الذين صنعوا مجد الفرنسية أيام إشعاعها وهل لا يزال عليها ذلك الإشعاع؟ هناك أدباء وشعراء أعطوا للفرنسية الأنوار أيام عصر النهضة، والآن لم يعد للأدب الفرنسي مقام فما مقامها في التقانات المعاصرة؟ وماذا تقدّم من رصيد معرفيٍّ علميٍّ أمام لغات العلم؟ رغم ما لها من قيمة في مجال الطب والسياحة. وحقيقة نقول ما يزال يقع الطلب على تدريسها وتعلّمها، فأصبحت تُدرّس عملةً قويّةً على فرنسا بعدد الدارسين والذين تستقطبهم سنوياً من مختلف الجنسيات، والتطوّر الجزئي الذي تعرفه في مجالات الصناعة والهندسة والفلاحة، وكلّ ذلك أكسبها نشاطاً وسياسةً دولية، وقوةً ضغط أعطت لها مكانةً متقدّمة بين لغات العلم. ولكن حالياً تعاني من حصار الإنكليزية، وتجذب بعض المسؤولين الفرنسيين يرافعون من أجل بقاء نفوذها في الدّاخل وفي الخارج، بقوانين صارمة وردعٍ وتغريمٍ وسجنٍ، وهذا توبون/ Toubon بقانونه Loi du Toubon الصادر 4 أوت 1994م، الذي يهدف إلى حماية الفرنسية وتراثها، ويتركّز على: إثراء الفرنسية + الالتزام باستخدام

الفرنسيّة+ الدّفاع عن الفرنسيّة كلغة رسميّة للجمهورية كما نصّت عليها المادة الثّانية من دستور الجمهورية الخامسة 1958م. وهذا القانون ينصّ على أسبقية استعمال المصطلحات الفرنسيّة التّقليديّة عوض المصطلحات الإنكليزيّة؛ لضمان سيادة الفرنسيّة في فرنسا. واستجابة لتزايد استخدام اللغة الإنكليزيّة في فرنسا، ولا سيّما في الإعلانات التجاريّة، حيث يُلزم قانون (توبون) جميع الإعلانات والمصنّقات التّرويجيّة أن تكون مكتوبة باللغة الفرنسيّة. وهذا (Jack Lang / جاك لونغ) وزير الثقافة الفرنسي سابقاً يبذل ما وسعه الجهد لحماية اللغة الفرنسيّة؛ بإصدار قوانين وتشريعات تمنع استعمال الكلمات والمصطلحات الإنكليزيّة التي طغت على الشّارع الفرنسيّ إضافة إلى استصدار القوانين والتّشريعات التي تُلزم بثّ ما لا يقلّ عن 60٪ من الإنتاج الثقافيّ الفرنسيّ؛ سواء كان هذا الإنتاج أغانيّ أم أفلاماً أم دراما أم غير ذلك، والسّؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل تستطيع القوانين والتّشريعات أن تقف أمام العولمة والمدّ الثقافيّ الأميركي المتواصل؟

2- نفقات فرنسا على الفرنسيّة ومنافع توسّعية: تنفق فرنسا سنوياً مئات الملايين من الدّولارات لنشر الفرنسيّة تحت غطاء الفرنكوفونية في أكثر من 134 دولة عبر العالم، بشعار "من يتكلّم الفرنسيّة يفكّر فرنسياً ويأكل فرنسياً، ويلبس فرنسياً". وإنشائها مراكز ثقافيّة كبرى عبر العالم 1056 مركزاً في 134 دولة في العالم، وتزويد مكتبات العالم بكتب مثقفيها الفرنسيين وكبار الفرنكفونيين، مع ما يصحبها من الأفلام والأشرطة والأغاني والجرائد والمجلّات الفرنسيّة... إنفاق وتساوق في الإنفاق بينها وبين الإنكليز في من ينفق/ يدفع أكثر على اللغة، ويمكن أن نمثّل لذلك على أنّ ميزانيّة منظّمة

الفرنكفونية سنة 2008 وصلت إلى ستة ملايين (600000) يورو، بينما ميزانية المجلس البريطانيّ تعدّت مئة وخمسين (150) مليون يورو لتمويل نشر الإنكليزية. ومع ذلك فإنّ هناك إنفاقاً مادياً بأرمادة من العاملين على وزارة الفرنكفونية ذات وقت، والمهمّ فيها أن يبقى الوهج والإشعاع الثقافيّ للفرنسيّة، وتبقى في مواجهة الأنكلزة. وإنّ من يطلع عمّا تنفقه فرنسا في وكالة الحرّم الجامعي / Campus France يرى مدى مُرافقة وجلب الطّلاب الأجانب - لا سيّما المتفوّقين منهم - والسّهر على دعمهم في تعليمهم الفرنسيّة، والعمل على دمجهم ثقافياً، وهذا ما نراه اليوم في صورته الحقيقيّة بأنّ بلاد المغرب عبر جامعاتها تُكوّن أطباء جاهزين وتعمل فرنسا على جلبهم إلى بلادها وإلى كندا بإغراءات ماديّة وتستغلّهم في بلادها دون أية نفقات مسبقة، وقد تكوّنوا في بلادهم. وفرنسا في تفكيرها البعيد تعرف بأنّ التّقدّم المنشود مصدره التّقدّم العلميّ، وأنّ التّقدّم العلميّ لا يتأتّى إلا بوجود نخبة علميّة تعمل وتبدع وتبتكر داخل البلاد. وبما أنّ كمّ النّخب العلميّة الموجودة داخل فرنسا غير كاف، فقد لجأت إلى جلبها من الخارج وهو جاهزون؛ تستجلبهم بوجهٍ خاصّ من مواهب شباب العالم الثّالث وبخاصّة الدّول المغاربيّة. وحسب إحصائيات هذه الوكالة؛ فإنّ عدد الطّلاب الأجانب في فرنسا بلغ 343 ألف طالب خلال العامّ الدراسيّ 2017-2018 وأنّ ميزانية تمويل البحث والتّنمية في فرنسا بلغت 50 مليار يورو، وأنّ هناك 74 ألف طالب دكتوراه في مؤسّساتها الجامعيّة. وأمّا نسبة طلبه الدّكتوراه الأجانب فيُقدّر بـ 42 ٪ (أي ما يقارب نصف مجمل طلبه الدّكتوراه بفرنسا. هذا العدد الكبير للأجانب في صالح الفرنسيّة؛ حيث سيعودون لبلادهم

ويعملون على نشر الفرنسية ويدعون لها، وبخاصّة سيكونون في مناصب التّسيير والقرار. ويتعدّى الإنفاق إلى الحصول على مقرّ اليونسكو/ UNESCO في باريس ويعمل المقرّ على تشغيل 800 موظّف فرنسيّ، و200 موظّف من الدّول الكبرى و200 موظّف من باقي أنحاء العالم، علماً أنّ اليونسكو (المنظمة العالمية للتّربية والثّقافة والعلوم) منظمة دوليّة، ومصدر تمويلها يأتي من كلّ الدّول، وعليها إغداق من الدّول العربيّة بشكل كبير ولكن هل يستفيد العرب علمياً من هذه المنظّمة؟ وهكذا نلاحظ بأنّ وجودها في قلب باريس يعمل لصالح الفرنسية، وأنّ نافذة الفرنسيّة في الرّتبة الثّانية بعد الإنكليزيّة ولكن كلّ اللقاءات والاجتماعات الوطنيّة تتمّ بالفرنسيّة وبعض اللقاءات الدّوليّة تجد استعمال اللغات الأُمّية الأخرى وبصورة محتشمة هذا وجه من أوجه الإنفاق الذي يقابله المردود الثّقافيّ ويتبع ذلك ما يخرج من منظّمات تابعة لليونسكو على غرار UNICEF/ أطباء بلا حدود... منظّمات مجيشة بالفرنسيين الذين يخرجون إلى كلّ العالم مصحوبين بالكتاب الفرنسيّ وما يحمله الكتاب من احتواء ثقافيّ، ويقع الاستثمار في الشّباب الذين يجعلونهم تابعين لفرنسا، ويصبحون العبد المطيع، ويعملون من أجل الفرنسيّة بسلسلة غسل الدّماغ المؤدّي إلى احتقار الدّات الوطنيّة وما له علاقة بالهويّة الوطنيّة في أبعادها: الدّين + التّاريخ + اللّغة + الإنيّة + الاعتزاز. وينطلقون من التعريف السّاذج للّغة على أنّها وسيلة تواصل ثلّبيّ الاحتياجات الفرديّة والجماعيّة فقط، بإسقاط متعلّقات الدّات الوطنيّة التي لا يكون إلاّ باللّغة الأمّ، والتّنميّة لا تحصل إلاّ باللّغات الوطنيّة. وفي هذا المقام لا بدّ أن نشير بأنّ ما تنفقه فرنسا في سبيل المدّ الفرنكفوني ليس من

مالها، بل من التّهب الذي أخذته من الدّول الأفريقيّة وكتب التّاريخ يشهد بأنّ (برج إيشل بُني من حديد جبل زكّار من الجزائر وأنّ الأورانيوم تنهبه من نيجيريا، ويطرولها وغازها من الجزائر والتّيجر وأثاثها الذي تفتخر به من ساحل العاج، وشيكولاتها المعروفة عالمياً من جزر القمر... وتُصنّف الآن في الرّتبة الثالثة عالمياً من حيث امتلاكها المخزون العالمي من الدّهب، والعجيب أنّه ليس في بلد فرنسا أي منجم للدّهب، فمن أين لها هذا الدّهب الذي يقدر الخبراء بأنّه تستطيع العيش دون عمل في أريحية لمُدّة 250 سنة، ولا يمسّها الضّرر، فمن أين لها كلّ هذا المخزون؟ ونريد أن يعلم القارئ بأنّ فرنسا لها من الدّهاء ما لها، فهي جاثمة على صدر أربع عشرة (14) دولة أفريقيّة تنهب في ثرواتها، وهذه الدّول تابعة اقتصادياً وثقافياً لهذا القطب الخطير (الفرنكفونيّة) وهي عبارة عن تحذير خطير جعل هذه الدّول تابعة منهزمة دونما أيّ شعور، وترى فيها المخرج من التّخلّف، وتنسى أنّ كلّ معلّم ومبنى وإشعاع في فرنسا من خيرات أفريقيا، بل من عرق الأفارقة الذين استعبدتهم، ومجد الأفارقة في ضمور وخيراتهم تذهب لغيرهم.

3- **قطب الفرنكفونيّة = هيمنة الفرنسيّة:** لا بدّ من الحديث عن مصطلح ومدلول كلمة (الفرنكفونيّة) الذي أبدعه واستعمله الجغرافي الفرنسيّ (أونسيم روكولو / Onésime Reclus) 1837 - 1916 ويعود إلى سنة 1880 عندما استعمله (روكولو) بغرض توسّع اقتصاد فرنسا خارج نطاقها، وكان المشروع الاقتصاديّ ناجحاً في هيمنة فرنسا على الكثير من ثروات الدّول، وبخاصّة في دول أفريقيا التي تعيش الفقر والمجاعة وتستغلّ فرنسا الإمكانات البشريّة والماديّة والتّرابيّة، ومحتويات أراضي أفريقيا

بالخصوص، وعالم ما وراء البحر من أجل دفعها وإلحاقها بمعمريها المغامرين الفرنسيين الذين استعمروا العالم، ووصلوا إلى الهند الصينية بما لهم من حسن التدبير الاقتصاديّ، والهيمنة القويّة على أفكار التابعين لهم. بقيت الفكرة الاقتصادية قائمة، وتوسّعت لتشكّل كياناً يتعاون في شتى الميادين، ويعمل على تقارب الشعوب، وبرز تيار من ذات المنظّمة يركّز على الجانب اللغويّ ونشر الفرنسية عبر دول العالم ويدعو أصحابه إلى أولويّة اللغة الفرنسية والبُعد الثقافيّ الذي لا يمكن فصله عن البُعد الاقتصاديّ، ويرى أنّه إذا ما توسّع الفضاء الفرنكفونيّ بدون مراعاة البُعد اللغويّ لا فائدة منه، وأنّه لا يذهب بعيداً، إضافة إلى السور اللغويّ الذي يصدّ تيار العولمة الإنكليزية.

وهكذا تعود فرنسا إلى توسّعها الجامع بين الاقتصاد واللغة، وإلى تنفيذ استراتيجية توسّع واستنزاف أموال وكسب قوة التأثير على الصّعيد الدّوليّ وحماية فرنسا من السّوق الأمريكيّة وما يتبع ذلك من السّلع الحاملة للغة. ولهذا لا بدّ من تبعية فكرية ثقافية لغوية، وهذا ما جعل تأسيس (المنظّمة الفرنكفونية) يخرج من وكالة التعاون الثقافيّ والفنيّ للتبادل الثقافيّ مع الحكومات، الذي انعقد في 20 مارس 1970م، ويرتبط هذا التاريخ باليوم العالمي للفرنكفونية. وقد اجتمع لذلك رؤساء ثلاث دول تحت الرّعاية الفرنسية، وهم: الرّئيس التّونسيّ الحبيب بورقيبة+ الرّئيس السنغاليّ ليوبولد سنغور+ الرّئيس النيجيريّ هاني ديوري. فضمّت الوكالة الفرنكفونية يومها اثنتي عشرة (12) دولة، وتوالى الانضمام حتى أصبح العدد أربعة وخمسين (54) دولة تمثّل القارات الخمس. وهكذا كان المنطلق اقتصادياً، ولا بدّ أن يكون مدعماً ثقافياً ورمزياً، ولهذا كان البحث عن

مُروِّج ثقافيّ فخبويّ، برعاية الانفتاح اللغويّ؛ والتّبادل الثقافيّ؛ وترويج قيَم الحداثة، وهو بداية الاختراق الحقيقيّ للثقافة والهيمنة الفرنسيّة في مستعمرات فرنسا التّقليديّة أو التي لم تخرج منها بعد، أو التي يُخطّط لإلحاقها ثقافياً عن بعد، وحصل الامتداد بتدحرج كُرّة الفرنكفونيّة عبر العديد من القمم العالميّة حتى أصبح لها استعمار جديد وكان لغويّاً. والمهمّ وصل عدد المنظّمين في هذا التّجمع اللغويّ إلى أربعة وثمانين (84) دولة؛ وفيها أعضاء دائمون وعددهم (54) عضواً، ونذكر بعضاً منهم: ألبانيا + إمارة أندورا + أرمينيا + بنين + بلجيكا + بلغاريا + بوركينا فاسو + بورندي + كمبودج + الكاميرون + كندا + كندا نيو برونزويك + كندا كيبيك + وسط أفريقيا + مصر + تونس + المغرب + الرّأس الأخضر + قبرص + جزر القمر + الكونغو + جمهوريّة الكونغو الديمقراطيّة + ساحل العاج + جيبوتي + الدّومينيك + مقدونيا + اليونان + غينيا + غانا + هايتي + لاوس + لوكسمبورغ + غينيا بيساو + غينيا الاستوائيّة + مدغشقر + لبنان + موريس + مالي + موريتانيا + مولدوفيا + إمارة موناكو + النّيجر + رومانيا + رواندا + السّنيغال + الكابون + سيشل + ساو توميه وبرنسيب + سانت لوسيا + تشاد + سويسرا + طوكو + فيتنام + فانواتو + تونس. وهناك أعضاء مراقبون وهم: التّمسّا + المجر + صربيا + الموزمبيق + تايلاند + بولونيا + سلوفاكيا + ليتوانيا + كرواتيا + جورجيا + التّشيك. ومن هؤلاء الأعضاء هناك اثنتان وثلاثون (32) دولة تستعمل الفرنسيّة لغة رسميّة فقط، ووجود بعض الدّول عبارة عن حصول المنافع الماليّة السّخية التي تقدّمها فرنسا لصالح الفرنسيّة. وهذا العدد تتمثّل فيه قارة أفريقيا بـ 27 من الدّول الاعضاء الـ 54 المؤسّسة في المنظّمة الدّوليّة للفرنكفونيّة، ونسبة

الناطقين بالفرنسيّة -بما فيهم فرنسا- في حدود 274 مليوناً. ومع ذلك نشير بأنّ هذا القطب له أهدافه الكبرى في انتشار الفرنسيّة ضمن تفكير وسلوك حياة في نموذج سياسيّ، وكيان جغرافيّ، ولغة فرنسيّة؛ لتحقيق المرامي التي حدّتها مؤتمراتها تحت قفاز ثقافيّ/ القوة النّاعمة بالتعبير المعاصر وهذا لتحقيق توسّع الفرنسيّة، ولكن يحمل الكثير من المخاطر والهيمنات التي نجملها في ما يلي:

1- ضرورة الترويج للفرنسيّة كوسيلة للدّفاع عن مصالح فرنسا في العالم وترى فرنسا أنّها إن لم تفعل ذلك فستفقد وتخسر الكثير. وهذا يعني أنّ رأس الحربة في هذا الأمر هو الغزو الفكريّ والثّقافيّ والعبث بالهويّات؛ المحليّة واستبدالها بهويّة فرنسيّة فقط، ويعني ممارسة الغزو الفكريّ وعملية غسل المخّ من خلال إنشاء مدارس وجمعيات وجامعات فرنكوفونيّة عالميّة.

2- السّعي لإحلال القوانين المستمدّة من الفكر العلماني محلّ القوانين المحليّة في الدّول الأعضاء التي معظمها دول إسلاميّة ذات صلة بتعاليم الإسلام.

3- نشر اللغة الفرنسيّة مع محاربة اللغات المحليّة؛ وبخاصّة العربيّة الفصحى في الدّول الأعضاء في الفرنكوفونيّة.

4- خلخلة القيم الدينيّة والأخلاقيّة في البيئات الإسلاميّة وتوجيهها نحو الحياة الاجتماعيّة الغربيّة من خلال وسائل إعلام مختلفة.

5- تشتت شمل المسلمين، وبث الخلافات بين الدول الإسلامية بسبب موالاة بعضها لمعسكر الفرنكوفونية ضد البعض الآخر الموالي لمعسكر الأنكلوساكسوني، مما يحول دون تحقيق وحدة حقيقية بين هذه الدول. وأمام هذه المرامي المبيتة؛ وهي هيمنة اللغة الفرنسية والتي لا تظهر في التصوص، ولكنها تظهر في الممارسات، فرى بأن المنظمة عبارة عن استعمار جديد، وسبق له أن خرج من بعض الدول من النافذة، ويسعى أن يعود من الباب المشرع تحت غطاء التبادل الثقافي في إطار هذه المنظمة الفرنكوفونية.

4- تراجع الفرنسية في الداخل والخارج: لا يمكن نكران تراجع الفرنكوفونية على الصعيد الفرنسي والعالمي والذي يرجع إلى عدة أسباب منها صعوبة المنافسة العلمية والتصدي للغة الإنكليزية داخل فرنسا إضافة إلى خروج فرنسا من كثير من مستعمراتها، وعدم قدرتها على المحافظة على علاقات متكافئة تقوم على الاحترام المتبادل بين الطرفين هذا من جهة ومن جهة أخرى، نلاحظ أن الاقتصاد العالمي تسيطر عليه شركات الكارتل المتعددة الجنسيات، وقوى فاعلة تتعامل باللغة الإنكليزية في الأوساط التجارية العالمية وفي البورصات والمحافل الدولية. إنها الإنكليزية التي تُهيمن بلغتها على سوق الاقتصاد والتفوذ السياسي يملك اللغة التي تفرض نفسها على العالم. وهكذا وجدت فرنسا نفسها تتراجع لغوياً سنة بعد سنة، وأصبح رئيسها (جاك شيراك / Jack Chirac) يحاور الصحفي الأميركي المشهور (لاري كينغ) في برنامجه (لاري كينغ لايف) باللغة الإنكليزية بكل فخر واعتزاز وهو انهزام ظاهر واستسلام للغة شكسبير الشيء الذي أثار استياء

وحفيظة الفرنسيين المتمسّكين بكبريائهم الفرنكوفونيّ، وغضبهم على رئيسهم الذي فضّل الكلام بالإنكليزيّة على الفرنسيّة، وتساءلوا لو كان الأمر يتعلّق بجوار الصّحافيّ (جورج الكباش) مع الرّئيس (جورج بوش الأب) لاختلف الوضع تماماً حيث إنّ الرّئيس الأميركيّ يتشبّث بلغته ويعتزّ ويفتخر بها. وهناك تراجع علميّ واضح في البحث العلميّ، فهذه رئيسة تحرير مجلّة (Québec Science)، المختصة في نشر العلوم للعموم باللغة الفرنسيّة، ماري لومبير شان/ (M. L. Chan) تكتب مقالاً وسمته كيف نحافظ على ما تبقى من الفرنسيّة في عالم البحث؟ وتأسّفت عن وضع اللغة الفرنسيّة في مجال النّشر العلميّ وأشارت إلى تحلّي بعض الجامعات الفرنسيّة ومقاطعة الكيبك في كندا عن التّدريس بالفرنسيّة كلغة تعليم العلوم في كثير من الاختصاصات... لقد لوحظ على مدى عقود في نظام البحث العلميّ الكنديّ، استمرار تراجع اللغة الفرنسيّة لصالح اللغة الإنكليزيّة التي تزداد نمواً؛ ففي سنة 2019، تمّ نشر ما يقارب نسبة 100٪ من المقالات الكنديّة في العلوم الطّبيّة والطّبيعيّة باللغة الإنكليزية، وكذلك 97٪ من المقالات في العلوم الاجتماعيّة، و90٪ من البحوث في الفنون والآداب... إنّ المتأمّل في هذه المنصّة يجعلنا نصل إلى ملاحظة هي: في مقاطعة كيبك، تشكّل البحوث المؤلّفة باللغة الإنكليزيّة نحو 70٪ من إجمالي تلك المنشورة في العلوم الاجتماعيّة و30٪ في الفنون والآداب... ومن وراء هذه الأدّلة الدّامغة لتراجع الفرنسيّة يرون بأنّ أقصر الطّريق للعلم هو (طريق اللغة الإنكليزيّة). وهذا الباحث الطّبيب والكاتب ورجل الأعمال (لورنت ألكسندر/ Alexandre) يرى بأنّ المخرج المعاصر في الدّكاء الصّناعي لا يوجد في

الفرنسيّة، وعلينا نشدانه في الإنكليزيّة. ونقرأ لعالم الرياضيات (سدريك فيلاني/ Villani) يقول: «إذا تمادى غيابنا في المجال الرّقميّ فأفريقيا ستكلم اللغة الصّينية، وغدنا سيكون مُذهلاً».

5- حصار الفرنسيّة من الإنكليزيّة: لقد حاصرت لغةُ (شكسبير) لغةَ (قولتير) في عقر دارها، وأصبح العلماء والباحثون الفرنسيّون ينشرون في مجلات علميّة مُحكّمة تُصدّر بالإنكليزية لا لشيء إلاّ لأنّ النّشر في غير هذه المجلات الإنكليزيّة لا يعني شيئاً من النّاحيّة العلميّة؛ حيث عدم الانتشار وعدم الإقبال على ما هو مكتوب بغير الإنكليزية، وكان منطلقهم في البداية وإلى الآن إجباريّة كلّ المجلات الفرنسيّة تقديم مختصر Abstract لكلّ مقال ينشر في المجلات الفرنسيّة المحكّمة. إنّها اللغة الإنكليزيّة لغة الكبتار والمعلوماتيّة والبحث العلميّ والاختراعات الحديثة ولغة العلم والجامعات والبحوث التي تخصّص مليارات الدّولارات للبحث العلميّ... وبكلّ ذلك أصبحت التّخب الثّقافيّة في العالم الثّالث -عدا التّخب المغاربيّة- تتسابق على الجامعات الأميركيّة لطلب العلم والمعرفة والاستفادة من مراكز الأبحاث العديدة والمختلفة، وكذلك استغلال إمكانيات تمويل البحوث والدّراسات من قبل أمريكا/ بريطانيا، الأمر الذي يتعدّر الحصول عليه في دولة فرنسا. إنّها الإنكليزيّة لغة العلم والمعرفة ولغة البحث العلميّ والدّراسات الاستشرافيّة والاستراتيجيّة على المستوى العالميّ؛ كما أصبحت لغة التّجارة الدّولية، ولغة الشّابكة. ولهذا أصبحت المراكز الثّقافيّة الفرنسيّة تُحفّأ للتّاريخ والمجد والتّغني بالأشعار المختلفة الأمر الذي جعلها مشلولة لا تستطيع أن توقّف الانهيار البطيء والمستمرّ لمعاقل الفرنكوفونيّة عبر العالم. ولهذا لا

يمكن للفرنسيّة أن تنافس الإنكليزيّة، ولا يمكن أن تنجح أو تتحدّى لغياب آليات التّحكّم في العلم والثّورة المعلوماتيّة إذا كان ميترّو باريس يُدار بمنصّة أصلها وضعت باللغة الإنكليزيّة. وأنّ استخراج تذاكر الطّيران المدني باللغة الإنكليزيّة ولغة السيّاحة بالإنكليزيّة. الفرنسيّة لا تزال في شوارع فرنسا مزوجة بالمصطلحات الإنكليزيّة، وفي كلّ المرافق العموميّة لا تخلو لافتة إنكليزيّة، وتنهار في معاقلها الأفريقيّة في: السنّغال وساحل العاج والكونغو وباقي الدّول لغتها الرّسميّة الفرنسيّة، ولكن استعمالها محدود لا يخرج من أسوار المدارس. كما نرى ترتيبها العالميّ في ذيل اللغات العالميّة.

ترتيب اللغات الأكثر انتشارا في العالم.



وما يجب وعيه في الوقت الحاضر بأنّ فرنسا تُدرك أنّ وضع الفرنسيّة الحالي أصبح هشاً، وأنّ التّكوين بالإنكليزيّة ينتشر بنسبة تفوق في بعض الاختصاصات 50٪، وهناك تراجع كبير في فرنسا، ونسمع رئيس الوزراء

الفرنسيّ (Edward Filipe / إدوار فيليب) في سنة 2018 يقول: "إنّ الإنكليزية الآن هي اللغة المهيمنة للتفاهم بين الشعوب. عليك أن تتحدّث بالإنكليزية إذا أردت أن تتصرّف وتعامل في ظلّ العولمة". وتتوالى انهزاماتها ومعاناتها وعزلتها كلّ يوم، وهذا ما دفع 100 مثقف وعالم إلى مناشدة الرئيس الفرنسيّ (Emanuel Macron / إيمانويل ماكرون) إلى التّحرّك لحماية اللغة الفرنسيّة من الاستعمار الأنكلو - أمريكي، كما وصفوه، وذلك في بيان رسميّ نشرته صحيفة Le parisien / لو باريزيان في الدّكرى 79 للجنرال الفرنسيّ (شارل دو غول / Charles De Gaulle).

6- **النخب الوطنيّة العربيّة التابعة:** أريد أن أقف وقفات كثيرات للحديث عن تشبّث النّخبة العربيّة بوجه عامّ في هذه اللغة التي لم تقدّم لنا التطوير العلمي المنشود، وبفضل هذه النّخبة وقع الاختراق / الغزو الثقافيّ ونال محلّه في بعض الأتباع. هي نخب عربيّة عملت على التّعطيل، بل هي التي زيّنت تعطيل قرار التّعريب للسلطة الحاكمة، بما لها من موقع في الحُكم وفي الإعلام الفرنكفونيّ، وبقيت الدّول العربيّة تعيش صراعاً ثقافياً وهمياً في الدّفاع عن لغة غير وطنيّة على أساس أنّها المخرج وهي باب نيل المقام والحضارة؛ فهذه الكاتبة (كاتيا حداد) تقول: "... وقد أتاح لنا الدّراسة الاستقرايّة التي قمنا بها إبراز حقيقة أنّ الفرنكفونيّة المدرسيّة تقدّمت خلال العقد الأخير ولم تتأخّر. وكان من أسباب هذا التّطور المحسار تيار التّعريب من المناهج الدّراسيّة. فقد شهد العقد الأخير إعادة إدراج اللغة الفرنسيّة أو تقويتها في البرامج الدّراسيّة بدرجات متفاوتة، وذلك في البلدان الآتية: تونس والمغرب وسوريا ومصر. وفي لبنان، تمّ اعتماد مبدأ الازدواجيّة اللغويّة

المبكرة على مستوى الدّولة، وهو مبدأ جاء ليزكيّ اختيارات السّكان اللغويّة ويُضفي طابعاً رسمياً على مكانة اللغات الأجنبيّة، وبخاصّة مكانة اللغة الفرنسيّة، وكان هذا الإجراء أوّل سابقة من نوعها في هذا البلد". وهذه الكاتبة سلسلة من النّخب العربيّة والأفريقيّة التي ساندت الفرنسيّة في بلادها، بما ادّعت أنّها لغة الثقافة والتّفنّن، وهي في ركاب أصحاب (غنيمة حرب) لا بديل لها، ولا يمكن للغات الوطنيّة أن تكون لغات علم. بالفعل هو نوع من غسيل المخّ الذي جاء عن طريق إجهاض محاولات التّعريب وتلك التّضالّات من أجل مواصلة التّحرير الثّقافيّ. وهل تدرك النّخبّة العربيّة أنّ الفرنسيّة لم تعد لغةً منافسة في اكتساب العلوم والتّكنولوجيا عالمياً لكنّها بالمقابل تسعى كي لا تفقد مكانتها في مستعمراتها السّابقة. "نخبة وراء تعطيل حركات اللغات الوطنيّة من الدّاخل، ولا ندري كيف تنظر هذه النّخبّة التي تجد نفسها في منفى عن أوطانها، ولا تدري أنّها تُجهض مشاريع التّنميّة في بلادها. ولا تدري النّخبّة العربيّة أنّ هذه اللغة التي ينافحون من أجلها سبب البلاوي والخلافات الفكريّة الوطنيّة، وأنّها رديف الاستعمار الاقتصاديّ. وهل تدري هذه النّخب العربيّة القيمة الكبرى لتلك الحركات التي خاضتها الشّعوب بهدف التّحرّر من ربة الاستعمار الفرنسيّ؛ والذي حوّل الجزائر إلى مقاطعة تابعة لفرنسا؛ وحوّل المغرب إلى مستوطنة كبرى ومنجم لا ينضب من الموادّ الأوليّة، ونفس المصير كان في تونس، فهل حصل لها التّقدّم بالفرنسيّة، وهي تستعملها منذ ما ينيف عن سبعين (70) سنة. أمّا في المشرق العربيّ فقد دشّنت حملة (ناپليون / Napoléon) لانتداب فرنسيّ وعمّ منطقة الشّام، وحوّلها إلى امتداد اقتصاديّ وسياسيّ وثقافيّ ولغويّ تابع

للمتروپول. وهل تُدرك هذه النّخبة بأنّ البلد الذي يحترم لغته ويعمل بها في كلّ المرافق بلد مستقلّ. وهل تُدرك النّخبة العربيّة أنّ نتائج الاستفتاء الإلكترونيّ الذي أطلقته وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ في الجزائر سنة 2019م حول استبدال لغة التدريس والمناهج الجامعيّة من اللغة الفرنسيّة إلى الإنكليزيّة، وصلت النّسبة أكثر من 80٪ من طلبة الجامعات يُطالبون الدّولة الجزائريّة اعتماد اللغة الإنكليزيّة في المناهج الجامعيّة، وأنّ نسبة الجزائريين الذين يتحدّثون اللغة الفرنسيّة انخفض من 28 ٪ إلى 11 ٪ فقط. وأنّ المغرب يشهد غلياناً وحملات شعبيّة لصالح تعميم استعمال العربيّة وتنفض جمعيات حماية العربيّة عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ؛ مطالبة تعويض الفرنسيّة بالإنكليزيّة في النّظام التعليميّ، وأنّ الفرنسيّة تنهوى في (لبنان) ولا أثر لها في (مصر) إلّا في منافع مكتبة الإسكندريّة، وبعض الجامعات التي ليس لها أثر في المحيط المصريّ. وهل تدرك النّخبة الأفريقيّة تراجع (رواندا) عن الفرنسيّة واستبدالها بالإنكليزيّة وقد طوّرتها أحسن من طوق الفرنكفونيّة في ما مضى من الزّمان، وذات الشّيء ينطبق على بلد (الكابون). وهل تعي النّخبة العربيّة بأنّ الموجة الجديدة للإقبال على الانكليزيّة كلغة أجنبيّة تتقوّى ولا يمكن توقيفها، وهي نتيجة منطقيّة للانفتاح على العالم الخارجيّ، وخاصّة مع مواقع التّواصل الاجتماعيّ... مئات من المدارس الإنكليزيّة الخاصّة تُفتح في كلّ البلاد العربيّة، فيا أيّتها النّخبة الدّاعيّة للفرنكفونيّة، عليكم الوعي بما يلي: إنّ وظيفة الفرنسيّة في البلدان المغاربيّة اليوم هي إعادة إنتاج الطّبقيّة الموروثة عن الاستعمار وعلّيكم الوعي بالعمولة التي هي قدّر علينا، وعلينا العمل على إيجاد طريقة

الاندماج مع المحافظة على الخصوصيات، وكيف ننخرط في السوق العالمية الحرة للغات الذي تُهيمن عليه الإنكليزية، والوعي بعمق القارة الأوروبية التي تتراجع فيها الفرنسية لغة وثقافة أمام الإنكليزية والألمانية. "وتُظهر بعض الإحصائيات الجديدة أنّ نسبة 41 % من الأوروبيين يتحدثون الإنكليزية، وأنّ نسبة 19 % منهم يتحدثون بالفرنسية". هل تُدرك النخبة المغاربية أنّ المسؤولين الفرنسيين يقرّون بضرورة الانتقال إلى الإنكليزية، فهذه الوزيرة السابقة للثقافة (فلور بيليرين / Fleur Pellerin) والتي تتقن الإنكليزية والألمانية تقول "إنّه ليس هناك جدوى من حماية الفرنسية من التأثيرات الخارجية مثل تأثير الإنكليزية".

7- **دعوة خاصة للنخبة المغاربية:** أعرف أنّ النخبة المغاربية تعرف أنّ البُعد التعليمي للغة العربية بُعد ثقافي وهوياتي، كان على النخبة أن تحلّه وتفصل في أمور اللغة، وهي علامة هوية المجتمع المغاربي الذي هو جزء من الأمة العربية. وأما المنهج يمكن أن يخضع للخلافات لأنّه يتبع للسياسات التعليمية في كلّ البلاد العربية، وهي التي تنظر في مسألة التفاعل بين الهوية ولغة التعليم في أفضل وأسهل المناهج. وكان على النخبة ألا تختلف إذا أجرت دراسات اجتماعية ونزلت إلى الميدان ونظرت إلى أثر اللغة المشتركة وعند ذلك تشخّص أزمة الهوية التي تركتنا سبيلًا. وفي تقديري إنّ المسألة كان على النخبة علاجها جماعياً لما للغة الوطنية من منزلة في التفكير في المحدّدات الشخصية، وما لها من علاقة في الرموز الوطنية والثقافة الجمعية. لذا كان علينا التخطيط لإصلاح تربويّ شامل يُراعي هوية المدرسة والجامعة والمدارس العليا ومراكز التكوين والتّمهين وأهل الحرف بمراعاة تحولات

العصر بالمحافظة على مجد العربيّة ودورها في تفاعلها الثقافيّ، والسّعي لتطويره وإصلاح برامجها بالجمع بين النّص التراثي والنّص الجديد؛ لأنّه لا جديد يقوم إلّا على أساس قديم، وكما يقول (رولان بارث/ Roland Barthe) "النّص كائن لغويّ يشهد على حضور التّراث". وهذه المسألة لم تعالج من النّخبة، ولذا حصل الإخفاق في عدم التّفاعل بالخصوص بين التّعليم العالي ودوره في الهوية اللغويّة، وهذا ما أدّى إلى شرح في المشروع الحضاريّ لمستقبل الأجيال. والسّبب أنّ اللغة التي تنقل العلوم والمعارف إلى المتعلّمين لا تندمج اندماجاً كاملاً في بنية المجتمع، وهي ليست لسانه ولا تتفاعل بقوة مع الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وأصبحت لغة النّخبة فقط. وهذا إشكال كبير في موضوع غياب التّفاعل بين لغة التّعليم وهويّة المتعلّم وهذا ما يجب أن تستوعبه النّخبة الفرنكفونيّة العربيّة بصفة عامّة، والمغاربيّة على الخصوص، وأن تأخذ في حساباتها تعلقها الخاطيء بلغة الامتياز. ولهذا أدعو النّخبة الفرنكفونيّة الدّخول في مشاريع النقاش حول الأمّة + الهوية + الهوية الثقافيّة + آثار الاستعمار في الذاكرة الوطنيّة... وأن يكون النقاش مفتوحاً وطبيعياً ودون تشجّع أو تخوين وشتّم وتصنيف، ودون الحدود الثقافيّة التي تفصلهم عن مواطنيهم. وسوف يرون المسافة التي تفصل النّخبة الفرنكفونيّة عن مجتمعاتهم؛ لأنّهم بنخبويّتهم استقالوا وانسحبوا من المشهد الاجتماعيّ، وهي عبارة سلبية تؤثّر على الهوية اللغويّة؛ حيث الخضوع لنفوذ الثقافات وهيمنة المرجعيّات الأجنبيّات، ويدخل في باب الاستعمار الثقافيّ الجديد.

لم تحاول النخبة الفرنكوفونية المغاربية أخذ العبرة من القوة الشاملة التي تقودها لغات العولمة؛ فاكسحت العقول، ومسحت الأفكار، وبنت مسلمات على وهم لا يدوم. وهم يجعلك في صراع مع الذات، وهذا يؤدي إلى التشكيك في الهوية اللغوية، وتهميش فاعلية قوة الهوية في المشيخة والقذوة... وإنّ هذه النخبة الفرنكوفونية لا تدري البعد الجديد لاستعمار جديد يخرق المجتمعات العربية، والذات الوطنية تبقى عاجزة عن المواجهة لأنّ الحرب تصبح داخلية، وأنّ الازدواج اللغوي فعّل فعله، وفكّ الرابطة اللغوي الذي كان سبب الرابطة السياسي. وتضيع الأوطان بضياح اللغات الوطنية، ويصبح مصير العربية يتهاوى تحت خطر الهوية الثقافية العالمية الأجنبية، وهي الثقافة التي تنقل للأجيال الصاعدة وتزيدهم غربة على غربة. فيا أيتها النخبة المغاربية ألا تعلمون أنّ مصير اللغة العربية وتفاعلها في ظلّ الاستعمار الثقافي الجديد لا بدّ من تقديم علاج منكم والأمر لا يحتمل التأجيل. وإنّ أبواب الإصلاح التربوي يمكن أن تُسهموا فيه، وباب تمّتين الهوية الثقافية يعمل على ضمان سيرورة الذات الحضارية، وإن لم تقوموا بما يقوّي الهوية اللغوية العربية فأنتم تهدّدون اللغة الأمّ، وسوف تصبح سلطتكم المعرفية عدماً. ولهذا ندعوكم للاندماج ضمن تشارك عربيّ موحد يرصد واقع اللغة العربية الذي خرّبته اللغات الأجنبية، وتعملوا على ترميمه، وعليكم رفع الغبن عن هذا الواقع بتقديم علاجات الخروج من أزمة الفكر الأجنبي والتبعية والانقياد. وكان عليكم إحداث التوازن المضيف في إثبات الذات الوطنية والاستفادة من ذات الآخر في ما يعمل على الاستقرار النفسي

والانسجام الجمعيّ، وهو الذي يسجّل لصالحكم كقوّة وقُدوة قادرة على العطاء للوطن الذي يُكسِبُكم الاحترام.

هل تُدرك التّخبة المغاربيّة التي تدافع عن الفرنسيّة في بلاد المغرب ما للعربيّة من مكاسب في المنظّمات الدّوليّة، وفي المواقع الاجتماعيّة، وعند المجتمع المدنيّ، هل تعيش هذه التّخبة واقعها أو تعيش في فرنسا، وتدعو المغاربة لرفع المظلة حالة ما تُمطر في فرنسا. وأوجّه كلمتي للمتغريّين في لغتهم؛ للعودة إلى التّفنّح على اللغات الأخرى واللغة العربيّة، والنظر إلى الوضع اللغويّ من لغات غير الفرنسيّة، أو العيش ضمن محيطهم المغاربيّ ليروا مقام العربيّة بين أهلها، وفي الدّراسات الميدانيّة. أدعوهم إلى التّفنّح على لغاتهم، والاطلاع على أعمال جادة في هذا المجال². وسوف يجدون موقع العربيّة كلغة أميّة بامتياز، ويرون تلك المشاريع التي فتحتها (اليونسكو) لصالح العربيّة لموقعها كلغة حضارة إنسانيّة، وما قدّمت للعالم روائع الأدب العربيّ العالميّ. وهناك مشاريع ترجمة هذه الرّوائع إلى مختلف اللغات، إضافة إلى الفهرس العالميّ للكتب المترجمة... جهود كبيرة تحتاج إلى الاطلاع، وتثمينها، وتحتاج من التّخبة المغاربيّة النظر من خلالها إلى موقع العربيّة أمام الفرنسيّة، وآفاق التّنميّة والريادة التي ستكون للعربيّة من خلال مرافقة مختلف المشاريع الأميّة، وما تقوم به المنظّمات الأجنبيّة والوطنيّة في قضايا المصطلح، وما له علاقة بالدّكاء الصّناعي. وعلى التّخبة المغاربيّة أن تعلم بأنّ احترام العربيّة يعني استعمالها في متوجهم وإبداعهم، والعمل داخل حدودها الجغرافيّة في المقام الأوّل؛ وهو شرط احترامها في الخارج. فالأجدى بالتّخبة المغاربيّة التي تعيش خارج لغتها أن تقتنع بأنّ تعليم العلوم باللغة

العربية، وتدرّس الطّب هو الضّمان الأكبر للتّميّة المستديمة، بل هي قاطرة العيش في انسجام وطنيّ متآلف، وهو العيش ضمن احترامك للآخر واحترامك من قبل الآخر. وهل تُدرك النخبة المغاربيّة بأنّ اللغات دُول ألم تكن العربيّة لغة عولميّة، وكانت لغت أميّة، ولم تشتك ضعفاً؟ ألا تعلم النخبة المغاربيّة أنّ إمكانيّة العودة إلى الريّادة والعولمة قائمة؛ لتوفّرها في الوقت المعاصر في العربيّة. وعلى النخبة المغاربيّة قراءة ذلك التعميم الذي نالته العربيّة في كلّ لغات العالم، وانظروا في كتب التّاريخ تقرؤون ذلك الاكتساح الذي نالته العربيّة في القارة الإفريقيّة حتى لُقبت (لغة إفريقيّة) ونالت مواقع في بلاد السّند والقوقاز وأروبا. وأدعوهم إلى استنطاق تراث أجدادهم بما كُتب. فعودوا إلى لغات تعلّقت بالعربيّة وأبدعت أحسن، واستنطقوا ذلك من لغات: السّولو+ السّوندا+ لغة السّوننكا+ لغة سيرير+ الشّاوية+ القبائليّة+ التّوارقيّة+ الشّبكيّة+ الصّوصو+ الصّوماليّة+ الصّونغاي+ الصّينيّة+ الشّلحيّة+ الشّغنائيّة+ الشّحريّة+ الجباليّة+ الطّاجكيّة+ الكالاميّة+ القوميّة+ القشقائيّة+ القرغويّة+ القرئشاي/ بلقاريّة+ الفيليّة+ القبرديّة+ القولاينيّة+ القفسيّة+ العثمانيّة+ القيري- قيدرّيّة+ الفارسيّة+ لغة كانوري+ الكتشبيّة+ الكرديّة+ الكرواتيّة+ الكشميريّة+ الكهواريّة+ الكوجاريّة+ الكونكانيّة+ لغة اللانكو+ التّركيّة+ اللاتينيّة+ اللوريّة+ الماجداناويّة+ ماروّاري+ اللوكنديّة+ لغة مابا+ المازنرانيّة+ المالديفيّة+ لغة مدغشقر+ المهريّة+ الواخيّة+ الولوف+ النّوبيّة+ مليالاميّة+ نوكاي+ الهوسا+ الهريّة+ المغوليّة+ ماننكا+ مرناو+ الهنّخيّة+ هندگو+ الواخيّة+ اليغنوبيّة+ اليوربا+ اليونانيّة³. وقد استعرضت هذه اللغات بقصد معرفة مقام العربيّة فيها

وكيف نَعَوَّلَمَ خَطُّهَا وَقَبْلَتُهُ مختلف اللغات بأرْيحِيَّةٍ مع بعض التَّعْدِيلِ في قليل من الحروف، والذي لم يخرج عن الحروف السَّعة والعشرين (29) حرفاً لمنظومة الخطاطة العربيَّة، واستجابت العربيَّة لكلِّ الأصوات للغات العالميَّة فكيف تعجز الآن عن استقبال المصطلح العلمي من أيَّة لغة؟ وعلى النِّخبة المغاربيَّة -مهما كان موقعها- سياسيَّة / علميَّة / إعلاميَّة أن تسير في اتِّجاه العودة إلى الرِّشْد، والنَّظَر في ترميم ما يمكن ترميمه، والعمل من أجل سدِّ النَّقائص التي تعانيها في هذا الوقت، ولا يعني التَّنكُّر لها أو نفيها عن محيطها والتَّخَلِّي عنها.

- **الخلاصة:** أيتها النخبة العربية عامّة، علينا الوعي بقيمة اللغة الأمّ وهي أساس التعليم والتعلّم، واكتساب الثقافة والعلم لا يكون إلاّ باللغة الأمّ وبها يستطيع المتعلّم مواكبة مراحل التّمو مواكبة مستمرة، وهذا ما يجعلها من مظاهر الشّخصيّة، وعاملاً أساساً من عوامل نموّها وبنائها. وإنّ اللغة الأمّ مفتاح المعرفة، وغذاء الدّماغ، وأنّ وعي النخبة بهذه المسلّمات من شأنها تسهيل عمليّة التّحبيب والتّلقّي عند أولادنا. ولهذا نجد الشّعوب المتقدّمة تعطي كلّ الأهميّة للمهارات اللغويّة الأربع: الاستماع + التّكلّم + القراءة + الكتابة باللغة الأمّ في المرحلة القاعدية حتى ترسّخ مبانيها ومعانيها في ذهن المتعلّم بصورة يحفظها وترسّخ بصورة طبيعيّة، ومن ثمّ يمكنه أن يتعلّم لغات أخرى، ولا مشكلة لغويّة تحدث له، ولا انفصام في الشّخصيّة، وذلك هو التّمو الطّبيعيّ لاكتساب اللغات، هذا في المقام الأوّل وفي المقام الثّاني من الضّروريّ الخروج من الإلتباع إلى الإبداع في ذات لغتنا وبلغاتنا، ليكون لنا موقع في البحوث العلميّة، وليكون لنا التّصنيف العالميّ لجامعاتنا بعد الخروج من نظام الفرنكفونيّة على الخصوص. ولهذا يستدعي الوضع اللغويّ العالميّ التّوقّف عن أساليب التّغريب في بلاد العرب، وضرورة استخدام وسائل التّحديث المتنوّعة؛ وبخاصّة التّقنية وحوسبة اللغة العربيّة، وإعادة برمجة وهندسة منظوماتها، واتّخاذ خطوات إجرائيّة حقيقيّة نحو إحياء المشروع اللغويّ الحضاريّ العربيّ مشروع المعجم التاريخيّ للغة العربيّة، ومشروع الدّخيرة اللغويّة، ولا بدّ من التّحذير من أن تتحوّل ثقافتنا الأصيلة إلى ثقافة استهلاكيّة / Consumer Culture، وعلى النخبة العربيّة قلب ميزان غربة العربيّة في بلدانها إلى نيل موقعها بالقوّة والفعل في الدّاخل وفي الخارج.

وعلى التّخبة العربيّة أن تُدرك بأنّ الدّراسات المستقبلية التي أجريناها حول (العربية وسوق اللغات) تُفيد بأنّه مع حلول سنة 2050م ستكون الإنكليزية لغة العولة رقم واحد، وتليها العربية في الرّتبة الثانية، ثمّ الإسبانيّة ثالثة والصّينيّة رابعة وأنّ الولايات المتّحدة تُصبح من أكبر الدّول النّاطقة بالإسبانيّة، وأنّ اللغات الشّرقية سيكون لها المقام العلميّ والاستعمال العالميّ، وهناك خريطة لغات جديدة تأتي على انقراض الكثير من اللغات بموضّة (كوليرا اللغات) وهذه الكوليرا سوف تقضي على بعض اللغات التي نراها اليوم لها الإشعاع العالميّ/ العلميّ، ومن بينها الفرنسيّة التي تنهزم وتتقهقر بشكل سريع، وأنّها سوف تنحصر بشكل قوويّ في داخل فرنسا وسوف تتخلّى عنها معظم الدّول النّاطقة بها، فلمّ التّشبّث بهذه اللغة التي لا مستقبل لها، وما هي الحلول الممكنة لنا لتنال اللغات الوطنيّة موقعها؟

إنّ الحلّ في أيدينا، والعبرة من كلّ الشّعوب التي تملك القرار بالعمل على تطوير لغاتها، والاهتمام بها للخروج من أسئلة الماضي والحاضر ومن أسئلة الجدوى، وكان علينا الوعي بأنّه لا يمكن أن نذهب مذهب الحضارة بلغة غير لغتنا، ولا يمكن أن ننال موقع الرّيادة بغير لغاتنا. وعلينا الاستثمار في أربعة مجالات تُعمّم فيها العربيّة تعميماً أفقيّاً وعمودياً وهي: المدرسة في كلّ مراحل التّعليم + الإدارة + الإعلام + الاقتصاد. ومن ثمّ يمكن اعتماد لغة/ لغات أجنبيّة حسب قطبها في: الدّبلوماسية + التجارة الخارجيّة + البحث العلميّ الدّقيق (المخابر) + التّرجمة. ومن الضّروريّ بمكان أن يقع الاستثمار في التّرجمة فهي باب الانفتاح على المعرفة العلميّة، ولنا العبرة الأولى من العصر العباسيّ الذي ارتقت فيه كلّ العلوم العربيّة بفضل (بيت الحكمة)

وكان مؤسسة ترجمية أغدق على العربية بأّمات المصادر والمراجع التي جعلت العربية لغة العالم، والعبرة الثانية من تطوّر أوروبا في القرن XVII الذي كان فتحاً لثورة البخار التي غيّرت مجرى الحضارة إلى ما هو أحسن (صناعة البكرة). والحلّ كلّ الحلّ هو الاهتمام باللغات الوطنية فقط، وكفانا تعطيلاً لكلّ مشاريع التطوير العامّ والتّماهي مع اللغات الأجنبية (الفرنسية) التي لم نقطف منها إلّا التّقليد والغباء.

الهوامش:

¹ - ينظر كتابي، الاهتمام بلغة الأمة - العبرة من الفرنسيين - الجزائر: 2016، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة تيزي-وزو.

² - ناصر عبد الله الغالي، اللغة العربية في المنظّمات الدّولية. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللغة العربية. الرياض 2015م، مباحث لسانية 9.

³ - عبد الرزاق القوسي، عالميّة الأبجدية العربية وتعريف باللغات التي كُتبت بها. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللغة العربية. الرياض: 2015، سلسلة الأدلّة والمعلومات رقم 7.

كلمات في موضوع اللقاء (أُخْمِي وَطَنِي) ♥

— **الدَّيْبَاجَة:** إخواني الحضور، إخواني المبادرين، سعدتُ بعوتكم للإسهام في هذه الفعاليّة الجمعيّة التي اقترحتموها: رؤساء المنظّمات والجمعيات الوطنيّة والتّقابات المهنيّة بعنوان (أُخْمِي وَطَنِي). هي مبادرة نُزكِها لما لها من أثر إيجابيٍّ ومردود تفاعليٍّ بَيْنِي وفي هذا الظّرف الذي نعيشه في واقعه العامّ والخاصّ. ويتعلّق واقعه العامّ بسيرورة نهوض المجتمع المدني/ الجمعيات في تشكيل قوّة اقترح لمساعدة الدّولة في التّنميّة، وتحملّ جزء من رهان التّغيير. هي سيرورة ارتبطت بتحوّلات سياسيّة عميقة شهدها العالم في ما يُطلق عليه دولة الحقّ والقانون/ الدّيمقراطيّة/ حقوق الإنسان/ المواطنة... وهي مفاهيم تشير إلى حركيّة اجتماعيّة وتحوّلات عرفها العالم منذ انهيار القطبيّة الثنائيّة، وزوال دولة الرّعاية، وفشل أنموذج الدّولة الوطنيّة في البلاد المتخلّفة؛ ومنها البلاد العربيّة في تحقيق حلم التّنميّة الوطنيّة. ويتعلّق واقعه الخاصّ بما تعرفه بلادنا من ظروف صعبة تحتاج إلى تعاقد بخصوص مجموعة رهانات وتحديات إقليميّة، وما يتبع ذلك من ضرورة نُشدان الأمن الفكري اتّقاء للغزو الثقافيّ؛ وما يحمله خطاب العنف والكراهيّة لمزعجات الوحدة الوطنيّة، ودولة التّغيير، في ظلّ استمرار وقوف المؤسّسات، والبحث عن إيجاد آليات الوقوف في وجه النّوازل، وما عرفناه خلال الجائحة والحرائق .

♥ أعدت الكلمة لصالح رؤساء المنظّمات والجمعيات الوطنيّة والتّقابات المهنيّة لمبادرة (أُخْمِي وَطَنِي). في المكتبة الوطنية بتاريخ 25 سبتمبر 2021م.

أيًا الأفاضل المبادرون؛ إنَّ ما تقومون به فعلٌ نبيل؛ بحمل المبادرات، فأنتم أحياء بأمثال مقترحاتكم التي تحملون فيها هموم شباب اليوم، شباب يعمل على جبر الخواطر، شباب يريد بناء علاقات المجتمع بدولته من واقع الرّاهن والتنمية المستدامة والديمقراطية التشاركية والتعددية السّياسيّة. وضمن هذا الإطار نلمس تحقيق الكثير من شروط المواطنة/ الشراكة العاملة على خلق بنيات قاعدة المجتمع المدني/ الجمعيات في سلوك قيام مؤسّسات الدولة ومؤسّسات المجتمع بشكل منفصل متكامل، والتّمييز بين آليات عمل الدولة كمؤسّسة، وآليات عمل الاقتصاد كشركة، وقيام فكرة المواطنة في مفهوم الحقوق المدنيّة والسّياسيّة. وكلّ هذا هي شروط أساس لمزاولة الجمعيات مهامها في جوّ التّكامل بين البنيات القاعدية للدولة، وفق تبلور الطّابع التّضامنيّ، وهذا جيّد. وأما ما تقوم به بعض الجمعيات ذات الطّابع الماديّ وخارج تلك التّنظيمات غير الحكوميّة ONG المبتزّة بغطاء المجتمع المدني، فهو لا يخدم الصّالح العامّ.

أيّها الجمع الكريم، لست هنا في مقام الإفتاء في مسألة القوانين التأسيسية للجمعيات مهما كان نوع توجّهاتها، أو التّقابات، بقدر ما أريد تأكيد مسألة ماذا تقدّم هذه الجمعيات من اقتراح وتعزيد القرار السّياسي، وما هي آليات التّجنيد الوطني أو المرافقة الموضوعية للمجتمع في أطر تقتضيها مصلحة البلد في إطار الحفاظ على الأمن العامّ في المقام الأوّل، وفي المقام الثّاني دور مساهمة الفعاليات الثقافيّة/ الاجتماعيّة العلميّة/ السّياسيّة... وما تستلزمه من حِرْفَة التّبليغ، بعد التّسويق، وهذا مطلوب منكم كجمعيات عليكم وعيه من خلال الفضاء الوطني الذي نريده أن يعرف التّواؤم بين هذه الجمعيات

والقوى الاجتماعية ذات التوجهات السياسية التي تستعمل مصطلح: المجتمع المدني/ التنظيمات الأخرى... وما يجب أن يُبنى من علاقات بينية وسيطة بين منتجي الأفكار وصانعي القرار، وكذلك ما يبرز من خلال الأنشطة التي مارسها الجمعيات في حمل الانشغالات اليومية بطريقة صريحة ومباشرة وهذا ما يخلق الروابط التي تُرسخ دور الجمعيات في اقتراح أفكار، وتعمل على إزالة الحواجز البيروقراطية، وما يتبعها من تسلط الأوليغاركي الذي يؤدي إلى شعور المواطن بحالة الاغتراب.

2- ما هو المطلوب من الجمعيات: ما دامت الجمعيات تؤدي دور الوسيط بين الفرد + الجماعة + الدولة، فيبدو لي، هي مطالبة بالعمل على شقين :

2/1- الشق السياسي: ومطلوب منها ما يلي :

2/1/1- العمل على ترسيخ تكوين الدولة الأمة على غرار ما هو قائم في المجتمعات الغربية المتقدمة. وواقعنا يُجبرنا على العمل في هذا المنظور نظراً لدورها: الفرد - الجماعة - الدولة.

2/1/2- دعم مفهوم الدولة والمجتمع المدني/ الجمعيات في مرافقة التغيرات في البنية الاقتصادية، وما يتبعها من تأسيس الجمعيات المهنية/ النقابات/ المنشآت/ الشركات/ المؤسسات الثقافية/ وسائل التواصل.

2/1/3- خلق طرائق التواصل بين التخبطة الوطنية وإدارتها في ممارسة غير رقابية، ولكنها ممارسة مسؤولة مرافقة لسيرورة التغيير الاجتماعي العام وقاية لحدوث الاختلالات المؤدية لفقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم .

2/1/4- تشكيل المجالس المحليّة والولائيّة ذات الاستقلاليّة التّنمويّة مراعاة لخصوصيات محليّة؛ تسعى لخدمة الأفراد والمجموعات وترعى مصالحهم .

2/1/5- تقيّد جميع أنشطة الجمعيات الوطنيّة بالثوابت الوطنيّة وبالمرجعيات التاريخيّة والوطنيّة، وبذلك المعاهدات والاتفاقيات التي صادقت عليها الدّولة الجزائريّة عبر مؤسّساتها .

2/1/6- خلق أطر تفاعليّة لدور الجمعيات في اقتراح الأفكار، وفي رقابة التطبيق ضماناً لشفافيّة المساءلات، وهو ما يُعزّز النظام الديمقراطيّ التّزيه للدّولة، وهذه المهمّة نابعة من دور الجمعيات كونها الوسيط بين الشّعب والنّظام. وهذه عمليّة تضمن إصلاح مواطن الضّعف في الدّولة.

2/2- الشّق الاجتماعي: وهو واسع جداً، ويمكن أن يقع التّركيز على خصوصياتنا ووضعنا الذي يملك الطّاقات الشّابة وهي أنتم، ومن شأنكم خلق فضاءات للتّواصل البّناء بين مكوّنات المجتمع الواحد حتى تعمل بطريقة مُنظّمة؛ تُجعل تأثيرها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي ناجعاً. ومن هنا نرى أنّ أسس الجمعيات الوطنيّة تحتاج إلى تفعيل وتحسين وفق بنيات قاعدية لخصوصيات الجمعيات: خيريّة/ أخلاقيّة/ دينيّة/ ثقافيّة/ رياضيّة... يضعها المشرّع بما يعمل على الحفاظ على مكوّنات بناء مجتمع واع متضامن .

2/2/1- تعميق معاني الولاء والوفاء في نفوس جيلنا، وغرس روح المواطنة الصّالحة ليستمرّ عطاء هذا الغرس الذي صنّعه السّواعد الفتيّة لأبناء هذا الوطن وشهدائه وقياداته، ويبقى الوطن في عزّه ومجده بهمة أبنائه وباستمرار بناء اللّبنات على فكرة (إنّ أحسنّ اللاحق إنّ الفضلَ للسّابق).

2/2/2- نشر الوعي بقضايا المجتمع، بالسعي لتنميته، بترسيخ قيم المواطنة والتماسك بين أفراد المجتمع الواحد، بالمساهمة الفعالة في تحقيق العدالة الاجتماعية، بإشراك المواطن في تحديد مشاكل المجتمع وإيجاد الحلول المناسبة لها .

2/2/3- العمل على تحقيق التنمية الشاملة عن طريق تكامل عمله مع الدولة والقطاع الخاص، بحيث تعمل القطاعات الثلاث من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وهو ما ينعكس بالإيجاب على مواطني البلد، وأيضاً يقع على عاتق الجمعيات مسؤولية إعادة الإطارات التي غادرت البلد لوجهات أجنبية .

2/2/4- السعي لخلق حلقة التواصل الفعال بين أفراد المجتمع، وإشراكه في تنظيم فعاليات ثقافية وتشجيعه على ممارسة أنشطة مختلفة؛ تسهم في إبراز مواهبه وطاقاته البشرية وتقديمها في شكل مُتفرد متكامل.

2/2/5- إسهام الجمعيات في المجتمع إسهاماً تطوعياً من خلال الأعمال الخيرية والتطوعية التي تُنظمها في نشأة علاقات إنسانية بين أفراد المجتمع الواحد، وفي اكتساب دعم وتأييد المجتمعات المدنية الأخرى للإنجازات المُقدّمة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

2/2/6- تفعيل دور الجمعيات في إعادة الروابط العائلية بين أفراد المجتمع الواحد، وفي الوقوف في صف واحد أمام التوازل والإحن والمحن وفي مختلف الحاجات الإنسانية التي تستدعي لم الشمل، وإنهاء كل النزاعات والتكافل الجمعي .

إخواني، من المهم أن تكون المنظّمات والجمعيات الوطنيّة تلعب دور التّحسيس والتّفعيل وحملها لمفاتيح قوة الاقتراح المؤثّرة في بناء الثّقة في المجتمع: حاكم ومحكوم، وتكون وسيطاً موضوعياً لتوليد الأفكار والمشاريع الجديدة في خدمة الصّالح العامّ. وإنّ الجمعيات لا تكسب قدرتها على التأثير في محيطها الوطني إلاّ من خلال ما تحمله من أفكار التّغيير نحو الأفضل، ومن خلال تلك الأدوار التي تقدّم فيها الخدمات النّافعات للمجتمع، وأفضل خدمة هي إسعاف المجتمع، وملاحقته بالجديد من أفكار ومشاريع، سواء في مجال التّشريع أو المرافقة أو الاقتراح، أو على صعيد تمكين النّساء والشّباب من نيل مناصب التّسيير في المواقع المحسوسة. ويبدو لي يا شبابنا الحاضر معنا، ويا أصحاب المبادرة لا بدّ من اختيار مفاتيح تعزيز القدرة التّفاوضيّة في تحويل أفكاركم الى قوّة اقتراحية، وهو ما يتطلّب منكم ايلاء أهميّة خاصّة لربط نشاطاتكم التّطوعيّة بالخبرات البحثية والقانونيّة وبناء تحالفات بين أنواع مختلفة من الجمعيات والمنظّمات للجمع ما بين الخبرات الميدانيّة والمعارف النّظرية والمهارات المتخصّصة، وضرورة وجودكم في أزمة الوباء وحرائق الغابات بما لكم من قوّة المساعدة، فهل أنتم عازمون؟ ألاّ يمكنكم خوض مسيرة التّحرّك في إطار المرافقة العامّة للبلد في زرع شجرة العودة للاخضرار؟ وهل ترفعون التّحدّي للتّصدّي في محاربة المظاهر السّلبية بالتّسيق مع سلط الإشراف ضمن إطار قانوني أقرته الدّولة بالتّقصي؟ أو ليس في مقدوركم رفع الإشاعات المغرضة التي تحملها بعض وسائل التّواصل الاجتماعي؟ وهل تملكون أفكاراً استباقياً قبل استفحالها لتفكيك البلبلات والأزمات؟ إنّ الأمل معقود عليكم أيّها المبادرون، وأعلم أنّكم

تستطيعون، وأنتم لها، فبادروا وخطّطوا وتابعوا، وكونوا في الصفوف الأولى فأنتم تقدرون بما لكم من أفكار تعمل على الخروج من الأزمات؛ صعوداً نحو بناء الناطحات، وليس الأمر من المعجزات الغالبات .

وأختم أيّها المبادرون لأقول: علينا وعليكم تحقيق شعار المبادرة (أحمي وطني) ونضع بلدنا في عيوننا ومهما قدّمنا فلن نفيّه حقّه بما قدّمه لي ولكم ولو وضعناه في عيوننا إلى يوم القيامة ما كفانا. أحمي وطني من أجل الجزائر الجديدة وهي شعار الدولة الحديثة التي تُمَدُّنا بأيديها نحو التّغيير الإيجابي دولة المجتمع المدني بما له من جمعيات التّحسين وحسن التّدبير. أحمي وطني يجعل محاذير التّدمير لا تناله من أصحاب التّخدير. أحمي وطني وليس لي وطن آخر، فلا محلّ لي في الاغتراب. أحمي وطني بما أقدّمه من استراتيجيات التّنميّة على الآماد الثّلاث. أحمي وطني بالقيام بالحملات التّطوعيّة لبعث العمل والأمل، وإعادة الأمور إلى وضعها المتألق والأفضل، وأزرع الثّقة وأنا أتنفّس ما يعيشه المواطن من قَرَح وفرَح. أحمي وطني وأنا في حضن وطني الذي لا يُجير عليّ مهما فعلتُ، فهو يسعني ويسع الجميع، فالوطن أكبر منّا وهو الذي يُظلّنا، ونحن لا يكون لنا مقام واحترام دونه، ومن لا وطن له فهو من الأموات الأحياء. أحمي وطني في مسعى حملات رفع مستوى الوعي الثّقافي المضيف وليس المنيف. أحمي وطني بحبّي له، ويكبر حبّي له أكثر على قول الشّاعر:

أحبّك أكثر... تكبّر وتكبّر.. فمهما يكن من جفاك.. ستبقي بعيني ولحمي ملاك.. وتبقى كما شاء لي حبّنا أن أراك.. نسيّمك عنبر.. وأرضك سُكّر..

وإني أحبك أكثر.. يداك خمائلُ.. ولكّني لا أُغني.. ككلّ البلابل... لأني
أحبك أكثر.

اليوم العالمي للترجمة♥

- **الديباجة:** جرى عُرفُ المجلسِ الأعلى للغة العربية أن يحتفيَ بالترجمة/ ملتقيات ذات العلاقة في اليوم العالمي للتنوع الثقافي الذي سنّه الأمم المتحدة وهو 21 مايو من كلّ سنة، وهذه السنّة 2021م يضيف إلى أيامه القارّة يوم 30 سبتمبر اليوم العالمي للترجمة، وهي مناسبة عالمية لإظهار تعاقد المترجمين في جميع أنحاء العالم لتعزيز مهنة الترجمة في مختلف الدّول. إنّها مناسبة عالميّة لبريد اللغات في عصر العولمة، ونرى التواصل يتمّ عبر إيجاد الكلمات والمسكوكات المناسبة للغات البشريّة التي تحتكم إلى تعددية لغويّة تصل الآن إلى ما يقرب 6000 لغة، هي آية من آيات الحكمة التي أوجدها الله في الاختلاف والتنوّع اللساني ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ اللَّسَانُ وَالْوَلَدُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ الرّوم 22. وهذا اليوم صادقت عليه الأمم في الرّابع والعشرين (24) من مايو 2017م لتقدير دور الترجمة الاحترافيّة في الرّبط بين الأمم عن طريق منشورات وسائل التواصل الاجتماعيّ الهادفة لنشر المعلومات، وتثقيف العامّة كلّ حسب لغاته، وكلّ يتواصل بلغته من أجل تبادل المعلومات التي تحملها لغة/ ثقافة لغة، ولا توجد في لغة/ ثقافة لغة أخرى. وهكذا تتجلّى أهميّة فعل الترجمة بين اللغات كونها تُفضي إلى تقارب الثقافات والشّعوب، وفي نشر علومها المختلفة على نطاق أوسع بدلاً من حصر فائدتها في المجتمع المحليّ. إنّ الترجمة تسمح بحوار الثقافات على اختلاف لغاتها وأعرافها ومعتقداتها وثقافتها

♥- أعدت المحاضرة للملتقى الوطني حول (اليوم العالمي للترجمة) بتاريخ: 30 سبتمبر 2021م.

بدلاً من الانكفاء محلياً في عصرٍ أصبحت فيه العولمة والتداخل والثقاف هي السمة الأكبر.

إنّ فعل الترجمة كما جاء في بيان اليوم العالمي للترجمة لسنة 2017م مهم جداً يُقصد باليوم العالمي للترجمة فرصة للإشادة بعمل المتخصصين في اللغة الذين يلعبون دوراً مهماً في التقريب بين الدول والشعوب والثقافات وتسهيل الحوار والتفاهم والتعاون، والإسهام في التنمية وتعزيز السلام والأمن العالميين. إنّ نقل العمل الأدبي/ العلمي، بما في ذلك العمل الفني من لغة إلى لغة أخرى، والترجمة المهنية، بما في ذلك الترجمة المناسبة والتفسير والمصطلحات، أمرٌ لا غنى عنه للحفاظ على الوضوح والمناخ الإيجابي والإنتاجية في الخطاب العام الدولي والتواصل بين الأشخاص. وانطلاقاً من هذه الأهمية؛ فإنّ المجلس الأعلى للغة العربية كما نصّت عليه نصوص الإنشاء؛ فإنه يعمل على ازدهار اللغة العربية، ويعمل على تعميم العربية في العلوم، والترجمة لهذه الغاية. وعندما نعود إلى نصوص الألكسو/ ALECSO فإننا نجد أنه عقدت ندوة في ذات الموضوع تحت مسمى (الخطّة القومية للترجمة) في مؤتمر الجزائر 9 - 11 مايو 1983. وفيها تمّ توجيه المراكز والإدارات التابعة لوزارات الثقافة آنذاك نحو إغناء المكتبة العربية بالترجمات الأدبية والثقافية والعلمية من مختلف اللغات، والعمل على وضع الكثير من المعاجم المتخصصة التي تُساعد المترجمين على نقل المعارف من مختلف الثقافات إلى لغتنا العربية. وإثرها ظهرت مؤسسات عربية تعمل في هذا المجال على غرار (المركز العربي للترجمة والتأليف والنشر) في سورية (المنظمة العربية للترجمة) في لبنان، و(بيت الحكمة) في تونس، ومنظمات المجتمع المدني

الأخرى التي تهتمّ بالترجمة في مختلف الدول العربيّة والإسلاميّة... وتعدّدت المؤسسات العربيّة الرّسميّة والخاصّة التي تهتمّ بالترجمة، وانبرى عدد كبير من المترجمين للتصدّي لهذا العمل، وهم يعملون أفراداً تحت إشراف هذه المؤسسات، وكان لهم الكثير من الإنتاج، وهي جهود طيّبة تحتاج إلى منهجيّة وتنسيق وخُطة مدروسة؛ تسمح بالتّقدّم والرّقي بهذه المهنة وتمنع تكرار ترجمة الكتاب ذاته من قبل آية جهة/ مترجم، وتحفظ للمترجمين حقوقهم، وتُنظّم جهودهم.

1- أهميّة الترجمة: إنّ التّرجمة فعلٌ نبيلٌ تقوم على أفكار المترجمين الذين يسعون لإزالة الحواجز اللغويّة للتّقارب وتبادل المنافع عبر أنماط مختلفة من التّرجمات؛ وصولاً إلى التّرجمة التّأصيليّة/ التّأثيليّة التي تستهدف نقل الكلمات والمعنى دون شعور أنّها عمليّة التّرجمة؛ بحيث تحصل فيها ضوابط المجال التّداوليّ المنقول إليه لغوياً/ معرفياً/ عقدياً. ويتطلّب ذلك فهماً عميقاً ليس فقط للغة المصدر واللغة الهدف، وإنّما الفهم العميق للثقافات المختلفة وراء اللغات. وهكذا تكمن أهميّة التّرجمة في دورها الفارق والمهمّ في حوار الحضارات الذي يهدف إلى تقوية التّواصل في فهم الحضارة في إطار من التّعاون المبني على الاحترام المتبادل والأمانة والدّقة، باعتبارها جزءاً من منظومة إيديولوجيّة تقوم فيها بدور الوسيط المعرفيّ. وفي الحقيقة تشرف عليها السّلطة السّياسيّة، وتقوم على أسس ومعايير تحددها المؤسسات العلميّة بشروط النّشر والقبول في السّوق العلميّة، بالإضافة إلى العناصر التي تحددها سياسة الدّولة. وتكون التّرجمة بمثابة الوسيط الذي يمنحنا القدرة على تحسين فهمنا لقضايا التّناميّة وثقافات الشّعوب؛ وذلك بأفكار تتسم

بقدرتها على تجاوز الحدود الثقافية والجغرافية. ومن خلال هذا؛ فإننا نُقدّر فعلَ المترجمين؛ فهم ليسوا وسطاء بين الأنظمة اللغوية المختلفة، بل وسطاء بين الثقافات أيضاً، وهم سفراء بلادهم، وحملّة ثقافة وعلم ثمين، ولا ننسى دورهم الإيجابي في نقل المعرفة التي أثّرت مكتبات الشعوب التي أضحت مفتوحة على مختلف اللغات والثقافات، وبفضلهم زالت الحواجز، وعمّ السلام، وأعطيت الكلمة للحوار بدل السلاح.

2- مضايقات الترجمة المعاصرة: مع عصر السرعة، وازدياد تطوّر الذكاء الصناعي، بدأت تظهر مضايقات في الترجمة الشخصية، بل تضرر أمام التطوّر الهائل في محرّكات الترجمة الآلية وبرمجياتها وتزويدها بنصوص هائلة. وقبل ثلاث (3) سنوات أعلنت (Google / غوغل) إطلاق نظام الترجمة الآلية العصبية (GNMT) مؤكّدة أنّه لن يمكن تمييز الترجمات الآلية بهذه التقنية عن ترجمات البشر، وتزايد الاعتقاد بأن المهنة العريقة / الشخصية في طريقها إلى الاندثار على أيدي الآلات الحديثة. ومع ما يمكن أن يقال من أنّ الآلات لا يمكن أن تترجم الأفكار والشعور، فهي تنقل الكلمات، ولكن هناك بعض السيطرة على الترجمة لما لها من قلة الأخطاء، والسرعة في الترجمة الفورية ولهذا يُشيد المختصّون بالتطوّرات في الترجمة الآلية بفضل استعمال نظام تعلّم آلي يتأسّس على شبكات خلايا عصبية، وهي التكنولوجيا الذكيّة الأحدث حالياً في الوصول إلى تمكين اكتشاف ذكيّ للروابط بين اللغات، وليس ذلك ببعيد؛ حيث الرقمنة ومجتمع المعرفة كفيّلان بسدّ الكثير من الثغرات في هذا المجال، وتبقى الترجمة الشخصية تعيش القهقري. ولهذا على المؤسسات

الترجمة الاستثمار في مجال الترجمة الآلية، وهي الكفيلة بملاحقة منتوج الثقافات بل هي من مُتطلبات السرعة وعصر العولمة، وقلة التكلفة.

3- منجزات ترجمية للمجلس الأعلى للغة العربية: هي منجزات بدأت حديثاً، وفيها ترجمة بعض الأعمال العلمية، إلى جانب مجموعة من مشروع (اللغات الوظيفية) ويمكن الإشارة إلى هذه الترجمات:

الرقم	عنوان الكتاب العربي / الأصل	اللغة المصدر	المؤلف	الترجم	سنة الترجمة
01	دراسات حول اللغة العربية في الجزائر (مقالات مترجمة من المجلة الإفريقية / Revue africaine) ملاحظات حول تدريس العربية في كل من: الجزائر قسنطينة وهران Notes sur les chaires de langue arabe d'Alger، Constantine et Oran. الدراسات اللغوية في اللغة العربية Les études arabe en Algérie	فرنسية	أوغست كور August Cour هنري ماسي Henry massy	أ. محمد يحياتن	2005
02	البعد اللامرئي / La Dimension Invisible	فرنسية	تيري بروتون Thiery Breton	أ. نذير طيار	2006

2006	أ. مـولـود طـيـاب	بيير روسي Pierre Rousset	فرنسيّة	وطن إزيس / تاريخ العرب الصّحيح La citÃ© d'isis - Histoire vraie des .Arabes	03
2006	أ. طاهر بوساحية	فيليس أنطو Philips Anton ريشار سيلبرغلـيت Richard Silbergliitt جـمـس شـنـايدـر James Schneider	إنكليزيّة	الثّورة التّكنولوجيّة العالميّة The Global Technology Revolution	04
2010	أ. العربي عقون	غابريال كامبس Gabriel Camps	فرنسيّة	ماسينيسا Massinissa	05
2010	أ. أبو بكر خالد سعد الله	نوبرت فيرديي N. Verdier جون بيير لوميني J.P Luminet مارك لاشيزري M. Lachiez- rey	إنكليزيّة	اللانهاية في الرّياضيّات والفيزياء واللانهاية L'infinie en mathématiques et la physique et l'infinie	06
2013	أ. جمال الدّين قوعيش	أوليفي غوي Olivier roy	فرنسيّة	العقل العلمي الجديد لـ باشلار Le Nouvel esprit de Scientifique Bachelard	07

2014	أ. عمار علاوة	دومينيوفالريان Dominion valérien	فرنسيّة	بجاية ميناء مغاربيّ Bougie Port Magrébin	08
2020	أ. حبيب الله منصوري	محمد أكلي حدادو	فرنسيّة	المدخل في الأدب الأمازيغي Introduction à la littérature amazighe	09
2020	أ. داود زورليخة	مصطفى خياطي	فرنسيّة	إسعاف الطوارئ Les gestes d'urgence	10
2021	أ. ساسي هاجر	مجموعة من البحثة	فرنسيّة	معلومات هامّة حول الإصابات الرّياضيّة Informations importantes sur les blessures sportives	11
2019	أ. مصطفى خياطي	مصطفى خياطي	فرنسيّة	التّغذية في الطبّ التّبويّ	12
أعمال ملتقى وطنيّ سنة 2011				أهميّة الترجمة وشروط إحيائها	
من دفاتر المجلس 2011				ترجمة معاني القرآن الكريم	
يوم دراسيّ 2017				كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغيّة	
ملتقى وطنيّ 2017				اللغة العربيّة والترجمة	

4- خطة وطنية في مشروع الترجمة للمجلس الأعلى للغة العربية: لقد

بنينا هذه الخطة على بُعد زمنيٍّ مدته خمسة وعشرون (25) سنة: المدى السريع خمس (5) سنوات + المدة المتوسطة ثمان (8) سنوات + المدة الطويلة اثنتا عشرة (12) سنة = 25 سنة. من 2021م إلى 2046م. وفي هذه الآمال نعرف خريطة اللغات ثلاث (3) نقلات: أولها ستكون في 2026 مع تغيير موقع العربية في خريطة اللغات الأعمى (الإنكليزية + الفرنسية + الإسبانية + الروسية + الصينية) وستعرف نافذة المجلس في الأمم المتحدة وفي منظماتها الدولية موقعاً جديداً. وثانيها في سنة 2034م فإنّ العربية ستنال مواقع عالمية في مختلف الشعوب، وبخاصة الإسلامية منها، وسوف تدخل نطاق Lingua Franca في المعاملات التجارية وفي السياحة وفي وسائل النقل. وثالثها ستكون سنة 2045م وفيها يحصل انقراض الكثير من اللغات، بمرض يُقال له (كوليرا اللغات) ولا يُبقي إلا على اللغات العلمية والتي يكثر استعمالها، ولها بُعد مكاني، وتحتكم إلى مواصفات الجودة، وإلى العامل الهوياتي المربوط بالدين. وأمام هذه الخرائط المستقبلية؛ فإنّ المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر أعدّ استراتيجية الترجمة وفق هذه التنبؤات العلمية المستقبلية، وعليه أن يراعي التكييفات التي تحصل.

5- محددات استراتيجية الترجمة: بناء على أنّ المدى المستعجل

والمتوسط يدخلان في الثلاث عشرة (13) سنة 2021 - 2034، فإنّ الثقل الأولي ستعرف فيها العربية خريطة جديدة، حيث يواصل المجلس مشاريعه في الترجمة كما يلي:

5/1- اعتماد سياسة القوة الناعمة المبنية على قاعدة ثقافية حسب الطلب وحسب مشاريع الدولة في برامجها الخماسية التي تضع فيها اللغة العربية موقع اللغة الجامعة، وكان عليها أن تنال مواقع الاستعمال العام. وعلى المجلس إعداد أدلة متعددة تراعي حسن الاستعمال للعربية. ولهذا يمكن للمجلس أن يلعب دوراً إيجابياً باعتماد المعيار الدستوري كقوة ناعمة وقوة اقتراح في استراتيجيات الدولة للحكومات المتعاقبة من خلال الأولويات التي تعتمد في السوق اللغوية الوطنية والعربية والدولية، والتخطيط لسياسة تربوية مستقبلية للقوة اللغوية الناعمة (لغة العولة).

5/2- مواصلة إصدار مجلة (معالم للترجمة) وهي لسان حال المجلس في هذا المجال بما سوف يحصل فيها من تطوير لدخول خانة ب/ B في منظومة ASJP، وما يتيح نظام CERIST وما يتعلّق بأنظمة دولية على غرار الشبكات التي تُضخّ فيها مجلات المجلس الثلاث، مثل نظام Scopus.

5/3- عقد اتفاقيات شراكة وتعاون مع أقسام الترجمة في الجامعات الوطنية بغية تبادل المعلومات، ونشر الأبحاث، والسعي إلى تطوير منظومة الترجمة التي نفتقد مؤسسة متخصصة. ولا بدّ من شراكات مع المؤسسات ومع المختصّين في الدّاخل والخارج لتأخذ المشاريع الترجيمية صفة التأهيل العلميّ العالميّ.

5/4- عقد اتفاقيات شراكة مع مؤسسات الترجمة التي تنضوي تحت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / ALECSO لما لها من صفة التمثيل

العلمي العربي، والجزائر جزء مهم من ممالي هذه المنظمات وعلينا الاستفادة من مشاريعها وأفكارها.

5/5- استمرار العمل في توسيع مشروع اللغات الوظيفية؛ باعتباره رافداً من روافد نشر العربية محلياً وتعميمها لدى غير أهلها بالنسبة لغير الناطقين بها.

6/5- اعتماد مواصلة أعمال الترجمات الشخصية: وفيها مواصلة أعمال ذات العلاقة بالطب والهندسة والعلوم من أجل تعميم استعمال العربية في ميدان التقنية.

7/5- الرهان على الترجمة الآلية: يعني الاستثمار في كل ما له علاقة بالترجمة الفورية؛ على غرار حديث بعض الناس؛ بحيث يضع المترجم سماعة يستمع من خلالها للمتحدث، وفي نفس الوقت يُترجم إلى اللغة/ اللغات الأخرى، حيث يعدّ هذا النوع أصعب أنواع الترجمة على الإطلاق، ويتبع ذلك ترجمة تحريرية وهي ترجمة نصّ مكتوب إلى نصّ مكتوب بلغة أخرى. وعليه نبني رهاننا على البرمجيات التي تأتي بها أجهزة الحواسيب والهواتف الذكية ولويحات الإي باد من تطبيق ترجمة غوغل/ Google Translate + تطبيق ترجمة مايكروسوفت/ Microsoft Translator + تطبيق الترجمة الناطقة iTTranslate Voice + تطبيق الترجمة ومحادثة Speak & Translate... وغير ذلك من التطبيقات السهلة التي نجعلها قاعدة في البداية ثم نعيش المستجد عن طريق تطويرها.

5/8- تقسيم لغات المصدر إلى قسمين رئيسيين هما:

- **القسم الأول:** يتعلق بالمدّة المستعجلة والمتوسّطة تكون فيه الترجمة من اللغات الأهميّة الخمس فقط: الإنكليزيّة + الفرنسيّة + الإسبانيّة + الروسيّة + الصينيّة؛ بحيث يكون للعربيّة موقع علمي، وفي ذات الوقت تكون نداً لنوافذ اللغات السّت. ونحن في هذا القسم بحاجة إلى رُكام ترجميٍّ من لغات العلم لتطوير آليات العربيّة لملاحقة المستجدات، واستدراك النقص. ويهمّنا في هذه المرحلة التّركيم المعرفي المطلوب الذي يجعل للعربيّة موقعاً بين لغات العلم.

- **القسم الثاني:** تظهر فيه الترجمة من اللغات الشّرقية: الفارسيّة + العربيّة + التّركيّة + الهنديّة، بحكم العلاقات الأروميّة مع هذه اللغات، وما للعربيّة من موقع علمي وثقافيّ خلال الماضي والحاضر. وهذه المرحلة ستكون مع المدى الطّويل، ويحصل فيها الأخذ والعطاء ليحصل للعربيّة المحتوى الرّقمي المطلوب؛ لأنّه ليس العبرة بالترجمة فقط من لغات العلم، بل الترجمة من العربيّة إلى اللغات الأخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى ستكون هذه المرحلة استعداداً لعودة العربيّة للتصدّر كلغة عولمة مع بداية 2045 لتكون مجاورة للإنكليزيّة.

6- تخطيط سياسة ترجميّة مرحليّة جديدة بقوام المدى الطّويل مدّته اثنتي عشرة (12) سنة، ويكون مع أفاق 2050. وهذا المدّة تنطلق في 2035 وتنتهي 2045 وتقوم على ثلاث معالم: معلمة الترجمة الشّخصيّة/ لجان يتمّ العمل باختيار الكتب التي بحاجة إلى ترجمتها، وتكون كتباً أدبيّة/ تاريخيّة/ شعريّة تعمل على خدمة العربيّة المعاصرة، ولها مكانتها الحاليّة في منظومة التّدرّيس/

الصناعة/ المهنة/ الفنون/ التواصل اليومي. معلمة الترجمة الآلية عمادها اختيار الكتب العلمية؛ باعتماد أنظمة التواصل عن بُعد وبتقنية ورقة Excel ويكون عبر لجان متفرعة في الجامعات ومراكز البحث باعتماد التواصل عن طريق الزووم/ Zoom. معلمة الترجمة الآلية باعتماد مناطق الترجمة، وتخضع بعد ذلك لمراجع لغوي، ولا يحتاج الأمر إلى لجان.

6- تخطيط مشروع ترجمي اختياري حسب الأهمية للكتب: وهنا يقدم المجلس خطة ترجمة مبنية على الآماد الثلاث هي:

1/6- المدى المستعجل: وفيها يتم اختيار الكتب المهمة جداً، وتكون عمدة تطوير العربية في بناها الخارجية، وهي من العلوم التطبيقية التي تحتاجها العربية في المدى السريع على غرار:

الرقم	عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	اللغة المصدر	الملاحظات
1	Noise: A Flaw in Human Judgment أَلضوضاء: خلل في الحكم (البشري)	Daniel Kahneman et Olivier Sibony دانيال كانمان و أوليفي سيبوني	الإنكليزية	
2	Örneklerle Kolay Ekonomi (اقتصاد مبسط)	Mahfi Eğılmez (عفي ييلماز)	التركية	
3	Manual de tratamientos psicológicos: Adultos (دليل العلاج النفسي: الكبار)	Eduardo Fonseca Pedrero إدواردو فونشيكا بيدريرو	الإسبانية	
4	La traduction medicale à l'heure de la pandémie , الترجمة الطبية في زمن الوباء	Mathieu guidere ماتيو كيدار	الفرنسية	

2/6- المدى المتوسط: هي كتب مهمة تعتمد على العربية في بنائها التحويلية أمام لغات العلم، ليحصل لها قيمة أمام مثيلاتها الأعمية، على غرار:

الرقم	عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	اللغة المصدر	الملاحظات
	Sperling Pediatric) (Endocrinology (طب الغدد الصماء لدى الأطفال)	Mark Sperling مارك سبيرلينج	الإنكليزية	
	人工智能的故事 (قصة الذكاء الاصطناعي)	魏铨著 وي لاي تشو	الصينية	
	Эпидемия стерильности (وباء التعقيم)	Мойзес Веласкес-Манофф (مويسيس فيلاسكيز مانوف)	الروسية	
	Géopolitique de l'intelligence artificielle : Comment la révolution numérique va bouleverser nos sociétés (الجغرافيا السياسية للذكاء الاصطناعي: كيف ستعطل الثورة الرقمية مجتمعاتنا)	Pascal Boniface پاسكال بونيفاس	الفرنسية	

6/3_ المدى الطويل: ويكون للكتب الاستشراعية في مجال السّباق اللغويّ، وفي مجال الاستشعار عن بعد، وكيف يمكن للعربية أن تقود العولمة في الجيل القادم، على غرار:

الرقم	عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	اللغة المصدر	الملاحظات
	Galileo's Error : a new science of consciousness خطأ غاليليو: أسس لعلم جديد للوعي	Philip Goff فيليب عوف	الإنكليزية	
	Daha Adil Bir Dünya Mümkün عالم أكثر عدلاً أمر ممكن	Recep Tayyip Erdoğan رجب طيب أردوغان	التركية	
	中国历史地图集 الأطلس التاريخي للصين	譚启祥 تان جاسيان	الصينية	

ومن خلال هذه الاستراتيجية التي تبدأ آفاقها في الظهور على خريطة لغوية قادمة مع سنة 2026م؛ حيث يكون للعربية موقع متقدّم في اللغات الأمية، وتعرف جملة مشاريع ينتهي العمل فيها على غرار: المعجم التاريخي للغة العربية لاتحاد الجامعات اللغوية+ خطة المجلس الأعلى للغة العربية في اللغات الوظيفية، مختلف منتوج لجان ازدهار اللغة العربية، ويضاف إليها ترجمة الكتب شبه الطبية+ خطة مصر لترجمة 1000 عنوان+ مشروع ترجمة الكتب العلمية للمركز العربي للترجمة والتأليف والنشر والتوزيع بسورية+ مشروع المنظمة العربية للترجمة في لبنان+ مشاريع كبيرة في معظم الجامعات العربية، وبخاصة مجمع اللغة العربية الأردني+ مشاريع اتحاد الجامعات

العربية في الترجمة + مشاريع الجامعات العربية + مشاريع الأفراد؛ وهي كثيرة... وقفت عند بعضها لأقول: إنّ العربية ستعرف نقلة نوعية جديدة سنة 2026م من خلال استكمال هذه المشاريع؛ وهي مكانز كبيرة تُغنيها عن الترجمات.

- الخاتمة: هو مشروع المجلس الأعلى في الترجمة، ولضمان نجاحه نروم أن تحصل عمليات التكامل مع مختلف الشركاء الاجتماعيين، وبخاصة المجلس الوطني الاقتصادي والبيئي الذي نأمل أن يعضدنا في هذه الاستراتيجية ليكون للعربية موقع مائز محلي في المقام الأول؛ بتلك المرافقات التي تحصل على مستوى مخططات الحكومات، وما يمكن أن يحصل من دعم ماديّ تجاه هذه العملية، وما تقدّمه اللجان على مستوى المجلس في نيل العربية موقعها بين لغات العلم لمواكبة رهان العولمة. ولهذا لا بدّ من تشجيع فعل الترجمة لتنسجم مع متطلبات العصر؛ لأنّ بنية الدولة في مجال الاهتمام باللغة الوطنية هي الآلية الرافعة لكلّ تطوّر وتقدّم في المجتمع، كما أنّ تحقيق التنمية لا يحصل دون الاهتمام باللغة الوطنية والإغداق عليها، وهذا ما يكسبنا اللحاق؛ حيث لم يثبت أنّ أمة لحقت مستجدات الحضارة دون الاعتماد على لغتها. كما أنّ ترجمة نظريات المعرفة والعلوم الدقيقة والفلسفة ومناهج التفكير تحتاج إلى رعاية رمزية ومادية لنيل القفزة المعرفية في الفكر وفي الترجمة، وتحتاج إلى التماهي مع اللغات الرأقيات دولياً. ومن هنا؛ فإنّ تعميم عملية الترجمة المؤسساتية الجماعية، تحتاج إلى إقامة مؤسسات أخرى داعمة للترجمة، وإلى تعزيز مبادئ التعاون والتآلف والتكامل في تفكيرنا وعملنا وإلى الاهتمام بآلية البحث في تطوير اللغة والمصطلح العلميّ عن طريق التعاون

البناء بين علماء اللغة والمتخصصين والفنيين والمترجمين، وعلماء البحوث العلمية والفكرية في مختلف الحضارات، وإقامة الندوات المشتركة لتبادل الخبرات على الصعيد العربي والعالمي من خلال هيآت مرجعية مختصة. والأمل معقود على تحقيق نسبة كبيرة من هذا المشروع إذا تعاضد المال والفكر، وساندهما القرار.

من الآلام إلى الآمال^٧

الأفاضل الكرام مسؤولين وحضوراً في الولاية الأولى التاريخية، ولاية البارود والزناد، أحييكم وأنقل لكم تحايا المجلس الأعلى للغة العربية وأحيي فيكم نبل الدعوة لحضور فعاليات أيام تبسة الثقافية في طبعتها الثانية عشرة والتي تأتي في إطار الاحتفاء بالذكرى السبعين (70) لليوم الوطني للهجرة. هذا اليوم الكبير الذي يعود إلى ذات الثلاثاء من 17 أكتوبر 1961 قرب نهر السين الذي كان ينتظر التهام جثث الجزائريين البريئين الذين خرجوا في تظاهرات سلمية مطالبين بالاستقلال. بكروا صبيحة ذلك الثلاثاء الأسود منددين بحظر التجوال الخاص بالجزائريين وقوبلوا بأشرس ما تملكه القوات الفرنسية من قمع المظاهرات. ويومها استقبل بطن السين أكلاً وفيراً من الجزائريين، وذبهم أنهم قالوا: لا للتعسف، لا للقمع، لا للاستثناء، فليسقط حظر التجوال. نعم للاستقلال تحيا جبهة التحرير الوطني. وكان الجزء ثقيلاً: أحياء تدوسهم الدبابات جرحى يوضعون في القمامات، أبرياء يُرمون في نهر السين، وتشهد عليهم تلك اللوحة "من هنا كانت تُرمي الشرطة الجزائريين في نهر السين في 17 أكتوبر 1961". وحشية ما لها وصف. هذه أفعال فرنسا: (Liberté Fraternité Egalité)، فهل نعتبر! ومع ذلك يكبر الأمل بأن المستقبل أفضل وأن الاستقلال قادم، وذلك الذي حصل. وكلنا لا ننسى مع ما طويناه من مكتوب، ولكن ما مزقناه. هو الأمل يكبر يكبر صانعي المجد، كل

^٧- أعدت الكلمة لفعاليات (أيام تبسة الأدبية) الطبعة الثانية عشرة، بشعار (من الآلام إلى الآمال). دار الثقافة محمد الشوكي تبسة في 17 أكتوبر 2021م.

في موقعه، ومنهم الشعراء والأدباء الشّهداء والمجاهدين على غرار: مفدي زكريا + محمد العيد آل خليفة + الربيع بوشامة + الجيلالي الفارسي + السّعيد الزّاهري + السّعيد اليجري + الطّاهر زوقاري + الطّيب العقبي + العربي التّبسي + محمد الشّبوكي + البشير الإبراهيمي... وتبسّة دفعت الغالي في تلك المسيرة التّضالية بقائمة الكبار ويقول مفدي زكريا:

وتذكر تاگست يومَ انطلقنا يُزجى ركاب الدُّور أغستنس
فتهوى شواطئها الحانقات صواعق تحصدهام المغير
وتقفو تبسّة آثارها ثباركها هبوات العصور
ويدفعها العربي التّبسي الشّهيد، فتحتلّ عرش التّسور
ويجري العلوم بأوصالها وحياة أصالتها في الجذور
على العربي الشّهيد صلاة مضرّجة بدماء ونور

شعلنا الوري، وملأنا الدّنا، بشعر نردّده كالصلّاة، تسايحه من حنايا الجزائر وقائمة أخرى من المبدعين المجاهدين أمثال: محمد ديب + مولود فرعون + الطّاهر وطّار... وتطول القائمة بمبدعي الجيل الجديد الذين بهم استمرّ الإبداع، ونراهم اليوم يحضرون هذا الاحتفاء الوطني بشعار (من الآلام إلى الآمال) فأنعم به من شعار! وبعد يومين مولد التّي الأعظم محمد ص الذي غير مجرى التاريخ، وذات الفعل عملت به ثورة التحرير بتغيير مجرى الأحداث في العالم. هي ثورة ماجدة في يوم خاصّ، وفي حدث أدبيّ مائز يبحث في لم المبدعين لإبراز مواهبهم في الحراك الثقافي. هي الآمال تولد من

ضيق الأزمات، اشتدّي أزمة تنفّرجي. هي الشّدة التي عرفناها من خلال الجائحة وتمرّ مع قائمة الشّهداء، ولكن لا بدّ أن تستمرّ الحياة، ونقوم بمجريات فعل الثّقافة، وهذا اليوم يشهد البداية، وأولّها قطر وسوف ينهمر.

أيّها المبدعون، بكم يكبر البلد، وبمواهبكم نخطو خطوات الأمل وبإصراركم تبثّون روح المثابرة، وبمواهبكم يرتقي الوطن، وبإصراركم تصلون إلى مرحلة الإبداع، وأفضل شيء أن تطلقوا عنان خيالكم لروح القوّة والعظمة بكلّ حماس وتألق. وهكذا يكون المبدع الإيجابي الذي لا يستسلم للمضايقات. والعبرة في هذا استلهام فكرة (آرنست همنغواي) في روايته الرّائعة (العجوز والبحر) التي تحوّلت إلى فيلم سينمائي أسر بتوقيع أنطوني كوين: «قد يتحطّم الإنسان... لكنّه لا يُهزم». ونلاحظ الأمل والإيجابية في (توماس ألفا أديسون) مخترع المصباح الكهربائي الذي أثار الحياة، وهو أحد أعظم المخترعين في تاريخ البشرية، فقد حقّق ما يقارب 1100 اختراع. وقد صنّعه الظروف الصّعبة والفقر، ولكنّه انتصر رغم المعاناة، وهذا (عباس محمود العقّاد) من عمالقة الفكر والأدب والثّقافة في العالم العربي، درس بعصاميته التي جعلته يقرأ ستين ألف (60.000) كتاب في مختلف صنوف المعرفة، كان لا ينام من الليل إلّا سويّعات قليلة، ومعظم وقته يُشغله بالقراءة والمطالعة والكتابة، فقد ألّف أكثر من 120 كتاباً، وهو عملاق الأدب العربي، وهذا (سويشيرو هوندا) الياباني الذي عاش الفقر في عظمه، ولكنّ إصراره على الإبداع جعله يُبدع مكابح السيّارات، ويُخلّص العالم من الحوادث، مع براءات اختراع تفوق 470 ابتكاراً، ومصنع سيارات باسمه. وهذه (J K Rowling / جي كي رولينغ) صاحبة قصص ((Harry

Potter / هاري پوتر) لم تكن كاتبة معروفة، حيث كان الكتاب هو أوّل محاولاتها الأدبيّة، وعندما كتبته كانت حالتها الاجتماعيّة مفلسةً تماماً، وتعيش على الضّمان الاجتماعي، وعندما حاولت نشر الكتاب للمرّة الأولى تمّ رفضه من اثني عشر (12) ناشراً، وعندما وافق أحد الناشرين على طبعه أصبحت واحدة من أشهر نساء العالم و ثروتها تتجاوز 600 مليون دولار أمريكي وعلامة (هاري پوتر) التجاريّة باتت تُقدّر قيمتها بحوالي 15 مليار دولار. وهكذا يمكن للإنسان أن يكتشف ذاته ويحقّق طموحاته، وإن كان في البدء يعيش ظروفاً صعبة أو غير مناسبة. وإنّ الإيجابيين لا تقف أمامهم الأحجار بل يجمعونها ويصعدوا عليها إلى العلا. وأجملُ عملٍ أن تبني جسراً من الأمل على نهر من اليأس، وما ضاقت من جهة؛ إلّا وفرجت من جهة بالأمل الذي يتلوه العمل.

أيّها المبدعون أستلذّ أمامكم المقال والمقام، وأجدني في حضرة الفاتحين الأدباء؛ وهم يعيشون زحام المبادرات، وسأحيا عليها في تبسة العظيمة التي تزرع الأمل من خلال مديريّة الثقافة والفنون، فما أجمل من لقاء بصُحبة مُحركي المواهب، ومُمارسي الشّعور، وطالبي السّعادة في ربيع يصنعه الخيال وهنا ننسى المآسي عندما نتنفّس الشّعْر؛ لأنّ رماد العمر يعيش على الأمل فزيدونا شعراً زيدونا، شعر شعر شعراً... ودعونا نخرج من الانتظار؛ إلى رحلة الفرح التي يُحقّقها الصّبر المختار، ألا ترون أنّ لذة النّجاح، لا تكون إلّا بدمعة الكفاح. أيّها الأصحاب، لا توجعوننا باليأس فهو موطن الرّاحلين، ولا تكونوا من المثبطين، فثمّة أملٌ لنجاح العاملين ولا تقفوا على ناصية السّود؛ فإنّ النّهار بادٍ، وما قيمة الحياة إذا لا تُستعاد.

إخواني الحضور، إنّ هذا الخطاب موجّه إلى كلّ ساعٍ مؤمن بالتّغيير الإيجابي الذي يتحقّق عبر ممرّ المضايقات، وإنّ الإبداع الحقيقي لا يأتي إلّا من خلع ضرس أسهل من صعوبة تدبيج بيت شعر، ولهذا أقول: عليكم أيّها المبدعون أن تُواصلوا المسار، وتلبسوا الإبداع المنار، ففي تبسة تنمو الكفاءات الفنار، وهنا تولد البسمات، وفي عُتق الحسنة يُستحسن عقد الجميلات. فلا جفّ حبرُكم، ولا فضّ فوكم، ولا عدنا عشرتكم، فالأدب عندهم لا يُباع ولا يُشترى، بل يَقْطَرُ في قلب كلّ من تربّى على الفطرة وهو طابعكم. طابعٌ يحتاج إلى الصّنع الجماليّة التي وهبتموها، ولكّنه لا يثمر إلّا بالجهد والمثابرة ألم يقلّ المتنبي:

لَوْلا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقَرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

أيّها المبدعون، يبدو لي بأنّ هذا الاحتفاء الثقافي لم يكن لولا وجودكم فأنتم عاملٌ أساسٌ، فحضور المسؤولين وجهٌ صادقٌ للاهتمام بالكفاءات والمواهب، وكلٌّ من يمارس العطاء الثقافي، وهو تقدير للكفاءات أنتم ممثلوها، ونريد وجهاً جديداً في برامج ثقافيّة لما بعد الجائحة، وعبر البحوث التّخصّصية، والترشّح لمسابقات ومنافسات لاحقة، ولزماً عليكم الانخراط في التّجمّعات المرتبطة باهتماماتهم الأدبيّة، فعالم اليوم يزخر بالمؤسّسات التّخصّصية، والتّجمّعات التّوعيّة، التي تشكّل بطبيعة الحال ساحاتٍ تلتقي فيها المواهب والقدرات، ضمن مسار الدّولة العامل على تشجيع المبادرات. ولا تنسوا أهل الفضل في هذه المنطقة، فمن العربي التّبسي، إلى مالك بن نبي، إلى محمّد الشّوكي، وكلّ الذين قضوا، والذين لا يزالون في سجال الأدب والفنّ على غرار الشّعراء المبشرين بالشّعر من بئر العاتر، عرش أولاد

سيدي عبيد، وكلّ العاملين على الارتقاء من (عادل سلطاني) و(مختار حنيني) والقائمة كبيرة... وكلّ الفنّانين الذين تركوا بصمات وهم رموس ولكنهم أحياء بيننا، ولا نستذكرهم وقت المصالح ثمّ يغيبون، ونرجو ألا ينطبق علينا قول عنتره:

ينادونني في السّلم يا ابن زبيبة وعند اصطدام الخيل يا ابن الأطايب

وهكذا إخواني تتواصل المسيرة الثقافيّة؛ سلفاً لخلف، فأنعم به من توريث العهد! توريث الإبداع في الكتابة والقراءة، ويعود الصّالون الوطني مع (خير جليس) و(تحدّي القراءة العربي) و(المليون شاعر) و(كتارا) و(درع الضّاد) و(أفضل الكتابات) و(جائزة اللغة العربيّة) ... وإنّها لمبادرة جيّدة أن يقع هذا الافتتاح الرّسمي بمرافقتكم بخطى واثقة راسخة، وقد تكون بسيطة ولكنّها مضمونة. تلكم هي الثقافة الوطنيّة التي نستشفها ونشمّها من خلالكم في الإسهام في المواسم الثقافيّة، وفي عكاظيات الشّعر وبيت الشّعر الجزائريّ.

الأماجد العظام، إنّ هذا الحدث جلل في يوم تاريخيّ كبير؛ سجّلته الجالّيّة الجزائريّة، ونرى مديرية الثقافة والفنون في تبسة تغتنم الحدث بتوقيع هذا المنجز الثّقافي الواعد، يلتقي فيه مبدعو الأفكار مع أصحاب القرار، في تظاهرة المواهب والإبداع، مع أهل الفنّ والاختراع، ولا شيء أخطر من خطورة فكرة، عندما تكون لديك فكرة، فأنت قادر على الإبداع هذا الأخير يحتاج إلى اكتساب الموهبة، وإلى إفساح مجال في زاوية ما من عقلك. وكما نحتاج إلى مواهب، لا بدّ من موهبات عظيمة يشاركن في مصادر الإبداع

والعديد من الموهبات بصُمْتِهِنَّ يُخَلِّدُهُنَّ التَّارِيخُ عندما يفصَحُنَّ عن أغنى الأفكار، ويترَكْنَ أنفُسَ الإبداع.

أختم وأقول: كلَّ الشُّكر والتَّقدير للموظَّفين المتميِّزين العاملين على خدمة الوطن، ويا حبَّذا أن تقع الرِّعاية السَّاميةُ في كلِّ محفل ثقافيٍّ مثل هذه الرِّعاية التي نحياها اليوم، رعاية السيِّدة وزيرة الثقافة والفنون وبإشراف فعليٍّ للسيِّد والي الولاية، فهم الأمن الثقافي الذي ننشده في التشجيع والدَّعم فكلِّما كثر العلماء والمبدعون والمسِّرون الأكفاء لا محالة تتبعها نهضةٌ قويَّةٌ في الصِّناعة والاختراعات، ويتبعها الجانبُ الرُّوحي الذي يعدل بين الطَّاقة الإبداعية ومكنون الأخلاق. ونعرف ما لدور الأدب في بناء الحضارات وللُّغات التي أسندت للشُّعراء والمبدعين فلا أدبَ بلا لغة، ولا ثقافةَ دون إبداع. وتبقى اللُّغة جامعةً بينهما، فلا يمكن إنشاء أيِّ نوع أدبيٍّ إلا باستخدام جيِّد وسليم للُّغة، فالأدب بلا لغة هو رصٌّ لكلمات لا جزالة فيها ولا أفكار والثقافة كذلك، فمن الصَّعب على من لا يعرف القراءة والكتابة أن يتشَقَّف. وكلِّما لدَّ الأدبُ كان أكثرَ جودةً، وكانت لغتهُ أعلى رقيًّا، وكلِّما أثرى معارف قارئه بالجديد، كلِّما اتَّسع المضيق وسمتِ الرُّوحُ أكثر فأكثر لينفتح العقل على استيعاب الجمال، وتذوِّق المعنى، ونيل المقام في صيد المرام.

أيُّها المبدعون كونوا أو لا تكونوا، ونريدكم أن تكونوا، نريدكم لأن تخرجوا ممَّا بين السَّطور إلى ما وراء السَّطور، وتعمِّقوا في حيوات البشر ودوافعهم إلى ملهاة شخوص الحكاية؛ ليرتفع الأدبُ وتتعرَّز الثقافةُ لأنَّ الأدبَ مثل المعلِّم يعمل على أن يصل المتعلِّم إلى حسن استخدام العقل في التَّفكير والخروج برؤيته الخاصَّة. فأنتم لها بأدبكم الذي يوصلكم لمناطق لم

تحلموا يوماً الوصول إليها. وأَعْلَمُ أَتُكْمُ تستطيعون، فهلاً جَرَّبْتُمْ. وبوركت
خطواتكم وما تنقوشنه في جدران الثقافة، ومزیداً من العطاء. فجسّدوا الفكر
الثقافي أيّها المثقّفون العاملون على التثقيف وكونوا خيرَ خلفٍ لخيرِ
سلفٍ، فأنتم تستطيعون، والعهدَةُ عليكم بما تُبدعون. وهنا أَسْكُتُ عن
الكلام المباح، والسّلام عليكم يا ملاح.

أسئلة صحافية*

السؤال الأول: تعميم استعمال اللغة العربية هل تعتبر المرحلة الثانية من عملية التعريب التي بدأت سابقاً؟

ج= إن مصطلح (تعميم) ليس بديلاً عن (تعريب) وفي الحقيقة لا تمس الكلمة الثانية البلاد العربية؛ فهم عربٌ باللسان، ونحن منهم، ولكن مسألة (التعميم) هي النشر والاستعمال للسان الهوية. فكيف يقع تعريب المعرب؟ وهي مغالطة علينا تصحيحها، ومن هنا نتحدث عن (التعميم) وهو المسار الذي تتخذه لغة الهوية في نشرها عبر كل البلاد/ البلدان المعنية. وأمّا (التعريب) يمس البلاد الأجنبية التي تُريد أن تنال فيها العربية موقعاً ما أو انتشارها في مصالح معينة. إذن؛ إن المسألة لا تأخذ المسار التدريجي بتطوير الكلمة من تعريب إلى تعميم. وأمّا المرحلة الثانية من عملية التعريب يعني هناك مرحلة أولى ولست أدري المقصود منها. وما فهمته هو أنّ هناك مرحلة عاش التعريب مجده ثم توقف، والآن هناك استمرارية لتلك المرحلة بسمي جديد، قد أكون أصبت المراد. وما يجب أن نعلمه بأنّ المرحلة التي فيها القرار السياسي كان باسم (تعميم استعمال اللغة العربية) وفيها مسار عملية التعميم مع الثمانينيات، ثم توقف المسار باسم (تجميد قانون تعميم استعمال العربية) مع دخول الجزائر في العشرية الحمراء. وفي 1998م رفع التجميد بقرار سياسي وتأسس المجلس الأعلى للغة العربية لهذا الغرض. ومن نهاية

* نشرت في موقع منبر الجزائر. جريدة إلكترونية. بتاريخ 24 أكتوبر 2021م.

سنة 1999م حصلت تغييرات سياسية جعلت مسألة التعميم تعيش القهقري ولا نعدم أن مقامات علمية حصلت بعد ذلك التاريخ.

السؤال الثاني: في رأيك هل سيتمّ تعميم استعمال اللغة العربية في كلّ القطاعات؟

ج= يفترض أن التعميم يمسّ كلّ القطاعات، ويحدث فيها الغمر اللغوي (الحمام اللغوي) وهو الاستعمال العامّ للغة الهوية في مختلف المجالات، ويبدأ هذا من قطاعات أساس، وهي: التعليم بكلّ مراحل، ثمّ الإدارة في كلّ مرافقها، ثمّ الإعلام بكلّ قنواته، ثمّ قطاعات السيادة التي ترمز إلى الإنيّة والوجود والانتماء وصفات التميّز. ولا يمكن أن يحدث تعميم استعمال العربية في قطاع ما وقطاع آخر لا يسير في نفس المضمار، وهنا يحدث ما يسمّى بالنخبويّة والقطيعة والاستثناء. فلا يوجد بلد عمّم لغته في قطاع واستثنى قطاعاً، عدا الدّول العربيّة، وحتى الدّول العربيّة نجد سورويّة+ اليمن+ ليبيا+ السّودان عمّمت العربيّة في معظم القطاعات. ودول عربيّة أخرى عمّمت العربيّة كلغة تواصل يوميّ بشكل عاديّ، ما عدا الاختصاص في توظيف المصطلحات العلميّة مثلاً، أو في قطاع الدّيپلوماسيّة نظراً للعلاقات اللغويّة مع الاتّفاقيات والمصالح المشتركة التي تقتضي استعمال الأجنبيّات في حدود ضيقة جداً. وهنا يقع الاستثناء باعتبار أن الدّيپلوماسيّة لها مصالحها مع كلّ البلاد الأجنبيّة التي لها لغاته أيضاً ولكن أن تكون العربيّة مثلاً للغة البلد الأجنبي، ولا نجعل اللغة الأجنبيّة الوسيط اللغويّ في التّواصل عبرها، بل أن تكون التّرجمة المباشرة دون وسيط، وأن

تخطى اللغة الوطنية بمكانة في الاتفاقيات. والباقي هي من الأمور الشكلية التي لها مقامات في غير هذا الاستجواب.

ويبقى الحديث عن التكوين باللغات الأجنبية ضروري للاستفادة ونقل العلوم والتفتح على آخر المستجدات، فالشخص الذي يتعلم لغة أجنبية يعطي ويقدم للغة قيمة مضافة، وهذا مطلوب، وتقوم به كل الشعوب، لا التماهي مع لغات الغير والدوبان فيه ويصبح قيمة للغة الأخرى. ويعني كل هذا الانفتاح على تعددية لغوية مضافة، لا على تعددية لغوية متوحشة تأخذ بألباب متعلميها ويصبحون قيمة زائدة في لغات الآخرين. وهنا المفارقة التي يجب عزلها في بلادنا، وهي كيف تتماهى مع اللغات الأجنبية لتفيدنا لا لنخدمها ونصبح ثبعا لها، وننظر لها بمنظار التخلف للغاتنا، ونعبدتها في الترجمات التي تصبح هي المرجع، ولا نذهب إلى المصدر، ونكون بذلك قد حكمنا على أنفسنا بالتبعية اللغوية التي لا تخرجنا إلى مآلات التقدم؛ لأنه لم يثبت أن أمة في العالم تقدمت باللغة الأجنبية، وهذا ما يجب أن ننتبه إليه ونخطط له في لاحق من مشاريعنا ونلفت نظر المعنيين أن كل تأخير في تعميم استعمال العربية تعطيل لمسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. فالمواطن يحس نفسه غريباً في بلده عندما تكلمه بلغة لا يفهمها؛ وبخاصة لغة عدو الأمس التي يحس فيها القهر اللغوي الاستدماري. بالفعل يحس أنه ليس في صحنه/ بلده. ونفس الشيء في الخطاب الرسمي على مستوى المؤسسات الاقتصادية، يرى العامل القطيعة بين المدير (الرأس المدبر) الذي يكلمه بلغة أجنبية غريبة عنه، وبين العامل الذي يفترض أنه يسهم في تدبير أمر المصنع. ولكن عامل اللغة يكون حاجزاً في التواصل إذا لم تكن بينهما اللغة الوطنية

المشتركة، فيصبح العامل لا يُدبّر أمر المصنع كما يجب؛ باعتبار أنَّ العلاقة اللغوية بين (الرّاعي والرّعية) فيها فجوات وخدوش لغوية، وأنّ الكلام لا يصل مضبوطاً، وهذا يسبّب سوء فهم، ولا يتحمّل العامل مسؤوليّة الدّفاع عن المصالح الاقتصاديّة للمؤسسة التي يشتغل فيها. ومن هنا من الأهميّة الاقتصاديّة أن يحصل الخطاب باللغة المشتركة التي يفهمها الجميع.

السؤال الثالث: بالنسبة للقطاعات العلميّة كقطاع الصّحة مثلاً التي أغلب مراجعه أجنبيّة، في رأيك هل سيتمّ تعميم استعمال اللغة العربيّة فيه؟

ج= كلّ البلدان في العالم تُدرّس الطّب بلغاتها، بل إنّ تدريس الطّب باللغة المشتركة لأية أمة أسهل بكثير من العلوم الأخرى، باعتباره يتماهى مع الجوانب الاجتماعيّة للمواطن، والطّب ليس مادة علميّة خاضعة للضّبط العلميّ، بل مسألة مصطلحات، وليست له لغة معيّنة، فهو مثل الموسيقى والرياضيات، يقبل كلّ اللغات. وتبقى كتابة الوصفات تخضع للمنظومة الخطيّة لأية لغة فهي بسيطة جداً، وقاموسها ضيق جداً، وأنّ الصّيدلي يُشفر اسم الدّواء لأنّه عالميّ، والمريض أو الممرّض نفس الشّيء. فالدّواء (Paracétamol) مثلاً واحد في كلّ اللغات، والخلاف في الكتابة فقط، وفي تلك الملاحظات التي يكتبها الطّبيب أو الصّيدلي تشفيراً للاستعمال ليس إلّا وهي عمليّة سهلة تقبلها كلّ اللغات. الاسم+ اللقب+ العمر+ الوظيفة+ حبة قبل التّوم+ كأس في الصّباح... وليست من ماء البحر الذي لا يُشرب.

وهنا نحتاج فقط إلى المبادرات، وليبادر طبيب ما وسوف يقع اتّباعه وتسير الأمور إلى تعميم استعمال اللغة المشتركة، مع ما يتلوها من مستلزمات إداريّة

على غرار الطب يتبعه الطّقم الطّبي والصّيدي ومصالحة التعويضات. وفي حديثنا عن أمر التّطبيب يجب أن نعلم بأنّ حديث الطّبيب مثلاً إلى مريضه بلغة يفهمها يدخل ذلك في نصف الشّفاء وحديث الطّبيب في المحاضرة إلى طلابه باللغة المشتركة يزيد من نسبة التّجّاح بقوة. وقد أبانت الدّراسات التي أجريناها على مستوى بعض الجامعات الوطنيّة في مسألة هدر الطّلاب، أو طلب إعادة التّوجيه كان عامل اللغة أساساً في هذا الهدر المعضلة. وإنّه لا يُعقل أن يدرس التّلميذ كلّ مراحل بالعربيّة، ولما يعبّ الجامعة يُصادف بلغة أجنبيّة يدرس بها كلّ وحداته. وهنا لستُ ضدّ هذه المسألة بقدر ما أريد لفت الانتباه إلى مسألة تخطيط السّياسة التّربويّة التي تعدّ التّلميذ في لغة أجنبيّة من المرحلة المتوسّطة والتي يحتاجها في الجامعة، وعندما يحصل هذا لا يحسّ التّلميذ بنقلة جديدة لغويّة وهو يتلقّى بعض الوحدات باللغة الأجنبيّة في الجامعة. ويعني هنا أنّ المرحلة الجامعيّة تكون الوحدات الأساس باللغة العربيّة، ثمّ هناك وحدات باللغة القطب (الأجنبيّات) واعتماد لغة المصدر في التّرجمة، والإفادة منها في آخر ما وصلت إليه في المجال المطلوب والتركيز على المصطلحات العلميّة. وليعلم القارئ أنّ المنظّمة العربيّة للصّحة أنجزت معاجم وقواميس وأدلة جدّ راقية باللغة العربيّة؛ وهي لا تتعدّد عن علميّة الإنكليزيّة، ولكن نحن لا نتابع هذه المسائل والمنشورات بحكم الأحكام المسبقة على أنّ العربيّة فقيرة في هذا المجال، وإلّا كيف كانت لغة تدريس الطبّ في فرنسا إلى غاية 1624م. ونجد إقرارهم بذلك في صورة ابن سينا الطّبيب العربي المشهور في رواق السّوربون. ويجرّنا الكلام إلى التّزيهين من علماء الغرب المعاصرين أمثال (Jack Lang) في كتابه (La Langue Arabe)

(Ce que notre Jean) (الباحث Provost) (Trésor de France) في كتابه (Arabes) (langue leur doit Nos Ancêtres les) وغيرهما كثير ممن يقرّون بما قدّمته العربيّة للغات الأوروبيّة من خلال وجودها في شبه جزيرة إيبيريا (الفردوس المفقود) هذا المكان الذي عمّرت فيه العربيّة ثمانية قرون ومسحت فيها اللغة القشتاليّة بالتّمام وأحدثت حركة علميّة في غرناطة وإشبيلية ومجريط وقرطبة، وكان بفضل أركان العلم الذي تحلّت به العربيّة لغة الحضارة الإنسانيّة. ويقول الشّاعر واصفاً ذلك الازدهار:

بأربع فاقت الأمصارَ قرطبةُ منهنّ جسر الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والفيحاء ثالثهما والعلم أصبح كلّ شيء هو رابعها

والعلم كان بلسان عربيّ مبين في الأندلس، وبقيت آثار العربيّة لالآن في قاموس (Los Arabismos)، ولولا علوم العربيّة التي كانت القاعدة لما وصلت تلك اللغات الأوروبيّة إلى مرحلة التّطوير والإبداع، ومن ذلك المقام حصّلت الطّفرة العلميّة لانطلاق ثورة البخار في أوروبا التي لها ألق التّوهج في نقلة (البكرة) التي أوصلت العالم إلى الحضارة، وإلى صناعة الكهرباء والطيران ونقل مجاري المياه، وكلّ ذلك يتمّ في مجرى الحركة التي تعرف التّطور اليومي.

وأما الحديث عن مسألة المراجع بالعربيّة؛ بالفعل قليلة أو شحيحة في مجالات العلوم، ولكن كيف يتمّ التّغلب عليها إذا لم يقع تدريس الطّب ومختلف العلوم بالعربيّة، لا يمكن أن يحصل الإبداع في المراجع أو في المصطلحات ونحن لم نضع اللغة العربيّة على المحكّ، وكيف نحكم على

ضعف اللغة وهي لم توضع في تدريس هذه المواد العلمية، وكأني بها ينطبق عليها قول الشاعر:

ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال إياك إياك أن تغرق في الماء

وإنّ التدريس بذات اللغة في كلّ المجالات هو الذي يخلق المصادر ثمّ المراجع، مع ضرورة الاستعانة بالمصادر الخارجية ومن مختلف اللغات والمشارب والقنوات العلمية، وهنا المشكلة التي يجب التخطيط لها بعمية كلّ الشركاء، حيث القرار السياسي قائم، والثّية حسنة، وعلينا فقط التّفعيل داخل هذه المعطيات، والسّير مرحلياً لتعميم استعمال العربية في العلوم. والعهد في المسألة أنّنا نستدرك ما فات، وكان علينا ذلك بحكمة كلّ الفواعل في هذه المرحلة التي تحتاج إلى تحريك الهمم لإنزال العربية محلّها العالي في الاستعمال والتّدريس والاعتزاز. ويجب أن نعي بأنّ اللغة وضع واستعمال فبالاستعمال تترقى، وبالإهمال تموت، وأنّ اللغة الحيّة تحتاج إلى توظيف وممارسة كي تحيا في قلوب أهلها وتستمرّ بها الحياة والاستعمال هو الأساس.

وأما مرحلة التّعليم العالي والبحث العلمي التي يجب أن تُساير الحدث وفي نفس الوقت كان عليها أن تتفتح على اللغات الأجنبية للإفادة منها في مواد دامغة تتطلّب اللغات الأجنبية التي تتحكّم فيها لغات الأقطاب، كان على المخطّطين ألا يستغنوا عن هذه اللغات حتى تستوي العربية بشكل جيّد في إطار التّهيئة اللغوية والتّطوير العلمي والتّكنولوجي الذي يُقدّم لها عبر وحدات البحث ومخابر اللغات، ولا بدّ من الأخذ بمبدأ التّفعيّة العلميّة حيث ما وجدت المصلحة فثمّ شرع الله. ومن هنا، يجب تجاوز مرحلة الخوف

ونعلم أنّ لكلّ بداية عثرات، ولكن علينا أن نُبادر؛ لأننا مجبرون على ذلك من أجل التنمية المستدامة التي لا تُعطيها لنا اللغات الأجنبية فلم التّعطيل؟ ويبدو لي هنا رجالٌ رشيدون سوف يُبادرون على مستوى إنتاج الأفكار ولا شكّ يليها صُنع القرار.

السؤال الرابع: ما هي المعوقات التي تعترض تعميم اللغة العربيّة؟

ج= يمكن ذكر بعض المعوقات التي بصُرت بها من خلال الأبحاث والدراسات التي أجريتها وأحصرها في الآتي:

- 1- الجانب النفسي في أنّ العربيّة لا توصلنا إلى الهدف.
- 2- غياب أو فقر في المصطلح العلمي العربيّ.
- 3- تجارب التعريب فاشلة في الكثير من الدّول العربيّة.
- 4- اللغة العربيّة لمّا تتحكّم في مجال التّقانات المعاصرة.
- 5- مستويات العربيّة متفاوت بين: الفصيح والشّعبي والوسط.
- 6- العربيّة لا تزال في الماضي والتّاريخيّة، ولا تُسائر الحداثة.
- 7- تصنيفات المعرّبين في الجوائز العالميّة عدَمٌ.
- 8- قلة استثمار العربيّة في الدّكاء الصّناعي.
- 9- غياب شبه تامّ للعربيّة في التّرجمة العالميّة.
- 10- ضعف المستوى اللغويّ لدى أهل العربيّة، وتراجع في مستوى التّحصيل العلميّ.

11- عدم وضوح الرؤية لمستقبل العربية في المجال العلمي...

هي حقيقة في بعضها، وواهيّة عند البَحثة الحصيفين والتزيهين والذين يعرفون موقع العربية علمياً، وما لها من قيمة عند غير أهلها يُدركون أنّ هذه المُعوقات بعضها من صنع المستفيدين من اللغات الأجنبية، وبعضها من جهل علوم العربية، وبعضها حقيق وتاريخي قديم زالت عوارضه. وبعضها من عدم مُسايرة الأحداث، وبقيت في ذهنه تراكمات الأقوال التي لا محلّ لها في اليقينيّات. وما يجب وعيه ونقله للأجيال أنّ العربية منذ 2012م لها موقع جدّ متقدّم في اللغات الأُمّية وفي لغات العالم في كلّ قاراته. العربية تعرف تطوّراً كبيراً يومياً على مستوى مكانزها وتراثها وعلومها وبعض مشاريعها الكبيرة وسوف تعرف خريطة لغات جديدة تُصبح لغة العولمة بمعيّة الإنكليزيّة حسب الدّراسات المستقبلية للغات العلم. والواقع إنّ غياب الاعتزاز بالعربية جعلنا نشكّ في قدرتها، بل نطعن فيها؛ ونحن لها جاهلون. ولكن ما يجب فهمه هو الوعي اللغويّ الذي يُعالج كلّ الأمور بسهولة وبالقوّة النّاعمة التي يقوم بها المجلس الأعلى للغة العربية في مساره ومنجزاته وعمله الصّحيح، ودون ضجيج وبمسار مضمون لا خطأ فيه، مع قبول المراجعات وللتكيفات التي تدخل في باب الإضافات، وهي خطة نعدّها ناجحة لأنّه ينظر إلى اللغة من حيث مادتها التي تقدّم في عمل حقيقيّ، فالعمل أولاً والتهيئة ثانياً، ثمّ المطالبة ثالثاً. وبذا نرى المجلس أنّه قد قدّم الكثير من الحلول للمسائل العالقة حتى في مجال اللسانيات والمصطلحات والترجمات والدّكاء الصّناعي وفي وضع المنصّات الرّقمية العالّية، وفي لغة المحادثة الطّبيّة وغيرها من مجالات العلوم الحديثة. أقول: يمكن أن تُعالج كلّ هذه الفجوات

برفع التّحدّي، والعمل الذي يحصل عن طريق التّخطيط اللّغويّ عبر الآماد الثلاث لتحقيق عربيّة معاصرة شاملة علميّة تُسهم في التّنميّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة المستديمة لجعل مستعملي العربيّة يعيشون في مجتمع المعرفة ودخول عالم اقتصاد المعرفة من باب البيئّة النّظيفة التي تتطلّب المنافسة الإنتاجيّة بما تبدعه بلغتك. ولا يكون ذلك إلّا في الاستثمار في التّربيّة والتعليم وتعميمها في الإدارة والإعلام. فلا بدّ لنا من رفع التّحدّي ونذكر ما لمقام العربيّة كلغة علميّة عروبيّة في ستين (60) دولة لغة رسميّة، ولها النّافذة الخامسة في الأمم المتّحدة وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21) وتُستعمل في كلّ القارات، ولا توجد جامعة في العالم إلّا وفيها قسم العربيّة أو اللغات الشرقيّة، وتُدّرس حالياً في ستّة وستين (66) جامعة في الصّين واللغة الأجنبيّة الثّانيّة في كوريا الجنوبيّة التي تتحدّى الغرب باقتصادها الكبير عبر الكارتلات العملاقة في الصّناعات الكبرى. وهنا لا أتحدّث عن العربيّة في موقعها العلمي الكبير، بقدر ما أريد التّركيز على رفع المضايقات التّقنيّة وهي الأساس. ويجب أن نعلم بأنّ كلّ اللغات تُعاني مضايقات: الإنكليزيّة يشتكي أهلها من بداية تلاشي التّحو الذي لا يعمل على ضبطها، وتعرف فروقاً بينها وبين إنكليزيات العالم والترجمة إليها قليلة. الفرنسيّة تنتحر في بلادها، لم تعدّ تلك اللغة الإشعاع الإشعاع في قرن الأنوار XVII عصر (Racines و Râblés) والآن شعاع الفرنكفونيّة بدأ ينطفئ، وأضحى الفرنسيون يطلبون التّدريس بالإنكليزيّة ويهجروها أهلها سنوياً ملتحقين بلغة (Lingua Franca)، ونفس الشّيء لكثير من اللغات التي تفتقر إلى المراجع باللغة الأم... إذن مسألة بعض المعوقات التي توجد في العربيّة مسألة

عادية والتقيصة في عدم معالجتها، أو الحكم عليها بأنها ليست لغة علم ونحن نعلم أنه لا يوجد العلم في لغة واحدة وعلينا الإقرار بهذا، ولكن علينا أن نعمل وتبادر، والمبادرة وهو طريق العلم، ودرب حل ورفع كل المضايقات.

تعالِ بُادر: والكلام موجّه للتّخبة الوطنيّة والعربيّة؛ لأنّ العربيّة لغة مشتركة، علينا حمل أمانتها وتحسين وضعها العلمي، وإنّها تكون بنا أو لا تكون، تكون بما تُبادر به من أفكار؛ فأفاق البحث العلميّ في حوسبة المعجم الإلكتروني يسير بخطى سريعة وجيدة، وهناك جملة حقائِق يعيشها المعجم العربيّ، وعلينا فهمها أولاً، ثمّ البحث عن حلول نوعيّة ثانياً. ولا بدّ من البحث الدقيق في قضايا شائكة لرفع كلّ المضايقات اللغويّة؛ حيث لا نزال نعيش مضايقات توصيف العربيّة، فالماضي الذي بقينا فيه جعلنا نعيش التكرار؛ نظراً لقلّة إنجاز الأعمال الجديدة الضخمة التي تُلبّي مخزون المعاجم الحديثة. وهذا يقودنا كذلك للقول بأنّ المؤسّسات الجمعيّة تعمل ببطء في هذا المجال، وأعمالها تسير الهوينى، ونحن بحاجة إلى مشاريع كبرى في البرمجيّات لوضع الصّرف الحاسوبي، والتّحو الحاسوبي، والدّلالة الحاسوبيّة، والمعجميّة الحاسوبيّة للمواءمة بين المنظومات البرمجيّة وطبيعة اللغة العربيّة. ولا بدّ من منهجيّة جديدة لبثّ دمّ الشّباب في هذه المجامع / الأكاديميات الهرمة التي يجب أن تبدع كثيراً كما تكون مرافقة ومرشدة للشّباب الباحث، ولحاملي المشاريع على غرار (Startup) الذين يبدعون في تقنيات ما تبدعه الآلة التي يقع فيها تخزين المادّة العلميّة في خوادم كبيرة (DATA CENTER)، التي تحتاجها العربيّة في تخزين المخطوطات والموسوعات والمشاريع الكبرى التي تتطلّب الأجهزة

الجبارة للحفظ والقراءة والاسترجاع في سرعة ضوئية. وهناك جانب مهم وهو نقص الإغداق المادي على المبدعين بالعربية الذي يحل الكثير من المضايقات التقنية، وما يتبعها من تشجيعات وجوائز في مجال الصناعة الخدمائية لتطوير العربية وفق لوازم العصر.

علينا أن نبادر باختراع الأفكار، ونفرغ ما لدينا من معارف، ونعطي كل ما نملك من طاقة لهذه اللغة، ومن الضروري أن ننطلق، وأعلم أن أصعب شيء هو الانطلاق، ولكن من الضروري تحقيق الحركة العلمية وهي بركة تحقيق الوجود، ونؤمن بأن كل حركة علمية تأتي بالقيمة المضيئة. ومن الضروري العمل الجماعي المتعدد الاختصاصات والانطلاق من لغة أجنبية متقدمة، وأن الأخذ من اللغة الأجنبية تنكشف به خصائص العربية وتظهر الثغرات وما يجب سدّه، وهناك تأتي الإضافة لا النسخ المطبق، والأصالة هي الإضافة. ومن الضروري التماهي مع المبادرات بمبدأ التقويم، والتقييم وربح الوقت. وإن نجاح المبادرة/ المشروع لا يؤخذ من نسبته الكاملة أول مرة، وإنما من نسبه المتدرجة في كل مرة، والتجارب السابقة الناجحة تنمو وتندرج للعلا، وكل تجربة ناجحة تزداد تطويراً. ويجب أن نعلم بأن التقانات المعاصرة قطار مار؛ يتوقف مدة في المحطة، فالراكب يعيش مع الآخرين والرافض يبقى وحيداً، ولهذا أن نسير مع المعاصرة، وإلا سننقرض دون إطالة. كما يجب العلم أنه لا توجد لغة متقدمة ولغة متخلفة في جيناتها وإنما يوجد بحث يعملون على الإبداع في ذات اللغة وتصبح متقدمة ويوجد نائمون يعملون على تعليق اللغة وتعطيلها. ويجب أن نعلم بأن العلم يتوزع على مجموعة من اللغات، وكلما وقع الاهتمام باللغة أصبحت لغة علمية

وأوضحت مسابقة لمتغيرات العصر، وإن لم يقع تصبّح في حُكم العَدَم. وعندما تتوفّر الإرادةُ تفلّ الحديد؛ أي عندما تأتي الإرادةُ تتوفّر القدرةُ/ (Quand on veut on peut).

ومن خلال هذه الكلمة الصحافية أنادي العاملين على تطوير اللغة العربية للخروج من التّنظير ونُشْدان التّطبيق، ومن التّواكل إلى التّوكّل وضرورة العمل والتّضحّة وصولاً إلى الإبداع، وكلّ ذلك يأتي عن طريق التّطوُّع اللّغويّ، ولا ننتظر القرار السّياسي، وهو موجود ولكن ضمانه في مسألة يراها مضمونة المصير في المستقبل، والأساس فيه هو التّهيئة اللّغويّة والأرضيّة العلميّة للّغة، دون الحديث عن خصوصيات الهوية وهي العمدة. إذن، تعالِ نعطِ أقصى ما لدينا، نعطِ الأفكار لنموتَ فارغين قبل أن نُرَحَلَ. تعالِ نتركِ البصّمات لتحقيق الأهداف المَنوطة بخدمة العربيّة اللغة الجامعة ويزكرنا اللاحقون بقولهم: رَحَلَ السّابقون؛ وهذه آثارهم/ إنَّ أحسنَ اللاحق؛ فإنَّ الفضلَ للسّابق. فيا أيّها الباحثون علّم أنّ هناك مُضايقات تقنيّة تلحق العربيّة، ولكنّها ليست من المُلصقات التّابعات في ذات العربيّة، بل يمكن رفعها وبسهولة، وتُرفع المُضايقات بالبحوث الدّكيّة، وتُرتفع العربيّة بمشاريعكم الكبرى التي تنتظركم في مجال التّقانة والحوسبة، فهي استكمال لعلميّة العربيّة، ونذكر منها: ملء الخانات الفارغة في (Windows) + إضافة الكلمات والمصطلحات التي ليست في القواميس الموضوعية أوّل مرّة + تخصيص معاجم إلكترونيّة في لغة الطّب والهندسة والاستشعار عن بُعد وفي التّانوتكنولوجيا + الإبداع في اللغة الوظيفيّة + تطوير المعاجم التّرجميّة حسب المجالات + تحويل الأرقام إلى حروف + وضع تطبيقات تُكتب عن طريق

السّماع بصفر خطأ+ تشكيل مواضع اللبس+ جمع المتلازمات+ إضافة
مُدوّنات مُصطلحات للمعاجم القديمة+ إضافة لغة الإعلام المعاصرة+
تطبيقات لغويّة في حسن الاستعمال اللغويّ الوظيفيّ+ تطبيقات في تدريس
العربيّة بالفيديوهات+ الرّصيد الوظيفيّ للّغة التّلميذ+ معاجم محمولة في
الوسائل التّكيّة المعاصرة في: لغة البنوك/ الإدارة/ السّوق/ الطّاكسي...
وغيرها كثير فهي في انتظاركم، فهلا ثبادرون وتستثمرون!

استثمار اللسانيات الحاسوبية في صناعة المعاجم الإلكترونية^٧

- الديباجة: يواصل المجلس الأعلى مسيرته التقنيّة في مجال الرّقمنة ويتّخذ الذكاء الصّناعي عمدة في البحوث الحديثة؛ باعتبار علم اللسانيات أمّ العلوم في الوقت الحاضر، ومجالها يترى ويتمدّد، وسوف يقع التركيز في هذا الملتقى على اللسانيات الحاسوبية لما لها من آفاق التطوير والإبداع في مجال المعاجم الإلكترونية التي يقع فيها التنافس بين اللغات. وهل العربية تكون طرفاً في هذا التنافس؟ وما هي العدة العلميّة التي تعتمدوها؟ وما هي النظرية اللسانية التي تتمنّهج داخلها؟ ... وإنّ هدف اللسانيات الحاسوبية السّعي إلى استغلال التقنيات التي يُقدّمها الحاسب لمعالجة اللغة الطّبيعيّة؛ استجابة لتطوّرات العصر السّاعية لوضع نُظُم خوارزمية صوريّة، وبرمجتها في هندسة لغويّة تعتمد البيانات والمبادئ الصّوريّة المتحكّمة في نظام تشغيل اللغة في دماغ الإنسان، وجعل الآلة تبحث في مجال البحث اللغويّ مثل تفكير دماغ البشر، من بحث في اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وإلى بحث في كيفية إنتاجها ومعالجتها. ومن هنا؛ فإنّ العلاقة بين الحاسوب واللغة إذا علاقة تبادليّة وذلك أنّ دراسة اللّغة من منظور قياسيّ هندسيّ تكشف القناع عن أسس علوم اللغة والقدرات اللغويّة، وكيفية قيام الدّهن البشري بعمليات تحليل اللغة واكتساب الخبرات واسترجاع المعلومات، وفي الوقت نفسه، تُسهم

^٧ - كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة في افتتاح الملتقى في رحاب المجلس، بتاريخ 25 أكتوبر 2021م.

اللغة في تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي الذي يسعى إلى محاكاة وظائف
الذهن اللغوية والقدرات البشرية.

- المقدمة: إن اللسانيات الحاسوبية فرعٌ تطبيقيٌ حديثٌ، يستغل ما تُوفّره
التكنولوجيا المتطورة من أجل بلورة برامج وأنظمة لمعالجة اللغات الطبيعية
معالجة آلية. وتسعى إلى الدراسة العلمية للغات الطبيعية باعتماد أنظمة
وبرامج متقدمة ومتطورة، واللغة العربية من بين تلك اللغات، وبهذا
الاعتبار فإنها تعمل على تحويل كل ما يتصل باللغة من صرف ونحو
وأساليب وغيرهما إلى صورة رقمية فرضتها الثقافة الصورية الحديثة
وجعلها مفهومةً من قبل العامل في هذا المجال العلميّ الصوريّ الحديث الذي
يعمل على صياغة نماذج صورية تُحاكي اشتغال الملكة اللغوية لدى الفرد.
وبعبارة قريبة؛ فإنّ اللسانيات الحاسوبية تُستخدم فيها الحواسيبُ في تحويل
النصوص والمعلومات إلى لغات الحاسب الرقمية؛ لتحليلها وترجمتها وتطوير
نماذجها، وتقديم نظريات في بناء اللغة ثمّكن وضع برامج حاسوبية؛ تُساعد
على فهم اللغة الطبيعية. وهذا ما يقوم به اللسانيون في تحرير البيانات
والنصوص، وتأسيس المعاجم اللغوية الرقمية، وفهرسة النصوص المختلفة
سعيًا إلى أتمتة / Automatisation التعرف على الحروف بذكاء OCR؛ أي
التعرف الصوتي، وتحويل الأصوات إلى نصوص، وتحويل النصوص إلى
أصوات ونطقها. وقد دُعِمَت هذه الإمكانيات العلوم اللغوية بتحليل كمّيات
هائلة من نماذج الوحدات اللغوية في اللغات المختلفة لاكتشاف بنية اللغة
وأوجه تشابه الأنماط اللغوية واحتمالات وجود رابطة بين لغة وأخرى

إضافة لإمكاناتها التطبيقية كما في علاج مشاكل التخاطب والسمع. ويعني هذا جعل الجهاز الحاسب يتعرف على أشكال الوحدات اللغوية الأساسية والوحدات اللغوية المركبة، وتحويلها إلى لغة رقمية يمكن تحريرها وتعديلها. وبعبارة أقرب يعني كل ذلك التعامل مع الحاسوب كعقل بشري مشابه لعمل عقل الإنسان القادر على تأدية المهام التي يؤديه البشر بشكل سريع ودون أخطاء.

1- الآلة لغة الإنسان في المستقبل: وهكذا نرى اللسانيات الحاسوبية تعمل لتحل الآلة محل الإنسان في التعامل مع اللغة، وجعل الآلة تفكر حتى في مواضع اللبس والإبهام، وتقديم المطلوب وفق تفكير الإنسان. وهذا يقتضي تزويد هذا الجهاز بمحلات صرفية ونحوية ومصطلحات وترجمات وحسابات ومختلف اشتقاقات الكلمات التي تحويها المدونات المطلوبة. علماً أنّ الحاسوب آلة ذكية تُضاهي في قدرتها وظائف الإنسان وقدراته الذهنية في نمط اشتغال العقل الإنساني، وتقيسه من خلال لغة صورية خوارزمية أشبه ما تكون باللغة الصناعية، كما أصبح الحاسوب أيضاً مجالاً تطبيقياً لاختبار الفرضيات حول الطريقة التي يشغل بموجبها العقل الإنساني، إضافة إلى تفوقه على ذكاء الإنسان في السرعة. وفي هذا المجال بدأ الاستثمار في الصناعة اللغوية في حاسوب يكتب دون كاتب، ويرتب ويصحح ويدقق ويُملي عليك وصفات الأكل والنوم والرياضة من خلال الرصد الشخصي الذي تُجريه قواعد البيانات على الحالات المطلوبة للشخص العادي والتعرف عليه من خلال معرفة قضاياها الرّاهنة والقياس عليها في القضايا المستقبلية، وتسعى مختلف الشرائح أن تكون المرافق والمراقب والطبيب

والخزانة والبنك والمستخلص... بله الحديث عن منجزات محققة يقلّ فيها الخطأ في مجال الطيران والمحركات الكبرى وفي بناء DATA CENTR وما يتبع ذلك من مخرجات الجبر والرياضيات والهندسة والمصطلحات. وهذا ما تُظهره الدّراسات التنافسيّة في علم الرّوبوتيك في عصر الانفجار المعرفيّ والانشطار الثقافيّ الخاطف؛ حتى أصبحنا لا نستغني عن المحمول لأنّه مكنز المعلومات، ولا نستغني عن الآلات الدّكيّة في البيت أو في العمل أو في التّنقّلات، فهي الدّليل، ووجودها سيّرٌ للأمام، وفقدانها عودةٌ للعصر الحجري.

وأمام كلّ هذا نرى التّنافس يشتدّ أمام الشّركات العملاقة في الاستثمار في مجال اللّسانيات الحاسوبيّة، حتى أصبحت بعضها دولة داخل دولة، كارتل بالمعنى الحقيقي، وإنّ من يتابع تطوّر الشّركات العالميّة اليوم، يلحظ ارتفاع ميزانياتها إلى مستوى الدّول؛ وهي تستثمر في هذه المنتجات الصّغيرة لخدمة رفاهيّة الفرد على غرار Google / آبل، و Samsung / آبل، و Alfa Bit ألفا بيت و Samsung / سامسونج، ونجد هذه الشّركات العملاقة برأسمالٍ مال يتجاوز ميزانيات بعض البلاد. ومن صناعاتها النّانويّة نجد اليابان وسويسرا وسنغافورة والهند تدرّ عليها التّطبيقات مليارات الدّولارات، وهي بلاد لا تملك الموارد الطّبيعيّة، ومع ذلك فهي تعيش رفاهيّة كبيرة، وأنّ اقتصادها قويٌّ بما لها من أرصدة بشريّة في امتلاك العقول، وصناعة الأفكار والإبداع وديدنهم أنّهم استثمروا في الإنسان الذي يخلق الثّروة الاقتصاديّة المستديمة.

2- أهميّة المعجم اللّغوي: يعتبر المعجم من أهمّ روافد اللّغة والمعرفة ويمثّل ذاكرة الأمّة، وقد اعتنى اللّغويون العرب بالمعجم من حيث المحتوى

والهيكل منذ القرن الثاني الهجري، فازدهرت الصنّاعة المعجميّة العربيّة وتعدّدت مدارسها، وبلغت رقيّاً مؤسّساً لا يقلّ عن البحث اللسانيّ/ المعاجميّ الذي قام به الصّينيّون. وفي هذا العصر حصلت طفرات نوعيّة على ساحة الحاسوبيات، فتطوّرت البحوث وأصبحت صناعة تنافسيّة تُنتج المعاجم الرّقميّة/ الافتراضيّة بدل الورقيّة. ومن خلال هذا لم يحصل مساهمة الحدث بما يتوافق ومعطيات العربيّة في ذاتها، وما يجمعها باللغات الطّبيعيّة في مناطق تصلح لكلّ اللغات، وهذا ما قصّرت فيه البحوث المعاصرة؛ حيث نحاصر الآن تقنياً في زاوية ضيّقة، وذلك ما يدفعنا لمزيد الجهود في سبيل إعداد معاجم آليّة، فقد دانت الأساليب والدّوافع للاستثمار في تقنيات الحاسوب في مجال اللغويات، ولا بديل لنا ولا خيار، كما لا بديل نوعي يحصل للعربيّة إلّا بالتعاون والتنسيق بين الجامع والمجالس العليا وباقي مؤسّسات البحث إلّا خوض هذا الميدان الذي يحتاج إلى التجنيد العامّ.

3- صناعة المعجم الإلكتروني: ليس سهلاً أن نتحدّث عن معجم إلكتروني بديل عن المعجم الورقيّ، ولكن ليس صعباً أن يكون عندما نعلم أنّ البشر هو الذي يصنع المعجزات، وأنّ المعجم يحتاج إلى تغذية رجعيّة تجتمع فيها الوصفة الحاملة للمحلّل الصّرفيّ + المحلّل النّحويّ + المدقّق اللغويّ + المحلّل التشكيليّ + الحاسبة + المشفّرات الرّقميّة + بنوك المصطلحات + النّصوص الكبيرة + مدوّنات كبرى + معاجم قديمة وحديثة + مسكوكات أمثال وحكم... مع دعم التّرجمة الآليّة، وضخّ أشكال المعاجم العامّة والمختصّة. كما ينبغي للمعجم الإلكتروني أن يزود بمحرك بحث سريع؛ لأنّ البرنامج اللسانيّ المُعدّ للمعالجة الآليّة لا ينبغي أن يفشل في العثور على أيّة

معلومة كيفما كان نوعها وكيفما اتفق؛ لأنَّ أيَّ خطأ في المعلومات المدخلة من شأنه أن يتسرَّب إلى باقي مفردات الجملة، أضف إلى ذلك وثوقها المعلومات ومواءمتها للمداخل المعجمية المراد معالجتها آلياً.

وكان علينا أن نواصل مسار البحث؛ لأنَّ البحث جارٍ، وهناك قواعد موضوعية، فنحتاج إلى تركيم معرفيٍّ نزيد من لبنات البحوث أو تصويب بعضها. ولهذا يجب الاستثمار في البرمجيات الذكيَّة التي تعمل على إنتاج مثل هذه المعاجم، واستغلال تقنيات المعلومات في الأعمال التطبيقية لصناعة معاجم مصطلحية باعتماد برامج معينة توضع في أتمتة حاسوبية يستعيدها وقت الحاجة وعند الطلب. وهنا لا بدَّ من حلول نوعية في صناعة خوارزمية صورية لرسم الحرف العربيِّ بمراعاة الحجم والاتجاه الذي يرغب فيه المستخدم. وتوحيد لوحة المفاتيح بين مختلف الدول العربية؛ من أجل تيسير عملية نقل البيانات، ونشرها وتبادلها بين المستخدمين. والرَّهان على برامج البحث العلميِّ التي تهدف إلى استغلال ما يوفِّره العتاد اللسانيُّ بغية ميكنة اللغات الطَّبيعية، ومن ضمنها اللغة العربية، وفي ذات الوقت تحتاج إلى مراعاة الخصوصيات الفقهيَّة التي لا تتوفَّر في اللغات الأخرى. ولا بدَّ من دخول هذا الميدان في البداية من خلال أدلَّة وظيفية بسيطة محدودة المبنى ووضع قاموس كلمات كلِّ دليل في خوارزمية تستجيب لكلِّ مركَّبات الكلمات والجمْل، وما يقابله من الحركات وتعدّد الضمائر، وما له علاقة بالأمور الفقهيَّة التي تعيد الكلمة إلى أصولها وجذورها ولغاتها وكيف تصرّف الناطقون بها في مراحل التأسيس من: نغم/ إدغام/ أخذ/ تأثير/ ترقية/ تطوير...

4- أهمية المعجم الإلكتروني: لا يحتاج المعجم الإلكتروني الإشادة لما

يقدمه للغة، بقدر ما نقول إنه مقوم اللغة، وقاعدة بيانات كبرى وسريعة فهو الذي يفهم المعلومات المشفرة، ويعمل على استعادتها وإتاحتها كتابياً وورقياً؛ بتقطيع صوتي وتحليل الكلمات، وتدقيق إملائي وتلخيص وترجمة واسترجاع وبحث آلي سريع... وهنا يكمن جدوى التركيز على أهمية المعجم الإلكتروني لبلوغ واجبات تطوير قواعد البيانات، وتحويل المعلومات المشفرة إلى نصوص، وإضافة تفسيرات ليتمكن الإنسان من قراءتها وفهمها وكذلك تصميم برامج بينية متطورة للبحث عن المعلومات وعرضها على الشاشة بطريقة مستساغة، واستعمال وسائط متعددة (نص، صورة، صوت فيديو، صور متحركة...). وهذا ما تفتقر إليه العربية في عصرنا الحاضر وما هو الحل؟ وكيف نصنع المعجم العربي الإلكتروني؟

5- صناعة المعجم الإلكتروني العربي: من الضروريّ بمكان الإقرار

بالتقصير في إعداد المعاجم الحاسوبية التي تُلبّي حاجيات المستخدم العربي بالرغم من إتاحتها المعاجم العربية على الأقراص المدمجة والشابكة، ويمكن أن تكون قاعدة منطلق. ومن الجميل أن تكون الكثير من الأعمال التي قدّمت من قبل الباحثين والشركات محلّ تقدير وتقويم وتحسين. ومن الحكمة الإقرار بمختلف الأنظمة الحاسوبية التي وضعت الخطوات الأولى في بداية صنع معجم عربيّ إلكترونيّ. ولكن لا بدّ أن نسأل هنا ما هي العدة العلمية لصناعة معجم عربيّ يستجيب لمواصفات التقانة الحديثة، ويحقّق المزايا المطلوبة في ميدان الانتقال من المعجم الورقيّ إلى المعجم التّقانيّ. وإذا عرفنا

المشكلة بطل العجب، ونكون قد حقّقنا الخطوات الأولى في بناء معجم عربي إلكتروني:

1/5- ضرورة تنويع طرائق البحث عن المعلومة، واعتماد مناطق مختلفة تستجيب لخصوصيات العريّة عبر بناء الجذور، باستعمال الأنظمة التي توفرها الحواسيب من مثل Hyper-text links .

2/5- البحث عن محرّك بحث جبار وواسع وسريع، يتيح العمل الجامع بين القديم والمعاصر ومختلف الوسائط، ويستجيب لاستعادة مكانز العريّة من العصر الجاهلي إلى وقتنا الحالي.

3/5- الرّهان على ذكاء صناعيّ OCR يفهم ويفرّق بين المعاني الأساس والمعاني الفرع، ويعمل على توليد القياسات التي تقبلها خصائص اللغة العربيّة.

4/5- ضرورة احتواء المعجم الإلكتروني على تطبيقات كثيرة وفي مختلف التخصّصات، واعتماد لغة المحادثة اليوميّة من خلال الرّصد والوصف الجديد للغة قديمة متجدّدة.

5/5- سهولة استعمال المعجم الإلكتروني، وكذلك وضع أيقونات تجعل المستعمل يقترح التّعديل، ويقبل الإضافة.

6/5- ضرورة احتواء المعجم الإلكتروني على كتابة دوليّة، ونطق وتحويل المكتوب إلى منطوق.

7/5- ضرورة اعتماد المعجم الإلكتروني على مختلف الوسائط التي تُتيح وجود الصّور والخرائط والأفلام، وعرض محتواه بطريقة إيجابية يكون لها التأثير على المستعمل.

ويبدو لي بأنّ التّماهي مع صناعة المعجم الإلكتروني أهمّ قوّة فاعلة في ربح هذه الصّناعة؛ باعتبارها ضرورة حضارية للعربية اللغة الأُمّية لها ما لها من تكامل مع اللغات العالمية الكبيرة، فكيف تثبت في غمار العولمة، وتُبرهن على العيش في واقع حديث. والعُهد في كلّ هذا هو العمل على تطوير تطبيقات حاسوبية للغة العربية تُثلي الحاجات اللغوية للمستخدم العربيّ وتجعل اللغة العربية مواكبة لتطوّر المجتمع الذي هو رهن وجود معاجم إلكترونية عربية مناسبة، والتي تخضع لمقاييس عالمية على مستوى المحتوى والهيكلة. وهنا يأتي دور الباحثين وهم أنتم في أعمال مشتركة لتوفير العدة الفقهية والتقنية في صناعة المعجم الإلكتروني.

أيّها الباحثون، علينا الانطلاق، وتبادر دون انتظار، فالقطار ينتظر لحظة لكنّه لا يظلّ ثابتاً، علينا الرّكوب في قطار التّفعل والتّحسين لصناعة معجميّة في ذات العربية بتحديد المطلوب من: هيكل المعجم + المستفيد منه + الفئة العمرية + طريقة استغلال المواقع والشّابكة + وسائله التقنيّة ... بالإضافة إلى منهجية العمل في تحديد المصادر اللغويّة + وتصميم قاعدة البيانات + وكيفيات إدخال المعلومات ... ولا بدّ أن يلتقي فقهاء اللغة مع المعاجمين والمعلوماتيين لوضع تصميم هذا المعجم في وضع هندسة لغويّة في صيغته المُرقمنة التي تعمل على الاختيار الأفضل لمعجم إلكتروني أحسن من معجم وورقي، وهو ضرورة معاصرة تُعدّ فيه كلّ أدوات التّجّاح. وبهذا نكون قد

خدمنا العربيّة في صناعة معجميّة معاصرة، وكما عمّلنا على الخروج من التّنظير إلى التّفعيل، ونقلناها إلى وسائل تخزين حديثة على شرائح الكترونيّة أو على وسائط ممغنطة ذات إمكانات تخزين ضخمة، وعلى خوادم جبارة تخزّن تريليونات من المعلومات وتستعيدها وتهندسها وفق نمطيّة ذكيّة تكون صالحة للاستعمال وما ينجرّ عن ذلك من تطوير الترجمة الآليّة وتحسينها والمستقبل كفيل بما ليس في المتصوّر الذهني، وهذا الذي نريد أن يكون في العربيّة التي نهئها لمستقبل واعد.

6- تعال نبادر: أن تكون العربيّة بكم أو لا تكون؛ تكون بما تُبادرون به من أفكار؛ فأفاق البحث العلميّ في حوسبة المعجم الإلكتروني يسير بحُطى سريعة وجيدة، وهناك جملة حقائق يعيشها المعجم العربيّ وعلينا فهمها أولاً ثمّ البحث عن حلول نوعيّة ثانياً. ولا بدّ من رفع كلّ المضايقات اللغويّة حيث لا نزال نعيش مضايقات توصيف المعجم العربي الحديث، فالماضي الذي بقينا فيه جعلنا نعيش التّكرار؛ نظراً لقلّة إنجاز الأعمال الجديدة الضخمة التي ثلّبي مخزون المعاجم الحديثة، هذا من جهة، ومن جهة نشهد قلّة وجود المراجعين والمدقّقين المختصّين في فروع المواد العلميّة. وهذا يقودنا كذلك للقول بأنّ المؤسّسات الجمعيّة تعمل ببطء في هذا المجال، وأعمالها تسير الهوينى، ونحن بحاجة إلى مشاريع كبرى في البرمجيات لوضع الصّرف الحاسوبي، والتّحو الحاسوبي، والدّالة الحاسوبيّة، والمعجميّة الحاسوبيّة للمواءمة بين المنظومات البرمجيّة وطبيعة اللغة العربيّة. ولا بدّ من منهجيّة جديدة لبثّ دمّ الشّباب في هذه الجامعات / الأكاديميات الهرمة التي يجب أن تكون مرافقة ومُرشّدة، وهناك جانب مهمّ وهو نقص الإغداق الماديّ الذي

يحلّ الكثير من المضايقات التقنيّة، وما يتبعها من تشجيعات وجوائز في مجال الصنّاعة المعجميّة.

علينا أن نُبادر باختراع الأفكار، ونُفرِّغ ما لدينا من معارف، ونُعطي كلّ ما نملك من طاقة لهذه اللغة ومن الضروري أن ننطلق، وأعلم أنّ أصعب شيء هو الانطلاق، ولكن من الضروري تحقيق الحركة وهي بركة تحقيق الوجود، ونؤمن بأنّ كلّ حركة علميّة تأتي بالقيمة المضافة. ومن الضروري العمل الجماعي المتعدّد الاختصاصات، والانطلاق من لغة أجنبيّة متقدّمة والأخذ من اللغة الأجنبيّة تنكشف بها خصائص العربيّة، وهناك تأتي الإضافة، لا النسخ المطبّق، والأصالة هي الإضافة. ومن الضروري التماهي مع المبادرات بمبدأ التقويم والتّقييم وربح الوقت. وإنّ نجاح المبادرة/ المشروع لا يؤخذ من نسبته الكاملة أوّل مرّة، وإنّما من نسبته المتدرّجة في كلّ مرّة والتجارب السّابقة النّاجحة تنمو وتدرّج للعلا، وكلّ تجربة ناجحة تزداد تطويراً. ويجب أن نعلم بأنّ التقانات المعاصرة قطار مارّ؛ يتوقّف مدّة في المحطّة، فالراكب يعيش مع الآخرين، والرّافض يبقى وحيداً، ولهذا أن نسير مع المعاصرة، وإلا سننقرض دون إطالة. ويأتي عنوان هذه الملتقى بأنّ الاستثمار في اللسانيات الحاسوبية في صناعة المعاجم الإلكترونيّة عبارة عن فرض لا خيار، فرض لإعادة القراءة في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ بمنطق اللغة عمل وإبداع لا تواكل. فلا توجد لغة متقدّمة ولغة متخلّفة في جيناتها، وإنّما يوجد بجته يعملون على الإبداع في ذات اللغة وتصبح متقدّمة، ويوجد نائمون يعملون على تعليق اللغة وتعطيلها حين. ويجب أن نعلم بأنّ العلم يتوزّع على مجموعة من اللغات، وكلّما وقع

الاهتمام باللغة أصبحت لغة علمية، وضرورة مسايرة متغيرات العصر، وإلاّ تصبح في حكم العدم. وعندما تتوفر الإرادة تفلّ الحديد؛ أي عندما تأتي الإرادة تتوفر القدرة / Quand on veut on peut.

- الخاتمة: أنادي زملائي للخروج من التّنظير إلى التّطبيق، ومن التّواكل إلى التّوكل، وضرورة العمل والتّضحية وصولاً إلى الإبداع، وكلّ ذلك يأتي عن طريق التّطوُّع اللّغويّ. تعالِ نعطِ أقصى ما لدينا، نعطِ الأفكار لنموتَ فارغين قبل أن نرحل. تعالِ نتركِ البصّمات لتحقيق الأهداف، ويزكرنا اللاحقون بقولهم: رحل السّابقون وهذه آثارهم / إنّ أحسن اللاحق فإنّ الفضل للسّابق.

أيّها الباحثون، هناك مشاريع تنتظركم في مجال الحوسبة، ونذكر منها:
ملء الخانات الفارغة في Windows + إضافة الكلمات والمصطلحات التي ليست في القواميس الموضوعية أوّل مرّة + تخصيص معاجم إلكترونية في: لغة الحافلة / لغة المطار / لغة التّماذج الكتابية الرّاقية / نماذج لرسائل التّهنائي والتّبريكات + تخصيص معاجم ترجمة حسب المجالات + تحويل الأرقام إلى حروف + تشكيل مواضع اللبس + جمع المتلازمات + إضافة مدوّنة مصطلحات للمعاجم القديمة + إضافة لغة الإعلام المعاصرة + تطبيقات لغوية في حسن الاستعمال اللّغويّ الوظيفيّ + تطبيقات في تدريس العربيّة بالفيديوهات + الرّصيد الوظيفيّ للغة التّلميذ + معاجم محمولة في: لغة الأبناك / الإدارة / السّوق / الطّاكسي ... وغيرها كثير، فهي في انتظاركم،
فهلاً تُبادرون وتستثمرون!

سلطان القاسمي حامل همّ الأمة العربيّة ♥

- **الديباجة:** صاحب الفضل سموّ الأمير (سلطان القاسمي) سلطان الثقافة والحكمة والإنسانية على قول الشّيخة (جواهر بنت محمّد القاسمي) باسمي وباسم الفريق الجزائريّ الذي يقدّم مادة المعجم التاريخيّ للغة العربيّة، نرفع لشخصكم الكريم آيات العرفان والتّقدير لما تُقدّمونه للمواطنة اللغويّة في جميع مجالاتها، ووجدناكم تحملون هموم الأمة العربيّة بمكامن الاجتهاد لتمكين التّهوض من جديد، وبما تولونه من تعاون وأفعال لنقلة حضاريّة عربيّة كبرى يشهد لها الجاحد، بله الحديث عن المنصف النّزيه الذي لا يرى فيكم إلّا باعث نهضة عربيّة بوسم معاني العلميّة والرجولة والشّهامة وخدمة الأمة العربيّة في القضايا المصيريّة وأنتم الشّخص الذي اشترى وما باع، اشترى الحكمة من (آل القاسمي) فظهرت في حكامتكم وحوكمتكم وفي أصالتكم التي تغلّبت على التّحدّيات الكبرى؛ بتحويل الحلم إلى منجز وظهر ذلك في جملة مشاريع عربيّة كانت مُؤجّلة مُعطّلة، ومن فضلكم وُلد الخير الذي يشهد على ميلاد العهد الجديد، من حاكم الشّارقة التّليد.

سموّ الأمير، جنّناكم ورأينا فيكم صدق القائد المؤسّس صاحب الخير العميم (الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيان) طيّب الله ثراه، وأنتم كنتم له خلصاً عضيداً تباركون كلّ مشاريع الأمّة، ونرى فيكم الأمل في تجسيد مشروع الأمّة العربيّة (المعجم التاريخي للغة العربيّة) مشروع القرن الذي

٧- الكلمة التي أُلقيت في اجتماع مُقرّري الدّول العربيّة للمعجم التاريخي للغة العربيّة. بحضور

سموّ الأمير (سلطان القاسمي). الشّارقة في 3 نوفمبر 2021م.

عرف عديدَ الاجتماعات، وخاضَ الصِّراعات، وشهد مختلف الاستتماعات والانطباعات، ومع ذلك ضاع دمه في أدراج الامتناعات. وها أنتم قلتم يرى هذا المشروع الارتفاع من الانطباع، ويندفع بالابتداع وسيعرف الإشعاع عبر كلَّ البقاع، بما اخترتم له من السَّبَّاع الذين تداعَوْا باندفاع، ليعرف المعجم الاصطناع لا الإِتباع. وكنا من الفريق الذي أعمل الفكر والابتداع، وسارت الأمور على المطلوب والمطاع، وهكذا نرى المجلِّدات تترى وتتداع.

سمو الأمير، ليس غريباً على شخصكم وأنتم الحاكم العالم، فيزغُ بالعالم ما لا يزغ بالحاكم، فجمعتم الأمرين، كما كنتم أنموذجاً مثالياً في قوَّة الفكر والعلم والعمل والإيمان بأهميَّة هذا المشروع، الذي تبنيتموه وعملتكم على إخراج أجزائه الأولى. معجم نام قرناً، وبعثتموه بعثاً، وأعطيتكم له صورة الوجود بهذه المجلِّدات التي نسفت كلَّ التَّقولات بأنه لا يوجد الرّجل الرّشيد الذي تأتي على يده أفكار فعل (فيشر / Fisher) للرفع من سويّة العريّة لتعيش الحراك المعاجمي، وتظهر ما قدّمته للحضارة الإنسانيّة من بدء لغة العروبيات والسّاميات والعصر الجاهلي والإسلامي والعباسي والدّويلات وإلى وقتنا الحاضر، والزّمان كفيل بأن تبعثوا الأمل في شبابنا للاهتمام بمعجمه التّاريخي التّليد، فبعملكم هذا وضعتكم الدّواء على الدّاء، وحصل الأمل، ولولا الأمل لما علا البنيان، ولا اخضرّ الجنان، ولا تسامت الأغصان، ولا تمايلت الأفنان، ولا رُوجت النّسوان، ولا اشتاقت أنثى إلى الرّضعان، ولا تاقَ إنسٌ إلى الرّضوان ولا جان، وصار كلّ ما رآته العين وتراه في خبر كان، لا من نجم ولا شجر يسجدان، ولا من بشر وحشر يعبدان. فنحن محظوظون بأمرٍ مُثَقَّف داعم مُسند لفنون العريّة التي حباها

الله بكم وبأمثالكم من الذين يخلصون ويرثون الأرض ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء 105. وإن أعمالكم ومنجزاتكم تشهد على سعيكم الحثيث في المحافظة على التراث المعماري وإحياء الموروث العلمي والثقافي والأدبي من خلال الاهتمام بالمخطوطات ونشر أمّات الكتب؛ لتكون جوهر تفعيل الحراك الثقافي على امتداد العصور. هي حكمة وعبقريّة فذة أثّرت إيجاباً واقتداءً، وظهرت آثارها في العمران والثقافة والعلوم والبنية التحتيّة والبنية الفوقيّة، فكنتم لها صانعاً بحكمة بصيرتكم. وبتواضع العلماء أرسيتم متطلّبات المستقبل الواعد بأياديكم البيضاء في مختلف المشاريع التي تجعل الأمة تعيش الازدهار المجتمعي. وأراكم مرأى المتنبّي الذي قال:

أَخِيلٌ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تُعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
ما أبعد العيبَ والتقصانَ من شرفي أنا الثّريا وذانِ الشَّيْبِ والهَرَمِ

أيّها الحضور، علينا أن نحافظ على الشرفاء؛ فالشّريف صفّته الشّهامة علينا اتّخاذ القدوة، للبقاء والثّبات، فالتّغور كثيرة، وعلينا سدّها بالعمل الإيجابي وبإنجاز المشاريع التي تُعلي من قيمتنا، وتزيدنا قوّة في الحاضر والمستقبل. وبوركت جهود المخلصين الرّاميّة إلى تقريب العربيّة إلى الأفهام ودفع ما قد يظهر عليها من إبهام. وإنّ العربيّة بحرٌ محيط؛ ذات أفانين في دروب البيان وأساليب المعاني وتصاريف النّظم، فهي لغة فكر وعقل وتدبّر ومن لا يحسنها فما حاز في الفقه نصيباً عن أن يكون في الأصول لبيباً، ومن الضّروري أن تتوضّح فيها الغايات، وتتميّز بها المقاصد من الوسائل

وُعرِفَ فيها الأولويات والموازنات للسَّير في منوال ردِّ الاعتبارات. ومن الأولويات إنجاز المعجم التاريخي للغة العربيَّة وهو قاعدة اللزوميات، وبدونه لا يحصل لنا المقام، ونبقى نعيش في غير الحال، وتغيب عنَّا أركان المعرفة التي تقوم على كتب الصَّحاح وفكر أستاذ فتاح، وعقل عالم رجَّاح، ومسيِّر ناجح مفتاح، وكلُّ هذا يأتي من منتجي الأفكار الذين يحتاجون إلى صاحب القرار. وها نحن في ذات الموقف الذي يحتاج إلى تعاضد أفكار المثقَّف والمقرَّر، ونحن نعيش منعطفات تاريخيَّة قاسيَّة إجباريَّة لمواصلة الطَّريق الذي صنَّعته أقدام السَّابِقين، وسنتنصر برأس مالنا؛ وهو العمل والإخلاص سننجح بعظم هذا المنجز الحلم الذي أصبح حقيقة بفضل كلِّ العلماء المشابرين المرابضين وراء التَّبشُّر والحفر في الماضي والحاضر لمعرفة المعنى وتثبيت الرواة وتحقيق الشَّاهد، ولا بدَّ من مواصلة الدَّرب، وخوض الصَّعاب؛ لأنَّ الأمواج الهادئة لا تصنع بحارَةً جيِّدين، والسَّماء الصَّافيَّة لا تصنع طيَّارين ماهرين، والحياة دون صعوبات لا تصنع أشخاصاً أقوياء. وهكذا مهمَّتنا في هذا المعجم التاريخي للغة العربيَّة سمو الأمير، سيرتفع عالياً، وتكون العربيَّة تُدوَّن تاريخها، وسيكون لكم -سمو الأمير- مقام عالٍ لمعركة العربيَّة في رفع المضايقات اللغويَّة بحكمة ورضا وتفاؤل، وقد عهدناها فيكم. فيا أيُّها الأمير إذا خانني التَّعبير، فلا يخونكم حسن التفسير، فأنتم كالسُّكر حتى وإن اختفى ترك طُعماً حُلواً، بما لكم من جَبْرِ خواطر هموم الأُمَّة، فأنتم لها بما لكم من فكر وتوجيه نحو مزيد من حمل المشاريع. والعربيَّة تبقى تناديكم، وتحتاجكم لفتوحات قادمة في الدَّاخل وفي الخارج وأنتم لا تبخلون. فيا أيُّها الأمير، بهذا المنجز دخلتم التَّاريخ من بابه الكبير واستثمرتم وقتكم الثَّمين في

مشروع الأمّة، فهو طريق الخلود، والعلماء لا يموتون، وأنتم منهم، وكبار
العظماء أحياء وهم رموس. ظلّلكم الله بالورود وسقاكم من نهر الخلود
وعطرّ حياتكم بالعنبر والعود، وصرف عنكم كلّ حاسد وحقود، إنّهُ لطيف
ودود، وأدخلكم وأهليكم جنّات الخلود. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حوار مقدّم لجريدة (صوت الأزهر)^٧

بسم الله الرحمن الرحيم، السّلام عليكم ورحمه الله وبركاته، وبعد؛

أشكر لكم فضلكم بإدراج اسمي ضمن قائمة المستجوبين بخصوص أوضاع اللغة العربيّة وراهن الواقع العربي والإسلامي في ظلّ العولمة وتحديات المستجدات. وأجذني سعيداً لأكون ضيفاً في حوار مع جريدة (صوت الأزهر) ومن خلال هذا الحوار أحيي فضيلة الإمام الأكبر الدّكتور أحمد الطيّب رئيس مجلس إدارة المجلة. وإني لكم شاكر على هذه المبادرة التي أعمل جاهداً على الإجابة عن الأسئلة التي طُرحت عليّ. ويمتدّ الشّكر إلى هذا المنبر الإعلاميّ باسم مشيخة الأزهر الشّريف أدام الله مجدها وعزّها ويمسّ الشّكر من الجزائر الفاضل الصّحافي (مصطفى هندراوي) على حسن أدائه، ونتمنى له مزيداً من التّألق.

وبالنّسبة للإجابة عن المطلوب، إليكم ما بصّرت به من جواب:

1- السّؤال الأوّل: الإنسان بلا لغة؛ إنسان بلا حضارة وثقافة، واللغة العربيّة هي أصل التّراث لمواجهة التّحديات التي تنال من اللغة سواء من وسائل التّكنولوجيا الحديثة أو من برامج التّلفزيون الهابطة، كيف نتجنّب هذه التّحديات؟

^٧- إجابات رئيس المجلس عن أسئلة جريدة (صوت الأزهر) الصّادرة عن مشيخة الأزهر الشّريف بالقاهرة. أجيّب عن الأسئلة وأرسلت بتاريخ 10 نوفمبر 2021م.

1- **الجواب:** لقد ميّز الله الإنسان بالّلغة، وأخرجه من مملكة الحيوان وعن طريق اللغة تفتّحت الأفكار، وتعدّدت المفاهيم، وأنتجت ركاماً من المعلومات التي صنعت مجد الحضارة التي وضعت لبناتها منذ اكتشاف النار، وتتوالى المخترعات، وأصبح الإنسان سيّد الطّبيعة يؤثّر فيها بمجريات أفكاره التّسخيريّة التي أصبحت ممّهدة له يعمل فيها ما يصل إليه فكره من تعمير وتحسين وجعلها تخدم الرّفاهيّة الفرديّة والجماعيّة وما يلحق ذلك من خدمات الشّأن العامّ. وبالنسبة للغة العربيّة كانت وسيلة اتّصال، وقضاء المصالح في حدودها البسيطة، وتنامت عبر عصورها المختلفة، ومن ثمّ نزل بها القرآن الكريم الذي دعّم وجودها التّواصلية عبر القرون؛ وهي تعيش صراع البقاء، وبقيت بحفظ ذكرها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ الحجر 9.

ونمت هذه اللغة ضمن مجموعة لغويّة شقيقات سُميّت بالعُروبيات، ثمّ جاء وقت السّاميات، وأصبحت أمّهنّ بامتياز. ومع ذلك انفردت عنهنّ وظهرا خالصة راقية في العصر الجاهلي، وتطوّرت أيّما تطوّر مع العصرين الإسلامي والعباسي، وعرفت مراحل أخرى تطوريّة في عصر الدّويلات حتى العصر الحاضر التي شهدت نقلات استمراريّة للعصور الماضيّة وفي صورة لغة الحياة اليوميّة. وبذلك يمتدّ عمرها الذي تثبته التّقوش لما ينيف عن واحد وعشرين (21) قرناً. وأضحت لغة تراثنا الكبير الذي يتماهي في القدم، ولم تنقرض أو تموت على غرار اللغات التي عاصرتها فأصبحت من التّاريخ فقط، وما بقيَ إلّا اسمها. ومعجزة العربيّة في عبقريتها التي تواصل فيها الماضي والحاضر، وما يزال الفقهاء والنّحاة يعملون بقاعدة قياس الحاضر على الماضي، وهي سنّة طبيعيّة للحفاظ على هذا الموروث المشترك

وهو موروث السلف، فالأحقّ أن يُحفظ وينال الاستعمال حسب الأرضيّة المعرفية للمكان والزّمان ومستعمل اللغة، ومراعاة المستجدات الطّارئة في كلّ زمان، مثلما هو حاصل الآن في تكنولوجيا المعلومات، وما له علاقة بهندسة اللغة، وهو تطوير لخورازميات (الخوارزمي) ولجبر (جابر بن حيّان). ويتواصل التّحيين باستمراريّة متجدّدة كلّما يحدث التّفصيل الجديد لفكر الإنسان الذي هو مطوّر اللغة. فالآلات الحديثة لم تكن لتسرّع أو تحسب أو تقدّم جواباً لولا ذلك الذّكاء الذي وضع صناعة في الآلة الصّماء، وهي الآلة التي هُنْدَسَ مَنّها الإنسان المبدع الذي يجاري حركات اللغة عبر الامتداد في الزّمان وفي المكان.

وما يمكن أن نعرضه على القراء أنّ الكثير من المزايا في ما تقدّمه الآلة أو بعض البرامج، وفي المقابل هناك ما يجب الاحتراز منه من مثل الإدمان التّواصلية الشّبكي، وما يتبع ذلك من لحظات التّسلّل إلى الصّور الخليعة أو البرامج الهابطة، ومن هنا يستدعي متّاً جميعاً ضرورة التّوجيه لأولادنا في المهاترات الشّبكيّة، وما يتبع ذلك من قضاء الوقت داخل الأعراض الانسحابيّة في مواطأة المهرب من الحياة، وما تُسبّبه من شلل وتلبّد ذهني بإغراءات ملثّمة باسم المسموح والمباح في كلّ شيء... وهي حجّيات بطرائق ملثّمة لا تزرع إلّا الإغراء الفارغ في التّبأ المتدحرج وبخاصّة في التّلهيج اللغوي، وكثرة الأخطاء المؤدّية إلى العمى اللغويّ.

السّؤال الثّاني: هناك من يقول تراثنا ضاع بسبب كثرة المدارس والجامعات الأجنبيّة في الوطن العربي وتعدّدها كنديّة بريطانيّة وإنكليزيّة وانتشارها في البلاد العربيّة انتشار النّار في الهشيم مع أو ضدّ هذا القول؟

2- **الجواب:** قول حقيقيّ، ولكنّه يحتاج إلى الوعي اللغويّ في مجال التّأسيس للغة العربيّة المشتركة وهي الفصحى، فلا شكّ أنّ عدم الإشباع اللغوي للغة الأمّ/ لغة الأمّة سيؤدّي في لاحقٍ من الزّمان إلى إحداث خدوش لغوية في لغة الهوية، ويقع التّباهي والتّماهي مع اللغات الأجنبية التي يراها المواطن العربي أنّها لغات منتجة للعلم، وهذا ما لا يلمسه في العربيّة. ونرى الكثير من العرب يدرّسون أولادهم اللغات الأجنبية وأحياناً يشكّل ذلك خطراً على العربيّة، ومتى يكون ذلك؟ عندما نستبدل لغة الهوية بلغة أجنبية، ونُنزل الأجنيّات مقاماً أعلى من لغات الهوية، وذلك ما يكون باباً من أبواب خلق جيلين في جيل واحد بثقافتين مختلفتين، وتلك هي المصيبة. جميل أن تكون المدارس الأجنبية في بلداننا، والأجمل أن تكون تحت وصاية وزارات التّربية في كلّ بلاد العرب، جميل أن تراقب المدارس الأجنبية في ما تقدّمه من برامج ومحتوى، والأجمل أن يقع تفتيشها من مفتشي أهل البلد وتُزار بصفة دوريّة، وتخضع للشّروط التي تُسيّر المدرسة العموميّة. وأما إذا تركنا المسألة سهلاً، فإنّ قلاقل كثيرة تعمل على خلخلة الانسجام الجمعي بخلق التّخب الوطنيّة التي تحتكم إلى اللغات الأجنبية، ومجموعات من البسطاء المستعملين للغة الأمّ، وهذا ما يؤدّي إلى ظهور قلاقل في المجتمع ويؤدّي ذلك إلى الحروب اللغويّة ويعيش البلد في ضعف التّنميّة؛ لأنّه لم يثبت أنّ أمة ارتقت بغير لغاتها. وكلّما وقع التّماهي في المدارس الأجنبية يكون ذلك تعطيل للتّنمية المستديمة. أنا مع التّفحّح اللغويّ المقيّد بقوانين الدّولة، ومع الإشباع اللغويّ للغة الجامعة في المرحلة الابتدائيّة، وبوضع الطّفل في حمّامه اللغويّ الذي لا تؤثر عليه اللغات الأجنبية التي يأخذ علّمها

مرحلياً مع الإعدادي والثانوي بشكل مقسط لا إفراط فيه. وأما في المرحلة الجامعية أن تكون تعددية لغوية بقاعدة فقهية (حيثما وجدت المصلحة فثمّ شرع الله) أي يجب أن لا نكون أسرى لغة واحدة على أساس أنها لغة العلم، فالعلم يوجد في الكثير من اللغات، ولا نعود إلى سياسة الازدواجية المتوحشة التي تؤدي إلى تغوّل الاجنبيات وتصبح عرفاً لغة وطنية دون دستور. وتصوّري في المرحلة الجامعية أن يكون تدريس المواد الأساس في كلّ التخصصات بالعربية، ويكون مساقان فقط يدرّسان بلغة العلم لذلك الاختصاص. فمثلاً مادة المعلومات، يقع تدريس مواد الأساس بالعربية ويقع تدريس مادتين باللغة الإنكليزية على أساس أنّه لا يُعلّى عليها في هذا الاختصاص، وهكذا في الحقوق يكون تدريس مادتين بالفرنسية فقط ويكون التركيز على المصطلحات، والإسبانية في اختصاص علوم البحار والإيطالية في الأدب الأجنبي، والصناعة الثقيلة باللغة الروسية، ولا ننسى تقدّم قطب اللوزوفونية، وعلم اللغة الصينية، والعلاقات الوشيعة بين العربية وشقيقاتها من اللغات الشرقية...

3- السؤال الثالث: الحفاظ على اللغة العربية هو للحفاظ على الثقافة

العربية علي أساس الهوية التي تجمعنا جميعا لتربط بين أبناء العالم الاسلامي؟

3- الجواب: بالفعل لا يمكن الفصل بين العربية والتراث أو الهوية وفي

معناها المعاصر المواطنة اللغوية. وآية لغة تحمل ثقافة، ولكلّ ثقافة تراث تنامي عبر السنين والأحوال والمرجعيات، وهذا ينطبق على العربية التي لها حمولة الفيل في ضخامة تراثها الكبير. تراث السلف الذي تنامي بدوره عن طريق ركّام الخلف، وتستمرّ الحياة في تكامل بين الأجيال في نشاط إضافي

أحياناً، وتشطبي أحياناً. كما أنّ تكاملاً بين الدين ولغة الدين حاصل بمنطق الفقهاء (ما لا يفهم به الواجب فهو واجب) وإنّ العربيّة لغة وثقافة هي هويّتنا المشتركة كعرب ومسلمين، والأحرى أن يقع الاهتمام بثقافتنا ولغتنا عن طريق الاستعمال والتعميم والتحييب والتّغريب ليقع الاعتزاز في الأخير، وهو لبّ بناء مطالب الأمّة العربيّة التي تُنادي بتعميم لغتها المشتركة. ويجب أن نعلم بأنّه إذا أردت خلق مجتمع منسجم عليك الاستثمار في اللغة المشتركة في ثلاثة ميادين: المدرسة وما يضمّ مفهوم التدريس عبر كلّ المراحل، ثمّ تعميم اللغة المشتركة في الإعلام لخلق وحدة التّفكير والمرجعيات والاستشراف، ثمّ تعميم اللغة المشتركة في المصالح الإداريّة. وإلا سيبقى المجتمع يعيش المراجعات والتّراجعات ويقع في التّفور، وتنعدم التّميّة التي تتلوها التّبعيّة، ومن ورائها تحصل الازدواجيّة المتوحشة.

4- **السؤال الرابع:** كثير من محاولات الاستعمار كانت تستهدف القضاء على لغة البلاد المستعمرة لجعل لغتهم تسيطر حتى ينزع هويّتهم؛ كيف تري ذلك؟

4- **الجواب:** هذا مبدأ أساس وبخاصّة الاستعمار الفرنسيّ فهو استخراب عقليّ تبعيّ، يجعل ساكنة البلد سُخرة له ويقتطع أرضهم ويذلّهم ويخلق التّعرات بمنطق (فرّق تسد) والاستعمار الهولنديّ نفسه والاستعمار الإنكليزيّ أدهى حيث يُلْكُمكَ بلكمات حديدية ملفوفة بالحرير وكلّها استدمار لا استعمار. والأحرى بنا إعادة النّظر في هذا المصطلح فالغربي حيث حلّ خربَ وما عمّرَ بتاتاً، وبخاصّة التخريب العقليّ الذي يجعلك تابعاً ثقافياً، ونسمع الآن عن مصطلح (غنيمة حرب) على الفرنسيّة

المنتشرة في بلاد شمال أفريقيا، وهذا قول التّخبة المُشبعة التي استفادت لنفسها فقط، بينما نجد الأنداد يرون أنفسهم في المنفى اللغويّ فهم في بلادهم يغتوّن بلغة دون رقّاصين. حيث نجد الحاكم المسير يفكر ويسير ويأمر بلغة والعامل صاحب الأيدي والأرجل يعمل بلغة أخرى وذلك ما خلق وضعاً حرجاً في التّنميّة المحليّة، وتعطلت البلاد المستعملة للغات الأجنبية في كلّ مناحي الحياة، لوجود فجوة بين الرّاعي والرّعيّة وهنا تضيق الهويّة ويبقى المجتمع أسير الأجنبي، ولا تعرف له صورة الوجود، ويعيش التّبعيّة المطلقة وتخلق فيه عقدة العبد المطيع، ويصبح عابداً للتّير والقيد، ويرى في المستخرب أنّه أساس في حياته، وبدونه لا يعيش، وذلك هو التّدجين السّليم لمنطق العقل الذي تربّى وراء خبز صناعة التّوجيه والتّذليل، وتحقير الدّات وكلّ ما هو وطني رخيص، وما هو أجنبيّ نفيس.

5- السّؤال الخامس: الأهر حافظ علي شعار الإسلام ولغة القرآن طوال تاريخه، وقام بتخريج آلاف الطّلاب الوافدين للمحافظة على اللغة العربيّة كيف تري هذا؟

5- الجواب: بالفعل إنّ الأهر الشّريف حمل رسالة شريفة، رسالة الدّين والعربيّة، وفي الأهر لا تموت العربيّة، بما فيه من فقهاء اللغة ونحارير العلماء. إنّ الأهر موطن حسن استعمال العربيّة ومن لم ينتم لمشيّختها ما حصل العلم. ونحن في بلاد المغرب هناك حواضر العلم التي نحترمها كثيراً فمن لم يأخذ شهاداتها ما أتى بالعلم، وهي: الزّيتونة والقرويين والأهر وحاضرة مجاية. وتلك في الأيام الخوالي، والآن تغيّر الوضع، ولكن بقيت هذه الزّوايا مُعمّرات للعقول تنير درب المسلم بشعار المسلم على غرار قول

العالم الجزائري (عبد الحميد بن باديس) الإسلام ديننا، والعربية لغتنا والجزائر وطننا. وشعره في هذا المنوال:

شعبُ الجزائر مسلمٌ وإلى العروبة يتنسب
من قالَ حادَ عن أصله أو قالَ ماتَ فقد كذب
يا نَشْءُ أنتَ رجاؤُنَا وبِكَ الصَّباحُ قد اقترَب
وهكذا نجد بيوت تلقين الدِّين عامرة بالحفاظ على لغة الدِّين، والأزهر الشريف منارةً علمٍ قديمٍ وحديث، وهو مقصد العلماء من مختلف القارات وبخاصة من شعوب آسيا التي توفد أبناءنا لهذا البيت المعمور من أجل التفقه في الدِّين ولغة الدِّين وهي العربية. إنَّ الأزهر منارة المغاربة وقد وجدوا أنفسهم فيها وتخرَّج كبار العلماء من هذا الحصن الإسلاميِّ العتيق. فهذا (أرزقي الشرفاوي) والشيخ الخضر من الجزائر، وهذا الندوي من الهند وهذا الشنقيطي من موريتانيا... كبار علماء الإسلام مرّوا بالأزهر دارسين أو مدرّسين، هي منارة وفنارة الإشعاع الدِّيني ذات زمان، ولا تزال تخرّج جهابذة كبار الأمة الإسلامية، فأنعم بها من منارة! وفي رواق الأزهر ولدت أجنحة الطلبة من كلّ بقاع العالم، وفيه توزّع العلماء على القاعات وفيه كانت المنارات تتنافس في من يُقدّم الأفضل.

6- **السؤال السادس:** اللغة العربية أكثر كفاءة في العالم والأوسع تصرفاً ومواكبة للعصر كلما وكلماتها تصل إلى ملايين الكلمات فهي اثني عشر ألف ألف يعني اثني عشر مليون كلمة ويمكن الزيادة عليها فهي واسعة ومع ذلك لا يدرّس بها علوم الطب والصّيدلة؟

6- **الجواب:** هذا واقعها اللغويّ الكبير 12335212 كلمة، بعدد جذورها 16800 جذراً، وهي لغة رسميّة في جميع الدّول المنضوية تحت مظلة جامعة الدّول العربية (22) دولة، ولغة أجنبيّة رسميّة أولى في اثنتي عشرة (12) دولة، ولغة أجنبيّة رسميّة ثانية في ستّة وعشرين (26) دولة، بما مجموعها= ستين (60) دولة، أضف إلى انتشارها الكبير في القارات الخمس وبها يرفع الأذان دون انقطاع ليل نهار. وأمّا جانبها الاشتقاقي فلا لغة تعادلها بتاتاً. ومع كلّ هذا؛ فإنّ لغة العولة بعيدة عنها في محمولها اللغويّ وفي جذورها لكنّها أقوى في الوقت الحاضر، فأين الخلل؟ يبدو لي لا يمكن أن نتحدّث عن مفعولها إذا لم نضعها على محكّ الاستعمال، فنحن نرميها بالضعف ولم نجعلها محلّ تدريس العلوم، نقول فيها نقص المصطلح ولم تُجرَ مجرى الاستعمال ما هو كائن... ولهذا لا يمكن أن تعجزها مصطلحات الطّب وهي أغنى اللغات، علماً أنّ الطّب بقي في جامعة السّربون بالعربيّة ولم يخضع للتلتنة إلى غاية 1624م، وكان بالعربيّة الفصيحة يدرّس بالقوّة والفعل، فهل من المعقول تقف العربيّة عن نقل الطّب بلغة العرب، أو التّدريس أو الاستعمال، وقد نقلت الكثير من العلوم بسرعة، ثمّ أصبح ينقل منها. المشكلة في التّطبيق والعزيمة وصدق التّوايا، ولهذا بقينا نعيش الشّكوك في صلاحية تدريس الطّب بالعربيّة. وإنّ العجز فينا وفي رخاوتنا وهلاكنا وتهاوننا في لغة هي أمّا الجامعة المانعة، وهي لغة الأمّة وقد عبّرت عن همومها بشكل مبهر.

7- **السؤال السابع:** اللغة العربية يتكلم بها نحو نصف مليار من البشر ولكن المليار ونصف من المسلمين يعتبرونها لغتهم الثقافية والدينية كيف تري ذلك؟

7- **الجواب:** تقف مبهوراً وتسمع التيجيري يتحدث بعربية فصحي وهذا إندونيسي بعربية دون خطأ، وتتعجب من تلك الشدة والعزيمة من هؤلاء المسلمين الذين يذوبون في العربية وبعضهم يتأسف على عدم تعلمها وبعضهم يقرأ القرآن ولكن لا يفهمه بالعربية. والعجب الأكبر عندما تجد العربي يعجز عن التعبير، ويلهج في كلامه، وترى العربية تنتحر على فيه... تلك هي المصيبة. وكان علينا أن نكون القدوة في حبنا واعتزازنا واستعمالنا للعربية، ولكن كل ذلك لم يحدث، فهناك هنات وفجوات تحتاج أن نسدّها ونكون نماذج هؤلاء المسلمين الذين يعبدون العربية ويموتون في خدمتها فبخ بخ عليهم. ونرى الاعتزاز بادياً في ثقافتهم الروحية وفي موروثهم العلمي ونجد الإشعاع اللغوي ينير درب البحث في الدالات الثلاث: الدين+ الدولة+ الدنيا، تلازم بين العلوم الدينية والمعلومات وعلم الفضاء، ومخابر اللغات تشع بالطلبة والباحثين باللغة العربية، بله الحديث عن إشعاع الترجمة، ومدارس تعليم العربية لغير أهلها.

8- **السؤال الثامن:** كل الشعائر الإسلامية تدعو إلى الوحدة والتعاون والتكامل، ولكن على أرض الواقع، لا نجد إلا التمزق والفرقة بين المجتمعات الإسلامية؟

8- **الجواب:** تفاءلوا خيراً تجدوه، لا نزرع التّيس، بل نزرع الأمل بالعمل، فالماضي لا يعود، وليكن عبرة كي لا نقع أو لا نعيد الخطأ. علينا العمل بفقهِ الوَحدة والتّكامل والتّعاون ونشدان الأفضل، ويبدو لي بأنّ بوادِر الانفراج تسير إلينا ونحن نصنعها، تسير الهُوَني ولا نمشي القهقري وهذا جيّد ولو أنّها تسير بثوْدة ولكّني أراها مضمونة، وهي الأمل. وكان علينا كسب الآخر بتسامح ديننا، ومحبّة الآخر، ومدّ يد العون للمحتاج ولكلّ إنسان، فإن لم يكن شريكك في الدّين؛ فهو شريكك في الخلق. هي نعمة الإسلام علينا استغلالها وتوريثها بأخلاق الرّسول ص وبقِيَم الإسلام وعفوه وهذا هو الدّرس الذي كان علينا وعيه وكسبه ونشره في رهان الحداثة وتحديّ العولمة، وقبول الآخر، وكسب الحوار مع الأطراف التي لا تعترف بالإسلام.

9- **السؤال التاسع:** الغرب دائماً ما يتلاعب بالمصطلحات كالإرهاب الاسلاميّ أو يوصف بالجمود لتخويف النّاس منه، كيف تردون على هذه الافتراءات ومن الذي يقف وراء الإسلاموفوبيا، وهل هناك ما يسمّى بصراع الحضارات؟

9- هنا يظهر غباؤنا، فهؤلاء يدافعون عن الخطأ بذكاء، ونحن ندافع عن الصّواب بغباء، أليس حريّاً بنا أن نقول: إنّ الفلسطيني الذي يدافع عن أرضه المغتصبة شرف أن يكون الإرهابي الباحث عن استرداد أرضه وأنّ الحرّية لا توهب، بل يُطلب موتها من أجل أن تكون. والإرهابي ذلك الذي اغتصب الأرض، وهنا لا بدّ من ردّ الفعل بمقلوب الواقع، لا بمفهوم انقلب السّحر على السّاحر، فأين الشّيوخ التّزيهون لتصحيح الوضع وتفسير هذه

المصطلحات حسب سياقها، وبحسن الدِّفاع، وأين التَّخبة العربيَّة العالمة التي تخرج من صمتها ومن بيتها وتعلن حسن الدِّفاع بسلمية دون تصنيف أو تعنيف. تلکم هي الخصیصة التي تنقصنا في الدِّفاع عن قضایانا المصیریَّة ونرى الشَّتات یفرّقنا، والأهوال تعصف بنا، ونشهد اندحاراً يدفع بنا إلى المغامرة في الرّهَاب من الإسلام، وهو بریء. وهذا كلّه یأتي في حراك حضاريّ یكون البقاء فيه للأقوى حجّة ومنطقاً وبحوار علميٍّ هادی نصل إلى استكناء قضایا فهم الإسلام فهماً علمياً. وهناك محامد نقف علیها بأنّ التّزيهين من الغربیین یقرّون بسلام الإسلام وبعظمة هذا الدِّین الذي لم یأخذه الجیل الجدید مأخذ السّلف الصّالح وبمقتضیات المنهج المعاصر الذي تتلاقى في كثير من المسلّمات عند الأديان الأولى. ومع كلّ ما یمكن أن یقال عن الإسلاموفوبيا فإنّ منعكسات الواقع تغیرت في كثير من البلاد، وأنّ الإسلام یتمدّد وینتشر في أوروبا بقوة الأهالي لا بقرارات الدّول التي تمنع الحجاب.

10- السّؤال العاشر: كيف يتمّ التّنسيق بين الجالیات الإسلامیة حول العالم والتي تُقدّر بالملايين لتوحيد الجهود لإظهار صورة الإسلام الصّحيحة؟

10- الجواب: الابتعاد عن خطاب العنف، وقبول الآخر، مع ضرورة تفعيل الجمعيات في أوروبا وهي نشیطة في هذا المجال، مع عدم الخروج عن قوانین الدّولة الغربيَّة بغرض قضاء المصلحة المرسلّة والتي أوصانا بها ديننا. وعلى المسلم الدّعوة فقط، والله هو الهادي. ویبدو لي بأنّ الامتداد المكاني في آسيا وأفريقيا الغربيَّة ودول السّاحل وفي أوروبا الغربيَّة والشرقيَّة أنّ عهداً جدیداً للإسلام قادم. ونستبشر بالآفاق الواعدة، وبالعدد الذي نیف المليار

وثمان مئة مليون من المسلمين، والقادم أفضل. ويجب أن نقول الواقع بأنّ الجاليات المسلمة تقوم بواجباتها ومع ذلك تحتاج من بلاد الإسلام الدّعم القانوني عن طريق تدخّل الدّول العربية والإسلاميّة من أجل تسويات بعض الوضعيات العالقة بخصوص المسلمين العالقين. وأما خارج بلاد العرب وعند أهاليّنا المسلمين في آسيا على الخصوص فأنعم به من إسلام يتنوّر يومياً، وبالمسلمين التّشيطين العاملين على التّعايش والمحبة والأخذ والعطاء في حدود ما أنزل الله!

ولا بدّ أن نقول بأنّه يجب على المسلمين في الخارج أن يظهروا سماحة الإسلام، وطرح قضايا السّلم الاجتماعي بمنهج القرآن الكريم الذي أكرم الإنسان وحرّم قتله أو التّشنيع به، كما جعل من الأمر الاختلاف سنّة مثلى بكلمتين (لكم دينكم ولي ديني) وضرورة الوعي المختلف في أحكام الخلاف الفقهي أو الخلاف في التّفسير، وليست من التّناقض أو الرّدة. وعلى الشّيوخ حسن الإحكام في تأطير المسلمين بحركة الاعتماد الديني القرآني وبدلالات الأحاديث التّبوية الشّريفة الموثوقة دون التّركيز على الخلافات الجزئية. وعلى الشّيوخ كسر الأقفال التي كانت عائقاً أمام الاستماع للرأي المخالف وضرورة الاستماع بأرضية مناسبة لكلّ حديث وهذا من متطلّبات مآلات المستقبل للعيش في بلاد غير إسلاميّة؛ باحترام الآخر (المضيف) ومحاولة كسب ودّه وربّما استمالته، والإسهام في تقديم الإسلام في مقابل الإنجيليات أو البروستنتينيات بوجه تيار السّلم والمصالحة المحافظ على إنّيّة المسلم في بلاد الغرب، والعيش معاً بسلام. ولا بدّ من العمل على تضامن مصلحيّ جديد مع الطّرف الذي يخالفنا في الدّين، وهذا من مآلات الزّمن المعاصر الذي

يستدعي التعامل بالقوة الناعمة، وبمسؤولية النخبة الدينية والثقافية في الحفاظ على سلم المجتمعات وتضامنها مهما تباعدت الشقة في مجال الإيمان، ولا بد من استراتيجية مبنية على فقه المعاملات المستمدة من ديننا الحنيف.

11- السؤال الحادي عشر: وثيقة الأخوة الإنسانية جاءت لتخلص العالم من الصراعات والحروب وخصّصت الأمم المتحدة يوم 4 فبراير هل سيساعد على إعادة اللحمة بين بني البشر من جديد لتتماسك، فكيف ترون سبل تطبيقها في كافة المجتمعات؟

11- الجواب: ماذا يتمنى الأعمى؟ يتمنى التور، هناك مجموعات من القرارات الأممية، ومن وثائق حقوق الإنسان، ومن المعاهدات والتفاهات وقد بقيت حبراً على ورق، فلم تنل التطبيق، وبعض بنود المعاهدات تطبق على شعوب دون شعوب، ولا يزال بعض التمييز يسود. ويبدو لي بأن الإنسانية في جينياتها تسعى إلى التكامل الإنساني، وأن اليوم العالمي للأمم المتحدة 4 فبراير هو تأكيد وتنيه لهذا الأمر، وفيه يفترض أن الناس يندفعون مخلصين ضد الصراعات وما يحدث من قلاقل بين البشرية، وكلنا تواق إلى السلم. ومع ذلك يجب أن نقر بأن هناك خللاً أعمياً، وهناك مؤسسات تحتاج إلى رجة، وإلى تفعيل آلياتها الإجرائية بما يتوافق وبيانات التطبيق الصارم فالمشكلة ليست في البيانات أو في النداءات، بل في تجسيد الاتفاقيات. وكل هذا لا يمكن للعرب والمسلمين لن يبقوا متفرجين وهم لا يصنعون القرار ولا يستنفرون الأنفار، ولا يذودون عن الحياض، تُفرّقهم الكلمة، وهم الآن شذر مذر، فالحالُ تغير، ويشهدون على أنفسهم أنهم يخرجون من خريطة الوجود. ولا بد من دعوة جديدة ومن استنفار علمي قويم، ومن وعي

جديد للغتهم ولدينهم، والعودة إلى أصالة أجدادهم الذين عاشوا بوصفة التكامل التي أوصانا بها الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات 13. وأعلم أننا إذا أردنا نستطيع، فتعالِ نصنع الحدث، ليكون لنا موقع ضمن خريطة العالم، كي لا نخرج من الجغرافية المعاصرة. تعالِ نعتز بلغتنا الفصحى الجامعة، تعالِ ننجز المشاريع التطويرية التي ترفع من سوية العربية، وهي لغة الحضارة الإنسانية، تعالِ نعمل على إعادة اللحمة بين بني البشر من جديد ونترك -نحن المسلمين- بصمة في خريطة التاريخ، ويكون لنا موقع في المكان.

وأتمنى لكم كلّ التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أثر تكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغات وتعلّمها^٧

- الدّيباجة: يسعد المجلس الأعلى للغة العربيّة أن يكون حاضراً في جامعة الشهيد (العربي بن مهدي) بأمّ البواقي في شراكة علميّة مع خبر (تعليميّة اللغة العربيّة والنّص الأدبي) بكلّيّة الآداب واللغات، ونسعد بإسهام مديريّة الثقافة التي تعضد المؤسّستين بما لها من أفكار. كما نهنيّ اللجنة العلميّة على اختيار موضوع السّاعة الخاصّ بتكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغات وتعلّمها، لما لهذا الموضوع من مزايا في عمليّة التّعليم؛ نظراً لأثر التقنيات الرّقميّة على اقتصادات المجتمعات، وطريقة العمل والتّواصل والمشاركة في الأنشطة الاجتماعيّة والتّمتّع باللّعب. بله الحديث عمّا يبينه هذا النّوع من التّعليم من تنامي مهارات التّعليم واستخدامها في مختلف مجالات الحياة وأهمّيته في دمج تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في التّعليم والتّعلّم. ومن هنا ما يجب وعيه أنّ الوضع المعاصر وأمام المتغيّرات والنّوازل لا بدّ من أخذ هذا النّوع بالجدية المطلوبة للإسهام في توفير بنيّة تحتيّة تُخفّف التّبعات الاقتصاديّة على الدّولة، وتقلّل من مرافق وتعالج ظاهرة التّسرّب المدرسي وفي ذات الوقت نرى هذا التّعليم يعمل على تحسين بنيّة التّعلّم عن طريق البيئات الافتراضيّة والتّطبيقات المصاحبة في تواصل دائم بين المعلّم والمتعلّم

^٧ - أعدت المحاضرة لصالح خبر (تعليميّة اللغة العربيّة والنّص الأدبي) بكلّيّة الآداب واللغات جامعة العربي بن مهدي، بأمّ البواقي. في ملتقى يحمل عنوان (أثر تكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغات وتعلّمها). بتاريخ 15 و16 نوفمبر 2021م.

داخل وخارج الصّف، كما يتيح نشر المشاريع في نقاشات على هيئة فيديوهات تعليميّة، ويحصل النّقاش الافتراضي الذي يأتي بالتّغذية الرّجعيّة.

المقدمة: نعلم قطعاً بالمتغيّرات الحديثة في مجال التّعليميات، بما تُقدّمه الوسائل التّقانيّة الحديثة عبر التّطبيقات التي تنزل يومياً في google drive، وما ينشأ من مجموعات واتسأبيّة، إضافة إلى مدوّنات التّلقين الصّفي في الفيديوهات، وتطبيقات (Flipped Classroom) وما يأتي من أدوات (Web tools) ... وكلّ هذا أسهم في مهارات التّعليم الدّاتي جرياً وراء المعرفة التي هي متاحة للجميع من خلال برمجيات تفاعليّة افتراضيّة يقدّمها عالم الحاسوب؛ دون التّظر إلى السّن/ الجنس/ معطيات الواقع، بالاستغناء عن الحضور الوجاهي والتّنقل، ودفع المستحقّات الدّراسيّة، وأنماط النّظام الصّفي... وهذا في إطار الأثر الجديد لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في الممارسات التّعليميّة والتي يّتجه العالم نحوها بشكل خاصّ ضمن التّحوّل الرّقميّ الذي تعرفه كافة المجالات.

1- تكنولوجيا التّعليم/ تكنولوجيا المعلومات: بالنّسبة للأولى فهي طريقة منهجيّة لتصميم العمليات التّربويّة وتقومها استناداً إلى أهداف محدّدة وهي ممارسة لتسهيل العمليّة التّربويّة (التّعليم والتّعلّم) وتعتمد نظريّة معرفيّة في التّطبيق. وأمّا الثّانية فهي تتألّف من أدوات أجهزة الحاسوب وملحقاتها التي تمكّننا من إدخال/ حفظ/ نقل/ الحصول على النّائج من المعلومات وتتضمّن: أجهزة الحاسوب ومكوّناتها وملحقاتها الملموسة كالشّاشة، لوحة المفاتيح الفأرة الإلكترونيّة، الطّابعة. (Hardware) + البرمجيات (Software)

كأنظمة التشغيل (Operating Systems) والبرامج التطبيقية (Application Programs) + الشبكات بمختلف أنواعها: (Intranet), (Internet), (Extranet). (Network) + أجهزة الاتصالات والتواصل ووسائلها والهواتف الذكية. والجمع بين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هي التكنولوجيا المختلفة بما فيها شبكات تسمح بالتواصل بين الأشخاص والجماعات بسهولة وسرعة بغض النظر عن المسافة التي تفصل بعضهم عن بعض بهدف تحقيق الأهداف المنشودة. وقد أصبح استخدام تكنولوجيا المعلومات في ميدان التربية والتعليم ضرورة؛ بغية استغلالها في مختلف الأنشطة المتعلقة بالتعليم والتعلم والتي تشمل حقول التخطيط والتعليم والإدارة التربوية، وتطوير الأساليب والمناهج التربوية وتقويمها إضافة إلى تعزيز التعلم والتعليم بواسطة الحاسوب.

2- تحديات يجب كسبها في تعليم اللغة العربية باستخدام التقانات المعاصرة: هناك تحديات كثيرة كان علينا وعيها ضمن البيئة التعليمية الافتراضية التي هي شرّ لا بدّ منه، وكيف لنا أن نستفيد من خدماتها في ما تقدّمه للعربية من تطوير وجودة وسرعة تقديم المعلومات. ومن هنا نوصي أنفسنا بمجموعة من القضايا التي نحن مجبرون على التعامل معها لما لها من أثر تعليمي، وهي:

1/2- الوعي والعمل باللسانيات الحاسوبية: وهذا يؤدي بنا إلى فهم توليف الكلام في الدراسات الصوتية اللغوية النفسية، ولسانيات المدونات بشتى مجالاتها، مع استخدام برمجيات قواعد البيانات.

2/2- التماهي في برمجيات فهم النصوص أو الحوار مع الآلة التي تحتاج إلى الذكاء الصناعي.

3/2- إدراك أهمية ما يقدمه الحاسوب/ الكپتار من خدمات للغات: وهو من أهم المنجزات التكنولوجية المعاصرة، حيث انتشر استخدامه في مختلف ميادين الحياة نظراً لإمكاناته الكبيرة، وكفاءته العالية في الأداء التي وفّرت الجهد والوقت والتكاليف في كافة المجالات. ومن بين هذه المجالات ميدان اللغة؛ حيث يُستخدم في معالجة النصوص/ تنسيق الكلمات/ تقديم البرمجيات/ عرض النصوص لأغراض الشرح والمناقشة الجماعية/ استخدامه في الشّابكة/ الترجمة/ التّعرف على الحارف البصريّة/ استخدامه في برنامج إنتاج الكلام/ توليف الكلام/ التّعرف على النصوص الشفوية/ التّعليم والتّقويم...

4/2- ضرورة استخدام التكنولوجيا في التّعليم في ظلّ الحضور القوي للتكنولوجيا في القرن الحادي والعشرين، وكونها أصبحت جزءاً أساساً من حياتنا.

5/2- استخدام التكنولوجيا في التّعليم له فوائد عدّة، ومنها جعل المتعلّم أكثر مُتعة للطلّبة، وذلك ما يزيد من دافعيتهم نحو التّعلّم.

6/2- سهولة الوصول للمعلومات، وجعل عملية التّعليم أسهل. وخلق مجارٍ تشاركية بين المتعلمين، معلّم متعلّم في نفس الوقت.

7/2- قيام الصّف بجملة مشاريع سنوية شراكة وذلك ما يخلق الجوّ التّفاعلي بين المتعلّمين.

2/8- خلق بيئات تعليمية إبداعية من خلال إنتاج أفكار في الألعاب اللغوية مثلاً، إبداع طريقة تعليمية سريعة...

3- اللغة العربية في سوق الأجهزة الحديثة: هي جملة من التحديات كان علينا جميعاً العمل على رفعها لتكون العربية واقفةً للنّد أمام لغات العولمة وهذا يمكن أن يكون عندما نوجد الأرضية المعرفية اللغوية للعربية وبحواملها التكنولوجية المعاصرة مستعدة للتطوير اللغوي المطلوب ويمكن أن نشير إلى أهمّها:

3/1- كيف نجعل الأساتذة يجمعون بين فقه اللغة، وصناعة المعلومات ودقة التخصص.

3/2- كيف يكون العمل على وصفة سدّ نقص في البرمجيات بالعربية العاملة على برامج التدريب على استخدام وسائل الاتصال الحديثة والتقنيات التكنولوجية.

3/3- كيفية التغلب على ضعف البنيات التكنولوجية والتجهيزات وارتفاع كلفتها.

ولهذا كان علينا -نحن العاملين- على اللغة العربية العمل على مجابهة هذه التحديات في ظلّ الانتشار الكبير لوسائل الاتصالات، ولا يمكن مجابهة ذلك إلا بالعمل على تيسير العربية وعلومها، واستخدام وسائل الاتصال الحديثة في تعليم وتعلّم العربية، وجذب اهتمام الدّارسين وضرورة الرّهان على المبادرات. ومن الضرورة وجود سياسة دعم استخدام الحواسيب في المؤسسات التعليمية، والاعتراف بهذا النوع من التّعليم بما في ذلك الاعتراف

بسياسات التعليم عن بُعد أو التعلّم الافتراضي. وهنا نسأل عن موقع العربية، وإلى أين تتجّه في ظلّ هذا الرّكام المعرفيّ المعاصر. وأرى فيها ما يلي:

1- الإقرار بحاجة العربية إلى الاستثمار في التّقانات المعاصرة في زيادة سعة انتشارها.

2- البحث عن سبل التّهوض اللغويّ من جديد، وحاجتنا ملحّة لنهضة لغويّة شاملة قادرة على تلبية مطالب العصر.

3- العمل على تنصيب مخابر اللغات التي تجمع فرق البحث المختلفة الاختصاصات والتي تعمل في شراكات تخصّصيّة متكاملة.

4- البحث عن الطّريقة الأمثل لإعداد المدرّس إعداداً مناسباً، وتهيئة الطّالب لاستعمال المخبر.

5- ضرورة التخطيط الدّقيق لعمليات التّحديات التّربويّة والثّقافيّة، مع ما يتمشّي ومركّبات كلّ تحدٍّ.

6- التّفكير العميق في أكبر تحدٍّ وهو صدمة المستقبل، المتعلّقة بالفجوة الرّقميّة وهي أمّ المضايقات في الثّورة المعلوماتيّة بالنّسبة للعربيّة.

وبدون هذه الأشياء العلميّة لا نحلم بمجتمع المعرفة، ولا يمكن أن نسير في ركب العالم المتقدّم، ولذا لا بدّ من مشاريع على الأماد الثّلاث حسب معطياتنا الحاضرة والمستقبلية، وضرورة التّماهي في حلّ مضايقات هذه التّحديات التي جعلت العالم قريّة بسيطة بأحاديّة لغويّة فرنكيّة، فأين موقع

العربية في هذه الفرنكة. ويبدو لي أنّ هذه التّحدّيات تعالج على مستوى المدرسة والمبادرات وحسن الحوكمة، مع ما يتبع ذلك من تشريعات وقوانين ملائمة لتنظيم المعلومات ووسائل التّقانات المعاصرة في ميدان التّربية والتعليم.

ومن الضّروريّ التّأكيد على المغامرة العلميّة المطلوب خوضها في بحر تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات لما سوف تقدّمه التّكنولوجيّة من حلول للقضايا اللغويّة العالقة في العربيّة، والتي نراها تستخدم الطّرائق النّاشطة والتّفاعليّة، ومع ذلك تحتاج إلى الجمع بين الواقع والافتراض؛ بتوفير نوع من التّعليم التّفاعليّ مساهمةً في بناء جسور تواصل الطّالب مع محيطه المدرسيّ والمجتمعيّ ومع العالم الخارجيّ، إضافةً إلى إعداد الموادّ التّعليميّة الجيّدة التي تُعوّض نقص الخبرة لدى بعض الأساتذة، وحلّ المشكلات التي تعترض الطّالب/ الأستاذ أثناء عمليّات التّدريس... وكلّ ذلك يؤدّي إلى توفير الوقت والجهد، وإلى تفعيل العمليّة التّعليميّة التّعليميّة بشكل مُرضٍ من خلال تحضير الأدوات اللازمة والوسائل في أيّ وقت وفي أيّ مكان. وكلّ ذلك يعمل على تطوير الأساليب والطّرائق التّربويّة والتّألف مع التّكنولوجيّة الحديثة، وإتقان استخدام المفردات الإلكترونيّة. ولذا لا بدّ من التّماهي مع أوعيّة المعلومات وحوامل الاتّصالات لتحديث نقلة نوعيّة للعربيّة التي يُلام أهلها بأنّهم لا يُبادرون ولا يغيرون أفراداً وجماعات على حسن استخدامها والدّفاع عنها بعمليّة علميّة، وبما يُنتج لها من تطبيقات وخوارزميات ومنصّات بذكاء (OCR) ونحن عنها لاهون وعلى غيرها مُثلهفون. وحسبنا أنّ الحاسوب صالح لكلّ اللغات الطّبيعيّة وأنّ ذكاءه يقبل تشجيرات

وتشقيقات العربيّة بسهولة، وما علينا إلّا استخدام أسلوب المحاكاة في تمثيل الأحداث والاختبارات والألعاب التّعليميّة التي تساعد على إكساب المتلقي للغة العربيّة مهارات عدّة ممّا هو جارٍ في اللغات الأخرى، مع تحوير يناسب خصائص العربيّة. وهكذا نقول: علينا التّفاعّل مع الوسائل السّميّة والبصريّة التي تسمح باستخدام التّفاعّل والإبداع وتنميّة القدرات والمعارف وذلك ما يكسب لغتنا العربيّة منهج التفكير السّليم والبحث في آخر التّقانات ورفع مستوى العطاء التّعليميّ لبناء معرفة العربيّة في ذاتها ولذاتها. وذلك ما يرقى بتكنولوجيات المعلومات والاتّصالات الحديثة بشكل فاعل في تطوير الكثير من المفاهيم التّعليميّة، وتعزيز قدرات الأساتذة والطلّبة على حدّ سواء. فبالرّغم من التّحديات التي صنعتها هذه التّكنولوجيا، فإنّ نتائجها كانت إيجابيّة، وحقّقت الكثير من القفزات العلميّة والمعرفيّة، ومع ذلك نحلم بالمزيد، ونطمح لما هو أفضل بالعمل الرّصين، ونريد أن يكون لنا موقع في تخزين المعرفة بشكل رقميّ، حيث أصبحت توضع كنصوص مكتوبة أو صوت أو صورة أو فيلم أو وثائق ورسومات، وجميعها متوفّرة على الشّابكة فكيف نستفيد منها، وكيف نجعلها سريعة الاستجابة، وكيف نعمل على تطويرها في تطوّر العمليات التّعليميّة من حيث إنّها أعدت أرضيات معرفيّة لمواجهة عصر الآلة، وزادت من كفاءة المعلّم والمتعلّم، وقلّلت من مجهوده في المكتوب وفي المنطوق، وأبانت عن قدراتها في صنع الإبداع، وأمّنت وسائل حديثة أسهمت في حسن الأداء التّعليميّ، وحرّرت المتعلّم من قيد الحضور في قاعات الدّرس للوصول إلى المعلومة، ووفّرت مكتبات رقميّة يمكن الوصول إليها بسهولة وبالمجان ودون طابور، وكلّ ذلك عمل ويعمل على

تفتّق الإبداع المؤدّي إلى خلق المشاريع والمنجزات العلميّة والموسوعات والمعارف المتطوّرة. والمهمّ تعالٍ بُادر، تعالٍ نبين المشاريع لكسب رهان التّكنولوجيا الحديثة في المجال التّعليميّ التّعلّميّ ولتكن جامعة أمّ البواقي تقود المبادرة. وما عليكم إلّا أخذ المقود، وبادروا فالعربيّة تعوّل عليكم، فلا نتركها للتّواكل، بل نضعها في عيوننا ونخدم جلاله الملكة اللغة العربيّة، فنحن السّدنة المعوّل على تطويرها.

قراءة النص، الإشكاليات والمناهج^٧

- **الديباجة:** أسعد أن أكون محاضراً عن بُعد لصالح جامعة الوصل في الشّقيقة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، بإمارة دبي، وفي رحاب مركز جمعة الماجد. ويمتدّ الشّكر إلى كلّ الأساتذة المشاركين في هذه الندوة العالمية، وفي المؤتمر الدوليّ الثّاني للدراسات العليا والبحث العلمي. ولا أخفيكم أنّه نالني الشّرف وأنا أُلقي كلمتي من الجزائر في هذا الموضوع الذي اختيرَ من اللجنة العلميّة التي تُعلي مقامها لحسن اختيار عنوان هذا اللقاء المهمّ، وأنا أُلقي نظرة على أهداف الملتقى، وأجدها تعمل على تعزيز التّواصل بين الباحثين في مجال نظريّة التّكامل، وهي من الدّراسات الحديثة البنيّة التي تتأزّر فيها المجال لخدمة موضوع واحد، في إطار تنوّع الأفكار؛ وصولاً إلى كمال الموضوع من كلّ جوانبه. وينالني الشّرف أيضاً أن أُلقي كلمتي من مقرّ المجلس الأعلى للغة العربيّة بمناسبة عظيمة؛ اليوم العالمي للغة العربيّة في شعارها لهذه السّنة (اللغة العربيّة والتّواصل الحضاريّ) وأرى المحامد متكاملة في الاختيار، وما له علاقة بالمناسبة الكبيرة التي نُحتفي بها بجلالة الملكة اللغة العربيّة، فأنعم بهذا الجمع المضيف! والشّيء اللافت للانتباه هذا الاهتمام بالبحث العلمي في جامعة الوصل، وفتح المجال لطلبة الدّراسات العليا ليُسهموا في منجز هذا اللقاء، وهذا ندرّة في الحقيقة، ولكن في جامعة الوصل

^٧ — محاضرة أُلقيت بطريقة التّحاضر عن بُعد؛ لصالح جامعة الوصل بدبي، دولة الإمارات العربيّة المتّحدة. بتاريخ 24 نوفمبر 2021م.

نراها ملموسة فنعم العملُ في ترسيخ آفاق البحث العلمي لتبادل الخبرات بين المشيخة المنتجة للأفكار، وبين الأتباع المريدين المضيفين ليحصل الإبداع.

إخواني الحضور، أيّها المتابعون، أيّتها الطالبات والطلّبة، ماذا عساني أقول في قراءة النص من حيث إشكاليّاته ومناهجّه، ومن أيّ مجال يُدخله وفي أيّ علم نبحث فيه. وكلمتي المقتضبة تدور في هذا المزج البيني بين الدّراسات وما يستدعيه النص من قرارات لغويّة أو أدبيّة أو علميّة في صور جدليّة تبادل العلاقات بين العلوم والمناهج؛ للوقوف عند محدّدات كلّ مجال، وكيف تتفاعل العلوم فيما بينها، وتستفيد من بعضها بمبدأ مستفيد مفيد. وهي صورة لقضاء المصالح المرسلّة بين العلوم والمناهج لحلحلة كلّ الإشكالات التي تكون نقيضاً أو تضاداً في صورة التّنافر، وهذا ما لا نسير فيه، بقدر ما نسعى إلى صورة بناء بنيان حضاريّ تكامليّ بمبدأ الأجداد "إن أحسنّ اللاحق، فإنّ الفضل للسّابق" وتكامل العلوم فيما بينها وصولاً إلى تحقيق الجودة، وحفظاً لثرائنا الذي كان لا يفصل بين العلوم، بمبدأ علوم اللغة العربيّة. ولذلك يُعدّ النقد أحد الآليات المهمّة في تجديد تعاملنا مع المناهج وتفعيلها والارتقاء بالبحث العلمي نحو الأفضل. ولا يكون ذلك إلّا بتجاوز ما يُعرقّل عمليات التّفعيل، وفي مقدّمة ذلك إشكاليّة الثنائيات القائلة كالأصالة والمعاصرة، والديني والعلماني، والأنا والآخر، وغيرها مما يحول دون تجديد الفكر والإسهام في إنتاج المعرفة ونشّاد التّغيير الذي يتجاوب مع تطلّعات الباحثين وطموحاتهم في عالم يعجّ بالتّورات المعرفيّة. ويتحوّل هذا التّغيير إلى فعل يوميّ مستمرّ.

أيها الحضور الكريم، ويتجدّد الحديث في التدّوات والملتقيات عن النصّ والمنهج؟ فهل يمثّل هذان المصطلحان إشكالاً معرفياً وتاريخياً ومنهجياً في ثقافتنا، حتى تُثار مسألة العلاقة بينهما، وفي أيّ إطار يمكن أن نضعهما وننظر إليهما، وبخاصّة إذا ربطنا الحديثَ عنهما باللغة العربيّة، وعلاقتها بالطرائق التي يمكن أن تساعد على التفكير فيها والتّهوُّص بها، باعتبارها مادة النصّ وأداة المناهج في الوقت نفسه. فهل يمكن أن نفكر في موضوع اللغة العربيّة تفكيراً منهجياً علمياً وليس تفكيراً وجدانياً، وهل التفكير المنهجي في لغة النصّ العربي يفرض على الباحث أن يتأوّل هذه اللغة بالمنطق نفسه الذي تفرضه طبيعة المناهج المعاصرة وهي جميعها، مستمدّة من الثقافة الغربيّة وترتهن إلى تحولات فكريّة وثقافيّة مرتبطة بتحوّلات المجتمعات الغربيّة المعاصرة؟

لا شكّ أنّنا ومنذ عصر التّهضة، ونحن نحاول وفي إطار هذه الثنائيّة (النصّ والمنهج) أن نجد مسلكاً يسمح لنا بالاستفادة من نتائج العلوم ومفاهيمها الإجرائيّة في فهم النصوص العربيّة وتحليلها، وفي الوقت نفسه، كنّا حرصين على إقامة جسرٍ يوصلنا باللحظة الحضاريّة والتاريخيّة العربيّة التي تدفع بحركة الإبداع العربيّة لتتميّز بشخصيتها المتألفة مع زمنها، والتّواقة إلى إنتاج معرفة فاعلة في المشهد الثقافيّ العالميّ.

ولقد وضعنا مناهج دراسة اللغة والأدب، التي وفّدت إلينا، في وضعية ثقافيّة مربوطة أحياناً بثقافة غير ثقافتنا، ووجدنا فيها وجهات النّظر والمواقف توزّعت إلى فريقين، يذهب الفريق الأوّل إلى التمسّك بضرورة الاعتماد على الطرائق العلميّة التي وفّرتها المناهج العربيّة وأثبتت جدارتها في معاينة

الظواهر اللغوية والأدبية، في حين يرى الفريق الثاني بأنه لا مأمّن للغة العربيّة ونصوصها سوى أن نفكّك مغاليق التّراث العربيّ؛ بإعادة قراءته وفهمه والاستفادة من جهود علمائنا، فنرفع بذلك التّعارض بين طموحاتنا العلميّة وهويتنا الثقافيّة العربيّة الإسلاميّة. علماً أنّه قد أسفر التّعارض بين هذين الفريقين على بروز فريق ثالث توفيقيّ؛ يدعو أصحابه إلى الانفتاح على الثقافة الغربيّة، ومحاولة استعارة مفاهيمها الإجرائيّة في دراسة تراثنا، الأمر الذي سمح لنا بإعادة التّظر في كلّ مرحلة من مراحل تاريخ الفكر العربيّ المعاصر، والتّفكير في جدلية العلاقة بين النصّ والمنهج، محمّلين برغبة جامحة في صياغة رؤية جديدة، جذيرة بلغتنا ونصوصنا، وذلك بجعل هذه المناهج -وبخاصّة التي بدت قريبةً من المعرفة التّراثية كعلوم اللغة والتّداولية- قادرةً على أن تُفكّر باسم ثقافتنا، وتُسهّم في إعادة قراءة تراثنا اللغويّ والأدبيّ وواقعنا، بهدف إيداع ما يمكننا في إنتاج نظريات ومناهج خاصّة بنا تنبع من لغتنا العربيّة ومن تراثنا ونصوصنا.

ونحن نعلم أنّ جهوداً معتبرة في هذا السّياق استطاعت أن تُعيد الاعتبار للبحث في اللغة العربيّة كالتّظرية الخليليّة للأستاذ (عبد الرّحمن الحاج صالح) ونظرية المجال التّداولي لـ (طه عبد الرحمن) وغيرهما من الاجتهادات التي قامت على تذكّر التّمودج الثقافيّ العربيّ، والاستفادة من إجراءات العلم التي توفّرها المناهج المعاصرة، وأكّدت هذه الجهود بأنّ في تراثنا وفي واقعنا اللغويّ والإبداعيّ ما يمكننا من تجاوز استهلاك المناهج الغربيّة، وإسقاطها على اللغة العربيّة ونصوصها دون أن نسقّط في الجدل حول مشروعية صواب هذه المناهج من عدمها، فننشغل بهذا الجدل عن البحث والإبداع،

ولذلك كان الأساس في فهم هذه العلاقة، هو البحث عن الإمكانات التي تتيح لنا امتلاك رؤيتنا الخاصة، فنعيد تصويب آلياتنا المنهجية بروح التراث العاقل ونجد لأنفسنا شرعية داخل نسقنا المعرفي وليس خارجه.

وإذا بات التسليم واضحاً بأن نسقنا المعرفي العربي هو نسق نصاني وأن ثقافتنا وحضارتنا العربية الإسلامية هي حضارة النص، فحريّ بنا أن ندرس لغتنا ونصوصنا في ضوء هذا النسق المعرفي، وفي ظل ثقافة الوحي التي أسهمت في إنتاج هذا النسق. ومن هذا المنطلق فقط، يمكن الانتباه إلى جملة الموانع المعرفية والتاريخية وحتى الروحية التي تفرضها اللغة العربية لكي لا نقع في التقليد الفج للمناهج الغربية التي ليست سوى نتاج ثقافة الصراع ونسق المادة.

ونتعلّم أنّ المفتاح الأساس في أية معرفة بالتصوص هو لغتها، وأنّ السبيل إلى لغتها هو التعرف على تاريخها، وهو المبدأ الدينامي الذي تتأسس عليه ولذلك لا نتعجب كثيراً إذا كانت معرفة التصوص وفهمها وتأويلها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوقائعها التاريخية وبعناصرها الثقافية، وهي من الأساسيات التي تجعلنا في علاقتنا بالمناهج نفكر في ما تمّ إنتاجه، وهل أسهمنا فعلاً بإنشاء معرفة تضاهي ما أنتجه الغرب، وقبل ذلك هل أعدنا تقييم ما تمّ إنتاجه واكتشفنا الحقائق كاملة والتي حاول الاستعمار -عن طريق لغته- إحداث القطيعة مع تراثنا، أضف إلى ذلك جهلنا بأنفسنا في إخفائها عتاً... هذا وغيره من المضايقات التي جعلتنا غير مستقرين في مناهجنا، ونتعلّق بالمناهج التي قد لا تناسب خصوصيات لغتنا، ونعمل على تطبيقها عنوة، وبذلك لا يستوي الحال. ولعلّ في مثل هذه الملتقيات نجد فرصة للإجابة عن مثل هذه

الأسئلة والإشكاليات التي تضعنا وجهاً لوجه أمام لغتنا من أجل أن نقيّم أنفسنا، ونراجع طرائقنا في التعامل مع التصوص المختلفة القديمة والحديثة. ونأمل أن يكون هذا الملتقى العلمي العالمي فضاءً للتواصل العلمي الثري.

أيّها الحضور، إنّنا نعيش رهان الحداثة، فماذا نحن فاعلون، وكان علينا القول بأنّه لا بدّ من الخروج من اللامبالاة، علينا أن نواجه الاختراق الثقافي ليس بالرفض ولا بالممانعة، وإنّما بالقوّة الناعمة التي تكشف لنا كينيّة التماهي مع اللغات بحسن الانتفاع من مناهجها، وبما يضيف للغتنا مكارم حضارتها، بامتلاك التخطيط الذي يختصّ بالممانعة، وبطريقة عدم الاستتباع الحضاري، ونحن نسيطر اليوم على جسر مهمّ هو اللغة العربيّة الفصحى بما لها من إمكانات، وبإمكاننا ردم الهوة التي كانت قائمة بين وجهات نظرنا وبين اللغات المتقدّمة في صورة تشذيب الغلط واستبداله بالصواب، والعودة إلى استكنانه زمن التحصيل والتأصيل وزمن العطاء وضرورة الخروج من الاستبداد الفكري الضارب في واقع مجتمعنا والسّعي لبناء أنماط جديدة ومسارات معاصرة، والخروج من عصر التلقين المستبدّ بتصوراتنا ومفهوماتنا لمواجهة انهيار إرادتنا، وعلى العمل العول، وعلى الله التوكّل بمبدأ "أعقلها وتوكّل" وشكراً على حسن المتابعة والإصغاء، ودام العلم في جامعاتنا العربيّة، ومزيداً من البحوث التي تُعلي من جامعة الوصل في اصطياد جواهر موضوعات السّاعة، موضوعات تحمل القيمة المضافة للغة العربيّة التي تحتاج إلى مقام أعلى كلغة أمميّة تقف للتّدأما تغوّل اللغات التي خرجت من الجدل اللغوي ومن الإشكاليات التي تتأسّ عليها قواعد اللغة.

هذه كلمتي مقتضبة، وأرجو أنّي قد وفّقت، والسّلام عليكم جميعاً.

التطوُّع اللُّغويّ[♥]

- **الدَّيَّاجَة:** يسعد المجلس الأعلى للغة العربيّة أن يحتفيَ هذه السّنة 2021م باليوم العالميّ للغة العربيّة 18 ديسمبر ببرنامج جديد يمتدّ على مدار شهر ديسمبر كلّهُ بعنوان (التطوُّع اللُّغويّ). ولماذا تمّ اختيار هذا العنوان؟ لأنّ اللغة العربيّة الجامعة تحتاج منّا إلى مزيد من تقديم الخدمات من أجل تعميمها والعمل على أن تكون لغة العلوم والتكنولوجيا، وتلاحق راهن مستجدات العصر، ولا بدّ من الخروج من الأقوال إلى الأفعال وعدم التّوكل، أو انتظار الإجماع أو القرار السياسي، أو التّبكي على ماضي مُغدق وحاضر مُقلق... ولهذا يحتاج الواقع اللُّغويّ إلى تقديم أفكار ومشاريع في التطوير اللُّغويّ الذي نأمل أن يأتي من سدنة العربيّة؛ بالعمل على الاعتزاز بها، وحمايتها من كلّ ما يعبث بخصوصياتها، وزيادة الخبرة في تعميمها. وكان حقاً أن يأتي متطوِّعون يعملون على تعزيز الثقة في ذات اللغة، لتكون لها مكانة في المجتمع، وفي ذات الوقت العمل على غرس مبدأ خدمة المواطنة اللُّغويّة التي تأتي طوعاً، وتحمل أعباء خدمة الشّأن العامّ. وذلك ما يحصل لهم من مكانة في مجتمعهم، وما سوف يتراكم من خبرات أثناء تطوُّعهم

♥ كلمة رئيس المجلس في أوّل احتفائية بشهر اللغة العربيّة، وحديثه عن موضوع (التطوُّر اللُّغوي) وبرنامج المجلس خلال شهر العربيّة. وقُدِّمت هذه الكلمة في: 1 ديسمبر 2021 بجامعة محمّد بوضياف بالمسيلة+ 8 ديسمبر 2021 في جامعة البشير الإبراهيمي في برج- بوعريج+ 13 ديسمبر 2021 في جامعة غرداية+ 16 ديسمبر 2021 المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف بميلة+ 22 ديسمبر 2021 مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط+ 10- 11 جانفي 2022 بجامعة العربي بن مهيدي بأمّ البواقي.

واستثمار أوقات فراغهم في أعمال اجتماعية تحقق لهم الإشباعات المعنوية المختلفة، إضافة إلى الحصول على الأجر الرباني، وبخاصة عندما يتعلق الأمر باللغة العربية التي لها منافع كبيرة دنيوية وأخروية. ونرى ديننا يحث على مزيد من تقديم التوافل وهي من أفعال التطوع ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 184. ويحث على التنافس في أفعال الخير ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ البقرة 148 ﴿وَفَاعِلُوا الْخَيْرِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الحج 77 ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ القصص 24 ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ الكهف 77... وأن رجلاً جاء إلى محمد ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس". ونرى أن التطوع في الإسلام يؤخذ من الصورة الحسنة التي رسم له سواء من خلال الحث عليه مباشرة أو بواسطة الثناء على المتطوعين باعتبارهم فاعلي خير يستحقون المثوبة من جنس أفعالهم الطيبة.

1- لماذا التطوع اللغوي؟ لقد اختار المجلس الأعلى خيار التطوع اللغوي لمواجهة اللامبالاة اللغوية تجاه العربية، وأن البعض يقول: للعربية ربُّ يحميها، والبعض لا يراها أولوية... ورأى المجلس الأعلى رفع مواجهة بقانون القوة التامة، وبدافع ردِّ الأمور إلى صحنونها، والعمل على تشذيب القدر المشتط المتجاوز من المسألة اللغوية؛ باستحسان وتحبيب وترغيب لا استئصال الأصل الصحيح المطلوب من محتده واجتثائه من جذوره، واعتمد المجلس الأعلى توضيح الفرق بين فقه الواقع والغرق في الواقع، ودعا إلى

التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل والتمييز بين المتابعة المتفرجة والمتابعة المنتجة بتفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ ﴾ الحجر 9. على أن القدسيّة في اللغة تكون بالعمل للغة *Aucune langue sacrée en soi*، وبماثورنا "أعقلها وتوكل" لأنّ الوضع الحالي يشهد الاختراق الثقافي الحامل للغات الأجنبية، ولهذا يرى المجلس ضرورة اعتماد الحصانة اللغويّة بأمن العمل، ونعرف أنّ الإنسان كلّما ابتعد عن لغته الأصليّة أصبحت عملية الاختراق سهلة؛ لأنّه لم يعد يعرف كيف يتعامل مع جذوره وتراثه، ممّا يؤثّر في عمليّة الاتصال بين الإنسان ومرجعياته. ولهذا يرى المجلس الأعلى العمل بالممانعة والمقاومة في سبيل تحقيق تكافؤ في القوى اللغويّة لإدراك سبل الردّ العلمي، بخدمات التطوع اللغويّ المعتمد على التخطيط اللغويّ المانع من الاستتباع الحضاري. وهنا لا ندعو إلى الرّفص للفضاء اللغويّ الجديد، بقدر ما نقول نتماهي فيه بالانفتاح النّدي لا الاندماج الانهزامي المستسلم. ومن هنا؛ فإنّ اللغة العربيّة الفصحى هي سبيل المواجهة للممانعة دون غيرها من اللغات المحليّة، وهي التي تملك الماضي والحاضر والمستقبل. وعليه فإنّه من الأهميّة رفع ضبابيّة الرّؤية عنها ببحوثكم أيّها الطّلبة وحمايتهم دون انهزام نفسيّ، ودون مبالاة. وعليكم الإسهام الفكريّ في واقع لغة المجتمع الجامعة للمجتمع الجزائريّ والعربيّ ولكلّ المسلمين في مساراته بتقدّمكم للفصحى السليمة، والخروج من التلقين المستبدّ بتصوراتنا لمواجهة انهيار إرادتنا، وعليكم العول، فهل أنتم جاهزون؟ ولا نريدكم ألا تتقنوا اللغات الأخرى، بل عليكم ضمان انسجامكم الجمعي باللغة المشتركة، مع تفتح غير متوحّش على لغات المنفعة، وللأسف لا نزال نجهل الفرق بين

إتقان الكتابة باللغات الأجنبية، وإتقان الكتابة بلسان أجنبي، أو ليس من المؤسف أن نرى كتاباً نابغين موالين لفكر الآخر؛ يتحدثون بلغة الآخر من أجل اعتراف العالم بهم فقط، ولا يدرون أنهم زائدون في لغة الآخر وناقصون في مجتمعهم. وما هكذا تُعالج الأمور أيها الشباب الجامعي الطّافح الطّموح، عليكم أن تكونوا بلغتكم أو لا تكونوا والعربية هي المعبر الحضاري الذي كانت زمن الانحطاط، فهل تعجزها أزمان التنوير. ولهذا ترون بأنّ شعار اليونسكو بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية ميسمه (اللغة العربية والتواصل الحضاري) إنه لا يعود الأندلس فهو مفقود، ولكنه يشهد على ذلك ما يشهد من مآثرنا وبصماتنا ووجودنا، وهناك كان الأثر الذي لا يزول:

بأربعٍ فاقتِ الأمصارَ قرطُبةً منهنّ قنطرةُ الوادي وجامعُها
هاتانِ ثنتانِ والزَّهراءُ ثالثُهما والعلمُ أعظمُ شيءٍ هو رابعُها

2- معنى التطوع اللغوي: يعرف (التطوع) في معناه الاصطلاحي أنه عمل إرادي طوعي نقيض؛ الإكراه وريث التبرع، ويُستعمل في أبواب المساعدات الاجتماعية/ الخيرية. ويقول (ابن منظور) التطوع "ما تبرّع به من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه". ويقول (الشريف الجرجاني) "اسم لما شُرّع زيادة على الفرض والواجبات". إذن هو عمل يُبذل بالاختيار يجلب مصلحة للغير، أو يدفعُ مفسدةً عنه، من غير انتظار عِوضٍ مادي بالضرورة. التطوع هو الجُهد الجُهد الذي يبذله أيّ إنسانٌ دون مقابل برضا وبدافع الإسهام في خدمة الشأن العام. وارتبطت الكلمة في نشأتها بمبدأ مساعدة المحتاجين، ثم كانت لها

وظيفة دلالية يجمع الإمدادات والترفيه عن الجنود والاهتمام بالجرحى، كما حملت معاني الإغاثة/ تأسيس جمعيات خيرية تطوعية. وتحمل في عمومها مداليل الإيثار وتضميد الجرحى، وجبر الخواطر، ومساعدة الفقراء بمساعي تطوعية؛ بغرض تحقيق بُعد السلام والتساوي في الحقوق. ثم شهد (التطوع) تطورات عديدة؛ حيث ظهرت منظمات وطنية/ إقليمية/ وطنية/ محلية ذات برامج تطوعية على شكل مؤسسات خيرية تضمن التواصل بين المحتاجين وبين الراعين. وهناك أنواع كثيرة للتطوع على غرار: التطوع لخدمة الحي/ التطوع الافتراضي/ التطوع البيئي/ التطوع التوازلي/ التطوع التعاوني/ التطوع التدريسي... وأما (التطوع اللغوي) فهو يستند على مهارات خاصة ومواهب لتقوية الأساس اللاربي في القيام بالعمل اللساني، وإعمال الجهود العضلية/ الفكرية من أجل حماية الجانب الهوياتي والذاكرة؛ وهو خدمة طوعية في صالح المواطنة اللغوية؛ بتسخير كافة الطاقات الذهنية/ البدنية من أجل خدمة لغة ما. وعادة تكون اللغة الوطنية المشتركة، أو تلك اللغة التي تسعى لنيل مقام الترسيم/ التهيئة، وهذا دون مقابل مادي. ونرى من هذا أنّ التطوع اللغوي خدمة عمومية تُقدّم من أجل الرّفْع باللغة بغية نيل مقامها/ كتابتها/ تطويرها/ تهيئتها/ جمع موادها/ وضع التطبيقات/ تأسيس مجموعات واتسابية... بهدف تقديم خدمات لغوية على غرار: تصحيح الأخطاء/ تقديم الدّروس/ تقديم المشاريع/ الإعلان عن المسابقات اللغوية/ تقديم أفكار أو مقترحات بخصوص قضايا اللغة/ الإسهام في المشاريع القصيرة أو الطويلة المدى بخصوص اللغة/ اقتراح أنماط كتابيّة/ نماذج في تطوير لغوي ما/ تأسيس يوتيوب في تقديم دروس مجانيّة/

الإسهام في حملات تطوعية في تعميم استعمال اللغة في الإدارة أو الإعلام وكل ما يجمع الشأن العام، واللغة من الشأن العام... ويكون التطوع اللغوي بروح إنسانية تعاونية بين أفراد المجتمع / جمعيات مختصة، ووراءها مريدون متطوعون يريدون فعل الانتصار اللغوي من أجل سدّ ثغرات طرح أفكار التشتت أو ما يثير قلقا في المجتمع في مراجعة الذات أو التخلي عن المرجعيات المشتركة، أو مسح الماضي وفي كل مرة نبدأ من جديد، وذلك ما لا يؤسس للحضارة. وأما المتطوع شخص يُسخر نفسه لدرجة الالتزام لتحقيق المطلوب في مجال اللغة؛ بحيث يُطوع نفسه من أجل خدمة مجالية بطريقة من طرائق التطوير اللغوي؛ سواء بنشرها أم تعليمها أم تقديم خدمات لغوية للآخرين في مقامات شتى.

3- أهمية التطوع اللغوي في مجتمعنا: تكمن أهميته في تخفيف العبء عن الجهود الحكومية؛ حيث يُوقر الجهد التطوعي موارد كثيرة إذا ما قام به موظفون متخصصون للتعبير عن احتياجات المجتمع بالمجان، إضافة إلى غرس عملية الشراكة الجماعية؛ فكل فرد يدرك أنه شريك في تحقيق أهداف المجتمع في تبليغ رسالة اللغة التي هي القاسم المشترك التي تحتاج إلى خدمة دون مقابل، أضف إلى ذلك ما يتولد عند المتطوعين من وازع ديني وإيثاري وتحسين المستوى اللغوي، وتعلم واكتساب خبرات ومهارات جديدة، وملء الفراغ وما يتبع ذلك من أسباب اجتماعية تتعلق بخدمة ما يتعلق به المجتمع، وهي اللغة الجامعة التي هي تاريخهم ووطنهم وشخصيتهم وماضيهم ومستقبلهم. وهناك من انتقد ظاهرة التطوع اللغوي في وقتنا المعاصر كون العملية تركز على الفن والعلم والفقه والدراية التامة، وتحتاج إلى متخصصين لا إلى

متطوعين، فلم تعد اللغة العربية بحاجة لمتطوعين يعرفون بها على غرار صدر الإسلام عندما كثُر المنتسبون للدين الإسلامي من غير العرب الذين يحتاجون اللغة لكثرة المستعملين لها، فهم بحاجة إلى كثرة المتطوعين لينشروا اللغة العربية. أما اليوم تحتاج لمتطوعين مُتقنين لفنون العربية، وتقديم الخدمات فيها وبها من أجل إنتاج الأفكار المضافة، وبناء المشاريع العملاقة، واحتساب عمليات التدية مع لغات العلم، واللغات الألفية.

4- التطوع اللغوي لدى المجلس الأعلى للغة العربية: هي نزعة تعبدية عملياتية تفاعلية من أجل جلالة الملكة اللغة العربية التي تتطلب صحة الإيمان، وإخلاص النية، وبرنامج عمل، ومريدين، ونظرية نسقية تقوم على البعد الزماني والمكاني. تلك هي أبعاد مشروعية التطوع اللغوي في احتساب عمل المجلس الذي يملك المنهجية النسقية، وإرادة العمل الاحترافي؛ بسلطة خدمة اللغة العربية بمهارة تُترجم إلى مبادرات وجهود فردية/ جماعية. هي أجراء لعمليات متقنة لعملها؛ تُسهم في تقديم خدمة ملائمة للغة العربية ومعالجة تحدياتها، واستغلال فرصها دون انتظار منفعة مادية، وهذا باستكناه مختلف مجالات التطوع، وتلك التجارب العربية في مجال التطوع اللغوي والتجارب الدولية، ثم المجالات التطبيقية والاتجاهات حيال هذا الموضوع.

إن التطوع اللغوي في عمل المجلس الأعلى مكرمة مُبدعة عن جزء من الذات لصالح الغير من أجل خدمة لغوية، وهذا من خلال الإسهام في مشاريعه الكبرى على غرار: الموسوعة الجزائرية + معجم ألفاظ الحياة العامة + اللغات الوظيفية + إنجاز أدلة في مختلف الاختصاصات + بناء معاجم

والقواميس+ تنشيط ورشات تطوعيّة في تطبيقات حديثة في التعليم وفي الهندسة اللغويّة وفي الألعاب اللغويّة، وجمع مدوّنات من المسموع اللغويّ وتحويلها للمكتوب، وتصحيح الأخطاء، وسبر الآراء، وكلّ ما يدخل في عملية تعميم استعمال العربيّة؛ اللغة المانعة الجامعة... وهذا ما يمكن الحديث عنه من منجزاته الكبرى التي تحقّقت والتي في طريق التحقيق، بالاعتماد على مُريدين/ مُتطوّعين أخذوا على عاتقهم هذه المشاريع يُنجزونها فرادى/ جماعات عن قُرب أو عن بُعد، وقد ترسّخ في ذهنهم شرطُ أساس؛ وهو خدمة العربيّة (لغتي الجميلة) مجاناً؛ بالإسهام في طرح الأفكار المتجدّدة، وجمع المعلومات، والكتابة في المجالات اللغويّة والأدبيّة والعلميّة، وتنقيح محتواها إضافة إلى تقديم الاستشارة المختصّة في الجوانب العلميّة/ النفسيّة/ التربويّة/ اللغويّة، وإبداء حسن النصح والاستشارة، وكلّ ما له علاقة بالجوانب الفنيّة، وفي أعمال الترجمة الشخصيّة أو الآليّة وكلّ أشكال التّواصل، دون انتظار القرار السّياسي وهو موجود في المادة الثالثة من الدّستور، ولكن علينا العمل على إعداد أروضيات معرفيّة لغويّة وأدبيّة وعلميّة لحسن تطبيق المادة الثالثة دون قلاقل وبلا ضجيج، ودون إقصاء للغات الوطنية التي هي إرثنا المشترك نستفيد منه في مواقع استكمال ترخيص اللغة المشتركة، ولكن لكلّ لغة مقامها الذي تصلح فيه. ولهذا ترون أنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة سطر برنامجاً طموحاً من خلال (شهر العربيّة) مع مختلف الشّركاء لتقديم أفكار ومشاريع في تطوير العربيّة لتعود إلى مجدها وتزداد تألّقاً، وإليك هذا البرنامج الذي يُنجز احتفاءً باليوم العالميّ للغة العربيّة 18 ديسمبر 2021م، وبشهر العربيّة:

التاريخ	المؤسسة	الموضوع المتناول	المكان	الملاحظات
28-29 نوفمبر 2021	كلية الآداب والفنون ومخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب.	منجزات المجلس الأعلى للغة العربية- بين الواقع والمأمول.	جامعة حسية بن بوعلي، الشلف	ملتقى وطني
01 ديسمبر 2021	مخبر الدراسات اللغوية والتطبيقية.	التطوع اللغوي.	ج. محمد بوضيف، المسيلة.	ملتقى وطني.
5 - 6 ديسمبر 2021	كلية الآداب واللغات.	أحمد صافي المستغامي - مسار ومنجزات -	ج. عبد الحميد بن باديس مستغام.	ملتقى دولي.
08 ديسمبر 2021	كلية الآداب واللغات.	التطوع اللغوي: مفاهيم وإجراءات.	ج. البشير الإبراهيمي. برج بوعريج.	ملتقى وطني.
09 ديسمبر 2021	المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي	اللغة الوطنية المشاركة والتنمية الشاملة المستدامة.	المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي	ملتقى وطني.
12 ديسمبر 2021	جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	دور الجمعيات الثقافية والعلمية في التطوع اللغوي	مكتبة الحامة.	ملتقى وطني.
13 ديسمبر 2021	كلية الآداب واللغات	التطوع اللغوي: تجارب عربية ناجحة.	ج. غرداية.	ملتقى وطني.
15 ديسمبر 2021	مخبر الممارسات اللغوية	الصرف اللغوي في الفكر اللساني الحديث.	جامعة مولود معمري بتيزي- وزو	ملتقى وطني.
16 ديسمبر 2021	خلية ضمان الجودة.	التطوع اللغوي: تجارب جزائرية ناجحة.	م.ج. عبد الحفيظ بوالصوف. ميلة.	ملتقى وطني.

18 ديسمبر 2021	الاحتفاء الرسمي باليوم العالمي للغة العربية	محاضرات حول عالمية اللغة العربية	مقرّ المجلس الأعلى للغة العربية	ملتقى دولي.
19 ديسمبر 2021	المحقيّة الثقافيّة السعودية	ندوة حول اليوم العالمي للغة العربية	مكتبة الحامّة	ندوة.
20 ديسمبر 2021	جمعية رؤى الثقافيّة.	دور الإعلام في نشر العربية	بلديّة برهوم. ولاية المسيلة	لقاء محليّ.
22 ديسمبر 2021	مركز البحث في العلوم الإسلاميّة والحضارة.	التطوّع اللغويّ في الحضارة العربية.	ج. الأغواط.	ملتقى وطنيّ.
24-25 ديسمبر 2021	المكتبة الرئيسيّة لولاية بسكرة	التطوّع اللغويّ	ج. بسكرة.	ملتقى وطنيّ.
27 ديسمبر 2021	المجلس الأعلى للغة العربية	توزيع الشّهادات على الفائزين في جائزة المسابقة الشعرية حيّ للغة العربية	مقرّ المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر	
30 ديسمبر 2021	مخبر الدّراسات المتعدّدة في تعليم وتعلّم اللغات.	اللغة العربيّة وإجرائيّة الحوسبة الرقميّة، تجربة المجلس الأعلى للغة العربيّة.	ج. أحمد زبانه، غليزان.	ملتقى وطنيّ.

احتفائيات ذات العلاقة خارج شهر ديسمبر 2021. وتكون في شهر
جانفي 2022م.

9- جانفي 2022	المكتبة الرئيسية	اللغة العربية والتواصل الحضاري	مدينة أم البواقي
10 - 11 جانفي 2022	كلية الآداب واللغات	التطوع اللغوي: تجارب عربية	جامعة أم البواقي
22 جانفي 2022	اللجنة الوطنية، وزارة التعليم القطرية + وزارة الثقافة القطرية.	عالمية اللغة العربية	دولة قطر

وهكذا يأمل المجلسُ الاعتماد على أصالة (التطوع اللغوي) الذي نروم أن
يخرج بمجموعة من الأفكار والمشاريع التي تبني هذه المكرمة التي نالها هذه
السنة؛ بإضفاء الرعاية السامية من السيد رئيس الجمهورية (عبد المجيد تبون)
وأن الدولة الجزائرية تُقدّم الخدمات اللائقة من أجل حُسن تعميم استعمال
العربية. وبكلّ هذا الدعم المادي والمعنوي نرى وزنَ العربية يزيد تمكينها في
المجتمع الجزائري للوصول إلى مآلات المطلوب من هذه اللقاءات مع
المُختصين والباحثين والطلبة والمجتمع المدني؛ لتحقيق تكاملٍ تطوعيٍّ بين
اللغة والدين والمجتمع بدالاته الثلاثة: لغة الدين + لغة الدنيا + لغة الدولة
هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يسعى المجلس الأعلى من خلال مقترحات
هذه اللقاءات بناء مفاهيم في علاج القضايا اللغوية عن طريق التطوع
واقترح منهجيات التطوع اللغوي بمفهوم بذل الجهد بزيادة عن الفرض
والواجب، وكيفية تحمّل المضايقات من أجل تحقيق لزوم أصليٍّ ولا إلزام

طارئ، والسَّعي وراء تحقيق عمليات الانتشار اللغوي للعربية مهما حصلت القطيعة أو التَّكيفة أو المعاندة أو ما كان في حُكم الممانعة. ويعدُّكم المجلس الأعلى أنَّه سيجري دورةً تقييميةً حول نتائج هذه الاحتفائية الشهريَّة للاهتمام بتحسين أدائها في لاحقٍ من أعمالنا بتطوير فكرة (التطوُّع/ التبرُّع) من أجل العربيَّة، لتكون مقصداً وطنياً وعربياً وإسلامياً عبر المؤسسات ذات العلاقة، على طريقة أصول الفقه، ما لا يفهم به الواجب فهو من الواجب بأن يكون المقصد اجتماعياً بامتياز، بالشراكة مع كلِّ الفاعلين في خدمة العربيَّة. ونرجو أنَّا بهذه المنجزات الأولى التطوُّعية نكون قد أسَّسنا قاعدة ابتدائية في خدمة العربيَّة بمفهوم التضامن/ التعاون/ التبرُّع من أجل مصلحة مشتركة عمادها العربيَّة الفصحى لغتنا الجميلة الرَّاقية، لغة القرآن الكريم لغة لا تنقرض، لغة المستقبل التي لا تموت، فأنعم بكلِّ خدمة تُقدِّم لها! دون أن ننسى أنَّ المتطوِّع شخصٌ لا يموت؛ بما يتركه من بصمات مجانية في هذا التضامن اللغوي، فيبقى من الذين يُلقَّبون بالرجل الصالح الرشيد: صالح ورشيد مع ذاته، صالح ورشيد مع مجتمعه، صالح ورشيد مع لغته، والله في عون العبد؛ ما دام العبد في عون أخيه.

دور أمحمد الصافي في بعث المعجم التاريخي^٧

أيها الحضور الكرام، أردتُ أن أقدم أمامكم شهادات عرفان، لشخص له علينا من الفضل كثران، وجدير أن ينال الأوسمة بالفيضان؛ من جامعة عبد الحميد بن باديس الشهران، بمعية المجلس الأعلى للغة العربية يصطحبان ومن الأساتيد الذين كتبوا مقالات بالسلطان، ومن هؤلاء الحضور القوي لمتابعة أعمال الملتقى الدولي (أمحمد صافي المستغامي: مسار ومنجزات) باحثون شيوخ وشباب يلتقيان. ورأيت أن أقدم الكلام الوافي في السيد الصافي؛ الذي كان سبباً في بعث المعجم التاريخي. معجم كان مشروعاً ينتصر، وبقي في أبراج الجامع محتضراً، وأضحى حُلماً يُنتظر. وانقلب السحر على الساحر وجاء الرجل المنير، بحسن التدبير وبما أحاط حوله من جماعة التفكير. وأخرج الملف من مغلاق الأبراج وأعمل فيه البصر والبصيرة بالعلاج، وها نحن نشهد الحل لمشكلة المعجزة، وما كان من الخيال أضحى حقيقة. إن الفضل لدور هذا الشيخ إنه الأستاذ (أمحمد الصافي) المستغامي الذي ينال اليوم التكريم، لفعله السليم، وهو أهل لكل تسنيم.

^٧- أُلقيت الكلمة في الملتقى الدولي (أمحمد صافي المستغامي: مسار ومنجزات) تنظيم جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، في إطار (شهر اللغة العربية) بالشراكة مع المجلس الأعلى للغة العربية في جامعة مستغانم، بتاريخ 5 ديسمبر 2021م.

وأريد في البداية تذكير الحضور؛ بأنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة بمعيّة المجلس الإسلاميّ الأعلى أنجزا ملتقى حول (الأدب الصّوفي) وكان (الصّافي) من المسهمين، وقدمته بما يلي: ((أبدأ بأحمد الصّافي، وهو من أهل الصّوفي وقد ضبطت كلماته من برنامج (في رحاب سورة) الذي نشهد له بمخالفاته لثنائيات السّامرائي، ومخرجات إيجاز البيان للصّابوني فهو نسخة من فذلكات (الصّافي)، وأنعم به من البرنامج الشّافي!

أيّها الجمع الكبير، لقد بصرت بأننا نملك عقلاً جزائرياً مهاجراً، يجول في القرآن بالمحجّة، ويردّ على غير أتباعه بالحجّة، ولما اطلعت على سيرته العلميّة، خطرت ببالي المقامة العلميّة، والتي يقول فيها صاحبها: "حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت في بعض مطارح العربة مُجتازاً، فإذا أنا برجلٍ يقول لآخر: بم أدركت العلم؟ وهو يجيبه قال: طلبته فوجدته بعيد المرام، لا يُصطاد بالسّهام، ولا يُقسّم بالأزلام، ولا يُرى في المنام، ولا يُضبط باللجام ولا يُورث عن الأعمام، ولا يُستعار من الكرام، فتوسّلت إليه بافتراش المَدَر واستناد الحَجَر، وردّ الضّجَر، وركوب الخطر وإدمان السّهر، واصطحاب السّفَر". فرأيتُ هذا الوصف - يا أحمد - يليق بكم، بما تجشّمتم من مضايقات طلب العلم في ماليزيا وفي أمريكا وفي كثير من بلاد الغربة. وبعد خروجكم من وهران، حصل لكم التّألق بالأتعاب ومسحتم الصّعاب، وبذلك نلّتم الإعجاب، وإثرها كان لكم المقام، وأنتم جديرون بكلّ المهام)).

وفي هذا اليوم إخواني، ألقي عليكم مقامةً شينيّة، في حقّ هذا الرّجل الشّهامي؛ واخترت قاعدتها حرف الشّين؛ لما له من تصدّر الحروف الشمسيّة، ولمواصفاته الحاملة للهمس والرّخاوة والاستفال والانفتاح، وله

صفة التفشي قوية لا توجد إلا فيه، ولما لدالاتها الحاملة للشموخ والشيم والشعب والشباب والشدة والجياشة والشيبة والجأش والشجاعة والشدو والشغب والشأن والشننة، وغيرها مما يأتي من مشاكلات الشين، وتعمل على بلاغة تشخيص الشرارة الشعرية الشبكية الحاملة للانتعاش، في مدرج وسط اللسان. كما وردت قوتها في شعر العرب القدامى، وهم ينافحون عن الشهرة، ويقولون:

شمسُ شخصِكَ شُهْبٌ تَشِعُّ شمائلٌ مثل شامةٍ شمع شائل

وكما ورد في طرائف الأعشى:

وقد غَدَوْتُ إلى الحانوتِ يَتَبَعُنِي شاوٍ مِثْلُ شَلُولٍ شُلْشُلٍ شَوْلٍ

أيها الصافي؛ هي شينية التّشريف لشخصكم الشّديف، في ما أشعتم من استبشار الجذور؛ التي شاطرتم بها زملاءنا في المعجم التاريخي؛ الذي تجشمت نشاطه في تقيّميش ما أشيع وما أهمل، وتقريش إحياء الشباب في مشمول حروف العربية المحشية بالمستعمل والمهمّل، في وحشات الكتب الصّفراء الشّحيحة، وتشاطرون غشيان الشّارد في وحشته، وتعملون على إشراق شمسهِ؛ حتى تعودَ الى مشرح الاستعمال لا شاكٍ، بل شافٍ. ويأتي هذا المشروع شارحاً؛ يغشاه البشر بشهادة الشّهد، وبتباشير الرّشد، لا يحمل المشاحنة، ولا يُشظي الأبطال، فشرفاً للشيخ الصّافي شرفاً، وشغفاً بعملكم كاشفاً.

أيها المحتفى به، إنّ الأخلان شاطرونا مُنعش الشراب من مُدوناتك، بما أعملوا فيها من شُعلات البحث في ما شهدوه في عالم هو أنتمُ البائعُ

المشتري؛ وأنتم الشُّراعُ المهتدى، وقالوا أشياءهم في باحث اشتدَّ عودُهُ فنفعَ وشفعَ وشتَفَ. ونحن من هذا المكان، نشكر لكم ما حملتموه من شعلة الحلم التي بدأت تتحقّق بالإشراق والعشيّ، في المعجم التاريخي الرّشي وقد أصبحت له شيخاً منتشر الإشارات، بكثير من النشاطات. وأنا واحد من شَهِد شَهِد الأشياء المنتظرة؛ منذ ما يقرب من قرن، من (فيشر / Fischer) والحلم لم ينتشر، والآن نُبشّر أنفسنا بقدوم البشائر، والإشادة بمنجزنا الذي كنتم وراءه؛ تستشعرون سموّه الأستاذ العالم المؤرّخ (سلطان القاسمي) وترفعون له كلّ التّباشير بأن يكون وراء المشروع، فكان له شفيعاً؛ بأنّ أغدق عليه وأشفى. وإنّ المجلس الأعلى يرفع لسموّ آيات الشّكر، ونسأل الله أن يُعلي شأنه، ويُنعشَ ويُشْمَخَ في عرش الرّحمن، فسيكون له بشيراً وشفيعاً يوم الحشر، وتغشاه شآبيب الرّحمة يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه، وتشرق شمسُه التي تشيع بشائره. فأبشّر يا سموّ الأمير، إنكم أتقنتم فنّ التّرقيش في مهام التّفتيش ورفع التّهميش، عن عربيّة التّأسيس إلى عربيّة التّأسيس فلكم بالغ المقام، يا صاحب الشّأن الهمام.

الأخ العزيز (أحمد الصّافي) إنّنا نستشعر صِدْقكم، وما تقومون به في استصحاب هذه الجيوش الباحثة في مشروع الأُمّة؛ المُبشّر بالنّشر المكاشر وأراه قريباً حاملاً شعلة سدّ الشّعور، الذي مسّ شجرة العربيّة في جذورها وأفنانها وشعابها. وإنّنا ندين بالشّهامة لكلّ أصحاب الشّعور بالمهمّة، وأنتم على رأس كشافه شؤون الشّأن العامّ، الذي شدّدت به لم شمل الأُمّة، في اجتياز شُعب المعجم، بمشعل يربط الشّعور، ويسدّ الثّغور، في كلاله الشّعور. كلام كثير استوحشتُ حواشيّه، ولكنّي أدركتُ أنّ المُهمّ في هذه المُهمّة؛ أنكم

تفرغتم بشغف الربّي للمعجم التاريخي، واصطفيتم بشعار المرشد التنفيذي بما جمعتم من مجالات التشظي؛ الذي لم تسطع كثرة عشائر بني قومنا من الغاشي، بما قشموه من كلام وتنظير دون قشيّ وبقي شاقاً في مَهج الحشا دون أن يكون له مَقَسَم الشّفرات الشّماء، فركبتم الصّعب مستبشراً الطّريق تصنعه الأقدام، وانطلق القطار دون صفّارة الإقدام.

فيا أيّها الحضور، لقد انطلقنا، ولقد شغلتنا الجذور، وكذلك شغفنا بالجذور المنجزة، ونيفت الثلاثة آلاف وخمسمئة (3500) وتتواصل المسيرة لتحقيق تقيّميش مادة السّت عشرة ألف وثمانئة (16800) الباقية. والعُهدّة على الرّاوي؛ الذي كان شاهداً على مشاهد الشّرف الذي ناله الفريق الجزائريّ، في الحفر الأفقيّ والشّاقوليّ لاستسهال التّشفير والتّعمية التي انغلقت عليها جذور الشّواهد في عصورها الخمسة الخوالد. وفي كلّ هذا نرى (الصّافي) يُشاطر إخواننا وحُشة الشّواهد: فكّ تعميّة، وإعمال تحشيّة وتبليغ توشيح، وتجسير تشبيك، وذلك ما وحّد الممشى الذي شاعت منه البُشرى. وبقدر ما كنتَ تعضّد الفريق الجزائريّ بالبُشرى، يمتدّ ذات التّعضيد إلى تقديم التّأشير لفرق الوطن الكبير في الورش، وهم حشد من الجيوش بالكثرة التي عملت على اشتغال عامل التّبش في البحث عن الاشتقاق الذي يشدّ المعاني بالشّد، وكان أن أُفيدوا من استشارات أشراف الدّليل الاسترشادي، لمدايل تدبير أرومة التّشجير، من ساميات وعُروبيات وعربيّات وغربيّات وشرقيّات الماضي والحاضر. فأنعم بكم يا رَجُل! فأنّت أمة، والرّجلُ الهمة، وأنّ شهامتكم تطيش كلّ مشاجرة، بما جمعت عليه الجماعة، ولم ترتخ أو تشقى.

شكرنا الباحث الصافي، الذي قدّم الحلّ الشافي، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله بالوافي، وسنشكر لكم القدوة، بما لكم من قدرة، ومهما تجيش نفسي عن الشكر؛ فليس الشأن فيها، ولا في وحشة النفوس إلى أبدانها، بل إلى تشجيعها والاهتمام بها، والنفوس تتوق إلى عُشّها، وإلى من يرفع الغشاوة عنها وكلّما يلكوها الزّمان؛ فحينئذٍ لأوّل عشٍّ. وهنا ولّد هذا السّبيل الذي أضحي شدّقماً شكّم الأشداخ. ها قد عدت، وأنت في مقام الشّهامة والتّسامي والإشعاع، عدت وأنت ورشة تحمل شمعدان مشعل شفاء العرب في مريضهم الذي بقي في فراش مشاعر الآمال، وعلى شاطئهم مركبٌ ينتظر التّشور وبفضلكم جاءت المشورة، ونأمل أن تكون إشراقة، ونخرج من أزمة الكسلان التي لحقت أمة القرآن، ولم تدوّن لمعجمها الشّهان. ويا أيّها المستغامي الشّهام أراك علوي الشأن، وهي مشيخة الكبار الذين تشتاقيهم الجنة بالأشجان ونسأل الله لكم بسطة عُمر الشّيوخ، لتوصيل المهمّة بالشّموخ، وأنتم اليوم في هذا المدرّج الذي يزخر بالشّباب، وكلّ منهم يجلو غشاوة الأبواب، علّه يسهم في مشروع القرن، وتبلغ العربيّة لشاطئ الأمان. وفي هذه البلدة الجميلة؛ بلدة جلاله الصّالحين والعالمين والشّطار الفالحين وبلدتكم هذه ترفع رأسها بكم وأنتم أهل لهذا التّكريم الذي تتوشّحون بوسام بلد الخشوع والعيش معاً بسلام، وفي جامعة الشّعاع ابن باديس الهمام والمجلس الأعلى للغة العربيّة بقصد المهام. مبارك عليكم هذا الوسام مبارك علينا تيجان التّيشان أيّها الكرام ومزيّداً من قطف ثمرات أهل الشّهامة والشّهادة والشّجاعة والحيّاشة، وكلّ ما يوحي به حرف (الشّين) من التّرفّع عن الفِعْل المُشِين، وأختم بالسلام بشعار المؤمنين، السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة في عبد الملك مرتاض^٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَفَى، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَمَنْ بَأَثَارِهِمْ إِقْتَفَى؛ أَمَّا بَعْدُ:

ليس سهلاً عليّ أن أقول شهادةً وافيةً في مقام من مهّد لي طريقاً لهذا المكان الذي أوليته بعد أن وضع (عبد الملك مرتاض) أسس التأسيس للمجلس الأعلى للغة العربية، وكنت عضواً في لجنة لها مواصفات القلب للجسد، وكان يقف بجانبنا حاثاً على شدّ الهمة للوصول بالعربية إلى برّ الأمان، بما كنّا نقترحه من أفكار، في صناعة التدبير؛ لعربية التنوير. ورأيت من خصال الأدب ممثلة في شخص الرئيس بما هو من الإبداع في صور لا تدخل في الاتباع. ونال من نفسي ذلك منال المريد، وأحسب أنّها من شخصي من المستزيد. تلکم هي المقامات الأول الذي حصلت لي بها الرعاية، وكانت أحد فروع الجراءة التي جعلتني أقول هذه الكلمات البسيطة. ومع ذلك أقف موقف المهاب لجلال ما يقال في حقّ رجل مهاب الجانب عظيم الأثر. ولذا ترونني أقول بعض الكلام وأنا خاوي الوفاض، لا أمليّك بلغة رصينة، وبضاعتي ليست مزرعة، لأجود بما في جعبتي عن شيخنا وأستاذنا (عبد الملك مرتاض) ونعتزّ به ونرفع الهامات، ذلك ما يجب علينا قوله والاستفاضة فيه أمام علامة جهيد من جهابذة اللغة والأدب. فلا أحد

^٧ الكلمة التي سجلها الرئيس لصالح قناة الشروق الجزائرية في 6 ديسمبر 2021، بجامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، على هامش أشغال الملتقى الدولي حول (أحمد صافي المستغانمي - مسار ومنجزات-) تنظيم مشترك بين المجلس الأعلى للغة العربية وجامعة مستغانم.

يَعُزُّبُ عَنْ عِلْمِهِ الْمُنْزَلَةُ السَّامِيَّةُ، وَالذَّرْوَةُ الْعَالِيَّةُ الَّتِي تَبَوَّأَهَا أَسْتَاذُنَا فِي السَّاحَةِ الْأَدَبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْجَزَائِرِيَّةِ، فَكَيْفَ لَا يَظْفَرُ بِهِذِهِ الْجَائِزَةُ وَهُوَ مَنْ يَسْعَى بِالْعَا بِيَهْمَتِهِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ خَاطِبًا لِنَفْسِهِ أَسْنَى الْمَطَالِبِ، مُسْتَقِرًّا فِي أَرْفَعِ ذِرْوَةٍ، مُتَمَسِّكًا بِأَوْتَقِ عُرْوَةٍ، عَرَفَ لِلْعِلْمِ حَقَّهُ وَفَضْلَهُ وَسَلَكَ بِهِ طُرْقَهُ وَسُبْلَهُ، نَظَرَ فِي سِيرِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ، وَتَتَبَعَ آثَارَ مَنْ سَلَفَ، وَتَقَلَّبَ فِي مَجَالِسِ الْحِكْمِ، إِلَى أَنْ صَارَ نَسِيحَ وَخِدِهِ، وَقَرِيعَ دَهْرِهِ.

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الْإِحْتِفَاءِ بِالْمُحْتَفَى بِهِ سَلَفًا أَسْتَاذُنَا الدُّكْتُورُ (عَبْدُ الْمَلِكِ مُرْتَاض) وَهُوَ يَفُورُ بِجَائِزَةِ (الْعُوَيْسِ الثَّقَافِيَّةِ) فَمُبَارَكٌ لَهَا بِهِ، فَهِيَ لَمْ تَضِلْ طَرِيقَهَا فِي الْوُصُولِ إِلَى مَنْ هُوَ حَقِيقٌ بِهَا، إِنَّ جَائِزَةَ الْعُوَيْسِ كَانَتْ مِنْ نَصِيْبِهِ، وَيَسْتَحِقُّهَا مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ، وَقَدْ جَاءَتْهُ تَسْعَى مُتَأَخِّرَةً، وَفَتَحَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ لَهُ وَلِلْعَالَمِينَ: هَيْتَ لَكَ مَعْتَدَةٌ.

لَا يَسْعُنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا أَنْ أُسَجِّلَ الْإِعْتِرَافَ بِفَضْلِهِ عَلَى الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ عُمُومًا وَالْجَزَائِرِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، وَأَنُوءَ بِجُھُودِهِ الْقِيَمَةِ، إِذْ لَا نَهْمُنَا هَذِهِ الْجَائِزَةُ بِقَدْرِ مَا يَهْمُنَا الْأَثَرُ الْفِكْرِيُّ الْعَمِيقُ الَّذِي تَرَكَهُ هَذَا الرَّجُلُ الْفَدُ بِقَدْرِ مَا يَهْمُنَا الثَّرَاثُ الْمَعْرِفِيُّ وَالْفِكْرِيُّ وَالْمُنْهَجِيُّ وَالْأَكَادِمِيُّ الَّذِي خَلَفَهُ هَذَا الرَّجُلُ فِي رُفُوفِ الْمَكْتَبَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْجَزَائِرِيَّةِ، فَقَدْ كَتَبَ فِي مُخْتَلَفِ الْحُقُولِ الْمَعْرِفِيَّةِ؛ نَظَرَ لِلأَدَبِ الشَّعْبِيِّ، نَظَرَ لِلتَّقْدِ، وَنَظَرَ لِلْبَلَاغَةِ، وَنَظَرَ لِلرُّوَايَةِ وَالسَّرْدِ، وَنَظَرَ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كَتَبَ فِي جَمَالِيَّاتِ الْجَمَالِ، أَلَفَ فِي مَجَالِ نَظَرِيَّةِ الْقِرَاءَةِ وَتَحْلِيلِ الْخِطَابِ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْحُقُولِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْمُتَنَاقِضَةِ.

هي أبحاثٌ أنيقةٌ، وأنظارٌ دقيقةٌ، وتقريراتٌ رائقةٌ، أفرغَ في تحصيلها جهدهُ، وبَدَلَ فيها وكدهُ وكدهُ، كُتِبَ حَوَتْ العُلُومَ النَّافِعَةَ، مِنْ الْأَدَبِيَّاتِ وَاللُّغَوِيَّاتِ، وَبَرَهَنَ بِمُقَدِّمَاتِهَا نَتَائِجَهَا، وَذَلَّلَ صِعَابَهَا، كُتِبَ مُهَذَّبَةُ الْفُصُولِ مَرْتَبَةُ الْفُرُوعِ بَعْدَ الْأُصُولِ، لَا تُوجَدُ إِلَّا بِالتَّأَمُّلِ الطَّوِيلِ وَالتَّصَفُّحِ الْكَثِيرِ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الْمُصَنَّفَاتِ؛ فَوَجَدْتُهَا تُدَلُّ عَلَى تَبَحُّرِهِ فِي الْأَدَبِ وَتَمَثُّلِهِ فِي التَّقْدِ، إِذْ لَا نَجِدُ لَهُ أَثَرًا فِي كِتَابَاتٍ غَيْرِهِ مِنْ تَقَادِ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ قَاطِبَةً، فَعَلَى لِسَانِ يَوْسُفَ وَغَلِيْسِي أَقُولُ: "عَبْدُ الْمَلِكِ مُرْتَاضٌ هَذَا الرَّجُلُ أَحَدُ الْأَحْدِيثِ، نَاقِدٌ شَدِيدُ الْعَارِضَةِ، رَاجِحُ الْعَقْلِ، طَافِحُ الْقَلْبِ، مُجَنِّحُ التَّفَكِيرِ، مُتَفَتِّحُ التَّعْبِيرِ، مَنْ ذَا الَّذِي يُرَاوِدُ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى جَدِيلَتِهِ؟ مَنْ ذَا يَعْشَقُ لُغَةَ اللَّهِ كَمَا يَعْشَقُهَا عَبْدُ الْمَلِكِ مُرْتَاضٌ؟ أَلَيْسَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُرْتَاضٌ مَنْ تَعْنَى كَمْطَرِبٍ أَوْ يِيرَالِيٍّ بِعَظَمَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي كِتَابِهِ نَظَرِيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؟". ...

وَإِذَا تَحَدَّثْتُ عَنِ اللُّغَةِ الْمُرتَاضِيَّةِ أَقُولُ: إِنَّ كَلِمَاتِهِ حَاضِرَةً فِي ذَاكِرَتِنَا بِجَمَالِهَا وَطَرَفَتِهِ وَعُمُقِ مَعَانِيهَا، تِلْكَ اللُّغَةُ الْمُعْجَمِيَّةُ سَلِيمَةُ الْبِنَاءِ، اللُّغَةُ الْفَنِّيَّةُ جَمِيلَةُ النَّسِيجِ، لُغَةُ آسِرَةِ الْوَقْىِ مُسَابَةُ كَالْمَاءِ الثَّمِيرِ، وَمَرْمَرَةِ الْحَرِيرِ... وَنَحْنُ نَصْنَعِي إِلَى هَمْسِهَا نَسْتَحْضِرُ بِهَا عَبَقَ اللُّغَةِ الْفَنِّيَّةِ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِأَنْعَامِ حَرْفِهِ، مِنْهَا حَرْفٌ تَوْضَأُ وَاحْتَرَقَ حَرْفٌ تَلَوَّنَ بِالْحَيَاءِ... وَالتَّأَمُّلُ فِي لُغَتِهِ يَجِدُّهَا مِنْ مُسْتَحْسَنِ اللَّفْظِ، وَبَارِعِ الْعِبَارَةِ وَنَاصِعِ الْاسْتِعَارَةِ، وَرَوْعَةِ التَّنَاسُقِ، وَقُوَّةِ الْأَسَالِيبِ وَالتَّرَاكِيِبِ؛ فَقَدْ تَعْنَى بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَرَامَ الْإِفْصَاحَ بِهَا، وَبَلَغَ دَرَجَاتِ الْإِثْقَانِ وَالْجَوْدَةِ فِي التَّعْبِيرِ، فَقَدْ تَرَقَّى فِي مَدَارِجِ الْإِبَانَةِ وَالتَّبَيُّنِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْإِفْصَاحِ، تَشَرَّبَتْ نَفْسُهُ حُبَّ الْعَرَبِيَّةِ، فَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ اللُّغَةَ، بَلْ يَتَنَفَّسُهَا وَيَسْتَنْشِقُهَا وَيُخْرِجُ الزَّفِيرَ

أَلْفَاظًا جَمِيلَةً عَذْبَةً شَجِيَّةً مُؤَثَّرَةً بَلِيغَةً يَتَذَوَّقُهَا الَّذِينَ يُحْسِنُونَ اللَّغَةَ وَيَعَشَقُونَهَا وَيَتَفَيَّؤُونَ ظِلَالَهَا، وَيَتَسَمُّونَ عَيْرَهَا وَأَرِيحَهَا.

أَقُولُ فِي الْخَتْمِ: إِنَّ وُجُودَ (عبد الملك مرتاض) فِي السَّاحَةِ الْعِلْمِيَّةِ هُوَ وُجُودٌ مَنْ سَعَى فَوْقَى، وَأَثَرَى فَأَعْطَى، وَجَلَّى فَتَجَلَّى، وَأَغْنَى فَأَقْنَى. وَإِنَّ هَذَا التَّوْجِيعَ بِمَا نَالَهُ مِنْ جَائِزَةٍ هُوَ تَوْشِيحٌ لِسَادِنِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي عَمِلَ عَلَى تَطْوِيرِهَا بَعْدَ زَبْرِهَا فِي تَنْظِيرِ لُغَوِيٍّ، وَإِبْدَاعِ أَدْبِيٍّ وَسَرْدِ رَوَائِيٍّ، وَرَأْيِ نَقْدِيٍّ وَبِهَذَا ارْتَقَتْ أَدْبِيَّاتُ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَدَارِجِ الْعُلَا، وَقَالَتْ: أَنَا هَا فِي السَّهْلِ الْمَمْتَنِعِ الَّذِي يَرْقَى وَيَتَرَى، فِي مَدَارِجِ الْكَلَامِ وَالْإِبْدَاعِ الْمَرْتَقَى. وَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَاتُ الْهَيَامِ بَلُغَةً لَهَا رَجْعُ الصَّدَى، وَأَثَرُ الْمَدَى. فَبُورِكَ لِلجَائِزَةِ مَا حَصَدَتْ مِنْ مَرَاتَضِيَّاتٍ، وَمَا سَوْفَ تَشِيْعُ فِي الْعَالَمِيَّاتِ، وَإِنَّهَا لَيْسَتْ الْقَطْرَ الَّذِي يَنْهَمِرُ، بَلْ هِيَ مِنَ الْغَمْرِ الَّذِي نَالَهَا مَذْأَخَذَتْ طَرِيقَهَا فِي مَجْرَى السَّيْلِ الْمَنْهَمِرِ. وَنَبَارِكُ لَأَنْفُسِنَا هَذَا الْمَكْسَبَ الْمَعْنَوِيَّ الَّذِي ذَلَّلَ عَلَيْنَا هَيْبَةَ نَيْلِ الْجَوَائِزِ الْعَالَمِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَمَنْ الْفَخْرُ أَنْ يُتَوَجَّعَ مَبْدَعُنَا بِهَذَا التَّكْرِيمِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهَا. فَبُورَكَتْ خَطَوَاتُ الْمَبْدَعِينَ، وَمَزِيداً مِنَ الْفَاعِلِينَ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَامِلِينَ.

الشيخ أحمد حمّاني ♥

الدّيباجة: ليس سهلاً أُلقيَ كلمةٌ في هذا المقام الذي أجدني فقير الكَلِم أمام مشايخنا الكبار الذين نسمع ونستمع لهم وهم يُلقون علينا خطباً جَمّة في جلال وخشوع، والأصعب عندما تغيب عليّ الكلمات في الحديث عن الجُهد النّحرير العالم الكبير المرحوم (أحمد بن محمّد بن مسعود بن محمّد حمّاني) الشيخ الفقيه؛ وليس لي به صلة جيل، ولا احتكاك، وكلّ ما يجمعني به بعض المتون التي عُدت إليها من كتبه: الإحرام لقاصدي بيت الله الحرام + صراع بين السّنة والبدعة + فتاوى الشيخ أحمد حمّاني (3 أجزاء) + من الشّهداء الأبرار: شهداء علماء معهد عبد الحميد بن باديس + الدّلائل الباديّة على ضلال البائيّة وكُفر البهائيّة. هذا من جانب، ومن جانب آخر ما كنت أسمعه في بعض الفيديوهات من الخطب في الوعظ والإرشاد والوطنية والشّروح ومستلزمات اللغة العربيّة، وكلّها جعلتني أقول: نحن نحتكم إلى مشيخة ومرجعيّة عظيمة ولا ندري قيمتها، وليس لدينا اطلاع على أسفار علمائنا المتنوّرين، وهم حملة القرآن الكريم، فالحقّ الأحقّ بأنهم ورثة الأنبياء .

أيتها النّخبة العالميّة، لا أحدثكم عن حياة الشيخ؛ فهي من الماضي، بل يمكن الوقوف على بعض محطّات حياته للعبرة والاعتبار؛ حيث العصاميّة تدفعه للانتصار، والجمع بين العمل والتّدريس سنّة لا بدّ لها من ترسيخ وطلب العلم في كثير من الأوطان، فضل محمود لدى جيله من أصحاب

♥ - أُلقيت الكلمة في مقرّ الإذاعة الوطنيّة بتاريخ 09 ديسمبر 2021، في ذكرى ميلاد الشيخ أحمد حمّاني.

التَّيْجَان، وحفظ القرآن والشُّروح إلى جانب التَّزَوُّد بالمتون، ضرورة لازمة بحفظ مختلف الفنون، وحضور المحاضرات، والمشاركة في المظاهرات من أصل الوجود تعلّموها من خلال المناظرات، وغير ذلك من ممارسات كانت سمة عصره، وشعارَ مَصْرِهِ، وبيانَ قومه، فانصدعت في مشيخة شيوخنا الذين هم رموس، ولكنّ أفضالهم بيننا تسوس، وسيعودون يوماً ويسألوننا هل حافظتم على الأمانة، ونقلتم الرِّسالة، وكنتم خير خلف لخير سلف. ومن هنا إخواني ودِدْت أن يقع تركيزي في هذه الكلمة حول ردّوا الأفضال لذويها، كي لا ننسى الأفضال بيننا، ونحتفي بكبارنا اعتباراً لأولادنا؛ ليحتفوا بنا، ونسنُّ لهم سِتَّةَ تكريم الشَّهداء والعلماء والعالمين والمخلصين والمجاهدين وضرورة استصحاب أهل الفضل لأخذ الفضل منهم قبل أن يُغادروا ونأخذَ منهم الحكمة والعلم، ونجعلهم يموتون فارغين من العلوم التي نحتاجها في حياتنا لنسير على هُداهم، وننجحَ في مسارنا، فهم يملكون وُصُفات العيش معاً بسلام، ووصفات التَّآخي ونقل العلوم، وإعمال العقل في الثَّقَل .

أيُّها الحضور، قبل أن نلجَ دروباً شائكة، ونقطعَ مسافاتٍ طويلةً، فإننا نصغي إلى هَمْسِ آيِ القرآن؛ لنستحضرَ به فضلَ العلماء. وإنَّ أوَّلَ ما نزل من آيات القرآن الكريم على نبيِّنا الكريم، وهو يتعبَّد في غار حراء، قول الله سبحانه وتعالى: (اقرأ باسم ربِّك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم)، فكانت أوَّلَ صيحةٍ تسمو بقدر العلم، وثنوّه بمكانة العلم، وتُعلنُ الحربَ على الجهل وتجعل اللَّبَنَةَ الأولى في بناء المسلم أن يقرأ ويتعلَّم، وأردفها بآيات بيّنت في كثير من السُّور التي تُشيدُ بدرجات العلماء، وبإبراز منزلتهم ومقامهم، فقال:

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ... وعليه؛ فلا أحد يعزب عن علمه المكانة السامية للعلماء؛ فالعلماء ورثة الأنبياء، العلماء أعلام الإسلام، العلماء سادة الناس وقادتهم الأجلاء، العلماء وما أدراك ما العلماء أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، أهل الرحمة والرضا، بهم يحتذى ويهتدى ويقتدى. وكم من طالب علم علموه، ومن تائه عن طريق الرشد أرشدوه، ومن حائر عن سبيل الله بصّروه ودلّوه، وإن بقاءهم في العباد نعمة ورحمة، وقبضهم وموتهم عذاب ونقمة. وإن العلماء تحتنفى بهم الأمم العظمى، ويتشدد بأمجادهم الخطباء، ويتغنى بمفاتنهم الشعراء، ويتفنن في مجالسهم الكتاب، ويلبسونهم الحلل الضافية من نسج أقلامهم العالية.

إن العلماء هم الأئمة الثقات، والأعلام الهداة، مثلهم في الأرض كمثل النجوم يهتدى بها؛ قال صلى الله عليه وسلم: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء؛ يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أو شك أن تضل الهداة رواه أحمد. العلماء علماء بالله تعالى وبشرعه هم أهل خشية الله، والعلماء شهداء الله في أرضه، وخلفاء الرسول في أمته، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم الكريم، الموصوف بصفات الكمال والمنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم، وأكثر."

أيها الجمع الكريم، دعوني أستفيض في الحديث عن علمائنا؛ ليكون هذا الكلام عبرة لناكري فضل العلماء، وهم زينة الأرض، وهداة الناس في

دياجير الظلام، وهم كالماء والغيث في الأرض المقفرة، وهم الشمس للدنيا والعافية للناس، والناس بحاجة إليهم كحاجتهم للطعام والشراب بل أشدُّ قال ابن القيم في (إعلام الموقعين): "العلماء فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خُصُّوا باستنباط الأحكام، وعُنُوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة التجوم في السماء، بهم يهتدي الخيران في الظلمات، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)".

أيها الحضور، لا عزٍّ لأمّة دون الاعتزاز بالعلماء، وإنّ الناظر في تاريخ أمّتنا، يجد أوجَّ ازدهار الأمّة ورقّيتها ونصرها، كانت في عهود قيادة وحكم العلماء الأتقياء الأوفياء أو القادة العظام ذوي العلم والفقه والرأي والمنعة والعمل بمشورة العلماء. ومن هنا نقول: لا خير في أمّة لا توقّر علماءها، فلا بدّ أن ننظر إلى علمائنا من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلّا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل. وقد حدّثنا العلامة الشّيخ طاهر الجزائري؛ وهو على فراش الموت بكلمات حقّها أن تُكتب بماء العيون لا بماء الذهب؛ إذ قال رحمه الله: "عُدّوا رجالكم، واغفروا لهم بعض زلّاتهم، وعُضّوا عليهم بالتواجد لتستفيد الأمّة منهم، ولا تُنفروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم". ومن هنا أقول: علينا أن يقع الاهتمام منّا بسير العلماء التي نروم أن تورث

للأجيال، وإنّ تهميش العلماء، وعدم إنزالهم منزلتهم اللائقة بهم من الاحترام والتقدير والاستنصاح منهم في أحوال العباد والبلاد ضياعٌ لمصالح الأمة، وذهابٌ لروحها، وإيدانٌ يدنوُّ أجلها، وأمةٌ حالُ علمائها هكذا فكبر عليها أربعاً لوفاتها. ومن الوفاء للتاريخ والوفاء لأصحاب الفضل أن نردّ الجميل لأصحابه، لنرتقي في مصاف الدّول العظمى التي تُقدّس عظماءها على الدّوام؛ كي يبقوا أحياء في ذاكرة الشعب ووجدانه، ونبراساً تُهتدي به الأجيال .

ويا أيّها الحضور،- ونحن في إطار محاربة آفة النسيان التي إستشرت في مجتمعنا، إلى درجة أنّه يمكن القول بأنّها ثقافة، بعدما طالت كلّ المعالم والرموز، فبعض من علماء الجزائر ومشايخها طالتهم ثقافة النسيان والتّطاول والتّخوين، بالرّغم من أنّ صيّنهم وسُمعَتهم تعدّت الحدود، بل إنّ الكثير منهم تحوّلوا الى مراجع يُعاد إليهم ويُعتدّ في أقوالهم ومواقفهم، وهذا ما نريد أن ننقله لشبابنا المعاصر أن يبحثوا عن هذه القُدوات والمشيوخ والتّخب وأن يقرؤوا سيرهم وما تركوهم من مآثور ومكتوب، ويكون لنا منهاجاً في حياتنا نستهدي به، وليس ببعيد هذا العالم الذي جمعنا اليوم الشيخ المجاهد أحمد حمّاني رحمه الله. هذا العالم الجليل، الذي رأت عيناه الثور في السّادس من شهر سبتمبر سنة 1915 في قرية أزيار من دائرة المليية بولاية جيجل المجاهدة، حيث يجمع كلّ الذين عرفوا الرّاحل أنّه شيخ من شيوخ الإسلام وعلمٌ من أعلام النّهضة الجزائرية، وشمسٌ من شمسها العظام، ورائدٌ من روادها الكرام، فقد كان مربيّاً كبيراً، ومصلحاً عظيماً، ومجاهداً مؤمناً، قضى في وطنه أزيد من ستين سنة أو يزيد في خدمة الدّين واللغة، فأحيا معالم

الوطنية والهوية والقومية، وأعدّ جيلاً من المكافحين والمناضلين، مهّدوا السبيل لاستعادة الاستقلال والحرية، فرّحواكم أيّها الشيخ رُحماكم، ونفعنا ببركاتكم، وأكبر بكم من كبير علماء الجزائر!

وفي الختم، ومن خلال الثقل المسموع والمرئي أدعو طلابنا جميعاً أن يكتبوا رسالة صغيرة/ كبيرة في وسائل التواصل الاجتماعي في حقّ من تتلمذوا عليهم تكريماً لهم لما أخذوا منهم من علم رفعَ عليهم حُجبَ الجهل، وكانوا سبباً في مقامهم الحالي. وهذا يُعدّ بداية التّكريم وتأسيس ثقافة ردّوا الأفضال لأهل الفضل. فبادروا أيّها الطّلاب بهذا، فهو تكريم نريد ترسيخه في قيمنا وحضارتنا وسلوكنا المعاصر. وألف شكر لكلّ الحضور والمتابعين. والسلام عليكم جميعاً .

اللغة العربية: العولمة والرّهانات[♥]

- **الدّياجّة:** نشكر الفاعلين النّشيطين في جامعة ابن خلدون على هذا الفعل التّيبيل الذي بادرنّا به عميد كلية الآداب واللّغات، وبالأخصّ قسم اللغة الفرنسيّة الذي حمل همّ البحث في اللغة المشتركة من خلال العنوان الذي اختير للمناسبة. فماذا عساني أقول: ليس سهلاً أن يكون التّفاؤل باللغة العربيّة في مستقبلها إذا لم تعش عصرها كلغة أميّة لها من العلم ما يجعل أمنها في مستعملها وفي متوجّها وفي أحقيّة تاريخها الطّبيعي في ماضيها العريق المغدق، ولكنّ حاضرها مقلق ومستقبلها شبه مغلق، فالأمور تترى وتصعد نحو المجهول فما هو الحلّ؟ تلك إشكاليّة معاصرة تعيشها العربيّة وكان علينا توضيح أبعادها الماضيّة وآفاقها الحاضرة لبناء مستقبلها في توسيع دائرة استعمالها في المتنوّج العلمي والبحث التّكنولوجي، وآخر ما تعرفه الثّانو تكنولوجي، وتوطن العلم لنشْدان مجتمّع المعرفة.

- **المقدّمة:** لا ننكر أنّ كلّ اللّغات تعرف المضايقات في بُعد من أبعادها كما لا يمكن أن نجعل أنّه لا توجد لغة أرقى من لغة في جيناتها، أو هناك لغات لا يمكن أن يحصل لها التّطوير، ولغات يحصل لها. أو لغات تختصّ بمجال، ولغات لا تعرف المجال... وعلينا نحن أهل العربيّة أن نوّكد فقر

[♥] كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة، لصالح طلبة كلية الآداب واللّغات، جامعة ابن خلدون بتيارت. أُلقيت بتاريخ 12 ديسمبر 2021، تزامناً مع شهر اللغة العربية. وإنّ هذه المحاضرة ألقي جزء منها عبر التّحاضر عن بُعد في قنوات خارج الوطن. وهناك جزء من المحاضرة مكرّر في الكتاب.

العربية في العلوم وفي الطب وفي التقانات المعاصرة وبخاصة في البرمجيات والدكاء الصناعي وفي محركات البحث، وفي الصناعة المعجمية، وفقر في المدونات الرقمية... إلى جانب بعض المضايقات في الكتابة العربية، وصعوبة التعرف على المكتوب العربي، وقضايا خوض غمار الرقمنة، وميدان الصناعة الرقمية، وفتوحات OCR... هي مضايقات عصرية أملت لها لغات العلم، وفرضت العولمة أنماطها بما لها من فتوحات في علم اللسانيات والبرمجيات والتطبيقات، وأضحت العربية تابعة متبوعة لنحلة القوم الصناعيين فأصبنا في وهن الضمير، دون وخزات دفع الارتقاء، ودون العمل على حل الصعاب لملاحقة العصر في أعالي العلوم، وفي آخر ما تعرفه الآلة من منتوج السرعة وما ينتظره المستقبل من مفعول الساحة العلمية. فها نحن نعيش الحاضر في الماضي، وفي قياس الحاضر على الماضي، ولا نريد الخروج من الماضي، وحكمنا على أنفسنا أننا من المتحفين وأن لغتنا لا تساير الحاضر، ولا سبيل لنا للتخطيط للمستقبل، فقد أصابنا العشى والعشي ولا ننظر إلى الحاضر إلا بعيون السلف، ونود أن نكون منهم ولا نكون من الحاضر، فقد تمت الأمور كلها وسد باب الاجتهاد.

1_ العولمة والرهانات: ما يجب علمه بأن العولمة حرب على كل اللغات بل هي احتواء عالمي شبه مفروض من اللغة الإنكليزية كلغة فرنكية / Langua Franca عالمية عالمية بما لها من اقتصاد ومنتوج فكري وترجمة منها واستعمال واسع في القارات الخمس، وما يتبعها من قوانين القوة الغالبة والمغلوب مولع بلغة الغالب، وذلك الذي يضمن مكانة هذه اللغة خارج مواطنها، بل أصبحت لغة الهوية في بعض البلاد، وارتبط إتقانها بتعليمها

وتعميمها وفرضها على أنماط الحياة، إن لم نقل إنها آلية من آليات الاندماج في المجموعات الدولية، ووسيلة استقطاب الضعاف توهماً للخروج من دائرة التخلف. والمحزن في كل هذا أن دولنا العربية تراهن على الإنكليزية وتحتقر العربية بما تقترحه من هُجنة عارمة في التعليم وفي المحيط وفي وسائل الحضارة، فنرى الفصحى تعيش الغربة في بلادها. وللأسف كم تدفع الدول العربية من أجل تعليم اللغات الأجنبية، وترك العربية تعاني مشكلات التراجع في مناهج التعليم، واختلاف في مسألة الهوية، إلى جانب أزمة اللهجات... تلکم عوامل جعلت العربية تنال الشل الأفقي، وتعيش القلاقل لوجود فراغ في نشرها ودعمها، بالإضافة إلى انحسار استخدامها في قلة من النخبة المتخصصة التي تهتم بها من أجل المعيشة -كوظيفة- دون القيام ببحوث جادة من أجل إعمالها في الحياة اليومية والتعليمية بشكل صحيح. وهناك عوامل كثيرة عبارة عن تحديات تتعقد باستمرار، في ظل ضعف الوعي اللغوي الذي يقوّض أركان المواطنة والاعتزاز اللغوي. هي دائرة من دوائر الأزمة اللغوية/ الثقافية، وهذا ما يوصلنا إلى أزمة الحضارة الشرقية التي ننتمي إليها. ومن خلال كل هذا نقرّ بانحسار مدّ العربية في ما يُعرف بالقوة الناعمة التي أخذت الألباب، وكشفت عن مواطن حُجب الاستقطاب، ولم تتحصّن ذاتنا، ولم تُصنّ حقوقنا اللغوية، وضاعت مصالحنا وأصبحنا ثُبُعاً. فما العمل؟

علينا جميعاً البحث عن وصفة جامعة لنعود إلى مجدنا، وصفة الأجداد الذين راهنوا على التحدي، وكان لهم ذلك في أنهم جعلوا العربية وعاء الثقافة، وأقدم تجليات الهوية، على اعتبار أن اللغة المشتركة هي التي تجعل من

كلّ فئة من الناس جماعة كبيرة، ذات هوية واحدة، مع احترام الاختلاف والتنوّع والاعتراف لكلّ ثقافة بإسهاماتها في الحضارة الإنسانية الواحدة. وكان علينا البحث في الأزمة اللغوية التي تجعل لنا موقعاً في خريطة العالم بدءاً من تفرّدنا الديني التسامحي الوسطي الذي يقرّ باختلاف الألسنة، وهو الأداة الجامعة بين المسلمين، وأنّ لغة هذه الأداة لها وظيفة اجتماعية تواصلية من المحيط إلى الخليج، وما وراء القارات. إضافة إلى ذلك تراثنا الأدبي المتنوّع الذي هو مفخرة لنا، ولا نستطيع التواصل معه إلّا من خلال اللغة العربية. كما أنّ العربية ثروة ثقافية للإنسانية قاطبة، وقد استفادت منها اللغات الأخرى كلّها. رغم عدائها للعربية، وتنكّرها في مقامات كثيرات. وهنا لا بدّ لنا من المواجهة، لا بدّ من سلاح العصر؛ سلاح التقانة والعلم وأخذ زمام مبادرات التطوير التكنولوجي المعاصر. هي طريق مواجهة التحديات والصّراعات تكون وقايةً وأمناً داخلياً وخارجياً. لا بدّ من غلبة التحديات للغة العربية في ظلال العولمة بوصفة الثقافة الناعمة في حسن استعمال العربية، وتحبيبها والترغيب فيها والعمل على علميتها والدّفاع عنها بالمنتوج العلمي وخدمتها تطوّعاً، وتجنيد وسائل إعلام قويّ يُفنّد مزاعم الافتراء ويرفع عنها مظالم البُهتان، ويكون جسراً بين اللغات؛ ينقل علمها ونثرها ومنتوجها. ويبدأ التمهيد من أهلها بأنّه من الحقّ والمنطق أن تكون لغة الأمّة لغةً مشتركة ولغة علم وتعامل يوميّ في كلّ المجالات: علم + إعلام + إدارة + بحث + تفتح .

2- واجباتنا المعاصرة: يمكن تلخيصها في الآتي:

2/1- صونُ الحقوق اللغويّة من أهل اللغة أولاً: لغة الهوية والشخصيّة والوطنية وما أجمع عليه.

2/2- إعادة النظر في تصنيف اللغات الأجنبيةّ بأنّها للفائدة وليست لغات الهوية .

2/3- العمل على تعميم اللغة الوطنية وتحسين أدائها والإغداق عليها وتكون مشروع كلّ حكومة.

2/4- مواجهة عوامل الهيمنة والعمل على تحسين أداء العربية مسألة مشتركة جمعيّة.

2/5- من واجبات الدولة التخطيط لسياسة لغوية بمرجعية وطنية مشتركة تعمل على صون الذاكرة الجمعيّة.

2/6- ضرورة تعميم استعمال العربية في سوق العمل والتعليم والإدارة والإعلام وجميع المؤسسات الوطنية في كلّ الدّول العربيّة، وسدّ الفجوة الهائلة بين اللغة العربية والمعارف والعلوم والتّقنية والصّناعة في جميع المجالات، وربط اللغة العربية بجميع معطيات العصر وتطوّراته في الميادين كافة. وتوفير الكتاب الجامعي في جميع التّخصّصات العلميّة في الجامعات العربيّة، والاهتمام بالترجمة .

2/7- تعزيز الانتماء والمواطنة اللغويّة في تراتب لغويّ وطنيّ .

2/8- تنشيط العربيّة في الشّابكة وفي مختلف وسائل التّواصل الاجتماعي بإنتاج تطبيقات تعليميّة مضيئة مرنة .

2/9- الحفاظ على صفاء الفصحى الجامعة، والعمل على انتشارها وسيورتها بصورة دائمة في إطار التحسين لا التراجع، ونشر روائع الثقافة العربيّة وترجمتها للغات الأخرى .

2/10- حسن التّعامل مع الألسن الأخرى بحسب المنفعة الوطنيّة، وبمبدأ (حيث وجدت المصلحة فثمّ شرع الله) .

3- اللغة العربيّة والتّواصل الحضاري: لقد اختارت اليونسكو شعار الاحتفاء باليوم العالميّ للغة العربيّة لهذه السّنة 2021م بميسم (اللغة العربيّة والتّواصل الحضاري) ويأتي تأكيداً للدّور المهمّ للغة الضّاد؛ درّة تاج اللغات، وجلالة الملكة (اللغة العربيّة) في السّبق لمدّ جسور التّواصل بين الشّعوب عبر الثقافة والعلم والأدب في منظور التّكامل بين الشّعوب. وهكذا يُظهر بيانُ منظّمة الأمم المتّحدة للتّربيّة والعلم والثقافة أنّ الغاية من هذا الشّعار إبراز الدّور التاريخيّ الذي اضطلعت وتضطلع به اللغة العربيّة لمواصلة استحداث المعارف وتناقلها، وهي وسيلة للارتقاء بالحوار، وإرساء أسس السّلام، في ظلّ تغوّل العولمة، وتبعات الرّقمنة، وموت اللغات، ونحن بحاجة إلى تعزيز الحوار بين الشّعوب، والعمل على التقارب اللغويّ الذي يؤدّي إلى السّماع للآخر. وباعتبار العربيّة من أكثر اللغات إسهاماً في التّواصل الحضاريّ على مرّ القرون، وذلك ما تجسّد في ثراء الوجود الإنسانيّ، وما وقع الانتفاع به من الموارد. ومن خلال هذا الشّعار نقول: إنّ

العربية تُتيح الدّخول إلى عالم زاخر بالتنوّع الثقافيّ بجميع أشكاله وصوّره وقد كان لها ذلك في ما مضى من الزّمان، ولم يتوقّف مع حدوث بعض الهنات التي علّقته لبضع من السّنين، وها نحن -أهل اللغة العربيّة- نريد أن تعود إلى تأثيرها كلغة تواصل يوميّ، ولغة فرنكة أمميّة، وقد أثبتت خصائصها الداخليّة تنوعاً للأصول والمشارب اللغويّة أنّها في كامل طبيعتها لغة تواصلية دون خدوش، كما أنّ خصائصها الخارجيّة تُظهر بعولمة جديدة قابلة للتأثير والتأثر، والأخذ والعطاء، وقد كانت لغة التّواصل في طريق الحرير، وكانت لغة أفريقيّة في طريق الملح. وإنّها لغة تحتوي على شواهد تُبيّن الصّلات الكثيرة التي تربطها بعدد من لغات العالم الأخرى، وساعدت على نقل المعارف العلميّة وفلسفة اليونان والرّومان، ونقلتها إلى أوروبا في عصر النهضة. وما يمكن أن نلاحظه في هذا الأمر الحضور الإسلاميّ الدّهيّ الأندلسيّ؛ باعتباره حجّة للتّقارب بين الحضارة المسيحيّة والإسلاميّة، وبين التراث اليهوديّ والإسلاميّ"... وهكذا أصبح استحضار الأندلس الإسلاميّة وبدرجة أقلّ منها صقليّة الإسلاميّة من المواضيع المبتذلة في سياق الخطاب المتداول حول التّقارب بين الثقافات، وحول الوحدة التاريخيّة والحضاريّة في البحر الأبيض المتوسّط، وأيضاً بخصوص التسامح بين الشعوب من مختلف الديانات. وكانت جسراً علمياً لثمانية قرون خلت، وأتى عليها الذي أتى على الفردوس المفقود، وتذهب مجرّط وإشبيلية وطليطلة وقرطبة هباءً :

بأربع فاقت الأمصارَ قرطبةُ

هاتان ثنتان والزّهراءُ ثالثهما

ولم يدم الماضي المغدق على أوروبا كثيراً، وكان ذلك بالنسبة للغربيين من المتعة الثقافية بصيغة مستفيد من الحضارة الشرقية التي كانت شُعلة العالم وكما قال (Pierre Gory) الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء سنة 1903م "لو لم تُحرق كُتبُ المسلمين؛ لَكُنّا اليوم نتجول بين المجرات". هي منجزاتٌ حصلت من المسلمين، وأتاحت هذه الإسلامية العلمية والثقافية إقامة الحوار بين الثقافات على طول المسالك البرية والبحرية من الصين وسواحل الهند إلى القوقاز وروسيا البيضاء، مروراً بشبه الجزيرة العربية، وإلى بلاد الهلال الخصيب، ومن توات إلى القرن الأفريقي مروراً بدول السَّهل إلى الكاب.

4- لنا السبق الحضاري: ما يجب العلم به أنَّ الحضارات دُول، وقد كانت حضارة العرب الإسلامية بماضيها المشرق، وبنموذجها المغدق حضارةً عالميةً عالميةً أيام تحبَّط الأمم في ظلمات بعضها فوق بعض. ألم يكن الجغرافي العربيّ (الإدريسي) أوّلَ واضعٍ لخريطة العالم، وأنّ مكتشفَ الدّورة الدّمويّة الصّغرى هو (ابن النفيس) ومؤسّسَ علم الاجتماع (ابن خلدون) وأشهرَ الرّحالة في القرون الوسطى (ابن بطوطة) ومؤلّفَ كتاب (الطّريق إلى المدائن) (أحمد عادل كمال) وواضعَ النّحو (أبو الأسود الدّؤلي) والعالم العربي الذي اكتشف انكسار الضّوّر هو (الحسن بن الهيثم) ومن أعظم أطباء العالم صاحب كتابين: (الجُدري والحصبة+ الحاوي) هو الرّازي، والذي وضع التّاريخ الهجري هو (عمر بن الخطّاب) وفتح بلاد الصّين (قتيبة بن مسلم الباهلي) وأكبر علماء التّاريخ صاحب كتاب (الكامل في التّاريخ) (ابن الأثير) وأنّ فاتحَ القسطنطينيّة هو (محمّد الفاتح) ومؤلّفَ كتاب (الدّاء والدّواء) هو (ابن القيم الجوزية) وأوّلَ من وضع معجماً باللّغة العربيّة هو

(الخليل بن أحمد) وكان نموذجاً لصناعة معاجم اللغات، وأوّل من وضع صورته على التّقود (الإسكندر المقدوني) وأوّل من أصدر عملة عربيّة هو (عبد الملك بن مروان) وأنّ (الخوارزمي) أوّل من فتح مجال الخوارزميات بكتابه (الجبر والمقابلة) وأوّل خليفة ترجمت له الكتب السّريانيّة والأعجميّة إلى العربيّة كتابين: (كليلة ودمنة + إقليدس) هو (أبو جعفر المنصور) وأنّ قناة السّويس المجرى المائي الصّناعي كان بغرض توصيل البحر البيض المتوسّط بالبحر الأحمر، وأنّ (الزّجاج) اختراعٌ شرقيّ عرفه الأوروبيون أثناء الحروب الصّليبيّة فنقلوه إلى أوروبا... والقائمة كبيرة وطويلة من التّصدّرات ضمن وعي لغويّ حضاريّ باللغة العربيّة حصل للعرب، وكانت لهم الريادة، مع كلّ ما حصل لا ننكر وجود صدامات بين الحضارتين من مثل معركة (اليرموك) بين المسلمين والرّوم، ومعركة (ميسلون) بين العرب والإنكليز وأنّ الصّلح عقد بخصوص إنهاء الحروب جرى بين (صلاح الدّين الأيوبي) و (ريتشارد قلب الأسد) ملك إن گلترا في صلح سميّ (صلح الرّملة)... وهكذا دواليك... ونحن الآن نعيش حضارةً معاصرةً وفيها نحتاج إلى وعي حضاريّ جديد للتّهوض؛ ونريد وعي إدراك الحضارة المعاصرة بمجمل مظاهر التّقدّم الماديّ والمعنويّ دون همجيّة وتوحّش بتمكين آليات الحداثة اللغويّة وبإدراك فقه التّحضّر المعاصر بمنطق الإسلام والعربيّة لتشكيل التّهوض وبتفاعل مقاصديّ مع العلوم والطّواهر الحديثة؛ دون انعزال عن المتغيّرات وبعامل التّدافع لكسب منظومة الفعاليّة اللغويّة، بدل السّقوط الحضاري ونحن نعيش الفرصة العائدة من الدّورة التّاريخيّة، فكيف نُعدّ العدة للوعي بالمستقبل في فقه التّهضة من جميع جوانبها باعتماد اللغة المشتركة؟ وإنّه من

الضروري استدراك ما فات، وتدارك الأخطاء، والوعي بحضارتنا هو الذي يحقق لنا الشهود والموقع والتصدر والتطوع، رغم أننا بدأنا من القفار، ولكن أقمنا الحضارة فيها، وكان لنا العز، وانعكس ذلك في صناعة الرسالة الربانية وترسخت معالمها التطورية، ألم تسمعوا بقول الشاعر القطامي :

ومن تكن الحضارة أعجبتة

وقال فيها (ابن خلدون) "والحضارة إنما هي تفتن في الثرف وإحكام الصنائع والملابس والمباني والفرس والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فلكل واحد منها صنائع في استجاداته والتألق فيه، تختص به، ويتلو بعضها بعضاً، وتتكاثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعيم بأحوال الثرف، وما تتلون به من العوائد. فصار طور الحضارة في الفلك يتبع طور البداءة ضرورة؛ لضرورة تبعية الرفه والمملك. هي دورة الحياة تعود دور الوعي الحضاري لماضيها المشرق؛ بما لنا من قدم النموذج أيام القحط والظلمات، وقد جاء الوعي الحضاري الإسلامي لتصحيح ما كان، وكفانا غفوة أرخت سدولها علينا، فانكمش دورنا فطويت الحضارة على قوم دوننا فكان ما كان. وبقيت الذكرى حبيسة الأسفار يذكرها هذا الزمان، فما الحل لإعادة الحركة في نفوس هذا الجيل؟!

5- في عمق لغة الضاد: إن العربية من أكثر اللغات جذوراً وامتداداً في الزمان والمكان، وأغناها كلمات وأوسعهن معاجم، وأبلغهن فنون القول والبيان والفصاحة. وأن الإسلام هو البعد الحضاري الذي جعلها تخرج من شبه الجزيرة العربية؛ لتنال حواضر الشرق والغرب والشمال والجنوب في

ظرف زمني قصير، زمن الفتوحات الإسلامية التي سبقتها التجارات والمقايضات، فانتشرت بما لها من القوة الناعمة التي مكنتها التغلب على لغات الكثير من البلاد، ويعود ذلك إلى بنيتها الداخلية، ودقة نظامها وقواعدها، وغنى معجمها، وقدرتها العالية على التعبير. هي عربية المعجزة الخالدة التي لم تنقرض منذ واحد وعشرين (21) قرناً، وبقيت مُسايِرة لتحديات كثيرات، ومنها التحدي التقني، وهي تُؤكد حضورها في وسائل العصر بقوة ذخيرتها الجارية التي تُعطي لها صفات البقاء والخلود. وهكذا لعبت الحضارة العربية الإسلامية بلغة الدين دوراً في التواصل بين الشعوب على مرّ الزمان، وما تزال آثار تلك الحضارة تترى باستمرارية متجددة وبمنطق الدورات التاريخية المرتبطة بمركزية الدين، وما يتبعها من إنتاج الأفكار والتحلي بالقيم الأخلاقية، وما يحصل وراء ذلك من تراتب المهام وأولوية العمل ومنطق العمل لتحقيق الفعالية. وما يجب علمه أنّ العربية كانت العامل الأساس في إيجاد جسور هذا التواصل الذي أدى إلى بناء علاقات حميمة وتفاعلات حضارية تُقرب بين الأطراف المختلفة. لماذا اللغة العربية؟ لأنها كانت لغة نسبية في طريق الحرير، ولغة كاملة النسبية في طريق الملح، ولغة نسبية مئة في المئة في الفردوس المفقود، وبمصطلح العصر الحاضر (لغة العولمة) وبذلك اتسعت حضارة الإسلام بها خارج شبه الجزيرة العربية وكلّ ذلك الانتشار جعلها تسمو في أساليبها، وتدخل فيها ألفاظ جديدة تتلاقح مع لغة البلد. ولا أحد ينكر ذلك التأثير اللغوي الحاصل الذي أثمر في العربية تطوراً مُدهشاً؛ نقلت العربية نقلة نوعية من أدبها القديم الجاهلي إلى الأدب الأندلسي المُنكف لموروث المَعَلّقات، والوقوف على الأطلال إلى:

جادك الغيثُ إذا الغيثُ هما

وهكذا عرفت اللغة العربية مرحلة التّلاقح بزيادة التّلقيح من لغات مُجاورة بمكمن الاحتكاك الذي كان ضرورةً حضاريّةً تاريخيّةً أدّى حتماً إلى تداخلها. وعرفت خلال ذلك كلّ المراحل الحضاريّة التّاليّة :

5/1- **مرحلة التّأسيس العروبي:** وهي مرحلة اللغات العروبيّة من ثموديّة وصفويّة ولحيانيّة ومازيغيّة... وتظهر في بعض التّقائش الباقية التي كشفت عنها بحوث كربون 14، ولا نملك عنها إلاّ بعض الصّور التّحويّة المستعملة في اللهجات الباقية.

5/2- **مرحلة السّاميات والنّظائر:** وهي مرحلة التّرقّي بوجهة لغويّة مع اللغات الشّرقية على غرار: الأمهريّة + السّريانيّة + المندائيّة + العبريّة + الفارسيّة + العثمانيّة + الأورديّة، وهي مرحلة غلبة العربيّة فيها، وكانت أمّ السّاميات، ويقول المستشرق إرنست رينان (Ernest Renan) في كتابه تاريخ اللغات السّامية " (Histoire générale des langues sémitiques) / إنّ انتشار اللغة العربيّة يُعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يُعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلّها؛ فقد كانت هذه اللغة غيرَ معروفة بادئ ذي بدء فبدت فجأة على غاية الكمال، سلسلة غاية السّلاسة، غنيّة أيّ غنى... وإنّ اللغة العربيّة -ولا جدال- قد عمّت أجزاء كبرى من العالم."

5/3- **مرحلة الخروج من الأرومة اللغويّة السّاميّة:** وهي مرحلة العصر الجاهلي في شبه الجزيرة؛ حيث كانت لغة البُدأة المتبدلين في نجد والحجاز لغة سافلة الأعالي وأعالي السّافلة، ولغة أكلوني البراغيث، وأكلّة اليرابيع

وحرشة الضباب، وما كان ذلك إلا لتصبح صافية فصيحة؛ حيث عبّرت عن الصفاء اللغويّ في عثرته العفوية ذات الطّبع الخاصّ .

4/5- مرحلة الأخذ والعطاء: وهي المرحلة التي صاحبت الفتوحات الإسلاميّة؛ حيث يستدعي التعليم والترجمة ونقل العلوم، وقد عرفت العربيّة وجوداً حضارياً خارج مواطنها، ونالت المقامات العُلا في الأندلس بجزيرة إيبيريا وفي بلاد السّند، وتعوّلَم خطّها في لغات أفريقيّا، وأضحت لغة Langue Franca في التّواصل الحضاري، وهذا ما يقرّ به (كُوستاف لوبون / Gustave Le Bon) صاحب كتاب حضارة العرب La civilisation des Arabes "...: كلّما تعمّق المرء في دراسة العربيّة تجلّت له أمور جديدة واتّسعت أمامه الآفاق، وثبت له أنّ القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلاّ بوساطة العرب، وأنّ العرب هم الذين مدّنوا أوروبا في المادة والعقل والخلق". ويقول الباحث) ماكس فانتاجوا (Max Vintéjoux / في كتابه) المعجزة العربيّة": (Le miracle arabe / الحقّ أنّ مؤرّخيننا قد حاولوا جهدهم أن يجعلوا من العالم الغربيّ محوراً للتّاريخ، مع العلم بأنّ كلّ مراقب يدرك أنّ الشّرق الأدنى هو المحور الحقيقيّ لتاريخ القرون الوسطى. إنّ تأثير اللغة العربيّة قد شكّل تفكيرنا بصورة كبيرة... والكلام كثير جداً، ويظهر ذلك في كثرة الألفاظ العربيّة في جسم معاجم اللغات اللاتينيّة واللغات الشّرقية نتيجة التّعايش الحضاريّ الذي شكّل مرحلة العطاء والأخذ، وكان للعرب دوراً احتكار آليات التّفكير العلمي في جانب التّنظير .

5/5- مرحلة فرض الأمر العلمي: هي مرحلة التّلاقح العلمي الذي فرضت فيه العربيّة أنماطها عبر اللغات اللاتينيّة بالخصوص، وقد أسكتت كلّ

اللغات السّاميّة، وأصبحت مرجعيّة في التّحو والمعجم والأدب، وأسّست مدارس كبرى عبر حواضر: بغداد+ مكّة المكرّمة+ القيروان+ القرويين+ بجاية+ تلمسان+ حلب... وأصبحت مجمّعات علميّة تقصد من قبل الغرب وكان هذا الفعل ظاهراً في الثّقلة المؤسّساتيّة في الأندلس؛ حيث نجد الحضارة العربيّة الإسلاميّة أفادت الحضارة اللاتينيّة وغيرها من الحضارات؛ ممّا جعلها تطبّق ذلك في مجالات شتّى، وأفادت عقول مفكّريها، وشجّعت البحث والعلم والمعرفة، وأنشأت مؤسّسات سادت عصرها، وأثّرت في الحضارة المعاصرة. إلّا أنّ الحديث قعد بنا الزّمان من تقاعسنا، رغم كثرة دولنا ومؤسّساتنا العلميّة والثّقافيّة، وقد ينطبق علينا:

كُثُرٌ، ولكن عديد لا اعتداد له

حارت عقائدنا، زاغت قواعدنا

فما هو المخرج والحلّ؟ لا بدّ من منهج جديد؛ منهجٌ يُخرجنا من الجمود الفكري والتّحجّر العقلي والتّعصّب للرّأي، وإلزام النّاس بما لم يلزمهم الله به. وبما يمكن أن يُقال بأننا أهملنا تواصلنا بلغتنا وثقافتنا، وبماضينا المشرق ووجدنا أمامنا حضارة غربيّة وصلت إلى أعالي درجات التّقّدّم والاكتشافات الثّانويّة. هي حضارة انبهار شقّت طريقها بقاعدة إسلاميّة وتجاوزتها. ونحن لا نزال ندور في سطحيّة الأفكار وجدال أسباب التّخلّف، ولم نسطع تحريك العقل العربي إلى تدبير جديد، ولذلك عاشت الضّحالة في أفكارنا، وغاب الرّجلُ المرجعيّة، ولكن هناك أمل التّغيير الذي سيتلوه الإصرار على ضرورة الأمل والعمل ثمّ العمل.

6- ضرورة التّواصل الحضاري المعاصر: إنّه استمرار لذلك التّعايش القديم بين الحضارات التي سادت في قرن/ قرون أو في فترة زمنيّة محدّدة وتمثّل ذلك في التّواصل الحضاريّ واللغويّ /Cultural communication and linguistic في تواصل بين الحضارات في تبادل المنافع عن طريق اللغة. وتمثّل ذلك في العربيّة واللاتينيّات في تبادل الكلمات، وخير من يجسّد الصّورة الحقيقة كتاب Nos ancêtres Ce que notre langue leur doit, les arabes , Jean Provost وكذلك كتاب Jack Lang الموسوم La langue Arabe, trésor de France؛ لنرى ما حفلت العربيّة، وما سوف تحفل به من أسس استكمال اللبّات التي تجسّدت في القرون الوسطى عندهم، وقرون العلم عند العرب قرون عاصمة العلم بغداد العلماء، بغداد بيت الحكمة، وحاضرة الأندلس في ملوكها المسلمين وفي جامعاتها العالمة. قرون الانفتاح والتّآخي، ولكم دينكم وليّ ديني، وهذا ما يؤرّخ له الشّاعر القروي:

يا حبّذا عهدُ بغداد وأندلس

يا قومُ هذا مسيحيّ يُذكرُكم

وسيطّلُعنا التاريخُ على عمق التّأثير العربيّ الإسلاميّ بحضارة شريقيّة؛ إذ نجد فيها العربيّة لسائها الذي فتح صفحة لالتقاء ثقافتين العربيّة الإسلاميّة واللاتينيّة المسيحيّة، اتّصلتا وتفاعلتا فتعرّضتا للتّأثير المتبادل عبر عصور التّعايش المشترك. وهذا الزّخم إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على عمق التّواصل الحضاريّ بين أمة شريقيّة عربيّة مسلمة، وأمة غربيّة نصرانيّة لها حضارتها وثقافتها لا يمكن تجاهل مسلماتها. وفي كلّ هذا، فإنّ ما نستنتجه

إنّ اللغة كانت المعبرَ الحقيقيّ للقوّة التي تستند إليها أيّة حضارة تُريد لنفسها البقاء أو الانتشارَ خارجَ موطنها، وكانت العربيّة المنطلق التي كرمها الله بكلمه، وجعلها تستفيد منها اللغات في نقل العلوم، وتوصيلها إلى مواطن لم تكن لتصلها لولا الدين الإسلاميّ والتسامح اللغويّ والتأثير العلميّ ما كانت لتكون في آسيا، وبلاد الأندلس، ودول البحر الأبيض المتوسط وكانت في أوج عطائها في العصور الوسطى، وظلّت لخمسمئة (500) سنة لغة المعرفة والثّقافة والتّقدّم الفكري. وتمّت ترجمة معظم المؤلّفات الإغريقيّة الكلاسيكيّة العلميّة والفلسفيّة إلى العربيّة في القرن التاسع. وانطلاقاً من هذا الأساس، حقّق العلماء العربُ العديد من الكتب في العلوم والطبّ والرياضيات. وكان تعلّم اللغة العربيّة شائعاً على نطاق واسع في إنكلترا في العصور الوسطى من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الميلادي. وكانت للعربيّة السّيادة كلغة3 عولمة بحماية الدّين والعلم، وطلبها أصبح من الواجب، وذلك ما يصرّح به بول ألفارو " Paul Alfaro /المسيحيّون مولعون بقراءة الأشعار والقصص العربيّة، وهم يدرسون فقهاء الإسلام وفلاسفته لا ليدحضوا ما يقولون؛ بل لتصحيح لغتهم العربيّة وتنميق أسلوبهم، وهل لدينا اليوم من غير رجال الدّين من يقرأ التّفسير اللاتينيّة للكتاب المقدّس أو من يدرس الأناجيل، أو كتابات الأنبياء والرسل؟ واأسفاه! إنّ جميع شباب المسيحيّين من ذوي المواهب يعكفون على قراءة الكتب العربيّة ودراسيّتها بحماسٍ."

أيّها الجمع الكريم، هناك حقيقة لا بدّ أن تُقال، وهي أنّ الثّقافة العربيّة كانت وسيلةً تواصلٍ عبر المشتركات الخاصّة، وهي في ودّ واحترام

للمشتركات العامّة، فعند احترام المشتركات العامّة تتحوّل كلُّ المشتركات الخاصّة بصورة طبيعيّة إلى تواصل والتّقاء وتفاهم واحترام، فإذا سادت أجواء الاحترام لا تحصل أيّة خلخلة في أن يتعلّم مجتمع لغة قوم آخرين، وأن يتواصل معهم من خلالها، ويمكن في هذه الحال أن ينظر إلى كلِّ مَنْ أجاد لغة -إلى جانب لغته الأم- بحسبانه جسراً بين شعبين/ أمّتين، وحينها نستطيع إقناع كلِّ مَنْ يتعلّم لغة جديدة بأنّه يُمثّل جسراً جديداً، فتتكوّن القاعدة التّقاربية التّسامحية اللغويّة الحضاريّة بين الشّعوب الإنسانيّة.

إنّ عدول الأمة العربيّة الإسلاميّة المعاصرين حملوا همّ انتعاش التّواصل الحضاريّ بين البشر؛ وهو شعار الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربيّة لهذه السّنة، ونقول بأنّ أجدادنا العرب عملوا على تجسيده من خلال المخطوطات التي زرعوا فيها أمل التّكامل، وهي التي أبانت عن العروبة والإسلام في لحمه الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ويصطبغ بطابعها، وبعقول أبنائها، وما شيّدته سواعدهم الفتيّة؛ ليقدّم في التّهاية مُنجز العرب المسلمين لغير المسلمين، والمهمّ في ذلك هو وجه الدّين الإسلامي واللغة العربيّة. وهنا تكمن الحاجة إلى إحياء تراثنا وقراءته قراءة حديثة، وترجمته إلى الغرب لتُحقّق التّرجمة أهدافها، وهي بريد اللغات، والتي من أهمّها التّواصل بين الشّعوب المختلفة والثّقافات المتنوّعة، وتصحيح صورة العربيّ، الذي أصبح -عندهم- لا يُشارك في الحضارة الإنسانيّة إلّا مستهلكاً، وفي ذات الوقت لا بدّ من الاستفادة من المنجز الغربيّ في الحضارة الحديثة لتتواصل بمبدأ العطاء والأخذ. وهذا ما رأيناه من مهمّتنا من خلال هذا الاحتفاء أن نبرز أهمية التّواصل الحضاريّ؛ باعتباره عنصراً مهمّاً في إرساء حوار الحضارات

وتواصله؛ وباعتباره خياراً استراتيجياً يُؤدّي بالبشر إلى الأمن والاستقرار بتعزيز احترام التنوع الثقافي المضيف، وإرساء مسلك تربية قبول الآخر بأسس جديدة للتعاون الإنساني في راهننا. ومن هنا، فإنّ واقعاً جديداً بدأ يبرز في إقامة جسور التفاهم بين الشعوب، وحرّياً بنا تهيئة الأجواء والمعدّات بما يحفظ لنا خصوصياتنا الدينيّة واللغويّة، وضرورة التماهي في القوى التفاعليّة الثقافيّة بمبدأ القوّة الناعمة، من منطلق رابع رابع .

أَيَّتْهَا الطّالِبَاتِ والطّلبة، إنّ التّواصل الحضاريّ ضروريّ وليس ترفاً وكما يقول (مالك بن نبي) "... الحضارة هي الحاضنة للتّقدّم والمحيط المناسب لإشاعة ثقافة العلم، حين تعطي الفكرة المبرّرات الدّافعة للبدّ والعقل للاستفادة من الوقت ... وتبدأ الحضارة حين يتعلّق الإنسان بمبدأ سماويّ... حيث ينتهي القلق والاضطراب، فإنّ أمن الإنسان يتفجّر فيه ينبوع الإبداع والإنشاء". ويتبعه التّواصل الحضاريّ الذي هو الوصل بين طرفين في إطار الاقتراب بينهما أو التّعاون، وهو ضرب من التّواصل الرّاقِي الذي ينبثق من الإرادة الجماعيّة والرّغبة المتبادلة والإحساس المشترك، باعتباره ضرورة من ضرورات التّعايش والتّفاهم بين العديد من الأطراف. وربّما يمكن أن تُسمّيها حلف الحضارة المعاصرة المطلوب تجسيدها تحقيقاً لتعزيز التّعاون الدّولي عن طريق حوار الثقافات، وتحالف الحضارات؛ تدعيماً للسلام العالميّ؛ بهدف تلاقي اللغات وتحقيقاً للاندماج والتّناغم الاجتماعي عن طريق تبادل معرفيّ وتقنيّ. ونحن العرب من مصلحتنا تعزيز ثقافة التّحالف بين الحضارات؛ كوسيلة للتّواصل الحضاريّ، وإعادة صورتنا القويّة في الميزان العالمي بما لنا من دينٍ عالميّ غير رهبانيّ، ولغةٍ عاليّةٍ أصيلةٍ، وتراثٍ ضخمٍ

وعمق وجود. ومن الضروري أيها الباحثون، بل المطلوب منكم الدّفع بكلّ ذلك في اتجاه معرفة الإنسان بما عليه أن يجمع بين الجانب الإيمانيّ أولاً والجانب الماديّ ثانياً، وهي غلبة المعادلة الحضاريّة من أجل بناء: إنسان+ تراب+ وقت، على رأي (مالك بن نبي) وهذا ما يجب أن نتّجه به لتحقيق توازن صناعيّ غربيّ عولميّ يحتاج إلى حوار تواصليّ من خلال المحافظة على القوانين العالميّة والتمط العولمي من غير السّماح للصّدام؛ تحقيقاً لأهداف حضارتنا الشرقيّة السّاميّة .

أيّها الحضور، اسمحوا لي أن أقول: من واجب السّياسيين والمثقفين العرب أن يعملوا من أجل تجسيد نقاط الالتقاء بين الشّعوب عن طريق المنطق والعقل، والعمل على بناء أرضيّة مشتركة تعتمد على المصالح المتبادلة، والسّعي لتحقيق المثاقفة والتّلاقح الفكريّ الذي يسمح بالتأثير والتأثر، وليلحلّ التّسامح محلّ نظرة الاستعلاء والاحتقار. وإنّ تحقيق اليوم العالميّ للغة العربيّة يدخل في ضرورة الاعتراف بالاختلاف وبالتنوّع وبضرورة إشراك الحضارة الإسلاميّة في صنع القرار، وبجعل هذه الحضارة قوّة اقتصاديّة عاليّة؛ ولذا يجب بناء اقتصاد قويّ حتى يكون لنا موقع في صنع القرار.

وأخيراً، إنّ الأصل في الحضارات التّواصل لا الصّراع، وعلينا من خلال هذا الشّعار الالتزام بآداب الحوار، وشروطه وضوابطه، وضرورة احترام المرجعيّات والخصوصيّات الثقافيّة، ليرتقي شعارُ اليونسكو إلى مستوى سامٍ رفيع، ولا سبيل للتّواصل الحضاريّ الحقيقيّ إلّا بتحقيق قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ الحجرات 13 . وهو سبيل من سبل التواصل الحضاري، ومن ركائز الدّعوة الإسلاميّة. ولولا هذه الوسائط الوشيعة التي رسّخها الإسلام لما وصلنا إلى ما قامت تلك الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي مدّت جسورها الجامعة بين الشّعوب والحضارات المختلفة، ولولا ذلك ما وصلت الفنون والمعارف الإسلاميّة من علوم وبصريات وكيمياء إلى الغرب، في الوقت الذي كانت الجاهليّة تضرب أطناها في عواصم القياصرة والأباطرة. ومن هنا نحتاج إلى مؤسّسات أخرى تعمل في هذا الإطار، مع ما يتبع ذلك من مننديات، وأنشطة وجوائز؛ تعزّز هذا المنحى لصفر صراع في أوطاننا وتعميق التّعاون لتحقيق المنفعة المتبادلة والفوز المشترك، وتحقيق الازدهار المتبادل بروح الشّمول، وهكذا نُحقّق وصفة الأجداد الأقوالُ ورقة، والأفعالُ ثمرّةٌ فتعالِ نرّم الجذور القديمة من أجل الحوار، وتعالِ نبنِ جسوراً جديدةً من أجل الحوار، وتعالِ نتواصلُ ليجمعنا السّوار، ونستذكرُ حضارتنا ذات الفنار، ولعلّنا نُعيد الكرّة باقتدار .

أهمية اللغة العربية في البحث العلمي[♥]

هل اللغة عائق أمام البحث العلمي؟ لا يمكن أن يحصل التواصل بمفهومه العام والخاص إلا عن طريق لغة ما، وتكون تلك اللغة قد اصطُلع عليها بين مرسل ومستقبل ومتن لغوي متداول؛ يعني كل هذا أن ما اتفق عليه خالٍ من الخدش اللغوي في ذاته مهما صغر أو كبر. وأهمية استعمال اللغة في البحث العلمي بوصفها نتائج صادقة لمجهود بحثٍ مضمّنٍ أفضى إلى ما يمكن أن يحلّ إشكالات الواقع، ويدفع في اتجاه التّقدّم والتّطوير واختراع ما يحتاج إليه الانسان للحصول على الرفاهية بأنواعها المختلفة ولا يكون إلاّ بأثر خطّي وهو الذي يدفع بها إلى البقاء والانتشار، ونقلها من الأجداد إلى الأحفاد. إذاً اللغة هي الوسيلة الاتّصاليّة وهي عمدة البحث في أيّ ميدان. وترقى اللغات بالاستعمال، وتنحطّ بالإهمال. وإنّ اللغات التي تخطّت حاجز العلميّة هي تلك اللغات التي تستعمل في مختلف الميادين، ومن وراء ما حصل لها تطوير في أنماطها التّعليميّة، وتيسّر نحوها، وفي ذات الوقت عملت على لحاق الرّكب في بنياتها التّعبيريّة فأصبح ذلك جزءاً من متنها، وهذا ما يلاحظ الآن في لغة العوملة/ (Lingua Franca) التي أضحت سهلة متجدّدة في أنماطها، بأن يطلب ودّها لمسايرتها الحدث العالمي في مختلف أشكاله، وهي

♥ — قدّمت الكلمة في اللقاء العلميّ الذي جرى في جامعة غرداية 13 ديسمبر 2021 بين رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة وطلاب الدّكتوراه، بعد إمضاء اتفاقية تعاون علميّة بين المجلس والجامعة.

الآن لغة التواصل على صعيد العالم، وكلّ لغة طبيعيّة يمكن أن تكون لغة التواصل العالميّ، كما يمكن أن تكون لغة محلية ضيقة، واللغات دُولٌ.

وبالنسبة للعربيّة نعرف أنّها كانت لغةً عولميّة، واستُعملت لغةً تواصل في طريق التحرير الرّابط بين الصّين وطاجكستان، ووظّفت بشكل إيجابي في طريق الملح الرّابط بين توات وقارة أفريقية، مروراً بتمبوكتو إلى عمق تانزانيا وتعملت في قارة أفريقيّة استعمالاً وكتابة وهذا من الماضي، ولكن أين موقعها في خريطة اللغات في هذا العصر؟ نقرّ بأنّها تعيش جملة من التّحدّيات تضايق أنماطها، وعلينا رفعها بالبحث العلميّ وحسن التّدير، والعمل المقرون بالتّوير، والخروج من (الآمالي) و(يجب الذي يجب) و(للعربيّة ربّ يحميها) (العربيّة لا تسير العلميّة) (العربيّة لغة الشّعر والجنانز) ... ويبدو لي أنّ مضايقاتها المعاصرة تكمن في:

- 1- عدم توظيفها في المحيط العام، وبخاصّة في الجوانب العلميّة وكيف لها أن تكون علميّة، وهي لا تُستعمل؟
- 2- احتقارها من قبل أهلها، واستبدالها بالأجنيبيات والمحليّات، والدّعوة علناً إلى اتّخاذ اللغات الأجنبيّة.
- 3- بقاء استعمالها في الوظائف اليوميّة العاديّة، ووضعها في خانة التاريخ تستظهر في الشّعارات الممجّدة للأصالة والدين والهويّة.
- 4- الهجنة اللغويّة، أو ما يسمّى بالعريزي/ الأراب فرانكو/ المهمّ الفهم/ الأخطاء الشائعة/ قل ولا تقل...
- 5- كثرة الدّخيل المضرّ بصحّة اللغة.
- 6- استعمال العاميات والأجنيبيات بشكل يدعو إلى القلق.

- 7- الدّعوات إلى التّطوّر المخادع؛ وذلك باستخدام مصطلحات تبتعد كلّ البعد عن سلامة اللغة وتضرّ بها.
- 8- الدّعوات إلى تبني اللغات الأجنبية بدلاً عن العربيّة؛ على اعتبار أنّ العربيّة ليست لغة علم.
- 9- تدخّل الجانب النفسي الذي يعمل على الانهزام الدّاخلي والفشل والتّبعيّة والانهزاميّة، وعدم الاتّكال على العربيّة في جانب البحوث الدّقيقة. وأمام هذه المضايقات، وهي كثيرة، ما هو البديل؟ هناك سلسلة أوليّة من محاذير علينا الاستعداد لها، وهي:
 1. الاستعداد النفسي للتّمسك بالتّوابت الثّقافيّة التي تحافظ على الإقرار بأهميّة اللغة العربيّة.
 2. العلم لا يكمن في لغة واحدة، والعربيّة من لغات العلم، وكيف كان لها نصيب في الماضي، وكيف تعجز في الحاضر.
 3. المناداة لرفع مستوى عمل الجامع والمؤسّسات العلميّة ومخابر اللغات والجمعيات التي تدعّم اللغة العربيّة وتحافظ على سلامة اللغة.
 4. السّعي لنشر استخدام المصطلحات العربيّة بطريقة تضمن سلامتها وانتشارها.
 5. استغلال التّقنيات التّكنولوجيّة الحديثة في الحفاظ على سلامة العربيّة.
 6. حماية اللغة العربيّة من الدّخيل واللهجات وكلّ أشكال الهجّة.
 7. السّعي للتّطوّر وملاحقة كلّ ما له علاقة بالهندسة اللغويّة، وأنظمة الحواسيب والمنصّات الحديثة.

- **معنى اللغة العلمية:** يعني التعبير اللغوي في الخطاب العلمي ذلك الخطاب الذي يتّصف بخاصية العلمية ويمنح لمحتوى الخطاب القيمة الكبرى خارج الأدبيات ويتعد عن الإنشاء، إذا ما توفّرت معالم "اللغة العلمية" في اللغة، أو لها استعداد داخلي في العيش داخل نطيات الخطابات حسب المقصود. وقد تُفقد اللغة الخطاب العلمي إذا ما قلّت المعالم العلمية أو انعدمت هذه المواصفات: الفكر الرياضي الذي يشمل: المبدأ + الفرضية + المفهوم + النتيجة + الملاحظة + التصنيف + التفسير + التأويل + البناء + التأسيس. كما يستدعي الفكر الرياضي الخطاب الرياضي؛ ممثلاً في: الاقتضاء واللزوم + إدخال المعيار + الوظيفة + الاستدلال + الاستقراء + التجربة. كما تعني اللغة العلمية اكتساب أدوات المعرفة، ثمّ العمل على تطبيق آلياتها وتفعيل عناصرها بشكل متكامل. ومن ثم يكون الهدف من "الفهم" والعمل "تماسك" محتوى الخطاب العلمي بكلّ مكوناته وعناصره. وتتجلى خصائصه في:

1. ضبط المصطلح.
2. لا وجود للتّرادف.
3. إلغاء المشترك اللفظي.
4. ضبط الجملة الأساس (الجملة الخبرية).
5. تحضير أرضيات المعجم.
6. العمل بعلم منطق اللغات.
7. استعمال عوالم الرياضيات واللّسانيات.
8. توظيف المختصرات.
9. امتلاك آليات الحكامة العلمية في المشهد البحثي.

ومن هنا نطرح مجال وجود أو انعدام هذه الخصائص في اللغة العربية ومنتظر أن نقول: إنّ هذه الخصائص متوفرة في اللغة العربية بقوة ولكنها غير مفعلة، أو ربّما لم يبحث فيها بحثاً يُميط اللثام عن معالم الوضوح فأضحت باهتة، دون الحديث عن روافد أخرى مكّلة في عدم علميّة العربية، وهي:

1. خليط لغويّ بين ما هو دخیل أو عاميّ.
 2. نقص الحفاظ على سلامة اللغة العربية من التّشوّهات التي لحقت بها.
 3. ضعف السّعي لتعزیز ورفع مكانة اللغة العربيّة.
 4. عدم العمل على تعميم التّحدّث بلغة عربيّة سليمة خالية من الأخطاء الجديدة أو المتوارثة.
 5. نقص نشر الوعي والثّقافة الهويّاتيّة حول سلامة اللغة وكيفية توظيفها في الحياة اليوميّة.
 6. عدم العمل على تقليص القصور الذي يرفعه المختصّون في أجروميّة اللغة العربيّة.
 7. قلّة غرس الاعتزاز باللغة الأمّ للمحافظة على سلامة اللغة العربيّة.
 8. ضعف السّعي للتّدقيق على المناهج التي يتمّ تدريسها والتأكّد خلوها بشكل كامل من الأخطاء التي تلحق الضّرر بسلامة العربيّة.
- وأمام هذه العدّميّات، والضعف الذي يلاحظ في كثير من أنماطها التعبيريّة يصعب أن تكون العربيّة لغة علميّة ما لم تُسدّ تلك العميّا/ الثّغرات، وهذا عملنا في مشاريعنا وتخطيطاتنا التي نروم أن تكون على مستوى المباهاة بهذه اللغة التي شرفّتنا، فهل يمكن أن تُشرفّها نحن.

- اللغة العربية العلمية: إنّ اللغات الوطنية عند كلّ الشعوب من الأمن الوطنيّ/ القوميّ/ مستقبل أمة، ولهذا؛ فإنّ موضوع علميّة العربيّة مسألة عمل باحثين وفرق بحث، ومجهودات علميّة فقط، إلى جانب معاضدة أهل القرار للأمر، وهذا كي تحجز العربيّة مكانها ضمن الخطط الاستشرافيّة للسّنوات القادمة. والعربيّة منذ 2012م لغة أُمّية على غرار اللغات الخمس وكانت لغة الحضارة الإنسانيّة، فلها الصّدارة في المشاهد الوطنيّة والعربيّة والعالميّة، ومن خلال متونها ومكانزها القديمة، ولها فضاء بحث كبير في مجال البحوث اللغويّة والإنسانيّة، ولكّنها تفتقر إلى الجانب العلميّ، فما هو الحلّ؟

كان علينا أن نفرّ بتراخي أوضاعنا تجاه هذه اللغة المشتركة، لأننا تماهينا مع الأجنبيّات على اعتبار أنّها المخرج والمنقذ من التّخلف، ونحن نعلم أنّه لا توجد أمة ارتقت بغير لغتها، ولكن أصبنا بعمى البصيرة التي جعلتنا نغفل هذا. ولقد غيّبنا مسارنا الحضاريّ العلميّ الذي طال أمده وكان له أثر في أوروبا عبر الفردوس المفقود، غيّبنا مواصلة تدريس العلوم بالعربيّة في الجامعات، وعلى أعلى مراكز البحوث الدّقيقة، ولم تظهر مجالات العلوم التي يعوّل عليها في البحوث المتقدّمة، والتي تحترم العلميّة، ولم يقع تدريب الشّباب على البحث العلميّ، أنقصنا من قيمة الترجمة، وضاعت ممّا استراتيجيات البحوث العلميّة الجادة، ولم يكن لنا مكان في إنتاج القواميس العلميّة، وأصبحنا نعيش الأمانى والأحلام دون وضع خطة/ استراتيجيّة وطنيّة وعربيّة لتمهيد استخدام العربيّة في البحوث والدّراسات العلميّة في جميع المجالات، إضافة إلى عدم تعريب العلوم الغربيّة في الجامعات اللغويّة قبل تدريسها في الجامعات، وعشنا تجارب فاشلة في تطبيق التعريب. ومن هنا

ننعي حاضرنَا الذي لم نكن في مستوى الرّفْع من هذه اللغة المعجزة اللغة الجامعة بين الدّالات الثلاث: الدّين والدّنيا والدّولة، لم ننجز استراتيجيّة للاهتمام باللغة الأمّ، وما يتبعها من مبادرات وخطّط حكوميّة وبرامج مُستعجلة/ مُتوسّطة/ طويلة المدى ولم يقع الاستثمار في الفضاء الرّقميّ وفي علم التّعميّة، وما له علاقة بالمختصرات العالميّة، وفي الاعتزاز اللغويّ فضاء الطّالب والمطلوب فهل من مخرج؟

نعم هناك مخارج ومسالك علينا اتّباعها في هذه المرحلة الحاسمة ويكون المنطلق من لغة علميّة تُفيد منها، ولا تكون لغة الهويّة، إضافة إلى ضرورة الاستثمار في التّربيّة والتعليم، والاهتمام بالبحث التّربويّ وتحديث المناهج للتغلّب على عقبات تعليم العربيّة، والاهتمام بالترجمة وتنمية المحتوى الرّقميّ العربيّ، وهندسة اللغات، وإنجاز المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة والذي يؤدّي إلى إنتاج المعرفة بلغاتنا بها وفي ذاتها، ونشرها باعتبارها لغة علم ومعرفة وفكر وثقافة.

أيّها الطّالبات أيّها الطّلبة، اعلّموا أنّ خوضكم لغمار استعمال الوسائط الجديدة، وللميديا المعاصرة، ولمختلف الوسائط التّواصلية من: فسيكة وتوترة وانستغرام وتليجرام والمالي سبينس وسناب شات، وgps والزّووم ومختلف مستلزمات الحواسيب والمحمولات، وتلك الأدلّة الوظيفيّة ضرورة قصوى وهو في صالح الفقراء؛ حيث يجمع الطّالب بين الوظيفة والتّدريس مدى الحياة، وقضاء مصالحه العلميّة وغير العلميّة عن بُعد إضافة إلى برمجيات الدّراسة عن بُعد، وتخزين المكتبة الرّقميّة، وكلّ هذا من مستلزمات العصر إن لم يكن خياراً استراتيجياً حدائياً مفروضاً، وإلّا ستعيش خارج التّغطية. وما

يجب علمه أنّ أربعة وعشرين (24) مليوناً جزائرياً يستعملون الفسبكة وأنّ أحد عشر (11) مليوناً جزائرياً يستعملون التّوترة، وأنّ مليوناً ونصف (1,5) يستعملون الأنستگرام، وأنّ واحداً وسبعين (71) من ساكنة الجزائر شباب... وكلّ هذه الفئة تستعمل هذه الوسائل، فكيف تحصل لهم المرافقة في هذا الفضاء الأزرق لصالح العربيّة. وهذا ليس بالأمر الصّعب إذا وقعت التّوجيهات اللغويّة في حسن استخدام العربيّة، والإبداع من خلالها عن طريق المتدنيات وفرق البحث التي تقوم على إدارة استعمال هذه الوسائط بطريقة علميّة تفيد العربيّة وما تلك المشاريع القائمة الآن من المقاولات الجزائريّة المبدعة Startup ببيعيد، فبعضها أبدعت في تطبيقات العربيّة، بل أضحت لها براءات اختراع في حسن تعليم العربيّة وجمع المدوّنات.

إنّه معطى التّطوير الحديث بما يعرفه العالم المعاصر من تشوير للفكر المصحوب بالتّقانات المعاصرة. ولهذا عليكم الاستثمار في علميّة العربيّة عبر مستجدات الرّقمنة؛ حيث تجمع العمليّة بين المهارات الأربع: السّماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة. والبحث في تقديم مشاريع جماعيّة في بناء المنصّات وفي ملء فراغات خانات أنظمة Windows في المحلّلات النّحويّة/ الصّرفيّة/ الإملائيّة/ إدخال المعاجم الوظيفيّة... ونوجّه طلابنا إلى الخروج من النّمطيّة التّقليديّة التي لا تُركّز على إلهام المتعلّم بالإبداع وراء إبداع، فانفتحوا أيّها الطّلاب على آليات العصرنة وآفاق المستقبل. ولا يمكن أن نتحدّث عن علميّة العربيّة ونحن لا نزال لم نطوّر آلياتنا التّدريسيّة، ولا بدّ من جلد الدّات في هذا الجانب، ونقول: إنّ العربيّة لا يطورها إلّا أهلها، وأين مقامهم من التّدريس باستعمال (Power Point) وكثرة العودة إلى توظيف (Excel)

فالذي اخترعه أعظم عقلاً من مخترع الطائرة، وأين محلّ الأستاذ من فتح مشاريع في الذكاء الصناعي وإلى أيّ مدى يُتقن الأستاذ علميّة OCR/ تحويل الصّورة إلى (Word) بله الحديث عن توظيف أنظمة الذكاء الصناعي في صناعة البرمجيات، وأين محلّ المخابر اللغويّة في فرق البحث ذات الاختصاصات المتنوّعة، وأين دور الجامعة في المحيط الصّناعي والاجتماعي وما يتبع ذلك من نمطيّة لخريطة التّمنية الوطنيّة عبر تحديث منظومة التّربية والتعليم... تلکم جملة من الأمور التي علينا الرّهان على خوضها في لاحق من الزّمان، وما عشناه في هذا الظّرف الصّحي يتركنا نعيد النّظر في كيفية استمرار الحياة في زمن الأزمات والتّوازن، كيف نحقق (اشتدّي أزمة تنفّرجي) كيف بُدع في مختلف مجالات العربيّة، وتعلّمها بيّسر وسهولة بتوظيف البنيات القاعدية الموجودة في اللغات العلميّة. هنا المشكلة التي ندعو الطّلبة لممارسة أنشطة الهندسة اللغويّة، ولا شكّ أنّكم سوف تصلون إلى فهم كنه صناعة التّطبيقات التي تعمل على رفد العربيّة، ويكون لها المقام العلمي بل التّصدّر لما لها من خصائص في جذورها واشتقاقاتها التي لا توجد في اللغات الأخرى، والعولّ عليكم وعلى الشّباب الطّموح الذي نرمي له هذه اللغة فيطوّرها، ألستم جديرون بمواصلة أمانة علمائكم الذين أبدعوا في المتون، وعليكم الأبداع في العلوم، وبذلك تنطبق عليكم مقولة (خير خلفٍ لخيرٍ سلفٍ).

- الخاتمة: لا يعني حرصي على العربيّة الانغلاق عليها دون غيرها من اللغات، بل لا بدّ من التّلاقح اللغويّ عطاءً وأخذاً، وكما خلصتُ إلى ضرورة الانطلاق من لغة عالميّة علميّة يُستأنس بها وبمراجعتها ومصطلحاتها

وقواعدها العلميّة، لأنّ التّخصصات متداخلة؛ تحتاج إلى لغة مشتركة للتّواصل العلميّ في ما بينها، وبخاصّة في ظلّ خدمات الشّابكة وأنّ العالم قرية صغيرة يؤثّر ويتأثّر، إضافةً إلى الانفجار المعرفيّ الذي أضحى غرفة صغيرة كذلك، ولغة تواصله الانكليزيّة؛ ولا بدّ من البقاء في عالم تنافسيّ معلوماتيّ؛ والذي يتحتّم علينا التّسلّح بمعرفة غزيرة ومعلومات متجدّدة بذات اللغة التي يُصنّع بها التّواصل العلميّ على نطاق أوسع؛ يعني ضرورة إيلاء اللغة الإنكليزيّة مكانةً وقيمةً لأغراض البحث العلميّ، وأنها المركّب الذي يوصلنا إلى اللّحاق والاستفادة من العلوم الحديثة. وهنا لا ننعل لغة العولمة حتّى نستفيد منها ونعمل على تطوير لغتنا من جانبها العلميّ، ولا نغلق عن العولمة فهي في صالحنا إذا عرفنا كيف نتماهى معها بالمحافظة على الخصوصيات، وهي لا تتدخّل في الخصوصيات، وهذا ما تقرّه كلّ المراسيم الأُمّية بالمحافظة على اللّغات الأمّ، وبالاحتفاء باللّغات الرّسميّة، والعيش معاً، وبالتّنوّع الثّقافي... وعلينا حسن ترشيد آليات الترجمة من اللّغات الأخرى، فالعلم لا تحوّر ولا تحتكره لغة واحدة، ويعني كلّ هذا أنّ العلميّة موجودة في كلّ اللّغات الطّبيعيّة وآية لغة وقع الاهتمام بها تكون علميّة وإذا وقع إهمالها تنقرض وتموت. واللغة العربيّة لغة علميّة لا تموت، وهذا ما تُبرزه الدّراسات المستقبلية أنّها من بين اللّغات العولميّة التي لا تميّتها كوليرا اللّغات، وستحصل لها العولمة العربيّة مع نهاية هذه العشريّة، كما يحصل لها العولمة العالميّة آفاق 2050، فأنعم بها من لغة جامعة!

اللغة العربية والتواصل الحضاري^٧

- **الديباجة:** نشكر الفاعلين النشيطين في اليونسكو على اختيارهم شعار الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية لهذه السنة 2021م بميسم (اللغة العربية والتواصل الحضاري) ويأتي تأكيداً للدور المهم للغة الضاد درة تاج اللغات وجلالة الملكة (اللغة العربية) في السبق لمد جسور التواصل بين الشعوب عبر الثقافة والعلم والأدب في منظور التكامل بين الشعوب. وهكذا يظهر بيان منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم أنّ الغاية من هذا الشعار إبراز الدور التاريخي الذي تضطلع به اللغة العربية لمواصلة استحداث المعارف وتناقلها، وهي وسيلة للارتقاء بالحوار وإرساء أسس السلام، في ظلّ تغوّل العولمة، وتبعات الرقمنة، وموت اللغات، ونحن بحاجة إلى تعزيز الحوار بين الشعوب، والعمل على التقارب اللغوي الذي يؤدّي إلى السّماع للآخر. وباعتبار العربية من أكثر اللغات إسهاماً في التواصل الحضاري على مرّ القرون، وذلك ما تجسّد في ثراء الوجود الإنساني، وما وقع الانتفاع به من الموارد. ومن خلال هذا الشعار نقول: إنّ العربية تُتيح الدّخول إلى عالم زاخر بالتنوّع الثقافيّ بجميع أشكاله وصوّره، وقد كان لها ذلك في ما مضى من الزّمان، ولم يتوقّف مع حدوث بعض الهنات التي علّقته لبضع من السّنين وها نحن -أهل اللغة العربية- نريد أن تعود إلى تأثيرها كلغة تواصل يوميّ

^٧ كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في احتفائية 18 ديسمبر 2021. فعالية مشتركة بين المجلس الأعلى للغة العربية والملحقة الثقافية السعودية. أنجزت بتاريخ: 19 ديسمبر 2021.

ولغة فرنكية أممية، وقد أثبتت خصائصها الداخليّة تنوعاً للأصول والمشارب اللغويّة أنّها في كامل طبيعتها لغة تواصلية دون خدوش، كما أنّ خصائصها الخارجيّة تُظهر بعולה جديدة قابلة للتأثير والتأثر، والأخذ والعطاء، وقد كانت لغة التواصل في طريق الحرير، وكانت لغة أفريقيّة في طريق الملح. وإنّها لغة تحتوي على شواهد تُبين الصّلات الكثيرة التي تربطها بعدد من لغات العالم الأخرى، وساعدت على نقل المعارف العلميّة وفلسفة اليونان والرومان، ونقلتها إلى أوروبا في عصر النهضة. وما يمكن أن نلاحظه في هذا الأمر الحضور الإسلاميّ الذهبيّ الأندلسيّ باعتباره حجةً للتقارب بين الحضارة المسيحيّة والإسلاميّة، وبين التراث اليهوديّ والإسلاميّ... وهكذا أصبح استحضار الأندلس الإسلاميّة وبدرجة أقلّ منها صقليّة الإسلاميّة من المواضيع المبتذلة في سياق الخطاب المتداول حول التقارب بين الثقافات وحول الوحدة التاريخيّة والحضاريّة في البحر الأبيض المتوسط، وأيضاً بخصوص التسامح بين الشعوب من مختلف الديانات. وكانت جسراً علمياً لثمانية قرون خلت وأتى عليها الذي أتى على الفردوس المفقود، وتذهب مجرّط وإشبيلية وطليلة وقرطبة هباء:

بأربع فاقت الأمصارَ قرطبةُ منهنّ قنطرةُ الوادي وجامعُها
هاتان ثنتان والزّهرَاءُ ثالثُهما والعلمُ أعظمُ شيءٍ هو رابعُها
وكان ذلك من المتعة الثقافيّة بصيغة مستفيد من الحضارة الشّرقية التي كانت شعلة العالم، وكما قال (Pierre Gory) الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء لسنة 1903م "لو لم تُحرق كُتبُ المسلمين؛ لَكُنّا اليوم نتجوّل بين المجرّات". هي منجزاتٌ حصلت من المسلمين، وأتاحت هذه الإسلاميّة

العلمية والثقافية إقامة الحوار بين الثقافات على طول المسالك البرية والبحرية من الصين وسواحل الهند إلى القوقاز وروسيا البيضاء، مروراً بشبه الجزيرة العربية، وإلى بلاد الهلال الخصيب، ومن توات إلى القرن الأفريقي مروراً بدول السهل إلى الكاب.

1- **لنا السبق الحضاري:** ما يجب العلم به أنّ الحضارات دُول، وقد كانت حضارة العرب الإسلامية بماضيها المشرق، وبمبناها الممدّد حضارة عالميّة عالميّة أيام تجبّط الأمم في ظلمات بعضها فوق بعض. ألم يكن الجغرافي العربيّ (الإدريسي) أوّل واضع لخريطة العالم، وأنّ مكتشف الدّورة الدّمويّة الصّغرى هو (ابن النفيس) ومؤسّس علم الاجتماع (ابن خلدون) وأشهر الرّحالة في القرون الوسطى (ابن بطوطة) ومؤلّف كتاب (الطّريق إلى المدائن) (أحمد عادل كمال) وواضع التّحو (أبو الأسود الدّؤلي) والعالم العربيّ الذي اكتشف انكسار الضّور هو (الحسن بن الهيثم) ومن أعظم أطباء العالم صاحب كتابين: (الجُدري والحصبة + الحاوي) هو الرّازي، والذي وضع التاريخ الهجري هو (عمر بن الخطّاب) وفتح بلاد الصّين (قتيبة بن مسلم الباهلي) وأكبر علماء التاريخ صاحب كتاب (الكامل في التاريخ) (ابن الأثير) وأنّ فاتح القسطنطينيّة هو (محمّد الفاتح) ومؤلّف كتاب (الدّاء والدّواء) هو (ابن القيم الجوزية) وأوّل من وضع معجماً باللّغة العربيّة هو (الخليل بن أحمد) وكان أنموذجاً لصناعة معاجم اللّغات، وأوّل من وضع صورته على التّقود (الإسكندر المقدوني) وأوّل من أصدر عملة عربيّة هو (عبد الملك بن مروان) وأنّ (الخوارزمي) أوّل من فتح مجال الخوارزميات بكتابه (الجبر والمقابلة) وأوّل خليفة ترجمت له الكتب السّريانيّة والأعجميّة

إلى العربيّة كتابين: (كليلة ودمنة + إقليدس) هو (أبو جعفر المنصور) وأنّ قناة السّويس المجرى المائي الصّناعي كان بغرض توصيل البحر البيض المتوسّط بالبحر الأحمر، وأنّ (الزّجاج) اختراعٌ شرقيّ عرفه الأوروبيون أثناء الحروب الصّليبيّة فنقلوه إلى أوروبا... والقائمة كبيرة وطويلة من التّصدّرات ضمن وعي لغويّ حضاريّ باللغة العربيّة حصل للعرب وكانت لهم الريادة، مع كلّ ما حصل لا ننكر وجود صدامات بين الحضارتين من مثل معركة (اليرموك) بين المسلمين والرّوم، ومعركة (ميسلون) بين العرب والإنكليز، وأنّ الصّالح عقد بخصوص إنهاء الحروب جرى بين (صالح الدّين الأيوبي) و (ريتشارد قلب الأسد) ملك إنكلترا في صلح سميّ (صلح الرّملة)... وهكذا دواليك... ونحن الآن نعيش حضارةً معاصرةً وفيها نحتاج إلى وعي حضاريّ جديد للتّهوض ونريد وعي إدراك الحضارة المعاصرة بجملة مظاهر التّقدّم الماديّ والمعنويّ دون همجيّة وتوحّش بتمكين آليات الحداثة اللغويّة وإدراك فقه التّحضّر المعاصر بمنطق الإسلام والعربيّة لتشكيل التّهوض، وبتفاعل مقاصديّ مع العلوم والظّواهر الحديثة؛ دون انعزال عن المتغيّرات وبعامل التّدافع لكسب منظومة الفعاليّة اللغويّة، بدل السّقوط الحضاريّ ونحن نعيش الفرصة العائدة من الدّورة التّاريخيّة، فكيف نُعدّ العدّة للوعي بالمستقبل في فقه التّهضة من جميع جوانبها باعتماد اللغة المشتركة؟ وإنّه من الضّروري استدراك ما فات، وتدارك الأخطاء، والوعي بحضارتنا هو الذي يحقّق لنا الشّهود والموقع والتّصدر والتّطوّع، رغم أنّنا بدأنا من القفار، ولكن أقمنا الحضارة فيها، وكان لنا العزّ، وانعكس ذلك في

صناعة الرسالة الربانية، وترسّخت معالمها التطورية، ألم تسمعوا بقول الشاعر القطامي:

ومن تكن الحضارة أعجبته فأبي رجالٍ بادية ثرانا
وقال فيها (ابن خلدون) "والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام
الصنائع والملابس والمباني والفرس والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله
فلكل واحد منها صنائع في استجاداته والتألق فيه، تختص به ويتلو بعضها
بعضاً، وتتكاثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعّم
بأحوال الترف، وما تتلون به من العوائد. فصار طور الحضارة في الفلك يتبع
طور البداوة ضرورة؛ لضرورة تبعية الرفه والملك". هي دورة الحياة تعود دور
الوعي الحضاري لماضيها المشرق بما لنا من قدم النموذج أيام القحط
والظلمات، وقد جاء الوعي الحضاري الإسلامي لتصحيح ما كان، وكفانا
غفوة أرخت سدوها علينا، فانكمش دورنا فطويت الحضارة على قوم دوننا
فكان ما كان. وبقيت الذكرى حبيسة الأسفار يذكرها هذا الزمان، فما الحل
لإعادة الحركة في نفوس هذا الجيل؟!

2- **في عمق لغة الضاد:** إن العربية من أكثر اللغات جذوراً وامتداداً في
الزمان والمكان، وأغناها كلمات وأوسعهنّ معاجم، وأبلغهنّ فنون القول
والبيان والفصاحة. وأن الإسلام هو البعد الحضاري الذي جعلها تخرج من
شبه الجزيرة العربية؛ لتتألق حواضر الشرق والغرب والشمال والجنوب في
ظرف زمني قصير، زمن الفتوحات الإسلامية التي سبقتها التجارات
والمقايضات، فانتشرت بما لها من القوة الناعمة التي مكنتها التغلب على

لغات الكثير من البلاد، ويعود ذلك إلى بنيتها الداخلية، ودقة نظامها وقواعدها، وغنى معجمها، وقدرتها العالية على التعبير. هي عربية المعجزة الخالدة التي لم تنقرض منذ واحد وعشرين (21) قرناً وبقيت مُسيرة لتحديات كثيرات، ومنها التحدي التقني، وهي تؤكد حضورها في وسائل العصر بقوة ذخيرتها الجارية التي تُعطي لها صفات البقاء والخلود. وهكذا لعبت الحضارة العربية الإسلامية بلغة الدين دوراً في التواصل بين الشعوب على مرّ الزمان، وما تزال آثار تلك الحضارة تترى باستمرارية متجددة وبمنطق الدورات التاريخية المرتبطة بمركزية الدين، وما يتبعها من إنتاج الأفكار والتحلي بالقيم الأخلاقية، وما يحصل وراء ذلك من تراتب المهام وأولوية العمل ومنطق العمل لتحقيق الفعالية. وما يجب علمه أنّ العربية كانت العامل الأساس في إيجاد جسور هذا التواصل الذي أدى إلى بناء علاقات حميمة وتفاعلات حضارية تُقرّب بين الأطراف المختلفة. لماذا اللغة العربية؟ لأنها كانت لغة نسبية في طريق الحرير، ولغة كاملة النسبية في طريق الملح، ولغة نسبية مئة في المئة في الفردوس المفقود، وبمصطلح العصر الحاضر (لغة العولمة) وبذلك اتسعت حضارة الإسلام بها خارج شبه الجزيرة العربية وكلّ ذلك الانتشار جعلها تسمو في أساليبها، وتدخل فيها ألفاظ جديدة تتلاقح مع لغة البلد. ولا أحد ينكر ذلك التأثير اللغويّ الحاصل الذي أثمر في العربية تطوراً مذهشاً؛ نقلت العربية نقلة نوعية من أدبها القديم الجاهلي إلى الأدب الأندلسي المناكف لموروث المعلّقات، والوقوف على الأطلال إلى: جادك الغيثُ إذا الغيثُ هما يا زمان الوصل بالأندلس

وهكذا عرفت اللغة العربية مرحلة التلاقح بزيادة التلقيح من لغات مُجاورة بمُكمن الاحتكاك الذي كان ضرورةً حضاريةً تاريخيةً أدى حتماً إلى تداخلها. وعرفت خلال ذلك كلّ المراحل الحضارية التالية:

2/ 1- مرحلة التأسيس الغروبي: وهي مرحلة اللغات الغروبية من ثمودية وصفوية ولحيائية ومازيجية... وتظهر في بعض النقائش الباقية التي كشفت عنها بحوث كربون 14، ولا نملك عنها إلا بعض الصور النحوية المستعملة في اللهجات الباقية.

2/ 2- مرحلة الساميات والنظائر: وهي مرحلة الترقّي بوجهة لغوية مع اللغات الشرقية على غرار: الأمهرية + السريانية + المندائية + العبرية + الفارسية + العثمانية + الأوردية، وهي مرحلة غلبة العربية فيها، وكانت أمّ الساميات، ويقول المستشرق (إرنست رينان / Ernest Renan) في كتابه تاريخ اللغات السامية (Histoire générale des langues sémitiques): "إنّ انتشار اللغة العربية يُعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يُعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلّها؛ فقد كانت هذه اللغة غيرَ معروفة باديء ذي بدء فبدت فجأة على غاية الكمال، سلسلة غاية السلاسة، غنيّة أيّ غنى... وإن اللغة العربية - ولا جدال - قد عمّت أجزاء كبرى من العالم".

2/ 3- مرحلة الخروج من الأرومة اللغوية السامية: وهي مرحلة العصر الجاهلي في شبه الجزيرة؛ حيث كانت لغة البداوة المتبدلين في نجد والحجاز، لغة سافلة الأعالي وأعالي السافلة، ولغة أكلوني البراغيث وأكلّة

اليرابيع وحرشة الضباب، وما كان ذلك إلا لتصبح صافية فصيحة حيث عبّرت عن الصّفاء اللغويّ في عترته العفوية ذات الطّبع الخاصّ.

4/2- مرحلة الأخذ والعطاء: وهي المرحلة التي صاحبت الفتوحات الإسلاميّة؛ حيث يستدعي التّعليم والتّرجمة ونقل العلوم، وقد عرفت العربيّة وجوداً حضارياً خارج موطنها، ونالت المقامات العُلا في الأندلس بجزيرة إيبيريا وفي بلاد السّند، وتعوّلُ خطّها في لغات أفريقيّا، وأضحت لغة (Lange Franca) في التّواصل الحضاري، وهذا ما يقرّ به (غوستاف لوبون/ Gustave Le Bon) صاحب كتاب حضارة العرب (La civilisation des Arabes): "... كلّما تعمّق المرء في دراسة العربيّة تجلّت له أمور جديدة واتّسعت أمامه الآفاق، وثبت له أنّ القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلاّ بوساطة العرب، وأنّ العرب هم الذين مدّنوا أوروبا في المادة والعقل والخلق". ويقول الباحث (ماكس فانتاجوا/ Max Vintéjoux) في كتابه (المعجزة العربيّة/ Le miracle arabe): "الحقّ أنّ مؤرّخيننا قد حاولوا جهدهم أن يجعلوا من العالم الغربيّ محوراً للتّاريخ، مع العلم بأنّ كلّ مراقب يدرك أنّ الشّرق الأدنى هو المحور الحقيقيّ لتاريخ القرون الوسطى. إنّ تأثير اللغة العربيّة قد شكّل تفكيرنا بصورة كبيرة... والكلام كثير جداً، ويظهر ذلك في كثرة الألفاظ العربيّة في جسم معاجم اللغات اللاتينيّة واللغات الشّرقية نتيجة التّعايش الحضاريّ الذي شكّل مرحلة العطاء والأخذ، وكان للعرب دور احتكار آليات التّفكير العلمي في جانب التّنظير.

2/5- مرحلة فرض الأمر العلمي: هي مرحلة التلاقح العلمي الذي فرضت فيه العربية أنماطها عبر اللغات اللاتينية بالخصوص، وقد أسكتت كل اللغات السامية، وأصبحت مرجعية في النحو والمعجم والأدب وأسست مدارس كبرى عبر حواضر: بغداد+ مكة المكرمة+ القيروان+ القرويين+ بجاية+ تلمسان+ حلب... وأصبحت مجتمعات علمية تقصد من قبل الغرب وكان هذا الفعل ظاهراً في الثقل المؤسساتية في الأندلس حيث نجد الحضارة العربية الإسلامية أفادت الحضارة اللاتينية وغيرها من الحضارات؛ مما جعلها تطبق ذلك في مجالات شتى، وأفادت عقول مفكرها، وشجعت البحث والعلم والمعرفة، وأنشأت مؤسسات سادت عصرها، وأثرت في الحضارة المعاصرة. إلا أن الحديث قعد بنا الزمان من تقاعسنا، رغم كثرة دولنا ومؤسساتنا العلمية والثقافية، وقد ينطبق علينا:

كُثُرٌ، ولكن عديد لا اعتداد له جمعٌ، ولكن بديد غير مُتّسقٍ حارت عقائدنا، زاغت قواعدنا أما الرؤوسُ فرأي غير مُتفقٍ فما هو المخرج والحل؟ لا بدّ من منهج جديد؛ منهج يُخرجنا من الجمود الفكري والتّحجّر العقلي والتّعصّب للرأي، وإلزام الناس بما لم يلزمهم الله به. وبما يمكن أن يُقال بأننا أهملنا تواصلنا بلغتنا وثقافتنا، وبما ضينا المشرق ووجدنا أمامنا حضارة غربية وصلت إلى أعالي درجات التّقدّم والاكتشافات الثّانوية. هي حضارة انبهار شقّت طريقها بقاعدة إسلامية وتجاوزتها. ونحن لا نزال ندور في سطحية الأفكار وجدال أسباب التّخلّف، ولم نستطع تحريك العقل العربي إلى تدبير جديد، ولذلك عاشت الضّحالة في أفكارنا، وغاب

الرَّجُلُ المرجعية، ولكن هناك أمل التغيير الذي سيتلوه الإصرار على ضرورة الأمل والعمل ثم العمل.

3 - **ضرورة التواصل الحضاري المعاصر:** إنّه استمرار لذلك التعايش القديم بين الحضارات التي سادت في قرن/ قرون أو في فترة زمنية محدّدة وتمثّل ذلك في التواصل الحضاري واللغوي/ (Cultural communication and linguistic) في تواصل بين الحضارات في تبادل المنافع عن طريق اللغة. وتمثّل ذلك في العربيّة واللاتينيات في تبادل الكلمات، وخير من يجسّد الصّورة الحقيقة كتاب les , Nos ancêtres Ce que notre langue leur doit Jean Provost , arabes وكذلك كتاب جاك (Jack Lang) الموسوم (La langue Arabe, trésor de France)؛ لنرى ما حفلت العربيّة، وما سوف تحفل به من أسس استكمال اللبّات التي تجسّدت في القرون الوسطى عندهم، وقرون العلم عند العرب، قرون عاصمة العلم بغداد العلماء، بغداد بيت الحكمة وحاضرة الأندلس في ملوكها المسلمين وفي جامعاتها العالمة. قرون الانفتاح والتّآخي، ولكم دينكم ولي ديني وهذا ما يؤرّخ له الشّاعر القروي:

يا حبّذا عهدُ بغداد وأندلس عهدُ بروحي أفدي عودَه وذوي
يا قومُ هذا مسيحيّ يُذكّرُكم لا يُنهضُ الشّرقَ إلّا حُبنا الأخوي
وسيطّلنا التّاريخُ على عمق التّأثير العربيّ الإسلاميّ بحضارة شريفة إذ
نجد فيها العربيّة لسائها الذي فتح صفحة لالتقاء ثقافتين العربيّة الإسلاميّة
واللاتينيّة المسيحيّة، اتّصلتا وتفاعلتا فتعرّضتا للتّأثير المتبادل عبر عصور

التعايش المشترك. وهذا الزخم إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على عمق التواصل الحضاريّ بين أمة شرقيّة عربيّة مسلمة، وأمة غربيّة نصرانيّة لها حضارتها وثقافتها لا يمكن تجاهل مسلماتها. وفي كلّ هذا فإنّ ما نستنتجه إنّ اللغة كانت المعبر الحقيقيّ للقوّة التي تستند إليها أيّة حضارة تُريد لنفسها البقاء أو الانتشار خارج موطنها، وكانت العربيّة المنطلق التي كرّمها الله بكلمه، وجعلها تستفيد منها اللغات في نقل العلوم وتوصيلها إلى مواطن لم تكن لتصلها لولا الدين الإسلاميّ والتسامح اللغويّ والتأثير العلميّ ما كانت لتكون في آسيا، وبلاد الأندلس، ودول البحر الأبيض المتوسط وكانت في أوج عطائها في العصور الوسطى وظلّت لخمسة (500) سنة لغة المعرفة والثقافة والتقدّم الفكري. وتمّت ترجمة معظم المؤلفات الإغريقيّة الكلاسيكيّة العلميّة والفلسفيّة إلى العربيّة في القرن التاسع. وانطلاقاً من هذا الأساس حقّق العلماء العربُ العديد من الكتب في العلوم والطبّ والرياضيات. وكان تعلّم اللغة العربيّة شائعاً على نطاق واسع في إنكلترا في العصور الوسطى من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الميلادي. وكانت للعربيّة السيادة كلغة عولمة بحماية الدين والعلم، وطلبها أصبح من الواجب، وذلك ما يصرّح به بول ألفارو / Paul Alfaro المسيحيّون مولعون بقراءة الأشعار والقصص العربيّة، وهم يدرسون فقهاء الإسلام وفلاسفته، لا ليدحضوا ما يقولون؛ بل لتصحيح لغتهم العربيّة وتنميق أسلوبهم، وهل لدينا اليوم من غير رجال الدين من يقرأ التفسير اللاتينيّ للكتاب المقدّس، أو من يدرس الأناجيل، أو كتابات الأنبياء والرسل؟ وأأسفاه! إنّ جميع شباب المسيحيّين من ذوي المواهب يعكفون على قراءة الكتب العربيّة ودراسيتها بحماس.

أيها الجمع الكريم، هناك حقيقة لا بدّ أن تُقال، وهي أنّ الثّقافة العربيّة كانت وسيلةً تواصلٍ عبر المشتركات الخاصّة، وهي في ودّ واحترام للمشاركات العامّة، فعند احترام المشتركات العامّة تتحوّل كلّ المشاركات الخاصّة بصورة طبيعيّة إلى تواصل والتّقاء وتفاهم واحترام، فإذا سادت أجواء الاحترام لا تحصل أيّة خلخلة في أن يتعلّم مجتمع لغة قومٍ آخرين وأن يتواصل معهم من خلالها، ويمكن في هذه الحال أن ينظر إلى كلّ مَنْ أجاد لغة -إلى جانب لغته الأمّ- بحسبانه جسراً بين شعبين/ أمّتين، وحينها نستطيع إقناع كلّ مَنْ يتعلّم لغة جديدة بأنّه يُمثّل جسراً جديداً، فتكوّن القاعدة الثّقاريّة التسامحيّة اللغويّة الحضاريّة بين الشّعوب الإنسانيّة.

إنّ عدول الأمة العربيّة الإسلاميّة المعاصرين حملوا همّ انتعاش التّواصل الحضاريّ بين البشر؛ وهو شعار الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربيّة لهذه السّنة، ونقول بأنّ أجدادنا العرب عملوا على تجسيده من خلال المخطوطات التي زرعوا فيها أمل التّكامل، وهي التي أبانت عن العروبة والإسلام في لحمه الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ويصطبغ بطابعها، وبعقول أبنائها، وما شيّدته سواعدهم الفتية؛ ليقدم في النهاية مُنجز العرب المسلمين لغير المسلمين، والمهمّ في ذلك هو وجه الدّين الإسلامي واللغة العربيّة. وهنا تكمن الحاجة إلى إحياء تراثنا وقراءته قراءة حديثة، وترجمته إلى الغرب لتحقيق التّرجمة أهدافها، وهي بريد اللغات، والتي من أهمّها التّواصل بين الشّعوب المختلفة والثّقافات المتنوّعة، وتصحيح صورة العربيّ، الذي أصبح -عندهم- لا يُشارك في الحضارة الإنسانيّة إلّا مستهلكاً، وفي ذات الوقت لا بدّ من الاستفادة من المنجز الغربيّ في الحضارة الحديثة لتواصل بمبدأ العطاء

والأخذ. وهذا ما رأيناه من مَهْمَتنا من خلال هذا الاحتفاء أن نبرز أهمية التواصل الحضاري؛ باعتباره عنصراً مُهمّاً في إرساء حوار الحضارات وتواصله وباعتباره خياراً استراتيجياً يُؤدّي بالبشر إلى الأمن والاستقرار بتعزيز احترام التنوع الثقافي المضيف، وإرساء مسلك تربية قبول الآخر بأسس جديدة للتعاون الإنساني في راهتنا. ومن هنا، فإنّ واقعاً جديداً بدأ يبرز في إقامة جسور التفاهم بين الشعوب، وحرّياً بنا تهيئة الأجواء والمُعَدّات بما يحفظ لنا خصوصياتنا الدينيّة واللغويّة، وضرورة التماهي في القوى التفاعليّة الثقافيّة بمبدأ القوّة الناعمة، من منطلق رابع رابع.

أيّها الحفل الكريم، إنّ التواصل الحضاريّ ضروريّ وليس ترفاً، وكما يقول (مالك بن نبي) "... الحضارة هي الخاضعة للتقدّم والمحيط المناسب لإشاعة ثقافة العلم، حين تعطي الفكرة المبرّرات الدافعة لليدّ والعقل للاستفادة من الوقت... وتبدأ الحضارة حين يتعلّق الإنسان بمبدأ سماويّ... حيث ينتهي القلق والاضطراب، فإنّ أمن الإنسان يتفجّر فيه ينبوع الإبداع والإنشاء". ويتبعه التواصل الحضاريّ الذي هو الوصل بين طرفين في إطار الاقتراب بينهما أو التعاون، وهو ضرب من التواصل الرّاقِي الذي ينبثق من الإرادة الجماعيّة والرّغبة المتبادلة والإحساس المشترك باعتباره ضرورة من ضرورات التعايش والتّفاهم بين العديد من الأطراف. وربّما يمكن أن نُسمّيها حلف الحضارة المعاصرة المطلوب تجسيدها تحقيقاً لتعزيز التعاون الدّولي عن طريق حوار الثقافات، وتحالف الحضارات تدعيماً للسّلام العالميّ؛ بهدف تلاقي اللغات وتحقيقاً للاندماج والتناغم الاجتماعي عن طريق تبادل معرفيّ وتقنيّ. ونحن العرب من مصلحتنا تعزيز ثقافة التّحالف

بين الحضارات؛ كوسيلة للتواصل الحضاري وإعادة صورتنا القويّة في الميزان العالمي بما لنا من دينٍ عالميٍّ غير رهبانيٍّ ولغةٍ عاليّةٍ أصيلةٍ، وتراثٍ ضخمٍ، وعمقٍ وجود. ومن الضروريّ أيّها الباحثون، بل المطلوب منكم الدّفع بكلّ ذلك في اتّجاه معرفة الإنسان بما عليه أن يجمع بين الجانب الإيمانيّ أولاً، والجانب الماديّ ثانياً، وهي غلبة المعادلة الحضاريّة من أجل بناء: إنسان+ تراب+ وقت، على رأي (مالك بن نبي) وهذا ما يجب أن نتّجه به لتحقيق توازن صناعيّ غربيٍّ عولميٍّ يحتاج إلى حوارٍ تواصليٍّ من خلال المحافظة على القوانين العالميّة والتمطّ العولمي من غير السّماح للصّدام؛ تحقيقاً لأهداف حضارتنا الشّريّة السّاميّة.

أيّها الحضور، اسمحوا لي أن أقول: من واجب السّياسيين والمثقّفين العرب أن يعملوا من أجل تجسيد نقاط الالتقاء بين الشّعوب عن طريق المنطق والعقل، والعمل على بناء أرضيّة مشتركة تعتمد على المصالح المتبادلة، والسّعي لتحقيق المثاقفة والتّلاقح الفكريّ الذي يسمح بالتأثير والتأثر، وليحلّ التّسامح محلّ نظرة الاستعلاء والاحتقار. وإنّ تحقيق اليوم العالميّ للغة العربيّة يدخل في ضرورة الاعتراف بالاختلاف وبالتنوّع وبضرورة إشراك الحضارة الإسلاميّة في صنع القرار، وبجعل هذه الحضارة قوّة اقتصاديّة عاليّة؛ ولذا يجب بناء اقتصاد قويّ حتى يكون لنا موقع في صنع القرار.

وأخيراً، إنّ الأصل في الحضارات التّواصل لا الصّراع، وعلينا من خلال هذا الشّعار الالتزام بأداب الحوار، وشروطه وضوابطه، وضرورة احترام المرجعيّات والخصوصيّات الثقافيّة، ليرتقي شعارُ اليونسكو إلى مستوى سامٍ

رفيع، ولا سبيل للتواصل الحضاري الحقيقي إلا بتحقيق قوله تعالى ﴿يَتَّيَبَّهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿الحجرات 13. وهو سبيل من سبيل التواصل الحضاري
ومن ركائز الدعوة الإسلامية. ولولا هذه الوسائط الوشيحة التي رسّخها
الإسلام لما وصلنا إلى ما قامت تلك الحضارة العربية الإسلامية التي مدّت
جسورها الجامعة بين الشعوب والحضارات المختلفة، ولولا ذلك ما وصلت
الفنون والمعارف الإسلامية من علوم وبصريات وكيمياء إلى الغرب، في
الوقت الذي كانت الجاهلية تضرب أطناها في عواصم القياصرة والأباطرة.
ومن هنا نحتاج إلى مؤسسات أخرى تعمل في هذا الإطار، مع ما يتبع ذلك
من منطديات، وأنشطة وجوائز؛ تعزّز هذا المنحى لصفر صراع في أوطاننا
وتعميق التعاون لتحقيق المنفعة المتبادلة والفوز المشترك، وتحقيق الازدهار
المتبادل بروح الشمول، وهكذا نُحقّق وصفة الأجداد الأقوال ورقة
والأفعال ثمرة؛ فتعالِ نرمّم الجذور القديمة من أجل الحوار، وتعالِ نبين
جسوراً جديدة من أجل الحوار، وتعالِ نتواصل ليجمعنا السّوار، ونستذكر
حضارتنا ذات الفناء، ولعلنا نُعيد الكرّة باقتدار.

اللغة الوطنية المشتركة

والتنمية الشاملة المستديمة[♥]

- **الديباجة:** سيكون حديثي إليكم سريعاً عن ضرورات التخطيط الاستراتيجي، وعن دور المجتمع المدني والقطاع العام والخاص في دولة المواطنة من أجل تنمية شاملة مستديمة، وأنا لست من أهل الاقتصاد ولكن أحدثكم عما يتعلق بمهام المجلس الأعلى للغة العربية، وفي إطار مهامكم كمقترحي أفكار، ومرافقي الحكومات هو ما أنقله لكم، وأركز عليه؛ بغية التعاضد في ما يخدم ما يجمعنا في ضرورة الاهتمام باللغة الوطنية المشتركة. وسوف أستفيض معكم في الموضوع. وأقصد باللغة الوطنية المشتركة تلك التي يفهمها عموم الناس، وهي من الضروريات التي نتداعى من أجلها ليكون لها موقع خاص في الخطاب الرسمي وفي المدرسة وفي الإعلام وفي كل مرافق الدولة بشكل طبيعي، بغض النظر عن وجود لغة/ لغات وطنية أخرى/ لغات لها صفة الوطنية، وليس لها صفة التمثيل الوطني في مفهوم الأداء المتفق عليه، أضف إلى ذلك عدم وجود صفة الاعتبار الدولي. وهذا الموضوع أخذ الكثير من المجادلات وعرف بعض التراجعات التي أفضت إلى التشكيكات في من نكون؟ وما هي أصولنا؟ وما هي اللغة الأم؟ ... وفي كل مرة نعيد نفس الكلام والأحرى ضرورة الخروج في المسائل التي فصل فيها الأجداد؛ بوصفة مائزة أفضت إلى استعمال تعدد لغوي يفصل بين

♥ أعدت الدراسة لتلقى أمام أعضاء المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي والبيئي. بتاريخ 28

ديسمبر 2021م. قصر المؤتمرات بنادي الصنوبر

الخطاب الرسمي واللغة العاملة، وبين لغة المصالح اليومية البسيطة، ولم تشتك لغة من سجل لغة أخرى مطلقاً، بل هناك تصاهر لغوي للعيش معاً في بلد لا يعرف إلا التكامل اللغوي، فأنعم بها من وصفة!

وألقي هذه الكلمة أمام أعضاء المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي والبيئي الذي يشغل على اقتراح الأفكار، وتقديم بدائل نوعية في أفضل طرائق تجسيد المشاريع، ومرافقة الحكومات في التخطيط وفي التنمية المستدامة. ومن هذا المنطلق يبدو لي بأن التنمية المجتمعية لا تكون إلا بعامل أساس وهو الاهتمام بتنمية الموارد البشرية؛ باعتبارها منتجة لكل من الجانب الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، كما أن الموارد البشرية تؤطرها لغة وثقافة وهي وسيلة التواصل والتأطير والسير إلى الأمام وبدون لغة وثقافة لغة لا يحصل التناغم الجمعي، ولا يؤدي ذلك إلى الانسجام المطلوب. ومن هنا فإن الأبعاد الثلاثة الأساس للاقتصاد والاجتماع والبيئة لا تبدو كافية لتعكس تعقيد المجتمع المعاصر، وأساس وجود المجتمع لغة التواصل البيئية والثقافة المشتركة والعادات والتقاليد والطموحات والمشاريع، وما يتبع ذلك من قواسم مشتركة. وفي هذا السياق، يتصدر جدول أعمال القرن XXI للثقافة والمكتب التنفيذي للمدن المتحدة والحكومات المحلية (UCLG) النظر في إعداد بيان السياسة اللغوية والثقافية على اعتبار أنها العنصر الرابع للتنمية الشاملة المستدامة وهذا ما نصّ عليه في قمة القادة المحليين والإقليميين المؤتمر العالمي الثالث لـ UCLG الذي عُقد في مدينة مكسيكو والذي يُشير إلى العلاقة بين اللغة والثقافة والتنمية الشاملة المستدامة من خلال انتهاج تطوير حكامه سياسية بين اللغة والثقافة في صنع جميع السياسات العامة؛ باعتبار لغة الثقافة

صمام أمان في الانسجام المجتمعيّ وهي التي تسير بالمجتمع نحو تفكير وطني يتمشّي والمرجعيات والمتغيّرات.

1- **عوامل التنمية الشاملة المستديمة:** لا يمكن الإمام التأمّ الوافي بكافة العوامل إلّا بالقدر الذي يوفي مختصر الحديث عن أهمية تشكيل رأس المال البشري الذي يعمل على توفير المتطلّبات ومواجهة التّحديات لتشكيل نظام اقتصاديّ تنمويّ يخدم الموارد الطّبيعيّة ويوفّر الخدمات التّسويقيّة والتّقنيّة الفنيّة والتّعليم العامّ ومن هنا، فإنّ التنمية الشاملة تعني القدرة على معالجة جميع جوانب الضّعف في كافة القطاعات والمجالات الموجودة في الدّولة مهما كان مجالها. وما أريد التّركيز عليه هي التّنميّة المستديمة التي تُحدّد بالآماد الثلاث: المستعجل المدة+ المتوسّط المدة+ الطّويل المدة، وهذا ضمن خريطة استغلال الموارد المتاحة من أجل تلبية حاجات الأفراد في الحاضر والمستقبل ومحفّظ حقّ الأجيال في الاستفادة من هذه الموارد. ولهذا فالتّنمية الشاملة تُعدّ عملية إحداث تغيّرات هيكلية من خلال تحفيز القدرة بالشّكل الذي يعالج مواطن الضّعف، ويقدم البدائل التّوعيّة؛ بهدف زيادة الإنتاج، ورفع مستوى المعيشة، والتخلّص من الفقر وزيادة الاستثمارات، وضمان حقّ المواطن في الحصول على حياة كريمة؛ تحقيقاً لرفاهيته وزيادة وعيه الثقافيّ؛ بنشر المعرفة بلغته والحرص على استقطاب الكفاءات ضمن المحافظة على أسس الدّولة والحفاظ على استقلاليتها، ومواجهة كافة التّحدّيات على جميع الصّعد. وهي عوامل متضافرة تتطلّبها التّنميّة الشاملة ضمن تحقيق تلبية احتياجات المواطنين بمختلف فئاتهم، مع تخفيض نسبة البطالة، وتدعيم الاقتصاد وزيادة الإنتاج في سيرورة مجتمعيّة واسعة؛ تكون شريكة بين كلّ الدّوائر، كلّ

بمهامه ومسؤولياته. ولهذا نرى بأن التنمية الشاملة المستدامة طويلة الأمد واسعة المعالم والعوامل؛ حيث يحدث فيها تفجير الطاقات بفتح آفاق الإبداع والابتكار، ضمن عملية مخطّط لها، وذات بُعد إداري تهدف إلى إيجاد مجموعة من التحوّلات الهيكلية، وذلك بتوجيه جهود الأفراد الواعية وتسخيرها من خلال تحفيز الطاقة الإنتاجية لديهم، وتتولّى الحكومات تنفيذ هذه العملية بالتعاون مع الأفراد والمؤسسات العامة والخاصة.

2- طريق تحقيق التنمية الشاملة المستدامة: هناك المقصد في الأمر ويتمثل في: ضمان التربية والتنشئة الاجتماعية على مستوى الأسرة والمدرسة والإعلام، بما يتوافق مع القيم الأصيلة التي تخدم الفرد والمجتمع ورفع المستوى العلمي والمعرفي لأفراد المجتمع، وترسيخ قيم وروح المواطنة لدى أبناء المجتمع، وتشجيع ودعم المبادرات الفردية المنتجة والنافعة، فضلا عن الاهتمام بالعمل الجماعي والتحفيز عليه... بلة الحديث عن ضرورة إصلاح مؤسسات الدولة، وإقامة دولة الإنسان وسيادة القانون، وتنمية الكفاءات وبناء قدرات موظفي الدولة، وتأهيل الموارد البشرية... ضمن استراتيجية واقعية قابلة للتنفيذ، يسهم فيها المجتمع المدني الفاعل والمؤثر بقوة، بتجديد توعية المواطنين للقيام بواجباتهم وحقوقهم، مع المشاركة في التقييم والتقييم لكل الخطط التنموية.

وتروني في كلّ هذا أمل إلى التنمية البشرية في بعدها الثقافي وهي عمدة التنمية المستدامة، وبدونها لا تحصل التنمية الشاملة مهما توفرت لها الإمكانيات؛ لأنّ السلوكات البشرية إذا لم تُهدّب لا تؤدّي إلى بناء الدولة بل تُسهم في تكريس المشكلات بشكل عامّ، وتضعف علاقة الحكومة بالمواطن

وتسود الكثير من السلوكيات المتمردة على الواقع، وذلك ما يفقد القانون هيبته واحترامه بين المواطنين. ولهذا، فالتنمية الشاملة المستديمة مستمرة نحو عمليات التغيير، ونقل المجتمع نحو الأحسن، وهذا ما اصطلحت عليه هيئة الأمم المتحدة بأنها العمليات التي بمقتضاها تُوجّه الجهود لكلّ من الأهالي والحكومات بتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمم، والإسهام في تقدّمها بأفضل ما يمكن. ويمكن أن يتحقّق هذا عن طريق الحكم الرشيد الذي يعمل على التوجيه والمراقبة، وعلى حسن التدبير بما يتوافق مع ميزانية البلد وثرواته الباطنية، مع تخطيط علمي يراعي الثقل المطلوبة للعيش ضمن المدى الطويل؛ وصولاً إلى جعل بلدنا كوكباً متقدّماً للأجيال القادمة.

3- **مركزية الثقافة في التنمية المستديمة:** تقتضي تخطيطات البنية الاجتماعية الحديثة التركيز على مركزية اللغة المشتركة لبناء دولة قويّة بمؤسّسات قويّة كفيلة بتحقيق نموّ اجتماعي وسياسي وثقافي، وهذا من متطلبات الوحدة اللغوية والثقافية، وردّ الاعتبار للتراث الوطني، والتحرّر من الهيمنة اللغوية الاستدمارية. ولغة التعليم المشتركة هي الطريق الأمثل لإنجاز مهام استكمال بناء لبنات الدولة. ومع كلّ ما يمكن أن يُقال في هذا الموضوع، فإنّ الإصلاحات التربويّة لم تصل إلى أهدافها بفعل التسامح الذي عولجت به مسألة تعميم استعمال العربية؛ حيث لم تواكبه السياسة القانونية لصدّ بعض المواقف التراجعيّة، رغم ما عرفته من مجانيّة وجزأة وتوحيد اللغة في مرحلة القاعدة، لكن السّجال السياسيّ لم يفصل بين مراحل التعليم العالي الذي لم يتحرّر من لغة العدو. والآن نعرف بعض الأزمات في المجال

اللغويّ بسبب ما شاهدناه في تبعية التّغيير التي اتّسمت بها مجموع المخطّطات الحكومية التي سجّلت ركوداً في البنيات الاقتصادية بعيدة عن العلاقات الاجتماعية؛ بسبب عدم البتّ في عامل اللغة. فرأينا شبه رجعية متكرّرة لمصالح الجمهور العريض؛ بخطاب الاستيلاّب للثقافة الوطنيّة لدرجة الانكسار بين ماضٍ مغدق وحاضر مقلق. مؤسف جداً في كل دخول جامعي نجد التحويلات تترى من العلوم والتكنولوجيا إلى العلوم الإنسانيّة، ومؤسف أن نجد نسبة إعادة السّنة أو الرّسوب بسبب اللغة التي حدث فيها الانقطاع ومؤسف أن نقرأ الإحصائيات -إن كانت صحيحة- أنّ في الجامعات الفرنسيّة واحداً وثلاثين ألف (31000) طالب جزائري، ويهاجر حوالي (100.000) مئة ألف من أرباب المهن وعلى رأسهم العلماء والمهندسون والأطباء والخبراء كلّ عام من ثمانية أقطار عربية، هي: لبنان، سوريا العراق الأردن، مصر، تونس، المغرب، الجزائر، كما أنّ (70٪) من العلماء الذين يسافرون إلى الدّول الرّأسماليّة للتخصّص لا يعودون إلى بلدانهم. وأنّ (50٪) من الأطباء، و(23٪) من المهندسين، و(15٪) من العلماء من مجموع الكفاءات العربيّة يهاجرون إلى أوروبا والولايات المتّحدة الأميركيّة وكندا. وفي هذه الإحصائيات يُسهم الوطن العربي في ثلث هجرة الكفاءات من البلدان الثّامية خصوصاً أنّ (45٪) من الطّلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلدانهم. ويوجد نحو 4102 عالم إسلامي في مختلف علوم المعرفة في مؤسّسات ومراكز أبحاث غربية. "إنّه التّزيف العميق وهو أشدّ إيلاّما، إنّه نزيف الأدمغة ومكمن الخطورة في هذا التّزيف القاتل أنّه يتمّ بهدوء من دون ضجيج كالذي يثيره نزيف الدّماء مع أنّ آثاره أشدّ وطأة

على مستقبلنا، وتصيب أضراره كلّ مواطن عربي ولعدة أجيال. وفي هذا التزيف تسهم اللغة التي تحدث الفصل بين القاعدة والقمة، ولو كانت اللغة المشتركة سائدة لما وقع هذا الانجذاب بهذه النسب المرتفعة.

وآن الأوان للجزائر الجديدة في عهد الرئيس (عبد المجيد تبون) المشجع على المبادرات وإنتاج الأفكار، وإشراك المجتمع المدني في صنع القرار، آن الأوان لتصحيح الأوضاع، والاهتمام بالمسألة الثقافية في التنمية المستدامة باعتبارها من الركائز اللغوية التي تُحرّر الجزائري من التبعية اللغوية والفكرية والثقافية، وبوعي الجمهور الكبير الذي لا يُناور في ما هو وطني ومن التراث المشترك، واللغة من التراث المشترك. ويجب أن نعلم أنّ هناك تلازم تحقيق استقلال التنمية الاقتصادية والاجتماعية بتحقيق وجود موطن الدفاع عن اللغات الوطنية والثقافة الوطنية، ويسيران في خطّ واحد، وبقِيَم واحدة تتوحّد كلّ مكوناتها في منسجم وطني جامع يخفي القِطائع والاختلافات وهو مطلب من مطالب التنمية الشاملة. ولا بدّ من نظرة معاصرة لهذه المسألة وأن تحمل نظرة شموليّة للعيش ضمن ضروريات بنيات المجتمع لتغيير علاقات الإنتاج في ربط العمل الفكريّ بالعمل اليدويّ؛ بعيداً عن الاستيلاء المزدوج الذي يحصل من التعددية اللغوية المتوحشة، أو من التبعية اللغوية الأجنبية.

إنّ المواطن يريد خطاب المواطنة والتعدلية والتنمية الاجتماعية في كنف البعد الوطني الذي يُعزّز لغاته فالاقتصاد وحده لا يكفي إذا لم يُحَمَّ بسبكة حديدية وطنية مسؤولة عن حماية ذلك الاقتصاد بالأخلة الوطنية التي تأتي من اللغات الوطنية. ومن هنا، فإنّ تكوين المواطن أساس التنمية، والتنمية

رهينة بالمشروع التربويّ الذي يربط التعليم بالبيئة الجزائرية، وبأعلام الجزائريين وبأفكارهم ولغاتهم، وهو سلاح المستقبل الذي علينا رفعه ونقله للأجيال القادمة، وعليها أن تدافع على تحقيقه؛ فإن قال الشهداء والمجاهدون (ارموا بالثورة إلى الشارع يلتقطها) فذلك الذي أنتج الحرية، ونقول أرموا باللغة المشتركة للشباب وسوف يطوروها. ولهذا إخواني المخططون نؤكد ضرورة التركيز على تنمية الموارد البشرية بخطاب الهوية، وبناء الشخصية الوطنية في الأجيال القادمة وهي أمانة في أعناقكم.

4- **اللغة الوطنية رأس المال البشري:** والمقصود هنا اللغة كممارسة وخطاب وتعايير اجتماعية في ممارسات وظيفية يومية؛ تُؤكّد العلاقة التكاملية بين المسؤول والمسؤول عنه، وسيكون الخطاب مسؤولاً عن المشاركة بين أشخاص يجمعهم هدف التنمية؛ حيث يكون الرأس المدبّر يوصل الفكرة إلى الأيدي التي تشتغل؛ دون قطيعة لغوية/ عجز/ سوء فهم. ومن هنا؛ فإنّ العنصر اللغويّ والثقافيّ يُلغيان القطيعة، ويعملان على إحداث شبكة المشاركة والمناقشة والمنافسة في تقديم الأفضل، وتحمل المسؤولية بما تحمله اللغة من قواسم فكرية تفاهمية. ولذا كان محور التفاهم اللغويّ يسهم في فهم المشاريع ووعيها، وفي وحسن تدبيرها في منظومة فكرية لغوية وطنية وهكذا ما تفعله كلّ الشعوب التي تسعى للتطوير الشامل في منظومتها الاجتماعية.

يعدّ الإنسان محور التفكير والتصميم، وهو ضمان النجاح عندما يحصل له تكوين تفاعليّ وطنيّ باللغة الوطنية المشتركة ينسجم مع المرجعيات الوطنية التي تحملها اللغة الأمّ التي تعمل على فهم أشمل لقضايا التصميم بمزيد من

الشفافية السيّاقية والعاطفية بين المدير ومن يُديرهم، وتُصبح اللغة الأمّ/ اللغة الجامعة رأسَ المال الطّبيعيّ الذي يجمع بين الاقتصاد والاجتماع والبيئة. ولا يكون هذا إلّا في الاهتمام بميدان التّربية والتعليم وهذا ما نريده من هذا اللقاء الذي نروم أن يكون مطالباً بسياسة لغوية وطنية شاملة للرفع من سوية اللغة المشتركة، وهي اللغة العربيّة الفصحى لما لها من موقع وطنيّ رسميّ، وفي وجودها الطّبيعيّ، وفي استعمالها الممتدّ في التاريخ، وتصاورها مع مختلف أنماط نشاط وتحوّلات المجتمع الجزائريّ، ومع ما يحيط بنا من شعوب تجمعنا بهم هذه اللغة، وبخاصّة الدّول العربيّة التي ننتمي إليها (22) دولة لغتها الرّسميّة العربيّة، أضف إلى ذلك تفاعلها العالميّ كلغة أجنبيّة أولى/ ثانية رسميّة لثمانية وأربعين (48) دولة، بمجموع 60 دولة في العالم. وهو قطب عروبي كبير بميسم اللغة الإسلاميّة، التي يتلاغى بها يومياً مليار وثمانية مليون من المسلمين وباعتبارها لغة المسلمين في جميع بقاع العالم وجب عليهم فهمها لتقصّي أمور دينهم وعقيدتهم. واللّغة العربيّة تُعدّ من أهم أسباب منّعة المسلمين وعزّتهم، وتُعدّ كذلك مقياساً لما وصلت إليه من تطوّر وتقدم. ولغة أمّية رُتبت لها الخامسة في مختلف المنظّمات العالميّة الرّسميّة على غرار: الأمم المتّحدة بوكالاتها الواحدة والعشرين+ اليونسكو/ (UNESCO)+ الإيسيسكو ICESCO، وما سوف تعرفه في الحضارة الانسانيّة في قادم السّنوات.

أيّها الجمع الكريم، أعضاء المجلس الوطنيّ الاقتصادي والاجتماعيّ والبيئيّ، من خلال مقامكم العالي، وما تقومون به في إطار التّنمية المستدامة نروم منكم التّنظر الملمّي في سياسة التّعليم في ضوء الجزائر الجديدة ومن خلال

مجلسكم الموقر في نظرتة للتنمية البشرية، وفي التخطيطات الحكومية، وما يقترح في لاحق من الزمان، فإن الأوان التفكير والتخطيط في تحسين عمليات حسن الأداء للعربية الفصحى بتقديم أفكار التوجيه نحو تطوير لغوي ينسجم والتطورات التي يعرفها المجتمع الجزائري في الشأن العام، واللغة من الشأن العام، وهذا يحتاج إلى استراتيجية طويلة الأمد، وإلى تخطيط وتمويل على الآماد الثلاث في مخططات الحكومات المتعاقبة. وإن التنمية المستدامة تحتاج إلى تسخير الإمكانيات التخطيطية في مختلف المناحي الاقتصادية والاجتماعية وفيها أنشطة التعليم، وفي حسن أداء مؤسسات التعليم، وفي تعزيز بناء القدرات في العلوم والابتكار؛ بهدف تحقيق أهداف التنمية المستدامة في الاقتصاد القائم على المعرفة، ولا سيما أن بناء القدرات الفكرية هو الوسيلة الوحيدة لتعزيز التنافسية وزيادة النمو الاقتصادي، وتوليد فرص عمل جديدة وتقليص الفقر الذي لا يأتي إلا عن طريق وضع الخطط والبرامج التي تهدف إلى تحويل المجتمع إلى مجتمع معلوماتي، مرتكز على اللغة الوطنية المشتركة.

5- سمات اللغة الوطنية المشتركة: عندما تكون لغتان وطنيتان/ أكثر في بلد ما، لا بدّ من الفصل في لغة التمثيل الرسمي، وإنه لا يمكن أن يكون التساوي المطلق بين كلّ اللغات الوطنية، ولهذا يقع التفاضل عبر المحدّدات العلمية التالية التي حدّدها الباحثون:

1- أن تكون اللغة الأكثر انتشاراً من حيث الاستعمال، والأكثر تجدراً في وجدان المجتمع.

2- أن تكون مهية سلفاً، وتقبل التطوير، وتسائر الحدث، ولها حمولة ثقافية وعلمية وحضارية.

3- أن تكون حاملة للمعرفة أو مؤهلة لذلك أكثر من غيرها.

4- أن تكون ذات حمولة ثقافية ورمزية وتاريخية وحضارية عميقة وتجربة طويلة.

5- أن تكون الأكثر من بين اللغات الوطنية المستعملة قدرة على مواجهة اللغات الأجنبية، والوقوف في مواجهتها نداءً للند بما تنتجه، وذلك حتى لا يسهل افتراسها والقضاء عليها، كما حدث لعدد من اللغات الصغرى في أفريقيا وغيرها من البلدان حين عجزت تلك اللغات عن الصمود في وجه لغات الاحتلال من مثل الفرنسية والإنكليزية، فانتهدت إلى الخضوع التام والاستسلام الكامل للغات الأجنبية.

6- أن تكون صالحة للتواصل بين أكبر عدد ممكن من أبناء الوطن الواحد وبين أبناء وطن الانتماء أو الأمة الانتماء.

7- أن تكون صالحة للاستعمال في التعليم والإدارة والاقتصاد والإعلام وكل مرافق الحياة العامة والخاصة.

8- أن تكون مؤهلة للاستعمال لتستعمل في توطين المعرفة وإنتاجها وتوليدها.

9- أن تكون بمثابة الأم الحاضنة للجميع والبيت المشترك الذي يسكنه الجميع، وكأنهم أفراد أسرة واحدة متضامنة، ويتساوى فيه الجميع دون

إحساس أحد منهم بالتهميش أو التقص أو الإبعاد. ومن المأثور عن الفيلسوف الألماني (مارتن هيدجر) أنه كان يقول: اللغة هي بيت الإنسان الذي يأوي إليه ويقيم فيه¹. وبهذه الضوابط يقع الفصل في اللغة الوطنية المشتركة التي تكون لسان حال الأمة/ المجتمع، وهي لسان حال الخطاب السياسي والذي يلوماسية والاتفاقيات الأجنبية، وما يتبع ذلك من سيادة ورمز ومظهر؛ مثلها مثل الدين والعلم والقسم والأختام.

6- دور اللغة الوطنية المشتركة في تحقيق التنمية الشاملة المستدامة:

اللغة العربية الفصيحة هي لغتنا الأم، وعنوان شخصيتنا ورمز ثقافتنا ووجودنا القومي، وهي وسيلة للتواصل والتعبير عن المشاعر والأفكار وقضاء الحوائج، وهي إلى ذلك حصننا الذي ندود به عن هويتنا، وذاتيتنا الثقافية، ووحدتنا القومية. ومع كل هذا تعاني فقراً في القضايا الثقافية المعاصرة، فكيف لنا أن نعيد إلى هذه اللغة مكانتها لتبقى صامدة، وتسهم في تشكيل مجتمع المعرفة الذي يؤدي حتماً إلى تنمية مستدامة وشاملة؟

وفي هذا المجال؛ فإنّ المجلس الأعلى للغة العربية يعمل بشكل مضمون على تحقيق حسن الأداء في اللغة العربية الفصحى بتلك المقترحات التي يُقدّمها لمن يصنع القرار، ويُقدّم أمامكم أفكار العمل المنوط به، ويأمل منكم تخصيص مجال الاهتمام باللغة العربية الفصحى تعظيماً لما يقوم به في رفع كلّ المضايقات الثقافية، وتسهيل عمليات الإبداع واختراق آفاق الابتكار لتحقيق نهضة شمولية بالعربية على غرار ما تفعله كلّ الشعوب المتقدمة الكبار التي تولي أهمية للغاتها. إنّ المجلس الأعلى لا ينغلق على ذاته، بل يعمل على الاستفادة من اللغات الأجنبية دون الدوبان فيها مبدأً إذا علّمت

شخصاً بلغته فقد نقلت العلم إلى تلك اللغة، أما إذا علّمته بلغة أخرى، فلم تزد على أنك نقلت ذلك الشخص إليها ولا بدّ من الاستفادة من اللغات الأجنبية في الجامعات ومراكز البحوث، والتفتّح بشكل دائم على مختلف اللغات من مبدأ الأخذ والعطاء. ولكن من الضروريّ الكفّ عن ملاحقة النموذج الغربيّ، وتقليده وتمثيله لأنّ استعمال اللّغات الأجنبية لا يقودنا إلى مرحلة الإبداع، وبالتالي لا يمكن أن يُحرّرنا من تخلفنا الاقتصاديّ والاجتماعيّ كما أنّ استعمال اللّغات الأجنبية لا يساعد على خدمة مصالحنا، وإنّما يساعد الدّول الأجنبية على بقائنا حيث نحن في حالة من التّبعية الاقتصادية والاجتماعيّة وكلّ ما له علاقة بالجوانب العلميّة والفكريّة. ولهذا يسعى المجلس الأعلى للغة العربيّة إلى تأسيس منظومة معرفيّة باللغة العربيّة الفصحى مع امتلاك منظومة لغويّة شاملة مشتركة متجدّرة، حاملة للأبعاد المتنوّعة فكرياً وروحاً وإبداعاً. ومن خلالكم نعمل على تجاوز مرحلة الاستيراد الجاهز إلى مرحلة الخلق والإبداع الدّاتي للآلات والأجهزة العلميّة، وإضافة اختراعات جديدة تحسب للحضارة العربيّة الإسلاميّة، وهو أمر لا يتمّ للعرب إلّا بلغتهم، وفي مناخ ثقافتهم الأصليّة، كما ندعو إلى تعميم استعمال العربيّة في العلوم ونقل المعارف إلى اللغة العربيّة الفصحى وهذا يؤدّي دوراً فاعلاً في التّموّ الحقيقيّ الوطنيّ، وفي تحوّل من اقتصاد ريعيّ متواكل علميّاً وتكنولوجياً إلى اقتصاد ينمو نمواً مستديماً. وإنّنا نعمل على جعل اللغة العربيّة الفصحى على قدّم المساواة مع اللّغات الرّاقيات بوصفها أداة للاتّصال، ونُخطّط لها لتحقيق تنمية مستديمة، وهي التي تنقلنا إلى التّقدّم. وفي هذا المجال نعمل على نقلات نوعيّة في مجال اختصاصنا بتقديم أدلّة

تواصلية من السهل الممتنع في مجال التنمية اللغوية على غرار مشاريع في: التجارة الدولية والاستثمار+ السياسة الاقتصادية+ تغير المناخ والطاقة+ القياس والتقييم+ إدارة الموارد الطبيعية+ تكنولوجيا الاتصالات... وهذه المشاريع حقق البعض منها نسبة معتبرة من الإنجاز علماً أنّ برنامج الأمم المتحدة للمدن في إطار الاتفاق العالمي للتنمية السياسية المستدامة اقترح معالجة هذه الأمور بسياسة الاهتمام بمجالات التنظيم والحوكمة والقانون والعدالة والتواصل والتقد والتمثيل والتفاوض والأمن والوفاء والحوار والمصالحة والأخلاقيات والمساءلة، بلغة البلد دون غيرها من اللغات، وهي التي تعمل على الإبداع وحركة المجتمع وهي الطريقة العلمية التي يعتمد عليها المجلس في الحكامة اللغوية الثقافية المسندة إلى القوة الناعمة.

7- نجاح تجارب أجنبية في التنمية الشاملة المستدامة بفضل الاهتمام

بالغة المشتركة: تشكل اللغة المشتركة للشعب دعامة الوحدة الفكرية والتخطيط المستقبلي وتحمل المسؤولية في التنمية. واللغة المشتركة تعني أنّها ليست الوحيدة في البلد، بل هي واحدة من بين اللغات ولها ما لها من مقام زائد، وما لها من أفضلية. ويقول الباحث (على القاسمي) في هذا المجال "... إنّ اللغة المشتركة ليست هي اللغة الوحيدة في البلاد ولكنها الموحدة. وعندما يستخدم الإعلام اللغة الفصيحة المشتركة بين السكان على اختلاف لهجاتهم المحلية والاجتماعية، فإنّه يرقى بلغة المتلقين اللهجية أنفسهم ويقربها من هذه اللغة المشتركة. واللغة ليست وسيلة نقل المعلومات وتبادلها فحسب، وإنما تحمل كذلك في مفرداتها وتراكيبها وتعبيراتها ثقافة متميزة وطريقة تفكير معينة، ومزاجاً خاصاً، بحيث تعمل أداة إدماج اجتماعي، وتهب الناطقين بها

هُويّة وطنية متفرّدة... وعندما قرّرت التّخبّة الحاكمة في كوريا الجنوبيّة، في مطلع السّتينيات، العمل على تحقيق التّنميّة البشريّة اختارت اللغة الفصيحة المشتركة أداةً للتّعليم والإعلام والإدارة والحياة العامّة. وهكذا نجد في كوريا أكثر من مئة (100) محطة للإذاعة والتّلفزيون وكلّها أهلية خاصّة ما عدا واحدة حكوميّة، ولكنّها جميعها تستخدم اللغة الكورية الفصيحة المشتركة وليس اللهجات الكورية المختلفة، ولا ترى في شوارع سيول أيّة لافتة مكتوبة بغير الحرف الكوري². علماً أنّ كوريا الجنوبيّة كانت ثالث أفقر بلد في العالم لغاية 1983م، ولكن لما أولت لغتها الكوريّة أهميّة، وخرجت من طوق اللغة اليابانيّة شقّت طريق التّنميّة البشريّة الشّاملة، والآن يحتلّ اقتصادها الرّتبة الثّانيّة عشرة في الاقتصاد العالميّ وكبرى الشّركات في هذا البلد، ويكفي تلك التّكنولوجيات التي تغطّي أوروبا في عقر دارها بالجودة والتّجاعة. وما ينطبق على كوريا الجنوبيّة هو ذاته بالنّسبة لهنغاريا وإيسلندا والمجر وتركيا وإيران والسّويد... وهذه البلاد لم تعرف نقلة نوعيّة في اقتصادها إلّا عندما تحرّرت من هيمنة اللغات الأجنبيّة وبنّت بلغاتها اقتصادياً صناعياً وفلاحياً، وخرجت من التّخلف وأضحت لها الصّدارة في اقتصاد المعرفة، ونالت الرّتب الأولى في مجال الرّقمنة، ومنها تأتينا هذه التّطبيقات الذّكيّة بلغاتها دون مشكلة ولا عقدة. ونلاحظ بأنّه قد انقلب السّحر على السّاحر، فتعيش مظاهر الرّفاهيّة وتحكّمت في مجال البيّة وسيطرت على الرّقي العامّ بلغة مشتركة منسجمة، مع ما تعرفه من وجود مختلف الأجناس التي تشترط عليهم الدّمج اللغويّ قبل أيّ شيء.

8- **مؤشرات تقارير التنمية المستدامة:** تشير مختلف التقارير التي عدنا إليها في إنجاز هذه الورقة إلى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بإصدار تقارير التنمية البشرية السنوية، بل قام مكتبه الإقليمي في البلدان العربية ومقره بيروت، بإعداد سلسلة منها بعنوان (تقرير التنمية الإنسانية العربية) لسنوات: 2002 + 2003 + 2004 + 2005 + 2006. وتناولت التقارير الموضوعات التالية: خلق الفرص للأجيال القادمة + نحو إقامة مجتمع المعرفة + نحو الحرية في الوطن العربي + نحو نهوض المرأة في الوطن العربي + تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية. وقد تعددت تحاليل هذه التقارير، ولكن البعض منها مسّ موطن الداء، وكأني بها تحجب عن ذلك السؤال القديم المتجدد لماذا تأخر العربُ وتقدّم غيرهم؟ وأراني في موقف العبرة من فلندا (دولة أوروبية) كوريا الجنوبية (دولة آسيوية) كانتا من البلاد المتخلفة إلى عهد غير بعيد ولكن حكمة رجال البلدين الاستشرافية استطاعت نقلهما من فقر إلى غنى بفضل الرجال أمثالكم الذين يخططون لتحقيق شروط التنمية البشرية في المجال السياسي + الحوكمة + الحكامة + الصحة + الخدمات + الإنتاج + ظاهرة الهجرة... ويقول الخبير الدولي (علي القاسمي) في هذه النقطة: إنّ فلندا التي كانت أفقر دولة في أوروبا في الخمسينيات من القرن الماضي، ثم أصبحت الدولة الأولى في التنمية البشرية في آخر ذلك القرن... كوريا الجنوبية، التي كانت أفقر دولة في آسيا، وثالث أفقر دولة في العالم، وأصبحت اليوم سابع أغنى دولة في العالم، وتحتلّ الرتبة 17 (قيمة دليل التنمية 0.898) في سلم التنمية البشرية لعام 2015 متقدمة بذلك على دول أوروبية عريقة في

الصناعة والاستعمار مثل فرنسا التي تحتلّ الرتبة 22 (قيمة دليل التنمية 0.888) وإيطاليا التي تحتلّ الرتبة 27 (قيم دليل التنمية 0.873).

وأقف في مجال اللغة للحديث عن ظاهرة اللغة المشتركة في التنمية المجتمعية من حيث ضرورة تعميمها واكتساب المواطنين المهارات بها والعمل بها، واستحداث تخطيط تربوي يُنعش التكامل بين اللغة الجامعة واللغات المحلية دون قلاقل تُعرق التنمية أو تُثير الاضطرابات. وهذا ما يجعل الدولة تعيش الانسجام في البنية الفكرية، مع ضرورة إتاحة الفرصة أمام الجميع دون مضايقة من المدارس الرّجّية التي يقيمها المواطنون، أو المدارس الأجنبية التي تعمل تحت شروط البرامج التربوية الوطنية وتدرس اللغة الوطنية في مختلف المراحل إجباري، ويقع التحفظ على خلق التخبوية بتلك المرافقة في البرامج بشكل دائم. وتنظر دائماً إلى وضع جديد وهو الخروج النهائي من لغة المستعمر التي تكون في مقام لغة الهوية، وهنا الخطر يكبر ويكبر بخلق نخب وطنية وبتفكير مختلف ويؤدي ذلك إلى الخلاف في التصور والنظرة الطبقيّة الدّونية البينية. ولهذا، فإنّ حسم المسألة اللغوية أمر في غاية الأهمية للتنمية المجتمعية من البداية، وضرورة اعتماد اللغة الوطنية المشتركة فهي التي تساعد على تبادل المعلومات بيسر مثلها مثل العملة المشتركة، كما أنّها تعمل على تكوين مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية البشرية. ولهذا ينبغي تعميم هذه اللغة في التعليم والإعلام والحياة العامة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ تعلّم اللغات الأجنبية ضرورة وليست ترفاً؛ باعتبارها ضرورة لازمة للتنمية البشرية؛ لأنّ هذه اللغات نوافذ على العالم، تيسر الحوار الحضاري والتبادل الثقافي، وتساعدنا معرفتها على الترجمة من اللغات

الأخرى وإليها. ومعروفٌ أنَّ التّهضات الحضاريّة الكبرى قامت بفضل الترجمة، كالتّهضة العربيّة الإسلاميّة التي أسهمت فيها خلال العصر العباسيّ ترجمة فلسفة الإغريق، وعلوم الهند وآداب الفرس إلى اللغة العربيّة برعاية الدّولة، وكالتّهضة الأوروبيّة خلال العصور الوسطى التي تّمت بفضل احتكاك الأوروبيين بالمسلمين في إسبانيا وخلال الحروب الصليبيّة وبفضل ترجمة العلوم العربيّة إلى اللاتينيّة، لغة التّعليم في أوربا آنذاك. فنحن ندعو إلى تعليم اللغات الأجنبيّة ولكنّا نناهض التّعليم بها؛ لأنّ تعليم العلوم بلغة أجنبيّة يعرقل استيعاب تلك العلوم ويحول دون توطينها فتظلّ أجنبيّة منحصرة في نخبة محدودة.

9- نمو الاقتصاد الوطنيّ باللغة الوطنيّة المشتركة: في العادة بأنّ اللغة

الوطنيّة المشتركة هي التي تعمل على التّمنية البشريّة؛ حيث إنّ القمّة على اتّصال بالقاعدة، والعكس يصحّ، من خلال لغة وطنيّة مشتركة وتسمّى لغة الأمّة. ومفهوم كلمة الأمّة؛ يعني بها ذلك الفضاء الأوسع والشّامل في الانتماء الحضاريّ والثّقافيّ المشترك. وهكذا، فالعربيّة الفصحى مجال مشترك ومثال يُحتذى؛ فهي الوحيدة التي يأتي عليها مصطلح (اللغة الأمّ + لغة الأمّة) بحكم أنّها لغة الأمّ والأمّة لا تُعامل مُعاملة اللّغات الأخرى، فلها التّفضيل؛ لما لها من قاسم مشترك، ولا بدّ أنّ الجانب السياسيّ يُغلبها على اللّغات الوطنيّة الأخرى أو التي لا تزال في طور التّهيئة وكذلك اللّغات الأجنبيّة، وهذا يستدعي تدبيراً عقلياً يُراعي التّعدّد بحسب المقام والذي يُحافظ على التماسك والتّعايش. ويجب العلم بأنّ من أدبيات التّمنية الشّاملة زرع الثّقة بين المسؤول والمسؤول عليه، بين الرّاعي والرّعيّة، بين المسير

والعامل، ليحصل المزج الكلّي بين العقول التي تُفكّر وتُخطّط، وبين السّواعد تُبنى وتُعمل. وهكذا، لا يمكن أن تحصل التّنميّة البشريّة في غياب التّواصل البينيّ الذي لا يكون إلّا بلغة مشتركة وهذا ما نلمسه بين المريض والطّبيب فغياب التّواصل اللغويّ يزيد من عقدة المرض، وإذا حصل التّواصل البينيّ يحصل نصف الشّفاء. ولذا فنروم أن تكون اللغة المشتركة ركيزة أساساً في التّنميّة الجمعيّة، والتي تعتمد: الرّأسمال البشري + الرّأسمال المعرفيّ + توطین المعرفة³. وتوطین المعرفة باللغة الوطنية المشتركة عامل قويّ لمزيد من الإنتاج، ومزيد من الانسجام الجمعيّ في نسق وطنيّ متكامل، ومهما اختلفت لغات التّواصل تبقى اللغة الوطنية المشتركة تجمع الأفكار وتنظر للمستقبل وتخطّط لفكر جامع. ولهذا، ينمو الرّأسمال المعرفيّ بقدر نمو الثّقافة الجامعة والوعي الجمعيّ، ولا تُحقّقه إلّا اللغة الوطنية المشتركة القادرة على تعميم التّعليم وإنتاج المعرفة، ونقلها وتبسيطها وتوطينها وتعميق جذورها في المجتمع لأنّ المعرفة لا تُستورد كلّها، بل يمكن استيراد بعضها، وما دام أنّه يُستورد بعضها فإنّها عالية على الآخرين أو في حُكم غير الموجود فالمعرفة تُستنتب في بيئتها وفي عقول أبنائها، بلغتهم الوطنية المشتركة لأنّ استيراد المعرفة مُكلفة جداً، ثمّ هي متطوّرة دائماً، فما هي المعرفة التي تُستورد؟ وكذلك فإنّ استيراد المعرفة يمكن أن تحصل بصورة سطحيّة، وما هو ليس متجذراً يكون سهل الاقتلاع والزّوال واستيراد المعرفة بلغاتها؛ بمعنى توسيع تلك اللّغة في وطنك على حساب اللغات الوطنيّة؛ ويعني ذلك تبعيّة لغويّة كما يعني خلق نخبة وفئة تُتقن اللغات الأجنبيّة ولها الحقّ في التّرقّيّة والتّسيير دون غيرها من

تلك الفئات التي لا تُتقن اللغات الأجنبية، وهنا الكارثة التي تعطي صفة التحقير للغات الوطنية، وتعامل معاملة سقط المتاع.

10- **استيراد الآليات بلغة المنتج:** إنَّ استيراد الآليات ضرورة تقتضيها مُتطلّبات العصر، ولكن من الضروري التخطيط لاستيراد المعرفة من اللغات، والعمل على توطينها وتكييفها وفق خصوصيات اللغة الوطنية؛ لأنَّ استيراد الآلة تصحبها المصطلحات والمعرفة اللغوية، وهذا له خطران يكمنان في:

- خطر التماهي مع لغة واحدة تأخذ منها، ويدخل هذا في الاستعمار اللغوي؛

- خطر الأخذ من كلّ اللّغات (العلم يوجد في كثير من اللغات، فأية لغة يؤخذ منها؟).

وهنا يحدث الانشطار أو الانفصام الشّخصي للمجتمع الذي يستورد الآلة بذات المعرفة التي تُنتج بها الآلة، والطريق الأمثل هنا هو نقل المعرفة إلى اللغة الوطنية المشتركة؛ بتكثيف حركة الترجمة وفق برامج مخطّطة تواكب حركة الإنتاج المعرفي، والرّفْع من عدد البعثات العلميّة للخارج لاكتساب العلوم، وهضم المعرفة العلميّة بلغاتها الأصل ثمّ ترجمتها. وإنّه ليس هناك من وسيلة لتعميم المعرفة وتطوير سلوك المجتمع إلّا باستعمال اللغة الوطنية المشتركة، حيث التّنميّة بعمومها لا تحصل إلّا بتماسك اجتماعي، والمجتمع المنسجم لغوياً هو الأقوى، وغير المنسجم يصبح مُنحلاً، ويُساعد على خلق جوٍّ من التّبعيّة في كلّ جوانبها بل ويحدث ما هو من الشّرخ الجمعي الذي

يؤدي إلى ما لا تُحمد عقباه وهذا بسبب غياب الانسجام الفكري والثقافي والسياسي بين المجتمع الواحد. وكلما حدث انسجام وتناغم بين الناس ازداد تحقيق التنمية والوحدة اللغوية، وارتفعت نسبة الانسجام الجمعي. ولهذا فإن اختيار اللغة الرسمية للوطن؛ وتكون موظفة في التمثيل الديبلوماسي، وفي إمضاء الاتفاقيات وفي استعمالها الوطني والأجنبي والاعتزاز بها، وإقامة المؤسسات العاملة على تطويرها، والإغداق عليها، وتخصيص ميزانية تعميمها، والتشجيع على الترجمة منها وإليها وإقامة المواسم العلمية من أجلها، والاحتفاء بأيامها الوطنية والعالمية، ورصد الجوائز الكبرى لحسن وضع المنصات بها وفيها... لمن الحكمة المطلوبة التخطيط لها لتتال انتشار على درجة التعميم العادي البسيط الذي يُعطي صورة الاعتزاز، وهذا هو النعم الذي نريده أن يكون في تمثيل هويتنا اللغوية والخروج من التبعية الفكرية على غرار خروجنا من التبعية السياسية. وهنا الأمل في مجلسكم لتعزينا في تخطيط سياسة لغوية شاملة تُراعي أبعاد وطننا لمواصلة التحرر الثقافي الذي يجعلنا بُدع في لغتنا في ذاتها وبذاتها، وهذا يتحقق بتخطيط سياسة تربوية تبدأ من المدرسة؛ تُراعي ما يلي:

10/1- العمل على تدريس وإتقان الأطفال التراكيب الأساس للغة الأم في مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية المبكرة.

10/2- تحقيق مستوى عالٍ من التعلم الذاتي، وهذا ما يؤدي إلى حبهم للعلم والبحث والإبداع.

10/3- تأصيل حبّ القراءة لدى المتعلّمين، وسرعة القراءة، وجودة الكتابة، وسلامة الفهم. وهذا يؤدّي إلى زيادة التحصيل العلميّ والتفوّق الدّراسيّ.

10/4- عدم حاجة التلاميذ في هذه المرحلة إلى التحو والصّرف والاكتفاء بالخصص التي تجعل المتعلّم يدرك جمال اللّغة وبلاغتها وتعلّمه التّفكير وتسلسل الأفكار والبحث العلميّ والإبداع والتّعبير الواضح عن الأفكار وكلّ أنماط المعرفة بشكل دقيق ومنظّم.

10/5- إتقان أفضل للمهارات الفنيّة والحركيّة بسبب إمكانيّة إعطاء هذه الموادّ زمناً أطول ممّا هو مخصّص لها في المناهج.

10/6- ترسيخ التّفكير باللّغة الأمّ التي هي لغة الكتاب والمعرفة وجعلها فضاء المعرفة لدى الأجيال، وليست العاميّة، وهذا ما يُخلّص التلاميذ من فوضى المصطلحات والمفاهيم، ويساعدهم على التّفكير الإبداعيّ.

10/7- تركيز المناهج على محتويات ونصوص حبّ الوطن والاعتزاز اللغويّ والمرجعيات الدّينيّة والثّوريّة والوطنيّة وكلّ ما يشدّ التّلميذ للافتخار بوطنه.

10/8- إتقان أفضل للّغة الأجنبيّة حسب المنفعة، وبمبدأ "حيث ما وجدت المصلحة فثمّ شرع الله". وإذا انتفت المصلحة يقع تغيير اللغة الأجنبيّة.

11- **الاهتمام باللّغة الوطنيّة المشتركة سبيل الخروج من التّبعيّة والتخلّف:** إنّ العربيّة لغة الأمّ + لغة الأمة تستدعي إعطاءها الصّدارة بسؤال التّنميّة البشريّة التي تفضي إلى تنميّة القدرات الدّهنيّة، والرّفّع من المستوى

التعليمي والخبرة والثقافة والوعي. وفي هذه المرحلة نحتاج إلى قضاء المصالح المرسله بأريحية لا تحقّقها إلاّ اللغة العربيّة الفصيحة وهي اللغة الوطنيّة المشتركة؛ فمن حقّ التاجر/ المعلم/ السائق/ السائح/ الإداري... أن يسأل عن لغة فيها منفعتة، وهي أسئلة مشروعة، فأين هذه اللّغة التي لها وزن في سوق التّداول؟ وهذه الأمور من أسئلة واقع المنفعة ونحن نعيش هاجس الحضارة والتّقدّم والاستقرار، فيمكن أن يهجر الإنسان لغته، ويعزف عن توريثها لأبنائه، فلا تشغله الهويّة بقدر ما يُشغله واقع المال والمصلحة. ومن هنا، علينا العمل على إضفاء القيمة المعنويّة والعلميّة للغة العربيّة الفصحى في مختلف المجالات، ولا يجب أن ننخدع بالدّعوة إلى قبول اللهجات؛ والتي تنشطر إلى محليات، وفي الأخير ينتصر من يضرم النار بين اللّغات الأخوات. ونعلم بأنّ سلاح اللّغة ذو حدين: يمكن أن يُوظّف من أجل لُحمة المجتمع كما يمكن أن يُستعمل لتمزيقه.

12- **ما قبل الخاتمة:** إنّهُ لا يمكن أن ينمو الرّأسمال المعرفيّ باللغات الأجنبيّة أبداً، بقدر ما تعمل الأجنبيّات على التّعطيل والتّبعيّة والتّفكير في غير خصوصيات الوطن؛ لأنّ لكلّ لغة حمولة ثقافيّة تعبّر عن خصوصيّة مجتمع تلك اللغة. ولهذا فبقدر ما يقع الاهتمام بنمو اللغة الوطنيّة المشتركة القادرة على تعميم التّعليم، وإنتاج المعرفة ونقلها وتبسيطها وتوطينها وتعميق جذورها في المجتمع، بقدر ما تزداد في التّنميّة الجمعيّة وفي بناء مجتمع المعرفة. ومن وراء كلّ هذا؛ نريد الخروج بالعربيّة من سوسيولوجيا الإخفاق القائم على التّردد، إلى نشدان الحداثة والتّنوير والعقلانيّة، والعمل على إصلاح تربويّ واقعي مخطّط له من قبل التّخبة العامّة المتخصّصة، وبما تبتدون

أنتم من أفكار إصلاح يأتي على تطوير العربيّة وفق الأطروحات التّقنيّة التي يتطلّبها العصر، مع الأخذ بالأسباب الموضوعيّة التي نجحت فيها الشّعوب الآسيويّة التي اهتمّت بلغاتها الوطنيّة، وما يقوم به الغربيّون في تطوير لغاتهم بالمنهج العلمي المستند إلى العقلانيّة وملاحقة الحداثة. وسندنا في هذا اعتماد اللسانيات التّطبيقيّة لمسايرة الفتوحات الحديثة القائمة على OCR، مع قراءة علميّة في تراثنا المتفتح على كلّ الثقافات؛ باعتماد نظام البيان العربي، ونظام الحجّة والبرهان، ونظام العرفان. ويجب أن ننقل لجيلنا القادم معالم هذه اللغة بأنّها خزّان المعرفة، والاهتمام بها أوّل خطوات الانطلاق والنّهوض من جديد للوصول إلى الإبداع، وهذا ما يمكن أن تُغذّيه التّخبة الوطنيّة في مختلف الكتابات والإنتاجات الفكرية والأكاديميّة في جامعاتنا. وكلّ هذا يتطلّب سلسلة إصلاحات في محمول الكتاب المدرسي، وفي البنية الفكرية في كافة حقول المعرفة، واعتماد العقل المجرّد المسدّد المؤيّد، وهو ما يوصلنا إلى التّنوير اللغويّ في منظومتنا الثقافيّة العلميّة، ولا تُحقّقه إلّا اللغة العربيّة المشتركة في وطننا؛ لأنّ اللغات الوطنيّة الأخرى لا تحمل هذا الكنز الذي هو خاصّ الخاصّ، بله الحديث عن اللغات الأجنبيّة التي تحمل خصوصيات بعيدة عن واقعنا، ولها ثقافة ذات دلالات إيديولوجيّة تلحقنا بالتّبعيّة المطلقة، ونحن بحاجة إلى التحرّر من كلّ تبعيّة لغويّة واقتصاديّة، وعدم الاستسلام للأمر الواقع، وإلّا سنكون في خبر كان، ومن الغرباء في بلدنا.

— **الخاتمة:** أيّها الجمع الكريم، أعضاء المجلس الوطنيّ الاقتصاديّ والاجتماعيّ والبيئيّ، أيّها المخطّطون؛ جنّاكم لنشركم همومنا اللغويّة التّخطيطيّة للغة الوطنيّة الجامعة المانعة المشتركة، اللغة العربيّة الفصحى لغة

الأمة، جئناكم لعرض أفكار المجلس التي يعمل بها مع الشباب الحامل للمشاريع، وقد رافقنا ولا نزال نرافق الكثير منهم، كما جئناكم لعرض أعمال المجلس في رحابكم، جئناكم لنقدّم أمامكم هذه المقترحات:

1- ندعو رئيس المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي والبيئي لعقد ندوة وطنية حول السياسة اللغوية في الجزائر، بحضور مختلف الشركاء الاجتماعيين.

2- نروم من مجلسكم الموقر إدراج في مقترحاتكم تخطيط تنموي للغة العربية المشتركة من أجل أن تنال موقعا في مخططات الحكومة عبر برامجها السنوية.

3- نرجو منكم الدعوة إلى تفعيل المؤسسات ذات العلاقة بخدمة اللغة العربية أو دمجها بغية حسن الأداء وتقليل التفتقات.

4- نطلب معاضدتنا في إعطاء المجلس الأعلى للغة العربية صفة المرافقة وإبداء الرأي في مسائل ذات العلاقة بتطوير اللغة العربية الفصحى.

5- نأمل العمل على الرفع المادي والتحفيز المعنوي لكل من يقدم أفضل الأعمال في اللغة الوطنية المشتركة، ورصد الجوائز الاعتبارية والمادية للمنافسة في المجال اللغوي.

6- نأمل تشجيع المجلس الأعلى على ما يقوم به من خدمات في تطوير اللغة العربية على أعلى مستوى من الاحترافية والفاعلية.

مرّة ومراراً أقول: إنّ اللغة العربيّة الوطنيّة المشتركة هي البيت المشترك فلها مقامها ووظائفها التي تقوم بها، وكان علينا صونُها والعملُ على حمايتها بكلّ ما أوتينا من عمل وجهد وقوانين، وأما اللغات الأجنبيّة فحتاجها عند الضرورة، ونلجأ إليها في ربط المجتمع بالعالم الخارجي لمواكبة التطوّر، ومعرفة الحاجات الملّحة المعاصرة الحاملة لفكر في آخر ما تعرفه التكنولوجيات المعاصرة والإفادة منها، شرط أن يتمّ إعادة إنتاج ما يُستفاد من اللغات الأجنبيّة إلى اللغات الوطنيّة؛ بإعادة التعبير عنها باللغة الجامعة. ونقول: إنّ التّناميّة الشّاملة تكون باللغات الوطنيّة فقط، ولم نرَ الكبار الثّمانية / G8 أنّهم أبدعوا بغير لغاتهم الوطنيّة، كما لم نرَ الكبارَ الاثني والعشرين / G22 أنّهم أعلّوا من اقتصادهم بغير لغاتهم، ولماذا نكون نحن التّكرة؟ فهلاًّ نعتبر! ولم يثبت أنّ أمة في العالم ارتقت بغير لغتها الوطنيّة المشتركة.

الهوامش:

- ¹ - عبد العلي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأمّ عن واقع اللغة العربيّة في بيئتها الاجتماعيّة والثقافيّة. بيروت: 2014، دار الكتب العلميّة، ص 35. بتصرّف.
- ² - علي القاسمي، محاضرة عنوانها (اللغة العربيّة والتّناميّة المستديمة) أُلقيت في رحاب مجمع اللغة العربيّة بدمشق، بتاريخ 16 أكتوبر 2009.
- ³ - عبد العلي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأمّ عن واقع اللغة العربيّة في بيئتها الاجتماعيّة والثقافيّة. بيروت: 2014، دار الكتب العلميّة، ص 19-37.

أفكار للصحافيين حول حسن استعمال اللغة العربية

■ **الديباجة:** سيقع الحديث في هذه الكلمات المقترضات بطرح بعض الانشغالات التي استخلصناها من الدورات التكوينية، ومن خلال الاستبانة التي وزّعناها على الحضور، إضافة إلى بعض القضايا اللغوية التي نسمعها في التداول المكتوب والمسموع. ورأينا أن نقدّمها لكم في جملة من القول الوجيز وربما تكون من باب التذكير؛ ليحصل لنا جميعاً حسن الأداء اللغوي في لغتنا الجميلة؛ لغة الأدب والإبداع، لغة المتنبي الذي ترك مآثر من صناعة الكلام:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصّغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

لغة عظيمة حاملة لعظمة حدّادي الكلام، فهي الحامل لها لما فيها من صور الاختيار وما في جعبة البديع من أحلى الكلام. وفي البداية أريد الانطلاق من مقولة (عثمان أمين) "من لم يشأ على أن يُحب لغة قومه واستهان بخصائص قوميّته، ومن لم يبذل الجهد في بلوغ درجة الإتقان في أمر من الأمور الجوهرية، اتّسمت حياته بتبلّد الشّعور، وانحلال الشخصية والقعود عن العمل، وأصبح ديدنه التّهاون والسّطحية في سائر الأمور.

وإليكم بعض الأفكار التي نوّد تذكيركم بها:

1-الدّور الذي يشكّله الإعلام في التطوير اللغوي

• أصحاب الوزارتين؛

• أصحاب الكلام الرّصين، والتأثير المبين؛

• رجال السّلطة الرّابعة، ومحترفو الخامسة.

قوة اللغة الإعلامية بوصفها سلطة: - تحمل خطاباً تأثيرياً. خطاب

مؤسّسات. لها سلطة التّغيير. تعمل على التّوجيه. لها قيود على حياة النّاس. قوّة اللغة الإعلامية بوصفها انحرافاً. ومظاهر ذلك يكون في الآتي: الانقلاب على الفصحى. التشكيك في ذاتها+ وصفها باللغة الميّتة. عدم مسايرتها للواقع. إضافة إلى جملة خصائص هي: التّوسع في الاشتقاق+ اعتماد الهُجّة+ الاستهانة بالنّحو+ الكتابة بالعربيّني/ العريزي+ فسح المجال للمصطلحات الأجنبيّة+ استخدام لغة ملتويّة+ تكريس الأخطاء الشّائعة+ عدم الأخذ بالصّواب اللغوي+ التّوسّع الدّلالي وتحميل الألفاظ المعاني الجديدة في كلّ مرّة...

2- اللغة الإعلامية ودورها في الانسجام الجمعي: يُقال إذا أردت غلق ملف

لغة ما، عليك الاستثمار تراتبياً في:

1/2- المدرسة. المدرسة وضع.

2/2- الإعلام. الإعلام انتشار.

2/3- الإدارة. الإدارة هويّة واعتزاز.

3- دور الإعلام في تطوير اللغة:

1/3- مواصلة تمّتين منظومة لغة المدرسة.

2/3- الانتشار.

3/3 - القوة الناعمة: باعتبار الثقافة هي الأثر العامل على التوجيه وعليه فإن القوة الناعمة تمزج بين:

- شرطة اللغة (قُلْ ولا تَقُلْ) وبين (قُلْ، ولا حرج عليك)؛
- القاعدة النحوية والاستثناء؛
- يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره؛
- وفي المسألة آراء واختلافات؛
- ترجيح الرأي المجمع عليه؛
- الالتجاء إلى الاستعمال الذي ترضيه الجماعة اللغوية الفصيحة.

4- الملاحظات التي بصرنا بها:

■ قياس بعض الصحافيين على الفرنسية (Membre) ويقولون: فاطمة عضو المجلس الشعبي وهو قياس لغة على لغة من غير ذات الأرومة وهذا قياس خاطئ، وفي هذا المجال تنص قرارات المجامع اللغوية العربية على عدم جواز وصف المرأة بدون علامة التأنيث في ألقاب المناصب والأعمال، وهذا هو القرار لا يجوز في ألقاب المناصب والأعمال - اسماً كان أو صفة - أن يوصف المؤنث بالتذكير فلا يقال: فلانة أستاذة أو عضو أو رئيس أو مدير" (مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً، ص 128). وفي هذه النقطة أحياناً يقول صحافي أثت (ناطقة) لكن رئيس التحرير رفض ذلك، وادّعي فيها التسوية. والإجابة فيها واضحة، وهي إذا كان رئيس التحرير فقيهاً لغوياً، يأتي بالبيان، وإذا لم يكن، فعليه أن يُعيد الأمر إلى القواعد التي تجمع المتخالفين.

5- قياس لغة على لغة ليست من ثقافة واحدة:

المذكّر / مسجد ← la mosquée ، مؤنّث

مؤنّث / مقبرة ← le cimetière مذكّر

5 / 1- أوجه الاختلاف في ثقافة اللغات:

5 / 1 / 1- كلمة (عم) في اللغة الإنكليزية أو الفرنسية هي (oncle /uncle) حيث إنّه قد يعنى فى اللغتين (الخال) أيضاً. لذلك، فإنّ الأمر يتطلب بعض التصرّف لنقل المعنى بدقّة إلى اللغة الأخرى دون تداخل أو التباس وتكون بإضافة كلمة (paternel uncle) وليس. uncle وحدها، أمّا إذا كان اللفظ (لخال) وليس (العم) يكون المقابل الأجنبيّ في هذه الحالة (uncle materna) وبذلك تتحدّد بدقّة ما إذا كانت صلة القرابة من جهة الأب أم من جهة الأم. فاللغات الأوربيّة لا تعرف كلمات تشير إلى العمّ والضرّة والخال، لكن بالمقابل نجدّها حاضرة في الثقافة العربيّة التي تشيع فيها هذه المفردات المرتبطة بنظام القرابة.

5 / 1 / 2- على سبيل المثال؛ يأخذ القمر بُعداً رومانسياً في الثقافة العربيّة ويستخدم في التعبير عن الجمال، بينما في الثقافة الإنكليزية/ الفرنسية يجسّد (القمر) مفاهيم الغباء وانعدام البراءة. وعليه، فإنّ عبارة "الفتاة كالقمر في جمالها" تقابلها جملة (the girl is very beautiful) دون أن يدخل لفظ (القمر) في الجملة.

3/1/5- كلمة (مهر) وهي الكلمة التي يقابلها dower في الإنكليزية و(Dot) بالفرنسية، إلا أن هذا المفهوم منتشر في بعض الثقافات العربية أغلبها؛ لذلك نجد أنه غالباً ما يلجأ إلى تفسير الكلمة بين قوسين "dower ; money paid by the husband to the wife's family" ، وبخاصة في اللغة الفرنسية حيث للكلمة عدة معاني :

- Une dot ; ensemble de biens meubles ou immeubles donnés par un tiers à l'un ou l'autre des époux dans le contrat de mariage.
- Apport que fait une future religieuse au monastère ou elle va entrer.
- Biens qu'une femme apporte en se mariant. (dictionnaire Larousse).

وهذا نظراً لاختلاف مفهوم هذه الكلمة لدى بعض البيئات والثقافات الأخرى التي يدفع فيها المهر من جانب الزوجة وليس من جانب الزوج.

4/1/5- تملك الفرنسية سلماً من الأزمان المتنوعة، لا تعبّر عن أقسام الزمن الثلاثة من ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، بل أيضاً عن الفروق النسبية للزمن ولا توجد إلا لغات قليلة لها ثروة اللغة الفرنسية في هذا الصدد فلا يكاد يوجد في الألمانية مثلاً إلا زمن واحد (ichliebte) (أحببت أو كنت أحب) وثروة اللغة الفرنسية أتت من اللغة اللاتينية التي كانت من جهة الأزمان مزودة بسلسلة زاخرة من الصيغ. أمّا الزمن بمعناه الحقيقي فلا يوجد فيه في السامية إلا اثنان غير التام والتام؛ وهما مشتقان من أصلين مختلفين ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذين الاسمين تام أو غير تام ما يشبه الأزمنة في الفرنسية.

5/1/5- تميّز العربيّة بين الجنس لغة واصطلاحاً؛ فالتذكير خلاف التأنّث، فالتذكير معادل للقوّة والأنفة والصّلابيّة، أمّا التأنّث فيلتصق باللين والسهولة والإنتاج والخصب، ويتسق هذا التّصوّر مع تصوّرات التّحويين الذين ذهبوا إلى كون التذكير أصلاً وأنّ التأنّث فرع، وهذا ما صرح به سيبويه "الأشياء كلّها أصلها التذكير ثم تختصّ بعد، فكل مؤنّث شيء والشيء يذكر، فالتذكير أوّل وهو أشدّ تمكناً" لعلّ هذا الفهم التّحوي نابع من خلال قصّة الخلق الأولى، فكما أنّ الذّكر أوّل، وهو أوّل الخليقة فالأنثى ثانٍ مجترح منه، كذلك المذكّر في اللغة فهو عمدة الجنس والمؤنّث فرع، لذا ظلّ الذّكر بدون علامة تذكير لأنّه الأصل وهو الأوّل، وإنّما ألحقت علامة التأنّث بالمؤنّث غالباً لأنّه فرع التذكير. وفي لغة الماساي من شعوب أفريقيّة يوجد جنس لما هو كبير وقوي وجنس آخر لما هو صغير وضعيف وهذا ما يترجمه بعضهم تحكّماً بالمقابلة بين المذكّر والمؤنّث (ol tungani) الرّجل الكبير (en dungani) الرّجل الصّغير.

5/1/6- أثّلج هذا الخبر صدري "مقابله في الفرنسيّة" cette nouvelle m'a fait chaud au coeur وإلى الأنكليزيّة بـ "news It's a heart-warming". وذلك راجع للمعطى المناخي: فالمنطقة العربيّة منطقة صحراويّة ساخنة فاستعملنا (تثلج) للتعبير عن التأثير الايجابي، أمّا المنطقة الأوروبيّة فطقسها بارد؛ لذا يتمّ استعمال (chaud) و(warming). حتى المناخ والجغرافيا لهما تأثير على ثقافة الشّعوب.

ومن هنا نستنتج أنّ الاختلافات القائمة بين اللغات ليست مجرد اختلافات صوتيّة ودلاليّة وتركيبية، بل إنّها تنطوي على اختلافات في تفسير

العالم وفهمه، وتشكل آثاراً معبرة عن عقل الشعوب اللغوية، فكل لغة تنفرد في شكلها البنائي ومحتواها الثقافي، فهي بذلك تكشف عن عقل الأمة، ولأن اللغة هي عقلها، وعقلها هو لغتها.

6- **القياس التوهمي:** على وثائق الأمانة العامة للحكومة وليس فيها لغويون/ أغلب وثائقها ترجمة من الفرنسية. وهو قياس التوهم، على غير قاعدة، ويدخل هذا في باب التخلي عن قواعد اللغة/ علماء اللغة وفقهاؤها فنقيس على الاستعمال الخاطئ ظناً منا أن المتحدث/ المقال مبني على قاعدة.

7- **ترداد المقولة الخطأ الشائع** أفضل من الصواب المشهور "علماً بأن الصحافي كان يجب أن يعمل على التطوير مثل المعلم الذي يطور اللغة اليومية.

8- **المقولة الشائعة للصحافي** "أنزل إلى لغة العامة ليفهموني" علماً بأن هذا مردود؛ لأن وظيفة الصحافي ترقية السامع/ القارئ لا إبقاءه على لغة الدّهماء والغوغاء.

9- **المقولة الخاطئة (المهم الفهم)** وهذا منافٍ لقواعد اللغة؛ لأن اللغة قواعد، قد يحصل الفهم بكسر القواعد وذلك ما يخلق الهجنة اللغوية.

10- **عدم التفرقة بين المستويات اللغوية:** المستوى الفصيح، والمستوى الأفصح، ومراعاة المتحدث إليه والحال والمقام ومقتضى الحال. وفي كل هذا يعود إلى ذكاء الصحافي الذي يعمل على اختيار الكلام الأعلى الفصيح/

الأفصح. وما يقتضيه الخطاب من الجمهور المُوجّه له الكلام ويدخل هذا في باب تنويع الخطاب، فمتى تقول:

- الصّحافيّ ← الصّحافيّ.

- المهمّة ← المهمّة

- في قولهم أنّ ← في قولهم إنّ.

11- التفريق بين الموضوعات التي يقتضي فيها التّسامح اللغويّ، وما لا يقتضي ذلك. والتّسامح اللغويّ لا يعني الرّفْع حيث يجب النّصب، بل يكون في باب الجواز. وهنا يكون الصّحافيّ على دراية باستعمال ما يجوز، وعدم الاستعمال لما لا يجوز.

عُدة الصّحافيّ.

1- الاعتماد على المهارات اللغويّة الأربع:

1/1- السّماع.

2/2- القراءة/ المطالعة.

1/3- الحوار.

1/4- الكتابة.

2- إدراك جيّد لقضايا اللّغة الإعلاميّة: وهي التي تشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العامّ، وهي قاسم مشترك في كلّ فروع المعرفة ولا بدّ من: الوضوح اللغويّ+ الملاءمة المناسباتيّة+ الجاذبيّة في الأداء+ المرونة في القواعد+ الاتّساع في الاستعمال+ القابليّة للتّنمية.

- 3- التحضير الجيد لما يقوم به من تنشيط.
- 4- بداية الاستهلال بحسن ما يجذب السامع أو المشاهد، بتوظيف المسكوكات/ الآيات/ الشعر/ الأمثال/ الحكيم.
- 5- إضفاء روح الدعاية العلمية وما يدخل في تنشيط فعاليات الموضوع وهنا يجوز للصحافي استعمال ألفاظ الحياة اليومية إذا اقتضى الوضع ذلك. ما يجب أن يُدركه الصحافي:
- 1- العلوم تعيش التطور، والبقاء للأحسن، والطبيعة تكره الفراغ.
- 2- علينا الوعي بأنّ الأداء اللغوي الجيد يخلق الجمهور الواعي والنخبة، فتسعة من أصل عشرة يكرهوني، لا يهمّ إذا كان الواحد الذي معي مُسلّحاً.
- 3- الجمهور المتابع يذوب ويحنّ إلى الأفلام/ المسلسلات المدبلجة أو ذات الأصل الفصيح.
- 4- العيش ضمن عصر المنافسة، والتّبات للأصلح، ويبقى هو الأقوى.
- 5- هناك روح المنافسة، ولا حياة لمن لا يغامر بلغته من أجل البقاء.
- 6- هناك واقع الإعلام الجديد، وضرورة الاستثمار في التّقنيات وعالم الصّورة في الميديا الجديدة. فأن تكون لا بدّ من: التّفاعلية+ القابلية للحركة+ القابلية للتّوصيل+ الشّيوخ والانتشار+ التّدويل+ التّعقيد وكثافة الاستخدام+ الاحتكاريّة+ اللّاجماهيريّة+ اللّاتزامنيّة... وهذا كلّهُ ضمن واقع الصّورة الإيجابية إذا تملّك الصّحافي زمام اللغة، كي يحوّل الصّورة إلى ثقافة بوصفها

خطاباً يعمل على الرّفْع من سوّيّة التّخبة. ولهذا على الصّحافي الماهر أن يجمع بين حسن استعمال اللغة، وبين توظيف الصّورة.

ما المنتظر من الصّحافي؟

- 1- العمل على حسن استعمال العربيّة في كلّ الوسائط المعتمدة.
- 2- استعمال المستوى الأعلى في أعلى تجلّيات اللغة/ الأفصح.
- 3- العمل بمجدارة على ترسيخ الاعتزاز بالهويّة اللغويّة.
- 4- عدم السّكوت عن الخطأ مهما كان بسيطاً.
- 5- الدّقة في الكتابة بصفر خطأ (0) وبخاصّة في نشرات الأخبار؛ لما لها من جمهور عريض.
- 6- نشدان الصّحافي المبني المضيف، لا الصّحافي اللامبالي.
- 7- العمل على بناء مدارس صحافيّة في حسن استعمال العربيّة، تفوق ما نسمعه ونراه في القنوات الأجنبيّة.
- 8- تجاوز التّمطية في التّعامل مع الأزمة والموازنة بين رغبة القائمين على اللغة في تسخير الإعلام منبراً لغوياً يجمع بين الأصالة والحداثة.
- 9- ضرورة مراجعة وسائل الإعلام سياستها المهنيّة، فتحوّل عن التّعامل مع العربيّة من منطق الپراغماتيّة إلى منطق الشّراكة، وتتصدّى لكلّ محاولات الإضرار باللغة.

10- مقاومة تغوّل العولمة على وسائل الإعلام باستثمارها والاستفادة من سيورتها، ويكون للشخصية العربية مقام في منطق اللغة القائم على الوعي بهوية الأمة.

11- الإسهام في المسابقات الوطنية والعالمية في تقديم الأفضل بلغة عربية رصينة.

12- التحضير والتحضير ثمّ التحضير الجيد، وتمثّل اللغة العربية بخصائصها قبل التسجيل والتنشيط والتقديم. وضرورة الاطلاع على حيثيات الموضوع، وحمل الزاد المعرفي في الحدود العامة للموضوع الذي تعمل على إنجازه.

توصيات عامة:

1- ضرورة تنفيذ الدورات التكوينية في مجال التنمية اللغوية، والوعي بدورها في دعم الرسالة الإعلامية، وذلك ما ينعكس بصورة إيجابية على النشاط الإعلامي.

2- الاستفادة من خصوصيات العربية وتشجيع الثقافة اللغوية لدى القارئ بالاتصال، ودعم هذا التوجّه في مجال الدراسات والبحوث العلمية.

3- تجسير العلاقة بين اللغويين والإعلاميين للإسهام الإيجابي في إثراء المعارف المشتركة وخلق المواكبة اللغوية، مع استخدامها في مجال الإعلام.

4- تنويع البرامج عبر الوسائط الإعلامية، ومراعاة تنفيذ تلك البرامج بتوافق تطوّر دلالات الألفاظ والمعاني والمفردات الإعلامية.

- 5- ضرورة انفتاح كليات الإعلام على علوم اللغة في مجاريها اللسانية القديمة والحديثة.
- 6- تجسيد مفردات تعليمية تتعلق بالتصحيح اللغوي + قضايا فقه اللغة.

العربية في شمال أفريقيا

قبل الفتح الإسلامي^٧

ـ **الديباجة:** سيقع الحديث عن وجود استعمال العربية قبل الفتح الإسلامي في قارة أفريقيا؛ ويعني استعمالها في شمال أفريقيا تحصيلاً؛ باعتبار بلدانها تعرّبت بعد الفتح الإسلامي بسهولة، وحدث الانسجام والتّصاهر بين الفاتحين والسّاكنة بشكل سلس، رغم ما ينكره بعضُ الباحثين من وجود استعمال العربية في أفريقيا قبل الفتح الإسلامي، ولم تكن للعربية مكانة في شمال أفريقيا إلاّ بعد الفتح العربي الإسلامي، ومن ثمّ تعولّمت العربية على كامل القارة الأفريقيّة. ويرى المنكرون بأنّ بلدان شمال أفريقيا تعرّبت بالقوّة، بعدما عرفت سلسلة من الحملات والمعارك العسكريّة التي خاضها المسلمون تحت راية الخلافة / الدّولة الأمويّة ضدّ الإمبراطوريّة البيزنطيّة ومن حالفها من قبائل البربر، بغرض التّعريب والأسلمة، وذلك على مدى 66 سنة تقريباً، وانتزعت على إثرها ولايات شمال أفريقيا الرّوميّة من يدّ البيزنطيين، ودخلت في دولة الإسلام. هذا فعلاً حصل؛ لما دخل الفاتحون، ولكن اللغة العربيّة في مفهومها التّواصلّي/ لغة التّواصل والمصالح المرسلة (Lingua Franca) في قضايا التّجارة كانت متداولة بشكل من الأشكال وليس في مفهومها الأدبيّ الذي عرفته في عصر السّاميات أو ما شهدته في العصر الجاهليّ في أعلى فصاحتها عندما خرجت من منظومة السّاميات.

^٧ مقالة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة في الموسوعة الجزائرية مجلّد اللغات واللهجات

وكانت مستعملة في نطقها العام كما يستعملها أعراب شبه الجزيرة العربية في مختلف التّأديّات التي لم تكن مُشتركة أو مُوحّدة على غرار توحيدها في لغة قريش. وهنا نطرح إشكالية وجود العربية قبل نزول القرآن الكريم أم كان أوّل ظهور لها بعد نزول القرآن الكريم فقط؟ وهل هي عربيّة القرآن التي نقرأ بها القرآن؟ أم هي عربيّة ساميّة -على ما يراه البعض- قبل انفصالها عن أخواتها الكلدانيّة والعبرانيّة والفنيقيّة والآراميّة والأكدية بقسميها البابلي والآشوري، ثم الأجنبيّة التي هي (لغة قريش) حسب نقوش رأس شمرا؟ ... هي مجموعة من الإشكاليات التي اختلفت فيها الدّراسات؛ بحكم أنّ شبه الجزيرة العربيّة كان لها أثر في تلوين لسانها، وأنّ الدّاخلين تنوّعوا في ثقافتهم، فأثّروا وتأثّروا، وأدخلوا وتركوا بصمات لسانیّة تواصلية كان لها الأثر في تلك المنطقة، أضف إلى ذلك عامل شساعة المنطقة التي احتوت القبائل الأصيلة والقبائل النّازحة بحكم التّرحال للرّعي. فكانت للحجاز لغة، ولليمن لغة/ لغات، ولانقسام العرب إلى عشائر أثر في تلك اللغات ولكن الشّيء الذي يمكن أن نوّكده على أنّه مهما اختلفت لغات هذه القبائل هناك لغة جامعة في أبعد حدودها، وإلّا كيف كانوا يتواصلون في ترحالهم وعيشهم وغزواتهم وعلاقاتهم الرّعيّة/ التّجاريّة مع بعضهم.

وأما اللغة العربيّة في معناها المعاصر بدأت تتعمّق وتتجذّر في منظومة فكر ساكنة شمال أفريقيا بعد الإسلام لفهم الإسلام؛ على أنّ "ما لا يتمّ به الواجب، فهو من الواجب". وفي ذات الوقت لا ننكر الجذور التّاريخيّة للعلاقات العربيّة الأفريقيّة إلى ما قبل ظهور الإسلام؛ حيث كان المجتمع العربيّ الجاهليّ يزخر ببعض المجموعات الأفريقيّة التي استقرّت بين العرب

وانصهرت في القبائل العربيّة عن طريق الولاء والانتماء الكامل، وبعض هذه المجموعات شقّت طريقها إلى الجزيرة العربيّة لعوامل غير الرّق والغزو. وكان الأحباش (وهم سكان بلاد القرن الأفريقيّ في الصّومال وبلاد الحبشة وإريتريا) أكثر من وفّد إلى جزيرة العرب قبل الإسلام، وتأثّرت هذه المجموعات التي وفدت من السّاحل الأفريقيّ بالثقافة العربيّة. ومن هذا الباب أقبل الأفارقة وبخاصّة البربر على اعتناق الإسلام، وتعلّم لغة الإسلام شاركوا العرب في الغزوات والمعارك ضدّ الرّوم، واستمرّ البربر يدخلون في الإسلام تباعاً مع تقدّم الفتوحات. ونتيجة ذلك حدثت المثاقفة بطول الاختلاط، فاستعرب الكثير من البربر وبالأخصّ ساكنة الحضر/ المّدن منهم، واستمرّ ساكنة الرّيف يحتفظون بهويّتهم اللغويّة الخاصّة. وقد ظهرت عبر التاريخ الإسلاميّ لبلاد المغرب أنّ كلّ الممالك البربريّة الثلاثة عشر (13) حملت لواء الدّفاع عن الإسلام والمسلمين وعن اللغة العربيّة مثل الأدارسة والفاطميّين والمرابطيّن والموحّدين والزّيانيين والمرينيّين... كما أصبحت بلاد المغرب مراكز الثّقل الإسلاميّ واللغويّ في العالم الإسلاميّ.

1- الأوضاع العامّة في شمال أفريقيا قبل الفتح الإسلاميّ: كانت الأوضاع السّياسيّة في شمال أفريقيا مضطربة بسبب الحروب بين القبائل الجرمانيّة النّازحة من القارّة الأوروبيّة والبيزنطيّين، وبين البيزنطيّين والأهالي أنفسهم، وكانت شمال أفريقيا تُشكّل جزءاً من الإمبراطوريّة الرّومانيّة منذ سنة 146 ق.م، عندما تمكّن الرّومان من إسقاط مدينة (قرطاج) خلال أواخر الحرب البونيقيّة الثالثة، والقضاء على القوّة العظمى الوحيدة في المنطقة القادرة على مُنافسة روما وعظمتها. وفي ظلّ هذا المخاض

عرفت المنطقة المذهب الدوناتى الذي كان رمزاً للمقاومة الشعبى، وازداد انتشاره بزيادة انتشار الفقر والبؤس بين الأهالى الذين ثاروا ضد الحكومة والطبقة الغنى، ودعوا إلى المساواة. وحاولت الحكومة مجادلة أصحاب هذا المذهب، فكان القديس (أوغسطين) ألد أعدائه، حيث هاجم المذهب الدوناتى، وأباح للدولة استعمال العنف ضد أصحاب هذا المذهب لكسر قوة تصاعد شوكتهم، وإعادتهم إلى حظيرة الكنيسة. ولكن تحالف الكادحون والفقراء مع الدوناتية استمر إلى وفاة دونات سنة 355م واتخذ شكل الثورة الوطنية في طرابلس ونوميديا إلى سنة 375م. واستمرت بلاد المغرب خاضعة للرؤمان حتى سنة 435م تقريباً، ثم جاءت قبائل الوندال بأعداد كبيرة، ووقع استقرارهم في شمال أفريقيا، ومحووا آثار الرومان وحصل في هذه الأثناء أن تعظم نفوذ قبائل البربر في مجموعات مشتتة، لم تجمعها إلا الوحدة القومية، وبدؤوا يشكلون كتلة الولاء لقبائلهم وعشائريهم، وارتد الكثير منهم عن المسيحية. وفي السنوات القليلة التي سبقت الفتح الإسلامي، عين قيصر الروم الإمبراطور (موريس) أحد قادته العسكريين (هرقل) قائداً أعلى على بلاد المغرب، وكان ذلك سنة 600م. ثم حصل أن خلع القيصر، وقتل على يد أحد ضباطه (فوقاس) وترجع هذا الأخير على عرش الإمبراطورية، وعاث فساداً باستبداده حتى تدهورت أوضاع الإمبراطورية البيزنطية بشكل كبير، الأمر الذي دفع (هرقل) حاكم أفريقيا إلى إعلان العصيان، وشجعه موقف سكان شمال أفريقيا من البربر الذين أيده نظراً لحكمه العادل مقارنةً مع باقي الحكام السابقين. وشهدت بلاد المغرب عهداً من السلام لم يعرفه الأهالي من قبل، وتمتع البربر بالكثير

من الحرّية والاطمئنان وعادت المسيحيّة تتسرّب إليهم. وفي أواخر عهد (هرقل) رجعت الاضطرابات لتنتشر في بلاد المغرب؛ بسبب مُحاولات الحكومة البيزنطيّة فرض مذهبها على كافّة أطراف الشّعب، فأخذ البربر والأفارقة يلتفون حول بطاركتهم للدّفاع عن عقيدتهم ضدّ الإمبراطوريّة وانتهى الأمر بأن نهض أحد القادة والقساوسة (جرجير) واستقلّ عن الدّولة وحكم مُستعيناً ببقايا جنود الرّوم وجُنود البربر، وضرب العُمَلات باسمه واتخذ من قرطاج عاصمةً له، ثمّ تركها وانسحب إلى الدّاخِل، وتحصّن في سُبُطلة خوفاً من أي هُجوم روميّ مُحتمل. أمّا في بقية البلاد؛ فقد تحرّر البربر من سلطان الرّوم، وتلاشت المسيحيّة من دواخل بلادهم للمرّة الثّانية. وفي كلّ هذا لم يكن البربر يستعملون لغتهم القوميّة (البربريّة) في القضايا الرّسميّة، ولا اللغة العربيّة، بل يميلون حيث لغة المستعمر، ويدينون بها في معاملاتهم الرّسميّة، وبقيت لغتهم الوطنيّة (البربريّة) في الاستعمال الوظيفيّ حتى اليوم. ولكنّهم كانوا سريعي الفهم للغات الآخرين، وهذا ما جعلهم في سنواتهم الأخيرة قبل مجيء الإسلام يتفاعلون مع التّجار العرب في التّواصل بالعربيّة المعهودة آنذاك. ولم تُشر المصادر أنّ هناك ترجمة ينقلون الكلام بين التّجار العرب والسّاكنة، رغم ما يشير إليه صاحب كتاب (الجُمَان في أخبار الزّمان) أنّ بربر أرياف وأطراف برقة لمّا عرفوا بقُدوم القائد المُسلم إليهم أرسلوا إليه رُسلًا يعرضون عليه أن يدخلوا في الإسلام على يديه، وأن يُوالوا المُسلمين ويُعاونوهم في الفتوحات، فاستطاع (عمرو بن العاص) أن يفهم ما يُريدون بواسطة مُترجم نقل إليه كلامهم، فأرسلهم إلى الخليفة (عمر بن الخطّاب) في المدينة المنوّرة الذي رحّب بهم أحسن ترحيب بعد أن عرف

أنهم يتمنون إلى القوم الذي أخبر عنهم الرسول مُحَمَّد... وبعث إلى (عمر بن العاص) أن يُقدِّمهم على الجُند. وهناك روايات تقول بأنَّ (عمر بن الخطاب) استقبلهم وقال لهم "ما لكم تُبرِّرون..." يعني تتكلَّمون بكلام غير مفهوم. وأمثال هذه التَّصوص يجب أن تؤخذ في سياقها، على أنَّ هناك زيادات، وبعضها جاءت بعد الفتح الإسلامي الذي نالت فيه العربيَّة أسمى تجلِّياتها كخطاب أدبيِّ عالٍ.

2- جذور الحضارات: ليس سهلاً تأكيد بعض القضايا التاريخية التي تعود إلى غابر الزَّمان، ولكن عندما نحتكم إلى بعض الأدلَّة يمكن تحليلها والبناء عليها وفق (قياس الماضي على الماضي) بأنَّ منابع الحضارات تتبع المياه، وأنَّ مصر وبابل وبعض مجاري الأنهار في آسيا كانت لها حضارات قديمة منذ فجر الحضارات والعصور، ولها معارفها في العلوم ونمط المعيشة، ولم تكن الحضارات الأوروبيَّة إلَّا رجع الصِّدى لها، بما فيها روما العظيمة التي تعدَّ مهد الحضارات عند الغربيين. وأمام ذلك التَّمدُّن كان الشَّرق مهوى العاشقين الرَّاغبين في الاستمتاع والتَّعلُّم ومقصد الهجرات من وإلى مهد الحضارات؛ وهي الحضارة الشَّرقية؛ ومقرّها الشَّرق العربي وآسيا. ولهذا تشير المصادر بأنَّه حصلت هجرة الكنعانيين الفينيقيين إلى هذه المواطن الحضاريَّة، كما تمَّت هجرات من الشَّرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشَّمال. ثمَّ حدث تبادل للهجرات غرباً شرقاً وشرقاً غرباً... ويسجِّل التاريخ أنَّه حصلت هجرة البربر من الجريد إلى مصر، وهجرة العرب من جنوب الجزيرة العربيَّة إلى سيناء مصر، ومن سيناء إلى شمال أفريقيا، ونقلوا معهم لغتهم العربيَّة التي تفرَّعت إلى لغات تدعى (اللغات العربيَّة) ومنها

البربريّة. إضافة إلى تلك الأقوال التي ترى بأن أصلهم من اليمن القديم وسافروا إلى أفريقيا عبر البحر، كما يسجّل التاريخ بأن معظم سكان شمال أفريقيا من القبائل البربريّة والقبائل العربيّة؛ فالبربريّة تتمثّل في: نفزاوة+ الزناتة+ أربة+ عجيصة+ هسكور+ جزولة+ أزداجة+ غمارة+ نفوسة+ لواتة أدريسة؛ وهم من قبائل (حام بن نوح) توافدوا على شمال أفريقيا عبر العصور؛ فمنهم من ذهب إلى اليمن. وبعد قرون تلتحق بشمال أفريقيا في عهد (أفريقش/ أفريقس) قبائل أخرى من غرب اليمن وهم: صنهاجة+ هوارة+ لمطة+ كتامة. وبعد الفتح تلتحق جماعات عربيّة من بني هلال من أبناء (سام بن نوح) منهم قبيلة الأثيج+ بنو الرّياح+ زغبة+ المعقل+ بنو عوف+ بنو دياب+ بنو زغب+ بنو الوليد؛ وكانت هذه القبائل متداخلة وبعد ذلك شكّلت البطون والأعراش والأفخاذ. ويميل (ابن خلدون) إلى أنّ البربر من ولد (كنعان بن حام بن نوح) عليه السّلام، فالكنعانيون ليسوا عرباً وليسوا من أبناء (سام)، في ما يذهب اتّجاه آخر إلى ربط سكان هذه المنطقة بالشرق وجزيرة العرب حيث إنّهم نزحوا من هناك إلى شمال أفريقيا نتيجة لحروب أو تقلّبات مناخيّة وغيرها. وهناك من يقول إنّهم ربّما جاؤوا من أوروبا أو مناطق البحر الأبيض المتوسط القديمة، في ما يذهب رأي آخر إلى اعتبار أنّ أصل البربر في هذه القارة أصيل لم يهاجروا، ولم يحتكوا بغيرهم لأنّهم يخافون الدّوبان في غيرهم... هي آراء وأفكار بعضها صحيح، وبعضها مجانب للصّحة، وبعضها مغالط، ونريد أن يثبت الباحثون الحقائق بموضوعيّة وتأتي التصحيحات من العلماء الذين يعملون البصيرة ومن المتسلّحين بالعلميّة لإخراج المسألة اللغويّة من ليّ بعض الآراء التي تريد إحداث العزلة

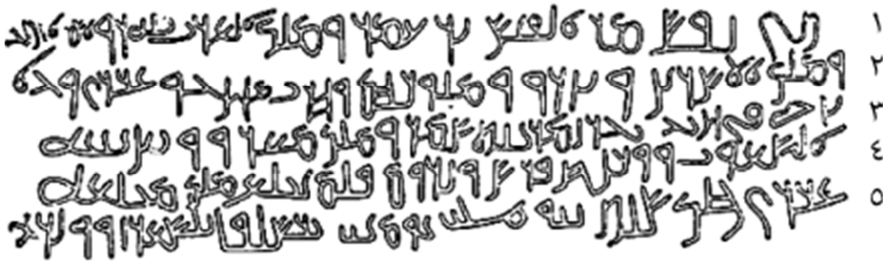
في ما هو متداخل، والتفرقة بين ما هو جامع، أو البحث عن صفاء الدّم من أجل إحداث الفتنة والقطيعة بين الأصل الواحد. وما يجب وعيه أنّ البربر لهم جغرافيّة كبيرة، ولهم تاريخ من الوجود يعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف (3000) سنة، وهم من ساكنة شمال أفريقيّة، استعملوا في تواصلهم الرّسمي لغات المحتلّ/ لغات الوافد، ولم يوظّفوا (البربريّة) إلّا في الجانب الوظيفيّ اليوميّ البسيط، وتعدّدت لغاتهم المحليّة لدرجة أن وصل عددها إلى خمسة وثلاثين (35) أدياء. وهم ساكنة سيوة المصريّة شرقاً إلى المحيط الأطلسيّ غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الصّحراء الكبرى جنوباً. وهم سكان الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وموريتانيا وشمال مالي وشمال النّيجر وبوركينا فاسو، وجزء من غرب مصر، ويوجدون في جزر الكناري.

3- **العربيّة لغة خارج السياق المحلي:** هي عربيّة بما لها من تواجد خارج إطارها الجغرافيّ (شبه جزيرة العرب) ومصاحبتها لأهلها إلى قارة أفريقيا في نسق المنظومة السياسيّة/ التجاريّة ليكون لها موقع استعماليّ كلغة وسيط حاملة لمنظومة تواصلية، ويكون لها حضور في لغات أفريقيا المتعدّدة، وتكون بديلاً في لاحق من الزّمان بما لها من حمولة دينيّة. ويبقى أنّها اللغة التي استطاعت أن يكون لها وجود بين أكبر عدد من الشّعوب الإفريقيّة بفضل امتداد نفوذها التجاريّ، وما صاحبها من المرجعيّة السياسيّة للعرب؛ وهم يثبتون قوتهم وشوكتهم أمام الإمبراطوريات الإفريقيّة ذات المرجعيّات اللغويّة غير المتجانسة. وفي كلّ ذلك أصبح للعربيّة موقع في الانتماء الوطني البربري، والتحدّث بها كلغة الثّقافة والفكر، فحصل في ظرف وجيز أن فئة

من البربر تحمّست لها وذابت في الثقافة العربية بسهولة بعد الفتح الإسلامي ومن ثمّ انتشارها السريع بعد دخول الإسلام إلى ممالك أفريقيا بكلّ أريحية.

4- عربية ما قبل الإسلام: لا شك أنّ العربية التي كانت مستعملة في العصور القديمة، وما كان من لغة عربية قبل العصر الجاهليّ ليست هي عربية العصر الجاهليّ، ولا هي عربية الإسلام، ولكن ليست بعيدة عن بعضها بوجود القواسم المشتركة، وبقدر ما فيها من بعض الاختلافات التي تعود إلى التكوين والتكوين الذي حصل فيها عبر القرون مع أخواتها السّاميات، وهي تلك العربية التي خرجت من بيئة العرب ونالت الانتشار عبر الهجرات والتجارة. وهنا يمكن أن نطرح السؤال التالي: هل كان العرب قبل الإسلام يتحدثون لغة عربية نمطية واحدة؟ في الحقيقة لم يكن العرب يتحدثون لغة عربية واحدة، حتى عرب شبه الجزيرة العربية اختلفت لغاتهم ولهجاتهم، وكانت لهم لهجات عربية، وقد ذكر (الطبري) ذلك في تفسيره مثل اللسان العربيّ الجنوبيّ + الحميرية + الأمهرية. وهناك نصوص معينة وحيانية وثمودية وصفوية، وهي تختلف في كثير من مداليلها عن عربية شبه الجزيرة العربية، وربما ما يجملها هو كتابتها بخطّ المسند. ولكن ما يقع الاتفاق عليه هو وجود بعض التقارب مثل ما هو موجود الآن بين العربية والمهرية/ الأمهرية، والعربية الجنوبية، وبعض اللغات الأفريقية، والعربية والقبطية... وعلى كلّ حال إنّ عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية، وعن عرب الإسلام، في اللغة والدين والأدب والأخلاق ولكنهم ليسوا منقطعين عن أسلافهم مهما اختلفت بيئاتهم، وكان الحبل السريّ بينهم اللغة العربية في حدودها الوسطى تجمع بين عرب ما قبل

الجاهليّة وعرب الجاهليّة وعرب الإسلام باختلاف الحضارات وما تدرّه من ألفاظ وما ينقرض فيها من أساليب. وحسب ما تنصّ عليه الدّراسات اللسانية هناك قواسم مشتركة بين لغة الحمورابيين ولغة الآشوريين، وهذه الأخيرة أقرب إلى عربيّة مُضر التي استعملها عرب قريش وسائر الحجاز... وقسّ على هذا ذلك التلاقي اللغويّ بين لغة مُضر ولغة عمالقة العراق في الفرق الذي ظهر بين لغة عرب الشّام في أوائل القرن الرّابع للميلاد مما قرأوه على قبر امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة، وبين لغة مُضر عند ظهور الإسلام؛ وذلك أنّهم عثروا في أطلال التّمارة في حوران على حجر عليه كتابة عربيّة بالخطّ النبطيّ نقشت في أوائل القرن الرّابع للميلاد أي قبل الإسلام بثلاثة قرون، وهذه صورتها:



كتابة عربيّة بخطّ نبطيّ على قبر امرئ القيس بن عمرو سنة 328م. وإليك نصّها كما تقرأ كلّ سطر على حدة:

- (1) تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج.
- (2) وملك الأسدین ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء.
- (3) يزجو (؟) في حبيج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه.
- (4) الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

- (5) عكدي هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده.
- هذا لسان عربيّ تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهّمها إلى إيضاح، وهاك تفسير هذه الكتابة باللغة العربيّة الفصحى؛ وهو:
- (1) هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلّهم الذي تقلّد التاج.
- (2) وأخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج إلى اليوم وقاد.
- (3) الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معداً واستعمل بنيه.
- (4) على القبائل وأناهبهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه.
- (5) إلى اليوم... توفي سنة 223 في يوم 17 أيلول (سبتمبر) وفق بنوه للسّعادة.

وكان أهل الشّام وحوران وما يليهما يؤرّخون في ذلك العهد بالتّقويم البصريّ؛ نسبةً إلى بصرى عاصمة حوران، وهو يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة 105 للميلاد، فإذا أضيفت إلى 223 كان المجموع 328 للميلاد وهي السنّة التي تُوفي فيها هذا الملك.

5- مَدَنِيَّة شَبَّه الْجَزِيرَةَ الْعَرَبِيَّةَ قَبْلَ الْإِسْلَام: ما لا يمكن أن نخفيه بأنّ شبه الجزيرة العربيّة عرفت مَدَنِيَّةً بمفهومها الزّمنيّ، رغم ما يوصم به العصر الجاهليّ بالجهل، وكان الجهل في أمور الدّين، وانشغالهم بالغزو ولكن ليسوا بالهمج، لأنّه وصلنا منهم أدب راقٍ لشعراء حكماء على غرار شعر زهير بن أبي سلمى، ووصلتنا حِكَمٌ عاليّة الجوّدة على غرار حِكَم: أبو العاص بن أميّة + أبو رغال + عبد المطّلب + أبو عامر الفاسق + أبو برّاء العامري + أبو

أزهر الدوسي... وهناك فلاسفة... وهناك ارتقاء في السياسة والعمران... وصاحبت العربية هذا الارتقاء في المدنية، وكانت خير معبر عما في أذهانهم. ومن الثابت أن العربية لا تتولد فيها كلمة إلا للتعبير عن معنى حدث في أذهان أصحابها... فإذا وجدنا في لغة من اللغات اسماً لنوع من اللباس نحكم حكماً قاطعاً بأن أصحابها عرفوه أو لبسوه، أو نوعاً من الأطعمة عرفنا أنهم أكلوه، وبعبكس ذلك خلّوها من أسماء بعض الأدوات، فإنه يدلنا على جهلهم إياها... وإنّ عربيّة ما قبل الإسلام كانت من أغنى لغات الأرض بما توفر لقاموسها الكبير من مسكوكات وحكم وأمثال ومصطلحات... وحصل فيها الثراء في المترادفات التي تدلّ الكلمة فيها على عشرات/ مئات على معنى واحد/ معان متشابهة/ تضاد، وتوسّعت العربيّة في مدلول اللفظ حتّى تعدّدت معانيه بالقوّة والفعل. وصاحبت العربيّة عرب ما قبل الإسلام في تجارتهم واقتصادهم، بكثرة الألفاظ الدالة على المال، وغيرها من المصطلحات ذات العلاقة من أسماء الثّقود والذهب والفضّة، وقسّ على ذلك أمثالهم وعباراتهم ولطائف لغتهم في الفنون العقلية التي تحتاج إلى تفكير ومنطق كالأحاجي والألغاز وفُتيا العرب... وفي ذلك المخاض الاحتكاكيّ أعطى العرب كما أخذوا ونقلوا وتركوا، وأبدعوا بلغتهم التي تركت بصماتها حيث ارتحلوا، وحيث أقاموا. إنّها عربيّة التأسيس التي جاءت على إثرها عربيّة الترتيص بما لها من مقومات جديدة، ولكنّها هي أفكار وآداب لا ينبغي تحقيرها بمصطلح (الجاهلية) على أنّها صحراء قاحلة. ألم يظهر فيهم الثابغة+ الشّاعر الفحل+ شاعر الحكمة+ علامة... وما وصلنا إلّا القليل من الشّعر، وهناك الخطابة والعلوم ومختلف الفنون التي ضاعت بفعل

الاستقرار، والحضارة لا تحصل إلا بالاستقرار. "... وكانت العلوم التي أخذوها جزءاً منها عن اليونان والفرس، وكذلك الرياضيات، أما علوم ما وراء الطبيعة، فبعضها انقرض كالكهانة والقيافة والزجر وبعضها تبدل وتقدم كتعبير الرؤيا وخط الرمل، فنقدم الكلام في الأهم منها، وهذا ما يقوله صاحب (تاريخ التمدن الإسلامي) ج5، ص 56.

6- العربية قبل الإسلام: تشير المصادر بأن العرب سكنوا شبه جزيرة العرب منذ غابر الزمان، وكانوا بدواً رُحلاً يسعون وراء الكلاً والغزو وكسب مئآت الجمال في صحراء لا حدود لها، ولم تكن لهم لغة واحدة مشتركة، فتنوعت لهجاتهم الضيقة رغم بعض القواسم الخاصة التي تتعلق بالماء والرعي وتبادل المصالح. ولكن الشيء الذي أكدته المصادر أن تلك اللهجات تبعد قليلاً عن عربية اليوم، وكانوا يسمونها بعربية الجنوب مثل الحميرية، إضافة إلى لهجات مثل المهرية والشحرية وتختلف عن بعضها البعض، كما تختلف عن عربية العصر الجاهلي. ومما لا خلاف فيه أن بجوار هذا اللسان العربي كانت القبطية في بلد الأقباط، وتزاحمها اليونانية. والقبطية هي لغة المصريين وقد سبق استعمالها قبل الفتح الإسلامي وظلت اللغة القبطية منذ ظهورها لغة الكلام والعبادة بالمسيحية، وهي في بعض الآراء تطوّر للغة المصرية القديمة. ولكن وجود استعمال العربية بشكلها اللهجي كان موجوداً في بلاد مصر من خلال تنقل التجار العرب والدليل أن الفتح الإسلامي لمصر كان سهلاً ودون مصاحبة التراجمة وحصل القبول الطوعي، ولم يحدث الصراع اللغوي بتاتاً، فقد أصدر والي مصر (عبد الله بن عبد الملك) أمر إحلال العربية بدلاً من القبطية، وحصل التعريب الكلي

دون مضايقات. ومع ذلك ظلت القبطية في الكنيسة ولكّتها حصل أن تأثرت بالعربية ووقع فيها التعديل في بعض الحروف وكتبت التعاليم المقدّسة بالحرف العربي بعد الفتح الإسلامي. وفي شمال أفريقيا وجدت اللغة البربريّة؛ وهي إحدى اللغات القديمة التي تنتمي إلى عائلة اللغات الأفروآسيوية، بينما كانت اللاتينية هي لغة الكتابة، وقد قاومت البربريّة الهيمنة الرومانيّة عدّة قرون، وظلّت لغة الثّقافة في شمال أفريقيا. وبعد الفتح الإسلاميّ انتشرت اللغة العربيّة بسهولة، وإن احتفظت البربريّة بمكانتها في التّواصل اليومي. كما كانت الآراميّة لغة بلاد الشّام ولغة الثّقافة بين العراقيين حتى القرن السّابع الميلادي حين دخل الإسلام وتمثّل هذه اللغة مزيجاً بين اللغتين الأكديّة العراقيّة والكنعانيّة السّورية ورغم سيادة الإمبراطوريّة الفارسيّة على المنطقة، ومحاولات الفرس فرض لغتهم وديانتهم؛ فقد ظلت اللغة الفارسيّة لغة البلاط ورجال الدّين المجوس هناك فقط، وحافظ العراقيون على لغتهم وديانتهم. وبعد الفتح أصبحت العربيّة لغة ساكنة الشّام والعراق؛ بسبب التّقارب اللغويّ فضلاً عن التّقارب الكبير بين عرب الجزيرة والعراقيين؛ بسبب الاتّصالات السّكانية والحضاريّة، ونعلم الدّور اللغويّ الرّياديّ الذي قدّمته مدينتا البصرة والكوفة للنّحو العربيّ.

ومع كلّ ما يمكن أن يقال، فإنّ العربيّة أشهر اللغات السّاميّة على أرجح الأقوال، وفيها آراء متباينة حول نشأتها وتطوّرها، واختلفت الآراء، ولكن الشّيء الذي نستقرّ عليه بأنّها لغة العرب القدامى؛ لغة قحطان ارتبطت بالشّعراء القدامى أمثال: المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس بن حجر، وذهب

بعضهم إلى القول بأنّ عمر الشّعر العربي سبعة قرون قبل الإسلام. والمهمّ هناك عربيّة نالت تسميات عديدة لغة مكّة والحجاز/ لغة اليمن/ لغة الشّعر الجاهلي/ اللغة الصّافيّة... والمتّبع للدراسات اللغويّة المقارنة يرى بأنّ عربيّة العصر الجاهلي تضمّ عناصر لغوية قديمة لا توجد في غيرها من لغات جزيرة العرب القديمة، كما أنّ بعض النّقوش التي خضعت للدراسة: نقش أمّ الجمل/ نقش الثّمارة/ نقش زبد/ نقش حران/ نقش أمّ الجمل رقم 2/ نقش قرية ذات كاهل، كتبت بلغة عربيّة صريحة تخالطها بعض الطّواهر اللغويّة النّبطية الآراميّة. وأنّ العربيّة الفصحى بدأ ظهورها وانعزالها عن أخواتها منذ القرن الثّالث الميلادي، وعرفت مسار طفولتها حتى وصلت مكتملة في العصر الجاهلي ووقع الإبداع فيها وبها ومنها في أرقى قصائد المعلّقات، عند قبائل شبه الجزيرة العربيّة. وبها نرى الأدب العربي في العصر الجاهليّ يقدّم لنا صورة متكاملة للغة العربيّة المتطوّرة التي عرفت مراحل التّهيئة والتّرقية والتّطوير بصورة المكتوب والمنقول والشفاهي. وحصل للعربيّة الكثير من الثّراء اللغويّ عبر محطّات زمنيّة في بيئة مفتوحة، وعبر لهجات تقاربت من أجل الإبداع، وضرورة الاحتكاك للتّفاهم، في صراع البقاء للغة الأقوى؛ والتي تُستعمل في مواسم الحجّ والمعاملات التجاريّة والأسواق واللقاءات الخاصّة، وفي الحروب والغزوات وأيام العرب وما إليها. وعندما اشتبكت في صراع لغويّ كان النّصر فيها للغة مشتركة استمدّت أبرز خصائصها من لهجة قريش التي طغت على سائر اللهجات الأخرى. وكانت للمناظرات الأدبيّة في أسواق مكّة/ سوق عكاظ/ ذي

المجاز/ المجنة... دور مهمّ في صقل وتهذيب اللغة العربيّة الفصحى، والارتقاء بها إلى ذلك المستوى المتأدّب.

7- تعريب الساكنة مع الفتوحات الإسلامية: يقصد به التأثير العربيّ منذ الفتوحات الإسلاميّة للمناطق غير العربيّة، ممّا أدّى إلى اعتمادها التدريجيّ للغة العربيّة/ دمجها في الثقافة العربيّة والهوية العربيّة والإسلام، وهذا خارج شبه الجزيرة العربيّة من خلال الفتح الإسلاميّ/ التجارة. وكانت العربيّة مصدراً رئيساً للمفردات لمختلف اللغات. بلغت هذه العملية ذروتها في القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، وهي نقطة الثقافة العربيّة وحصل هذا بالقوّة بعد الفتوحات الإسلاميّة، وقبلها كان بالقوّة الناعمة المصحوبة بالمال والغذاء وتبادل المنفعة، وقد مسّ التعريب مناطق محاذية لبلاد العرب، إلى جانب تلك المناطق التي وصل إليها العرب على غرار شمال أفريقيا وشبه جزيرة إيبيريا والبرتغال، وإلى بعض الدّول في آسيا، كما مسّ دول السّهل/ السّاحل والسّودان وتشاد والتّيجر ونيجيريا والكاميرون وجمهورية أفريقيا الوسطى. ولم يقع التعريب في مفهومه استعمال العربيّة في مختلف الأنشطة التّواصلية إلّا بعد مجيء الإسلام، فتعرّبت مصر والسّودان بشكل كامل، حتى صلوات الأقباط تتلى بالعربيّة، كما تمّت عمليّة تعريب شمال أفريقيا، وجاء ذلك في نصوص دساتيرهم وفي مواعيقهم الرّسميّة.

8- حجج استعمال العربيّة في أفريقيا قبل الفتح الإسلامي: هناك الكثير من الدّراسات ترى بأنّ العربيّة كانت موظّفة في شكلها البسيط ذات العلاقة بقضاء المصالح المرسلّة، على غرار استعمال بعض مصطلحاتها

ومسكوكاتها في طريق الحرير، باعتبار العرب تجاراً لم يتركوا بلداً إلا وأقاموا معه أسواق المقيضة وتبادل المنافع، وكيف بهم أن يصلوا إلى أقاصي آسيا وبلاد السند والقوقاز، وتفصلهم البحور، ولا يدخلون أفريقيا التي يأتونها براً وبحراً، عن طريق بلاد القبط/ مصر. وما يجب أن نعلمه بأنّ موقع العرب الجغرافيّ وأفريقيا لا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر ومساحة ضيقة جداً. ولذلك كان العرب والأفارقة على تواصل دائم عن طريق تبادل المصالح المرسلة التي تجسّدت في التجارة عن طريق الملح وهذا قبل مجيء الإسلام. وذكر (ابن خلدون) هذا الأمر إنّ اللغة العربيّة دخلت إلى إفريقيا قبل خمسة آلاف سنة عبر المداخل الجنوبيّة والشماليّة لساحل البحر الأحمر، وأطلقوا على ساحل أريتيريا آنذاك، اسم بلاد الحبشة وبلاد (الزيليغ) وكان عرب شبه الجزيرة العربيّة عامّة، وعرب اليمن، وحضرموت وعمّان خاصّة، هم أوّل من عرف منطقة شرق أفريقيا، قبل غيرهم من الأمم الأخرى، وحتى قبل ظهور الإسلام بعدة قرون. فقد استطاع العرب -ومن خلال رحلاتهم البحريّة- أن يعبروا مضيق باب المندب منذ أقدم العصور، وأن يكتشفوا البلاد الواقعة على الساحل الشرقيّ الأفريقيّ من بلاد الدناقلة والحبشة شمالاً، وحتى موزمبيق ومدغشقر جنوباً¹. ولما جاء الإسلام، فقد كان للمسلمين أوّل لجوء سياسيّ إلى بلاد الحبشة، واستقرّ بعضهم هناك وتفاهموا بلغة مشتركة وهي العربيّة. ولما بدأ الإسلام يشتعل، وصلت دُفْعَات كبرى من العرب عن طريق شمال أفريقيا، باستخدام مسالك تجاريّة قديمة عبر الصّحراء الكبرى، وقد عبد التجار طريق التّلاقي والتّفاعل بين الأفارقة في الشّمال (البربر) والأفارقة في الصّحراء/ الجنوب/ السّهل مع (الزّنوج) وبدأ

يمسّ القارّة الأفريقيّة عامّةً "مسلك ورقلة إلى صحراء مالي وما قامت به مدينة تيهرت من مدّ جسور التّواصل إلى الصّحراء الكبرى بغرض التّجارة... كما ضمنت تيهرت وصول السّلع السّودانيّة إلى مدن إفريقيّة² وحصل تفاعل بين الحواضر العلميّة، مع ما صاحبها من حركة انتقال العلماء والطلّبة، وبذلك حدثت روابط ثقافيّة عبر القرون، وهذا التّفاعل تمّ بقوة ناعمة خلال العصور الوسطى القديمة حتى عمّ الإسلام كلّ القارة. كما شهدت المدن السّاحليّة حركةً تجاريّةً نشيطةً في جلب الدّافع بين التّجار العرب والأفارقة.

وعلى العموم كان للعربيّة موقعٌ استراتيجيٌّ معاصرٌ بما لها من موقع سابق في دول السّهّل / السّاحل وعمق أفريقيا وفي شرقها، فالأمور متفاوتة من مملكة أفريقيّة إلى مملكة، وما يمكن تأكيده أنّ العربيّة كانت بشكل من الأشكال من بين لغات الخطاب التجاري العام. ولقد بصّرت بمجموعة من الحجج التي ترى وجود استعمال العربيّة بشكلها البسيط لقضاء الأغراض التّواصلية:

الحجّة الأولى: تشير كتب التّاريخ أنّ الجزيرة العربيّة واليمن مقصد العلماء، وبخاصّة ما تأكّد في القرن الخامس الميلاديّ الذي عرف مدنيّة وكانت العربيّة راقية في أساليبها ومعانيها وتراكيبها وأمثالها وحكمها واللغة مرآة عقول أصحابها ومستودع آدابهم، وأنّ مبلغ اللغة العربيّة الرّاقية حصل لها بتوالي الأدهار، وهذا ما أبانته الاكتشافات الأثريّة من بقايا التّمدّن في اليمن قبل الإسلام بقرون، فضلاً عمّا ظهر من فضل العرب وأعراقهم في المدنيّة والعلم، مما قرأوه من آثار بابل وآشور، وما تركته دولة (حمورابي) من

سبق المدنية في ما وصلت إليه شرائعهم وقوانينهم. وأنّ الحمورايين/ عمالقة العراق أقدم من أنشأ المدارس لتعليم الصغار على نحو ما هو جار الآن، وقد كشفوا في آثار زيارا أنقاض مدرسة لتعليم الأطفال... فإذا صحّ أنّ هذه الدولة عربية، كان العرب أسبق أمم الأرض إلى سنّ الشرائع وتنشيط العلم وأنهم بلغوا في نظام الاجتماع ما لم يبلغ إليه معاصروهم، وأدركوا من الرقي الاجتماعي مدارك الأمم المتمدّنة. ولا ننسى (سفر أيوب) والمرجّح عند المحقّقين أنّ صاحب هذا السّفر في التّوراة عربيّ الأصل، نظم ذلك الكتاب شعراً عربياً في نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الحمورايين من بين التّهرين ثم ترجم إلى العبرانية وعدّ من الأسفار المقدّسة، وضاع أصله العربيّ كما ضاع أصل كليله ودمنة الفارسيّ. فإذا ثبتت عربيّة (سفر أيوب) كان العرب أسبق الأمم إلى قرض الشّعْر؛ لأنّه نظم قبل إلياذة (هوميروس) بألف سنة وقبل (مهابهاراة) الهند بعدّة قرون. وهذا يعني أنّ بلاد العرب كانت مقصد التّعليم قبل الإسلام، وكانت العربيّة لغة التّعليم، وأنّ المتعلّمين يأخذون علمها إلى بلادهم، ويعملون على نشره بلغة التّعليم.

الحجّة الثّانيّة: عامل الهجرات، وكانت هجرة العرب إلى أفريقيا قديمة قدّم اختلاط الشّعوب واحتكاكها. ويقول حلمي الشّعراوي إنّ في القرنين السّابقين للميلاد، انتقلت جماعات من العرب عبر سيناء إلى مصر، متّبعة السّاحل الشّمالي، وبعضها اتّجهت غرباً، ثم جنوباً عبر الصّحراء الكبرى³ وذكر إبراهيم طرخان ما يفيد أنّ أصل مؤسّسي دولة غانة من وادي دجلة والفرات. والمعلوم أن تأسيس إمبراطوريّة غانة القديمة يرجع إلى ثلاثة قرون قبل الميلاد. وتنصّ بعض كتب التّاريخ على وجود اليمنيين في كوكيا -

الواقعة في الشرق من جمهورية مالي الحالية - في وقت مبكر ويرجع إلى بداية القرن السابع الميلادي". إذن لا غرابة إن اعتبرنا حجة عامل الهجرة دامغة في إيصال العربيّة إلى أفريقيا، وبواسطتها تمّ الاندماج الكلّي والتزاوج بين الأفارقة والعرب، فدخلت بذلك عدة مفردات وتعابير عربيّة في تلك المناطق. وتشير كتب التاريخ - دون القطع في المسألة - بأنّه حدثت هجرة العرب لشمال أفريقيا بما قبل الميلاد، ولكن ما وقع تأكيده هي هجرات قحطانيّة من جنوب الجزيرة العربيّة، قبل آلاف السنين، والذي سجّله التاريخ كذلك هجرة الكنعانيين والفينيقيين في منتصف الألف الثانيّة قبل الميلاد وأقاموا مدناً ساحليّة تجاريّة، وأخرجوا عن طريقها بني عمومهم البربر من العصر الحجريّ، وأدخلوهم التاريخ وأسّسوا إمبراطوريّة قرطاج التي يعتبر تأسيسها تزواجاً بين الكنعانيّين والبربر.

الحجّة الثالثة: الهجرة إلى بلاد الحبشة، ولم تكن لتحصل إلّا بمهدّات سابقة، ولهذا كانت هجرة المسلمين للحماية والرّعاية في كنف ملك الحبشة المسيحيّ، ولا شكّ أنّ العلاقات التجاريّة كانت سائدة، وأنّ وسيلة التفاهم ثابتة. وتشير كتب التاريخ بأنّ العرب أنشؤوا أسواقاً تجاريّة في بلاد الحبشة وكثر عدد الوافدين العرب إليها، وأدّى الاختلاط إلى سهولة التّواصل وذلك ما مهّد للفاتحين الانتشار في الهضبة الحبشيّة وإريتريا وبلاد البجّة وقامت الإمارات الإسلاميّة على ساحل البحر.

الحجّة الرابعة: انتشار العربيّة بمُصاحبة الهجرات: إنّ عربيّة العصر الجاهلي كانت راقية ولم تكن مكتملة، ولا شكّ أنّها عرفت تهية عبر الاستعمال لدى أهلها وعند غير أهلها، وإنّ تاريخها الطويل الذي كشفه

علماء اللغات بأنّها قديمة جداً، وسارت في مضارب الأرض، ويقول (عباس العقّاد) في كتابه (الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين) "... المقابلة بينها وبين أخواتها السّامية يدلّ على أنّ التطوّر لا يتمّ في بضعة أجيال، ولا بدّ له من أصل قديم يضارع أصول التطوّر في أقدم اللغات، ومنها السنسكريتيّة وغيرها من اللغات الهندية الجرمانية". ولهذا حصل لها الاستعمال في أراضي العرب وفي غير أراضي العرب حتى أصبح لها قانونها التّحوي، وأحكامها في الإعراب، وصيغ المشتقات وأوزان الجمع والمثنى وجموع الكثرة والقلّة، وحروف الجرّ والعطف وسائر الحروف التي تدخل في تركيب الجملة بمعانيها المختلفة، وتولّدت فيها مداخل جديدة، وانفصلت إثر ذلك عن أخواتها السّامية. وما يُعزّز هذه الحجّة أنّ العرب كانوا من ساكنة الصّحراء الحبيّين للهجرة والترحال قبائل بدو كلّ مستقلّ عن غيره، وكلّ ينظر بعين طليقة من القيود، وكلّ في بيئة تجري دون حدود؛ حيث كانت الدّخيرة العقليّة عندهم ما تتوارثه القبيلة جيلاً عن جيل. وإذا كانت اللغة من الدّخيرة التي تدلّ على الحياة العقليّة لأمة من الأمم، لا شكّ أنّها سايرت الهجرات، وتنامت عبرها الكلمات، وظهرت فيها المسكوكات التي عمّلت على الحفاظ على فكر هؤلاء العاشقين للهجرات، تناسب بيئتهم، وتعبّر عن انشغالاتهم في كلّ مقاماتهم. والنّاظر إلى اللغة العربية، والأدب العربيّ، في ذلك العهد يراها نتيجة طبيعيّة لتلك الحياة، وصورة صادقة لتلك البيئة فألفاظ اللغة في منتهى السّعة والدقّة، إذا كان الشّيء الموضوع له اللفظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدويّة التي تعرف الترحال باستمرار، وتعبّر عن كلّ البقاع التي سكنها أهلها البدو.

الحجة الخامسة: التقت مصالح العرب الاقتصادية عبر طرق التجارة والحجّ، فالبضائع والسلع التي كانت تنقل من الشرق إلى الغرب، وكانت تعبر معها الثقافة كجسر للتواصل بين العقول، وبذلك توسّعت المدارك وانتقلت المعرفة من مكان لآخر. وهذا ما نقرأه من وجود ثلاثة مسالك رئيسة كانت معبراً للسلع وللدين: صحراء سيناء إلى شمال أفريقيا+ البحر الأحمر إلى بلاد النهرين+ المحيط الهندي إلى أفريقيا الشرقية، دون الحديث عن طريق الحرير القديم، الذي كان يربط أعرق حضارتين في العالم؛ الحضارة الشرقية وتمثلها العربية، والحضارة الصينية وتمثلها اللغة الصينية. وعبر هذا الطريق تشير الروايات بأنّ الخليفة (عثمان بن عفان) أرسل مبعوثه إلى الصين في عام 651م لنشر الدين الإسلامي وعبره أيضاً انتقلت الاختراعات بين الجانب العربي والصيني، مثل صناعة الورق واختراع البوصلة والتمهير في فنّ الطباعة، وتطوّرت العلوم الطيّبة. ويضرب التواصل بين العرب والصين بجذوره إلى أعماق التاريخ، وهو تواصل حضاري يمثّل الحوار الإيجابي الذي لم يشهد صدامات ولا صراعات، وإنّما شهد تبادلاً اقتصادياً وثقافياً، وتعاوناً سياسياً، عبر طريقي الحرير والعطور، اللذين ربطا الصين والعالم العربي بعضهما بعضاً. وإنّ عامل التجارة مهمّ في الجانب اللغوي وما يعرف عن العرب أنّهم أصحاب تجارة، وكانوا مُمارسين لها بشكل كبير بحُكم وجودهم في أرض قاحلة ليس لها الخيرات التي ينشغلون فيها مثل الفلاحة والزراعة، وتبقى التجارة هي الملاذ الآمن في الغذاء اليومي. وبذلك ساحوا في بلاد الله، واختلطوا بغيرهم، وكانوا يقصدون البلدان والأسواق. ومهدّوا طرقاً تجارية عبر الصحراء الكبرى. ولقد كانت لهم أرض أفريقيا

موطن شراء/ بيع العبيد، فقصدوها في تجارة الرقيق والملح حتى سمّوا الطريق الذي يسلك به (طريق الملح). وعامل التجارة شهد به القرآن في سورة قريش في قوله تعالى ﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قريش 2. ولقد كانت رحلات القرشيين التجارية شتاءً وصيفاً، وما كان يُقام على مقربة منهم من كلّ عامٍ من مهرجانات أدبية كسوق عكاظ والمجاز وذو المجنة، والكعبة التي كان يحجّ إليها من العرب ومن غير العرب في الجاهلية سنوياً ويسعون إليها من كلّ فجٍّ عميق. وبذلك لم تكن العربيّة محصورة في شبه الجزيرة قبل الإسلام، وبعد الإسلام زاد انتشارها معه شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، من أواسط جبال الهند إلى جبل طارق، ومن البحر الأسود إلى بحر العرب ودخلت في صراع مع ثقافات ولغات أخرى كالفارسيّة والهنديّة، والقبطيّة والبربريّة. وخرجت من هذا الصّراع منتشرة أكثر ممّا كانت عليه قبل الإسلام، بل حلّت محلّ اللغات المحليّة بمجداة.

وإنّ حجة/ عامل التجارة من أهمّ العوامل التي جعلت لغة العرب تنال الانتشار، وبخاصّة في الأسواق المعروفة آنذاك على غرار سوق مدينة عيذاب وهذه المدينة هي إحدى مدن وموانئ البحر الأحمر الشهيرة بفعل اعتمادها على حركة التّبادل التجاري، وكانت محطة رئيسية رابطة بين كل من بلاد الحجاز ومصر وبلاد السودان، وتعدّ من أكبر مرافئ الحجاز من العدوّة الأفريقيّة. ثمّ مركز (مرزق وزويلة) الذي كان له فضل التّواصل التجاريّ مع بلاد البرنو وشعب الهوسا، فضلاً عن علاقته الجوارية مع طرابلس وغدامس عن طريق مصر، وكان محطة تجارية مهمّة تتجمع فيها القوافل التجاريّة من أنحاء بلاد المغرب وتّجه إلى كانم وبرنو وتمبكتو. وسوق مدينة

(أوذغست) في مدينة السودان الغربيّ وكانت تعتبر حاضرة من حواضر غانة. وسوق مدينة (تمبكتو) على الحافة الجنوبيّة من الصّحراء الكبرى وتعتبر حلقة وصل بين السودان الغربي والصّحراء، وشهدت هذه المنطقة حركة تجارية كبيرة اختلطت فيها الأجناس، وكان حضور العرب التّجار كبيراً.

-الحجّة السادسة: عامل التّجارة قبل وبعد الإسلام؛ وهي مسلمة عليّ تأكيدها بحكم ما لها من أثر في دخول قارة أفريقيا؛ حيث يعود التّواصل العربي مع شرق القارة الأفريقيّة إلى عصور ما قبل الإسلام، مع نشاط حركة التّجارة في خليج عدن وعبر بحر العرب والمحيط الهندي. كما أشارت الدّلائل في فترة الأمويين إلى تسارع التّواصل والتّفاعل نحو أفريقيا، وكان معظم التّجار من قبيلة الأزد، أضف إلى ذلك وصولهم إلى ساحل الزّنج. وكانت الهجرات العربيّة موعلة في القدم، وعرفت دفعات وربّما موجات بفعل الانتقال هروباً من القحط أو التّوازل... والذي يهّمنا أنّ عامل التّجارة أدّى إلى التّواصل العربيّ الأفريقيّ على شكل أفراد وجماعات قديمة متلاحقة عبر الأزمنة، وتمّ ذلك عبر منافذ الشّرق والشّمال والغرب، فمن ناحية الشّرق نزحت بعض القبائل العربيّة وسكنت السّاحل الشرقيّ المقابل للجزيرة العربيّة، وتجاوزته إلى السودان الأوسط والغربيّ أحياناً، بينما نزح بعضها إلى الشّمال عن طريق وادي النيل، ونزح بعضها إلى الشّمال الغربيّ أو الطّريق الليبيّ الذي كان مصدراً لكثير من الهجرات القديمة والحديثة. والمكسب من هذا أنّ الصّلات العربيّة الأفريقيّة كانت قائمة قبل / بعد الإسلام، ولم تنقطع وازدادت بقوة بعد الإسلام، وأدّى ذلك إلى ازدياد وشائج الاتّصال العربيّ الأفريقيّ؛ لأنّ الإسلام أمّدّ العرب بسياج دينيّ وفكريّ ساعدهم على خلق

وحدة وطنيّة وازدهار نهضة ثقافيّة، ومنذ البدء صار الإسلام الرّكيزة الأساسيّة للثقافة العربيّة الجديدة، كما أصبحت اللغة العربيّة لغة القرآن الكريم، حاضنة الفكر الإسلاميّ والثقافة الإسلاميّة، وتحت راية الإسلام خرج العرب صوب الشّرق والغرب والشّمال لإعلاء كلمة الله. وكان مسلك العرب في ربط العلاقات التجاريّة عبر طريق الشّال السّاحليّ والذي يربط آسيا بأفريقيا بواسطة برزخ السويس، وطريق منخفض بينويه الممتد من وادي نهر لوقون حتى بُحيرة كوار (تشاد)؛ فقد كان هذا الطريق بمثابة حلقة وصل تربط بين المحيط الأطلسي وبلاد حوض البحر الأبيض المتوسط سواء عن طريق المنفذ البحريّ أم السّاحل أو المنفذ البريّ عبر طريق القوافل الصّحراويّة، وطريق جنوب شرق أفريقيا، فيما بين البحيرات طريق دخلت منه القبائل العربيّة، حتى وصلت إلى جنوب أفريقيا ووسطها، منذ قرون طويلة، وهناك طرق فرعيّة أخرى كثيرة ليس من الضّروريّ الإشارة إليها. والمهمّ أنّ القبائل العربيّة تزور وتتاجر مع الأفارقة حتى مكّنت العلاقات الثقافيّة التي مهّدت لموقع وجود استعمال العربيّة في أفريقيا.

- الحجّة السابعة: تُعزى سرعة انتشار الإسلام في صُفوف القبائل البربريّة إلى التشابه الكبير في ظروف الحياة والعادات والتقاليد بين العرب والبربر، فكلا الطرفين كانا من ساكنة مناطق قاسيّة الطّبيعة والمناخ، وبعضهم عاش حياةً مُتطابقة تقريبًا، كبربر الصّحاريّ وبدو العرب. إضافة إلى جموحهم في الحماسة والدّفاع عن النفس، وحبّ الحرّيّة والرّغبة في الحروب والجهاد والمغامرة، وهذا ما جعلهم في ظرف قصير يتشرون في بلاد العالم بل

يجتازون جبل طارق إلى أوروبا؛ لذا جاء التفاهمُ البيئيُّ سريعاً بين بربر أفريقيا وأعراب شبه الجزيرة العربيّة.

- **الحجّة الثامنة:** الخليط العرقي بين ساكنة أفريقيا، ففيها العرق البونوتيّ والرّومانيّ والزنجيّ والمزيغيّ والأبيض الصّافيّ والأوربيّ واليهوديّ وقد استوطن أفريقيا الكثير من الأجناس والقبائل، وهناك أقليات عربيّة وكلّ هذا الخليط حصل بفعل الهجرات والتّنقلات ومضارب الأكل ومجاري المياه وهذا كلّ عمل على المزج السّريع في التّقاليد والخليط اللغويّ الذي لم يظهر بالقوّة إلّا في البربريّة في شمال أفريقيا. وهي من الحجّة التي عملت على امتزاج البربر بالعرب في شمال أفريقيا بعد الإسلام بشكل كبير، ويعني هذا العودة إلى نظرية الأصل الواحد، ومن الصّعب التّفرقة بين المكوّن البشري لكثرة الاختلاط، حتى ضاع صفاء الدّم.

- **الحجّة التاسعة:** لما ضيق على المسلمين في أوّل عهدهم بالإسلام أمرهم الرّسول بالهجرة إلى بلاد الحبشة / (Abyssinie) التي لا يُظلم فيها أحدٌ. وبلاد الحبشة بلد أفريقيّ، وله لغته، ولكن كان العرب يقصدونه في جاهليتهم، وتركوا أثراً في التّواصل البيئيّ، ولذلك لم يجد أميرهم وكبار المسؤولين الحبشيين صعوبة في فهم المرافعات بين المؤمنين الهاربين للحبشة والكفار الذين قدموا لاسترجاعهم لأهل مكّة.

- **الحجّة العاشرة:** ويسمّيها البعض نظريّة العودة إلى الأصل، وتتعلّق بساكنة شمال أفريقيا فقط، وهي نظريّة لها ما لها من الصّواب، ولا تخلو من نقائص نظراً لتضارب الآراء فيها، ولبعض الآراء التي تنبع من العاطفة.

ولكن لا بدّ من ذكرها في هذا المقام؛ حيث عنصر اللغة هو العنصر الحيّ الباقي بين أيدينا، وهو الذي يؤكّد بعض الخلافات وربّما ينفّيها. فكلّمة (السّامية) لا تنطبق على العربيّة، بل العربيّة لغة كنعانيّة، مع ما لها من قواسم منطقيّة مع اللهجات السّامية الأخرى، لأنّ بلاد العرب لم يخضع يوماً من الأيام للمستعمر. وهذه التّسميّة لا تستند على حجة علميّة. كما أنّ الكنعانيّة الفينيقيّة كانت تستعمل لدى ساكنة البربر، وهذه اللغة لها علاقة باللغات العربيّة في مجموعاتها: المجموعة الشرقيّة: الأكديّة والبابليّة والأشوريّة. المجموعة الشّماليّة: العموريّة والآراميّة. المجموعة الجنوبيّة: المينيّة والحميريّة والسبئيّة والأثيوبيّة والعربيّة والأمهرية. المجموعة الغربيّة: الكنعانيّة والفينيقيّة والموابيّة والعبرانيّة والبربريّة. وهكذا نرى لغة شمال أفريقيا من جسم الكنعانيّة العدنانيّة التي نزل بها القرآن الكريم. ويعني عروبة البربر في الأصل بفعل الهجرات التي تقول إنّهم من اليمين الذين نزحوا إلى شمال أفريقيا بعد انهيار سدّ مأرب. كما نقرأ في كتاب (التوميدون أصلهم وكتابتهم ولغتهم) للباحث أوتو روسلر / (Otto Rossler) يقول: إنّ اللغة التوميدية لغة سامية انفصلت عن اللغات السّامية في المشرق في مرحلة مغرقة في القدم. وهناك نظريّات لا تسير في هذا الاتجاه مطلقاً. وهناك بعض الأفكار الثّيرة التي ترى أنّ الثّقافة اليونانيّة والثّقافة الرّومانيّة اللاتينيّة هما إلّا شرفة صغيرة في صرح الثّقافة العربيّة الكبير، وأنّ التّزعة التعصبيّة الأوروبيّة أخفت هذه الحقيقة لتبرز زوراً أنّ جذور الحضارة الأوروبيّة يونانيّة». ينظر بيير روسي / .La Cité D'Isis histoire Vraie des Arabes, (Pierre Rossi)

-الحجة الحادية عشرة: خطبة طارق بن زياد: هي خطبة راقية عالية معنى ومبنى، فإذا كان البربر الذين دخلوا الأندلس يعرفون العربية لا شك أنهم يفهمونها ويتفاعلون معها، بل يستجيبون لحماستها، والخلاف بأية لغة ألقيت؟ وهل كتبت له أم من وضعه؟ وما لا خلاف فيه أن (طارق بن زياد) رجل فذ؛ يعني مدرك وعسكريّ وحكيم، ويعرف اللغات، وهو مطلع على قضايا السياسة، والدليل كان مهندس فتح الأندلس. فلا يُعقل أن ينسجم مع المسلمين ويصبح مسلماً، وعمره يتجاوز العشرين سنة، ولا يعرف العربية ولو في الخطاب التواصلية، ومن خلال الشيوخ والمفسرين للقرآن؛ يعني امتلك ناصية اللغة العربية، كما يعني أن حبّ الدين الإسلامي يجعلك تفهم لغته في ظرف وجيز، وتستطيع أن تدبج كلاماً حماسياً من ثراء العربية بسهولة، رغم أن الموقف حماسي، ولا يعني الفهم الدقيق، بقدر ما يعني ربط الفتح باللغة العربية. وهنا سرّ ذكاء (طارق) في نسج الخطبة الرائعة، والتي يقول فيها أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيّع من الأيتام في مأدبة اللثام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته. وأقواته موفرة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدّت بكم الأيام على افتقاركم ولم تُنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم، وتعوّضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية المقرّي، نفح الطيب 1/ 240. وفي ما تعني هذه الخطبة أن (طارق بن زياد) وأمثاله من الفاتحين يمتلكون طاقة لغوية جبّارة في الثقافة الإسلامية بسرعة، نتيجة الاختلاط

السابق بالتجار؛ لدرجة أنهم أصبحوا ظهير الإسلام المتين في شمال أفريقيا وأصبحوا من حُماة الدين، وهو يجهلون لغة هذا الدين. فلا يُعقل أن يحصل هذا في ذلك الظرف بالنسبة لخاصة الخاصة، وليس لعموم الناس، ونعرف بأن مسار التعريب كان بطيئاً. فبعد مرور قرن ونصف على حملة (عقبة بن نافع) أصبح الإسلام الدين الغالب في مناطق البربر، ومن ذلك عكس التعريب تمكنه بمرور الوقت.

-الحجة الثانية عشرة: من المعروف أن الدين الإسلامي والعربية دخلا معاً إلى أقاصي آسيا، ومسّ بلاد السند+ بلاد آسيا الوسطى+ أجزاء من أوروبا الشرقية+ أطراف من أوروبا الغربية+ قارة أفريقيا، وتفاعل الدين مع العربية في مناطق حدث فيها التعريب على غرار: الأهواز+ دولة العثمانيين+ شمال أفريقيا، ولكن في ظرف وجيز نال الإسلام مجده وبقي في كل تلك البلاد، بينما اللغة العربية عادت إلى شبه الجزيرة العربية وبقيت في شمال أفريقيا ببقاء الدين الإسلامي، وهذا ما يتكئ عليه الباحثون بأن العرق واحد بين العرب الذين نزل في منطقتهم الدين الإسلامي، وبين العرب الذين هاجروا من منطقتهم، ويعني أنهم عرب مستعربة، وليسوا بالعرب العاربة الذين بقوا في ديارهم. يعني بقاء الدين مع العربية في بلاد المغرب، وظلّ عرب مصر في مصر، فصارت اللغة العربية لغة أهل البلاد جميعاً، وتوقفت عملية التعريب في إيران وفي تركيا العثمانية، وعاد الناس إلى لغتهم الأولى وقبسوا من العربية حروفها وأخذوا من ألفاظها ألفوا، وأخذوا كذلك أساليبها البلاغية وعروض شعرها.

9- العربية في واقعها الأفريقي الحالي: بعد هذه الحُجج التي تُرينا وجود استعمال العربية في شمال أفريقيا، وهي ليست لغة أجنبية، بل هي لغة طبيعية تعيش في موطنها، وتعتزّ بناطقيها، ونراها اليوم بين هوى المعتدي وشغف المهتدي، وتعيش القهقري أحياناً، وتوصم ببعض الصّفات التي لا تشرفها أحياناً، ولكنها صامدة حيّة تعيش صدمات عنيفة، وفي كلّ مرّة تنتصر. ونرى القارة الأفريقية تضمّ أربع عشرة (14) دولة عربيّة وهي: الجزائر+ تشاد+ جزر القمر+ جيبوتي+ مصر+ إريتريا+ ليبيا+ موريتانيا+ المغرب+ السودان+ تونس+ تنزانيا+ الصومال+ الصحراء الغربية. وهذه القارة تصنّف بين قارات العالم السّبع، كثاني أكبر قارة من حيث المساحة وعدد السّكان بعد آسيا، والتي توجد فيها أكبر صحراء رملية في العالم وتتميّز بغنى أراضيها بالثروات الباطنية والمعادن الثّمينة وفي مقدّمتها النّفط والغاز والذهب، والماس. في حين تتألّف من 54 دولة، ومجموعة جزر ألحقت بها. وعدد الدّول التي تستعمل العربية لغة رسميّة هي اثنان وعشرون (22) دولة. دون أن نتحدّث عن اثنتي عشرة (12) دولة تستعملها لغة أجنبيّة أولى وأنّ ستّة وعشرين (26) دولة تستعملها لغة أجنبيّة ثانية وهذا كمّ معتبر من العرُوفونية العالميّة التي تعرفها العربية في الفضاء العالميّ وفي وسطها الدّولي كلغة أميّة، برتبة خامسة، وكلغة شبكيّة برتبة ثانية، ولكن هناك خلل...

ومع هذا الموقع المائز، فإنّ العربية تنتحر في أفريقيا؛ فنرى ثلاثاً وأربعين (43) دولة، من بين ثلاث وخمسين (53) دولة أفريقيّة تستخدم اللغات الأوروبيّة كلغات رسميّة؛ حيث اختارت اثنان وعشرون (22) دولة أفريقيّة اللغة الفرنسيّة لغة رسميّة لها، بينما توجد تسع عشرة (19) دولة أفريقيّة

تستخدم اللغة الإنكليزية لغة رسمية لها، في حين اعتمدت خمس (5) دول أفريقية اللغة البرتغالية لغة رسمية لها، أما اللغة الإسبانية فقد أقرتها دولة واحدة لغة رسمية. وهناك بعض الدول اختارت لغة أفريقيا كلغة رسمية أولى، أو ثانية إلى جانب إحدى هذه اللغات العالمية. ليس بالأمر المدهش إذا علمنا بأننا لم نحافظ على فعل الأجداد رغم أن الوضع الحالي تحسّن منذ خروج المستعمر من قارة أفريقية، ورغم الإقرار بأنّ العربية بدأت تستعيد بعض عافيتها في بعض البلاد، وهي مُرشحة لنيل مقامات أحسن إذا وقع رفع مُضايقاتها المُتمثلة في: ضعف الحضور المحلي والعالمي، ومزاحمة اللهجات القُطرية، وتهميشها في التعليم الجامعي والبحث العلمي، وعلاج عزوف الجيل الجديد عن تعلّمها وفقرها الواضح في المعلوماتية. وهذا كلّه يستدعي البحث في فرص وإجراءات جديدة لنجاحات مستقبلية بأنّ يكون للعربية موقع بين لغات العلم، وتقوم بوظائفها في جميع فروع المعرفة والعمل الجاد لعودة عولمة الحرف العربي في لغات القارة الأفريقية.

إذاً هناك واقع مُؤسف يحتاج إلى علاج، وهناك واقع مُغدق مرصود وأمل مُشرق منشود، وعلينا الاستثمار في الواقع المأمول، وهو واقع يحتاج إلى تجديد ومرافقة، هناك جهود وطنية أفريقية؛ علينا تمييزها والبناء عليها من أجل غدّ جيّد. ولتكن لنا خريطة فعل الأجداد؛ وهي الاستثمار في هذه البلاد لغوياً ومادياً، وحمل راية المزيد على فعل السلف الصّالح عن طريق العمل على التفقّه بالمنعّة للوصول إلى درجة الاجتهاد؛ بتكوين شخصيات تفتخر بتراتها، وتُخلص في إسلامها ولغة الإسلام؛ تطبيقاً لمبدأ السلف "ما لا يُفهم به الواجب فهو واجب". فما هو مستقبلها في أفريقية؟ علينا الاستثمار

في العربيّة بقوة في قارة أفريقيّة، وعلينا ألاّ ننسى أنّ هناك حوالي أربعين (40) لغة إفريقية من جملة 2035 لغة تلعب دوراً مهماً بوصفها لغات تواصل مشتركة (Lingua franca). ومن حسن الحظّ أنّها لا تتمركز في منطقة محدّدة من القارة، ولكنها تشمل القارة بمناطقها المختلفة، شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ووسطها. علينا الوعي بأهميّة ثلاث لغات: العربيّة والسّواحلية والهُوسا، لما لها من سعة الانتشار جغرافياً، وأنّها ذات أكثرية متكلمة، وأنّها لا ينحصر التّكلم بها في إثنيّة معيّنة. وأنّها ذات أدب وثقافة مدوّنة، يمكن وصفها بالتّفوق والتميز. وعلى ساكنة بلاد المغرب الوعي بأهميّة اللغة البربريّة/ المازيغيّة، فهي مكملّة لرصيدنا العربيّ وانتمائنا الشّرقيّ، وهي لغة الأجداد، وعلينا المحافظة على إرثها الكبير، ومدوّنتاتها العربيّة التي تشكّل جزءاً من حضارتنا. وعلينا الانتصار للمازيغيّات من أجل مرافقتها بدل اتّخاذها حصان طروادة للاحتماء فيها وبها من أجل مطالب سياسياويّة. ونترك الباحثين التزيهين يعملون على ترقيتها بما يرونها من طريقة لا تحيد عن فعل الأجداد النّاجح، فهي حالياً لغة رسميّة في المغرب والجزائر، وهي لغة التّواصل اليومي، ولها تأثيرها على اللهجات العربيّة في بلادنا. دون أن ننسى أنّ ناطقيها في ما مضى من الزّمان هم الذين رافقوا العربيّة وأبدعوا بها، ولم يتخلّوا عن البربريّة في خطابها التّواصلية. وهم الذين نقلوا العربيّة إلى شبه جزيرة (إيبيريا/ Péninsule Iberia)، وإلى بلاد السّهل/ قارة أفريقيا التي كانت المجال والفضاء الأقرب جغرافياً، وقد تفاعلوا وتواصلوا معه على مختلف المستويات، وعبر تاريخ طويل؛ حيث وصل العرب أفريقيا استكمالاً لما تمّ قبل الفتح الإسلامي، حتى أضحيّ التّصف الأفريقيّ من العالم العربي

يشكّل الجزء الأكبر منه اليوم، على مستوى السّكان والمساحة. وبفضل ساكنة شمال أفريقيا الأصليين تمّ تعزيز التّواصل العربيّ الشّرق الأفريقي بعد صعود حكم النّباهنة في جنوب جزيرة العرب، وتمثّل ذلك في إمپراطوريّة سونغاي + سلطنة دارفور + سلطنة وادي؛ وفيها نسبة معتبرة من العرب الذين لهم كَلِمَتُهُم في أعيان هذه الممالك، ولهم مناصب رفيعة واحترام قلّ نظيره.

إنّ ساكنة شمال أفريقيا وحكّام المغرب الأوسط والأدنى والأقصى بذلوا جهوداً معتبرة من أجل توسّع العربيّة في أفريقيا، وعملوا على وطنتها أو عودتها إلى ديارها، بل عملوا على نشرها خارج في أوروبا، على غرار فعل (طارق بن زيّاد) وكلّ الفاتحين الذين تركوا بصماتهم في إسبانيا، ولا ننسى أنّ التّاريخ يسجّل لمنقذ الأندلس القائد العسكري (يوسف بن تاشفين) وهو من رحم البربر الذي لبّى نداء ملوك الطّوائف وأوقف التّوغّل الصّليبيّ مدّة وهو من الخالدين الذين حملوا لقب (أمير المسلمين) ولم يشأ أن ينازع العباسيّين سلطانهم، فترك لهم لقب أمير المؤمنين. وهذا الأمير العسكريّ ترك بصمات في الفتوحات الإسلاميّة. ويقول الإمام الدّهي في سير أعلام النّبلاء: كان (ابن تاشفين) كثير العفو موقّراً للعلماء، وكان أسمرّاً نحيفاً خفيف اللّحية، دقيق الصّوت سائساً حازماً. هذا الأمير وغيره من الذين عملوا على توسيع الفتوحات الإسلاميّة لتبلغ الفتوحات مع العربيّة المناطق الصّحراوية العتيقة، وكلّ بلاد موريتانيا الحاليّة، وأجزاء من السّنغال وقطاعات واسعة من المملكة المغربيّة الحاليّة، وأجزاء كبيرة من الجزائر. وكانوا للعربيّة عارفين ولمدارسها بانين، ولعلمائها مكرّمين.

10- اللغة العربية والمأزيغية مصير مشترك: هناك من يرى أن الإقرار بالمأزيغية لغة وطنية ورسمية سيجعل البلاد في كفّ عفريت، وستعرف البلاد المصير المجهول، وهذا يشكّل زحزحة العربية من الاستعمال العلمي، ويتيح للفرنسية -عن طريق المأزيغية- أعلى المقام... ويبدو لي بأنها نظرة سوداوية ليس إلا لأنّ للعربية مقاماتها التواصلية العلمية وللمأزيغيّات مقاماتها التواصلية التراثية، وهذه تُكمّل الأخرى، وهكذا. فلا خطورة في الأمر اللغويّ ما دام هناك الإقرار بالمواطنة اللغوية؛ لأنّ العربية أخذت شرفها من الإسلام، ومن القرآن الذي احتضنها ونزل بها وستبقى رائدة سائدة لا تُنازعها لغة أخرى، وأنّ المأزيغية أخذت شرفها من عودتها لبيتها من الباب العريض إلى جانب شقيقتها التي لم تعرف معها الصّراع. لأنّ المأزيغيّين الفاتحين للأندلس حملوا العربية حبّاً فيها وفي خصوصياتها، فلا داعي لإثارة الأفكار المثيرة للجدل، ومن الضّروري تأكيد مسلّمات وصفة الأجداد في التّعامل اللغوي المضيف على أنّ لكل لغة مرتبة، ولكلّ لغة وظيفة والمشارك هو خدمة التّواصل في سيرورته التّكاملية لا الصّراع الوهمي الذي يثيره أصحاب وهج أيام المأزيغ، بل علينا النّظر في المصير المشترك للغتين هما مصيرنا التّنموي، بدل فتح المجال الدّاخلي لعودة لغة المستخرب التي عطّلت التّنمية في كلّ بلاد الأفارقة التي نالتها (الفرنسية) عكس الإنكليزية التي شهدنا نوعاً من التّنمية في (جنوب أفريقية + الرواندا) لعدم الخضوع للفرنكفونية. إنّه المصير المشترك، وهذا المصير يحتاج إلى تمّتين أركانها عن طريق الرّباط الجامع الذي التفّ حوله المأزيغيّون والعرب وهو الإسلام ولغة الإسلام إنّ أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشّدة والرّخاء، وتؤلّف بينهم في العُسر

واليسر، وتوحدهم في السراء والضراء حتى كوّنت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً أمّه الجزائر وأبوه الإسلام، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتّحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله؛ وما أسالوا من محابرههم في مجالس الدّرس لخدمة العلم، فأيّ قوّة بعد هذا يقول عاقلٌ تستطيع أن تفرّقهم؟ لولا الظّنون الكواذب والأمانى الخوادم، يا عجباً! لم يفترقوا وهم الأقوياء؛ فكيف يفترقون وغيرهم القويّ؟ كلا والله بل لا تزيدهم كلّ محاولة للتّفريق بينهم إلّا شدّة في اتّحادهم وقوّة لرابطتهم. ”ومن هذا المقام فإنّ التّنوع الثّقافي مسلّمة إلهيّة جيّدة، هي فتح على لغات أخرى، وهي من سبل التّواصل الإنساني، وقيمة مضافة في التّكامل بلغتين وطنيتين، فلم يسجّل علينا أنّنا اختلفنا في المسألة اللغويّة قبل وبعد الفتح الإسلاميّ، فكيف نختلف الآن بعد التّفّتح على مظاهر التّواصل بصورتها العامّة. ولا ينبغي أن نضخّم المسألة من جانب أن صراعاً سيحدث في المسألة اللغويّة، بل هناك صفات التّكامل التي تحتاج إلى احتذائها والسّير ضمن حكمة السّلف الصّالح. لا مشكلة في هذه المسألة عندما ننقل الوعي الدّينيّ واللغويّ لأبنائنا لنقول لهم: إنّ الإسلام هو الذي حرّر المازيغيّ الحرّ النّبل من ظلم الوندال والرومان، ولا يمكن أن يكون الإسلام المحرّر عاملاً من عوامل الاستغلال أو عنواناً للعنصريّة على أساس الجنس والعرق، لأنّ الإسلام بشهادة خصومه هو الذي أسقط نظرية العرق الأنقى والأبقى لقول الرّسول ﷺ «يا أيّها النّاس، ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على أعجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلّا بالتّقوى».

الخاتمة: ما لا يمكن أن نختلف فيه أنّ قوافل العرب في العصور السابقة لظهور الإسلام كانت تنطلق من الجزيرة العربيّة إلى بلاد الأقباط، مصر الحاليّة، وعن طريقها إلى بلاد السّودان وتشاد، ومن شمال أفريقيا إلى الجنوب حاملة معها البضائع مصحوبة بأنواع العلوم والمعارف، وبهذا شكّلت هذه الصّلات التجاريّة بين العرب والأفارقة البدايات الأولى لانتشار اللغة العربيّة والثّقافة العربيّة في أفريقيا قبل ظهور الإسلام، ونمت هذه الصّلات وتطوّرت بعد ظهور الإسلام بشكلها السّلمي. ونرى بأنّ ذلك من الصّلة العميقة التي حصلت فيها العربيّة على مرتبة عليا أكثر من غيرها من لغات السّوق الأفريقيّة، وكان من السّهل على التّجار الأفارقة التقاط هذه اللغة عن إخوانهم التّجار. وهكذا استطاع العرب أن يؤثّروا في شعوب تلك البلدان التي دخلوها وحلّوا بين أهلها. ومّا لا شكّ فيه أنّ العربيّة لها حضور قويّ في قارة أفريقيا، وأصبحت أفريقيا تلقّب بـ (قارة لغة العرب) حيث تعولّم خطّها ونال التعشيق -في شمال أفريقيا- مقاماً مزجياً بين المسند ونقوش الخطّ البربري، وهذا يرجع إلى تمازج الشّعبيين في منطقة جغرافيّة واحدة لتخرج إلى الوجود حضارة متميّزة بطابعها الخاصّ. وفي مناطق البربر حصلت سرعة كبيرة في الإقبال على الإسلام، ولغة الإسلام التي أصبح تعلّمها جزءاً من دينهم الجديد، وبذلك وجدت العربيّة بصحبة الإسلام مكاناً في قلوب السّاكنة، ولم يكن ذلك ليحصل لولا التّصاقها بالإسلام وكونها لغة الدّين والدّولة والدّنيا، ولغة الفتوحات العلميّة التي أسّست لحضارة الغرب في الفردوس المفقود، وأنّ التّزيهين منهم يقرّون بأنّ الثّمانيّة (8) قرون من وجود

العرب والبربر باللغة العربية في إيبيريا كان فتحاً علمياً عليهم، وقد استفادوا في تطوير علومهم من قاعدة اللغة العربية.

وفي المحصلة؛ كانت بعض البلاد الأفريقية تعرف لدى العرب قبل الإسلام باسم (بلاد السودان/ بلاد التكرور) مثل نيجيريا، ووصل العرب إلى هذه البلاد عن طريق التجارة، ولم يترك العرب التجار منطقة من مناطق أفريقيا التي لم تكن تعرف الحدود، وأخذت تسميات عديدة من مثل: المنطقة المجهولة/ بلاد الوحوش+ أرض القفار+ بلاد الخيرات... وتفيد المصادر التاريخية بأنّ العلاقات التجارية فتحت البلاد أمام العلاقات الثقافية التي مهّدت للإسلام وأنّ التجار العرب كانوا يتاجرون بقوة، ويقيمون فيها مدداً في مقايضات وتبادل للسلع، بل إنّ البعض منهم يستقرّ ويتصاهر ويصبح من الساكنة. ومن بعد الإسلام كانوا السّباقيين لقبوله ونشره وأصبحوا يحملون الإسلام ولغة الإسلام؛ حيث كان لمعاملاتهم وتصرفاتهم الدّينية أثر في ساكنة هذه البلاد في نشر العربية وثقافتها. ومن بعد الفتح الإسلاميّ دخل الإسلام مصحوباً بالعربية رتقاً ملتصقين يصعب فتحهما، وهذا ما أعطى القبول والتّصاهر والتّلقي إلاّ بالعربية، وبلغ ذلك درجة الدّوبان. وبفضل التعريب الذي عرفته المنطقة عبر الرّحلات العلميّة للعلماء في مضارب العرب، وبلاد المغرب وأرض الأندلس، وما عرفته التّزوحات العربية من بني هلال وبني سليم في أعداد كبيرة انتشروا في بلاد الصّحراء... بالهجرة والإقامة الدّائمة، وتصاهروا مع سكانها واختلطت دماؤهم وأنسابهم وامتزجت، وعمّروا السّهول والواحات وفيافي الصّحراء وعربّوا أهل البلاد الأصليين، وانتشرت بينهم اللغة العربية وأصبحت لسانهم، وغدت هذه البلدان بلداناً عربية إسلاميّة، ثمّ

انطلقت منهم هجرات إسلامية نحو السنغال والنيجر وبجيرة تشاد، واستقرت هذه الهجرات واحتفظت بأصولها العربية. وذلك ما أعطى جيلاً من المسيرين الأفاضل على غرار (ابن تاشفين) (عبد الرحمن بن رستم) (عبد المؤمن بن علي) وما شهدته حواضر (بجاية + تيهرت + تلمسان + الصّحراء) في حواضرها من نجاح باهر، وكان بجهود علماء كبار اعتنوا بعلوم الدين والأدب، والبأغة وبرعوا في مختلف العلوم والآداب والسياسة، وكانت اللغة العربية لسان إبداعاتهم. فهذا الشيخ (أبو سهل) البارع في العربية والبربرية، وأكبر المؤلفين بالبربرية وهذا (يهود بن قريش التاهرتي) المتضلع في عدة لغات كالعربية والبربرية والعبرانية والأرمينية والفارسية، وقد اهتم بالبحث المقارن في اللغات وسعى إلى إنشاء أسس النحو التنظيري (المقارن). وهذا (بكر بن حماد التاهرتي) الأديب الشاعر. وهذا (يحيى بن معطى الزواوي) صاحب (الدرة الألفية في علم العربية). وهذا (ابن الرمانة) وقد روى عن أبي (الفضل التحوي) التازي، وتعلم على يد مشايخ ذلك العصر، كما التقى (ابن رشد) بالأندلس، وتولى القضاء والتدريس. وهذا (الحسن بن علي التيهرتي) اللغوي الذي تخرج على يده الكثير من العلماء... والقائمة تطول وتطول بالجد الذي عرفته العربية في بلاد المغرب والأندلس وفي عموم أفريقيا. وكل هذا يعود إلى الجهود التي كانت تبذلها ممالك البربر من أجل بناء المدارس والمساجد والحواضر والزوايا والمعمرات، وإلى تلك التشجيعات التي طالت كل الطلبة والشعراء والعلماء واللغويين. تلكم هي مسيرة العربية في نجاح مستمر وهي تنتصر على الرومية والإسبانية والعثمانية والفرنسية، وتبقى عملية تعميمها قائمة على الدوام، واستعمالها الآن أضحي من القوام.

المصادر:

- ¹ - ع/ الشّابكة، موقع جوجل (العربية في أفريقيا) بتاريخ: 30 جوان 2019م.
- ² - عبد الباسط المسقين "التّلاقح الحضاريّ بين حواضر المغرب الأوسط والسّودان خلال العصرين الوسيط والحديث" مجلة آفاق الثّقافة والتّراث. الإمارات العربيّة المتّحدة، دُبي: 2017، مركز جُمعة الماجد للثقافة والعلوم والتّراث، السّنة الخمسة والعشرون، العدد السّابع والتّسعون، ص 62.
- ³ - حلمي الشّعراوى "المغتربون العرب في غرب إفريقيا" العرب في إفريقيا، مجلّة كلىّة الآداب، جامعة القاهرة: 1987م. ص 308.

المازيغية/ تمزيغت والعربية

في الجزائر[♥]

- الديباجة: يتحدث هذا الموضوع عن سيرورة اللغتين: المازيغية/ تمزيغت والعربية بعد الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا، ودراسة حالة اللغتين في الجزائر، منذ تجاورهما خلال الدّول المازيغية الثلاث عشرة (13) التي فصلت في أمر اللغتين؛ العربية لغة رسمية في الخطاب السياسي ولغة العلم والأدب، والمازيغيات لغات وظيفية للمصالح البسيطة في البيوت، وفي تفسير القرآن/ الحديث، وفي الخطاب المسجدي، وفي المعاملات اليومية، وكان التفاعل البيئي قوياً (المازيغيات + العربية) لغات الهوية، ولكل واحدة منهما وظيفة تؤدّيها في الحياة اليومية حسب المقام وعاشتا في وئام ودّي تعايشاً متكاملًا ودون خلاف، وهذا بفعل وصفة الأجداد الأوائل الذين أعلّوا مقام العربية على المازيغيات؛ لارتباط العربية بالدين الإسلامي. هذا الدين الذي دخل فيه ساكنة شمال أفريقيا بقوة وفهمه والعمل به من الواجب فهم/ تعلّم لغته، وما لا يفهم به الواجب فهو من الواجب. ذلك ما جعلهم يعتزّون بالدين الإسلامي، ويحتضنونه ويعملون على انتشاره في جزيرة إيبريا، وعمرّ الدين ولغة الدين ثمانية (8) قرون في الفردوس المفقود الذي ضاع لعبث الحكّام. قرون من الحضارة الشرّقية التي فتحت علومها لتطبيقات الغربيين الذين أخذوا علوم المازيغيين والعرب المبدعين، وأضافوا إليها في تطبيقاتهم التي أبدعوا في تأسيس الفكر الغربي الذي أصبح مبدعاً في ثورة

[♥] مقالة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في الموسوعة الجزائرية مجلّد اللغات واللهجات

البُخار وانقلب السّحر على السّاحر. وهكذا نرى تجلّيات ماضي اللغتين في تكامل أعطى الثّمار اليانعة في ذلك الماضي المُغدق.

1- دور القبائل المازيغية في استكمال الفتوح الإسلامية، وإقامة

الكيانات السياسيّة في الشّمال الأفريقي: كان للمازيغيين دور كبير في إكمال فتوح بلاد المغرب، كما كان لهم دور كبير في فتح بلاد الأندلس بقيادة قائدهم (طارق بن زياد) ثمّ في فتح جزيرة صقلية/ إيبيريا في أيام دولة الأغلبة التابعة للخلافة العباسية، وكان لها دور عظيم في نشر الدّين الإسلاميّ في كافة أفريقيا، وكما يعود الفضل للتّجار والفقهاء والشيوخ الذين أبلوا البلاء الحسّن من أجل تثبيت الدّين الإسلاميّ؛ مصحوباً بالعربية ليُفهم الدّين فهماً صحيحاً. كما لا ننسى تلك الجهود العظيمة لعلمائهم في نقلهم الدّين الإسلاميّ إلى بلاد السّودان، وساكنة غرب أفريقيا، وعبر شمال تشاد إلى قبائل السّونكة، وبلاد السّهل الأفريقي... ويذكر (أحمد بن المقرئ) التّلمسانيّ صاحب (نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب) نحواً من مائتين وخمسين (250) ترجمة لمن رحلوا عن الأندلس إلى المشرق من العلماء والأدباء والفقهاء، ويذكر أيضاً ما يقرب من خمس وسبعين (75) ترجمة لمن رحلوا من المشرق إلى الأندلس. ولا بدّ من استنطاق التّاريخ الذي يقول: إنّ عدد الفاتحين للأندلس 12000 جنديّ، يقودهم المازيغيّ (طارق بن زياد) منهم 2000 من العرب الأقحاح الذين وفدوا من المشرق، والباقي مازيغيّون. وبعد الفتح عاد معظم العرب إلى المشرق وبقي المازيغيّون تحت إمارات مشرقية: أموية/ عباسية... ولكن الحاشية بربرية. وبهؤلاء البربر سادت الثقافة في الأندلس وعمّ الرّخاء، وانتشرت المدارس، وامتزجت الثقافة

العربية بالمأزيغية وبأولئك العلماء الذين أبدعوا في مختلف الفنون، وحصل الازدهار لبلاد الأندلس، وتطوّرت العربية التي أضحت لغة العالم؛ ينشدها الأجانب من كلّ حذب وصوب وكان ذلك تحت رعاية ملوك العرب، وما كانوا يغدقون به على المبدعين والصّناع...

2- **المصاهرة التامة بين المأزيغيين والعرب:** لقد عملت الدولة الإدريسية على خلق انسجام جمعيّ تبنته كلّ الدول البربرية المتتالية فحدث انصهار تام لا فرق بين من يستعمل المأزيغية ومن لا يستعملها والمسألة تعود إلى السّاكنة البعيدين الممتنعين عن الاختلاط اللغويّ في الجبال الذين بقوا على لغتهم وأما الذين تمرّ عليهم القوافل فقد اندمجوا مع الحدث اللغويّ الجديد وهو حدث لغة الإسلام فتعلّموها وبدؤوا يستعملونها بصورة عفوية وافتقدوا لغتهم الأصل، تبعاً للانجذاب اللغويّ آنذاك، لا تبعاً للمحو اللغويّ. فلا توجد إثنيات، ولا مزاعم هويات من خلال تعدّد اللغات وهي وتيرة اجتماعية تواصلية سواء كانت رسمية أم شعبية. وفي المقابل لم يأمر العرب الأمازيغ بتغيير انتمايهم وهويّتهم عبر التاريخ، وكان للبربرية وجود بخصوصية الثبات اللغويّ والأصالة التي انبنت عليها منذ القديم، ووجدت تألفاً كبيراً مع العربية، فكانت لها الشّقيقة. وقد ترسّخت بذلك ثوابت المكارم بين السّاكنة التي لا تستطيع التّفريق بينهما بحكم توظيف اللغة العربية العامة. وبذا يجب الجزم في القول في ظلّ التّمازج الاجتماعيّ والصّهر المتواصل لا يمكن تحديد من هم المأزيغيّون، ومن هم العرب إلّا توهّماً، كما أنّ مزاعم الهوية الوطنية الأحاد غير صحيحة فهناك هوية بلغتين: المأزيغية+ العربية، ولا يمكن الانسلاخ عن أحدهما وهي الأصالة التي رسّخها

السلف. وافتخر كجزائريين أنّ سلفنا طارق بن زياد، وموسى بن نصير وعقبة بن نافع، والوغيّسيّ، والمشداليّ، وابن باديس، والشّيخ بيّوض... عاشوا في وئام ودون أن يفسد للودّ قضية، ولا يجرّ المسألة للهاويّة، وكانت كلّ الأمور مرتّبة، بحكم العلاقات القائمة قبل الفتح في أرومة واحدة. ويسوق الدّكتور (محمّد بن عبد الكريم الجزائريّ) (في كتابه الثّقافة ومآسي رجالها) ص 169 أدلّة وبراهين كلّها تؤكّد العلاقة الوطيّدة بين العربيّة والمازيغيّة؛ منها:

أولاً: ثلث مفردات المازيغيّة عربيّة النّزعة.

ثانياً: وجود حروف في اللغة المازيغيّة لا وجود لها في غير اللغة العربيّة. ثم لا تكاد تجد حرفاً من هذه يعسرُ النّطق به في تلك، مثل حرف الضّاد والعين والغين والطّاء، وبخاصّة حروف الإطباق التي لا توجد في اللاتينيّات وجميع الحروف التي تفرّدت بها لغة الضّاد.

ثالثاً: هذه اللغة هي لغة ذات ضاد؛ كالضّاد العربيّة تماماً.

ويخلص إلى القول بأنّ البربريّة ليست مستقلّة بذاتها، وإنّما هي عربيّة في أصلها قد تحرّفت بطول الزّمن، حتى أصبحت أكثر بُعداً عن العربيّة الفصيحة من هذه اللهجات العاميّة المختلفة التي تتكلمها الشّعوب النّاطقة بالضّاد». وهذا ما قرّره دائرة معارف "Universalis" / يونيفرساليس مؤكّدة: أنّ اللغة البربريّة امتداد لصيغ اللغة العربيّة وأنّ الآداب البربريّة "مستمدة من المشرق العربيّ"، وأنّ "جميع اللهجات البربريّة مطبوعة بطابع اللغة العربيّة". وتبقى هذه الآراء لأصحابها، ولكن المهمّ في الأمر أنّه لا

صراع لغويّ قائم، ولا خلاف في الرأْي الجامع. وهكذا نرى بأنّ مسألة الهوية اللغوية في الجزائر مفروغ منها؛ فهناك تعايش لغويّ منذ دخول الفاتحين هذه البلاد، فلقد تَخَصَّصت كلّ لغة بمجال معيّن وما حدث صراع يمكن الإشارة إليه، فهنا نقول: إنّ المازيغية والعربية صنّوان متكاملان غير متصارعين يكملّان بعضهما البعض، ويتوجّهان لمستقبل مشترك، ووحدة المصير.

3- علماء مازيغيّون أعلّوا الثقافة العربيّة: ونشير لبعض العلماء الذين كانت لهم وقفات تبصّرية في ظلّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وقد خدموا اللغة العربيّة، وارتقوا بثقافتها في مختلف الفنون، وأصبحوا لمعاً في سماء العلم والعالم: يحيى بن مُعطى الزّواوي + ابن آجروم + محمّد بن سعيد بن حمّاد البوصيري + أبو العبّاس أحمد الغبريني + أرزقي الشّرفاوي + الشّيخ زكري + ابن باديس الصّنهاجي + الفُضيل الورثلاني + أبو القاسم البوجليلي + علي شنتير + الشّيخ بيوض + الشّيخ أطفيش + السّعيد الياجري + محمد الحسن فضلاء + الشّيخ أعليلي + الشّيخ عسلة + أحمد بن إدريس البجائي + رابح بونار + محمّد بن قاسم الزّواوي + يحيى بوعزيز + أبو القاسم البهلولي + أبو إسحاق الأجدابي + الطّرابلسي + الحمزاوي + محمّد بن يحيى الباهي + سيدي يحيى العيدلي + الشّيخ إدريس السّحنوني + المهدي السّكلاوي + الشّيخ المقراني + الشّيخ الحدّاد + الشّريف بوبغلة الشّريف + لالة فاطمة أنسوهر + سيدي أحمد بن إدريس + محمّد الشّريف قاهر + سيدي أحمد أويحي + السّعيد البيباني بوتقجرت + إبراهيم بن بوبكر الونوغي اليلماني + عبد الرّحمن الوغليسي + الطّاهر الجزائريّ + أبو يعلى الزّواوي + مولود قاسم + محمّد بقن

يعقوب المنقلاتيّ+ الإيراثيّ+ سي بلقاسم البويريّ+ عبد الرّحمن شيبان... علماء عمالقة من المشدّالين الذين قيل فيهم "لولا المشدّاليون ما كانت بحاية الحضارة والعلوم" ونشير إلى: نصر الدّين المشدّاليّ+ أبو الفضل المشدّاليّ+ موسى بن عمران المشدّاليّ+ محمّد بن أبي القاسم المشدّالي، وهؤلاء كان لهم الحضور في: تلمسان وبجاية وتونس وقبرص وغرناطة والشّام والحجاز والقدس. وهؤلاء العلماء المازيغيّون كان لهم شرف نصرة الدين وحمله ونشره وشرف حمل رسالة الإصلاح والجهاد والاندماج الجمعيّ، وشرف الدّفاع عن المشترك اللغويّ. ولقد كانت العروبة عندهم هي اللسان لا في التّسب فقد أبدعوا بالعربيّة المعجزة. هم علماء ما ينظرون بعقولهم إلى الأمور بل يُحلّلون ويُبدعون، عرفوا الحقيقة وما وقعوا في الغريقة. هم علماء ما ضاقت عليهم الدّنيا وتماهوا في اللغة العربيّة التي تَبَنّوها قناعة، في الوقت الذي كانت فيها لغات أخرى، لكنّهم عرفوا سرّ العربيّة، وعلموا أنّ أقوى لغة يومها كانت اللاتينيّة وتحوي سبعمئة (700) جذر لغويّ فقط وما احتووها، بل احتواوا العربيّة المعجزة التي فيها ستة عشر ألف وثمانئة (16800) جذر. وهذه اللغة التي ارتضاها الأجداد لأنفسهم وأوصونا بها وقالوا: العربيّة من المقدّس بمحولتها الدّينيّة، فوجبت عليكم المحافظة عليها لأنّها تمثّل معلماً أساسياً من هويّتكم، فلا يأخذتكم بال لغة أجنبيّة، ولا تستبدلوا الذي هو أعلى بالذي هو أدنى. بالفعل كانت وصيّة الأسلاف في محلّها، فهي اليد التي تُعطي، ولا تأخذ قدر ما تعطي، فهي التّبع الذي لا ينقضي، ألم يكن الغربيّون يأتون الأندلس أيام كانت الأندلس فردوساً للعلماء والعلم ليدرسوا فيها العربيّة وبالعربيّة، وعلى يد العرب والمازيغيين؟

ألم يأخذوا علم الفلك والهندسة والرياضيات والكيمياء والجبر من حاضرتي: بجاية وتلمسان؟ ومن ثم بنوا قواعد علومهم من العربية وطوّروا لغاتهم التي لا تزال فيها آثار العربية شاهدة في مصطلحاتهم، وندعو المختصين العودة إلى كتاب *Nos ancêtre les Arabes; Ce que notre langue leur doit* للمُنصف (Jean Pruvost) الذي يقرّ بهذه الحقيقة وهو الذي يقول "لولا تلك القرون التي ساد فيها العربُ بلد الأندلس ما عرفت أوروبا نهضتها الحالية". ولكن ذلك من الماضي، وعسى أن يكون الاتعاظ للخلف؛ بضرورة الاستفادة من فعل السلف، وكيف تعاطوا مع الفعل الثقافيّ دون تُلَف.

4- **الصفات المائزة لهؤلاء العلماء المازيغيين:** إنّ معظم هؤلاء العلماء كانت لهم المواصفات التالية:

1/4- الموسوعيّة في العلوم.

2/4- التّشبع بعلم العربيّة، وحفظ القرآن، ومتون النّحو العربيّ.

3/4- ربط القول بالفعل، والتّضحية بالأهل والولّدان، والارتحال في سبيل العلم. .

4/4- ربط الدّين بالدّنيا والدّولة، وعدم التّعارض في المصالح المرسلّة.

5/4- ربط المحسوس باللمس، ودون الاعتماد على نزعات التّفوس.

6/4- التّماهي في الإيمان، ونشر الفضيلة والأخلاق، والعمل دون هواة من أجل بلوغ الرّضا.

7/4- تقديم العلم في صورته الواضحة الميسّرة حسب مقتضيات البيئة وعقول الناس.

8/4- تأسيس الزوايا والجمعيات الدينيّة والخيريّة، والتّسابق إلى أفعال الخير، وتقديم الوعيّ على الوعظ.

9/4- تدريس وتأليف الكتب وتكوين الرّجال والمريدين لمواصلة فعل التّأسيس.

10/4- التّماهي في المجتمع والعيش مع الجماعة، وتكوين خلايا الإصلاح.

5- **موقع العربيّة عند هؤلاء العلماء:** ولعلّ أهمّ سؤال يتبادر إلى الدّهن هو: كيف رُجحت الكفّة لصالح اللغة العربيّة؟ هل تمّ ذلك بقمع البربريّة/ المازيغيّة؟ يجب العلم أنّ إقبال أجدادنا على تعلّم العربيّة والإبداع فيها كان طوعاً باعتبارها لغة القرآن والإسلام الذي وصلهم للانعتاق من العهود الماضيّة الاستعماريّة، إضافة إلى نقص الاهتمام بتطوير الكتابة المازيغيّة وعزوف أهلها عن تعييدها وترقيتها، الأمر الذي جعلها تندرج إلى خارج الاهتمامات الفكرية والعلميّة. وهكذا ما دام الإسلام قد ملأ قلوب أجدادنا المازيغيين؛ فمن الطّبيعيّ أن يقبلوا على تعلّم العربيّة إلى درجة امتلاك ناصيتها، ثم القيام بنشرها في أوروبا وأفريقيا بأن صاروا أقلاماً لها، فأسسوا المدارس في بجاية والأندلس وتلمسان والقاهرة والشّام والقرويين والقيروان ووقع الازدهار في عهد أبي عبد الله بن تومرت، ويوسف بن تاشفين، وأيام الموحدّين والزّيانين والحماديّين. وهكذا أنجبت منطقة الزّواوة علماء كثيرين

سار بذكرهم الرّكبان، وكان لهم الحضور في بلاد المغرب، وفي المشارق، وفي أفريقيا.

6- **التصاهر المأزيغي العربي:** هو تصاهر منسجم ألغى بالاختلاط صفاء الدّم، ومحا وجود الإثنيات، وحصل الدّوبان الفعليّ بين السّاكنة والفاحين وكان مصيرهم واحداً في تأسيس الدّول الوطنيّة القويّة على غرار (دولة الفاطميين+ الموحدّين+ الزيّانيين+ الحماديين+ إمارة كوكو+ المرينيين) وما يقابلها من دُول لها صفات العروبة (الدّولة الحفصيّة). قرون من التّآخي والتّكامل الذي أذاب كلّ صفات الخلاف والتّميّز، وذلك ما جعل سكان المغرب الأوسط والأقصى والأدنى يتحدّون أحياناً ويختلفون أحياناً في الحكم والسيّادة، ولكن لم يُسجّل التّاريخ أنّهم اختلفوا في سيادة اللغة العربيّة كلغة هويّة بما لها من حمولة دينيّة، وقيمة المأزيغيّات بما لها من تراث الأجداد وكلّتاها تتكاملان بما لكلّ واحدة من وظيفة. ولقد عاركت الدّول الوطنيّة البربريّة/ المأزيغيّة المستخرب الإسپاني ولم تقبل بلغته، كما لم تدبّ في اللغة العثمانيّة، وأبانت عن عراكها القويّ أمام المستدمر الفرنسيّ الذي عمل على المسخ والمسخ للهويّة اللغويّة وللتّاريخ المشترك لكلّ الجزائريين. وعن طريق ذلك عمل المستدمر الفرنسيّ على استدرّاج المجتمع الجزائريّ إلى الصّراع العربيّ -القبائلي لتمكين اللغة الفرنسيّة على غرار ما هو موجود في العديد من المستعمرات الأفريقيّة، وخلق نخبة وطنيّة مُشَبَّعة بفكر فرنسا القائم على سياسة (فرّق تسدّ) وعند ذلك بدأت بعض التّعرات على شكل مطالب للهويّة البربريّة، وهذا منذ 1949م. ولكن رجال حرب التّحرير استطاعوا جمع العموم على التّحرير الوطنيّ وهو القاسم المشترك، إلى جانب

تلك الحدود المانعة للاختراق الهوياتي التي سيّجتها الحركات الوطنية ومختلف هيآت الإصلاح، وبخاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء المستعمر الفرنسيّ على وحدة الهوية، وتتمثل أسسها في الإسلام ديناً والعربيّة لغةً وهذا ما ظهر في ذلك الإجماع من بيان أوّل (1) نوفمبر 1954م الذي يُعتبر مرجعيّة الجزائريين بمختلف عشائهم وسكناهم وألوانهم السياسيّة والأيدولوجيّة على اعتبار الجزائر دولة مسلمة، حيث بيّن الهدف الأوّل من الثورة وهو إقامة الدّولة الجزائريّة الديمقراطيّة الاجتماعيّة ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلاميّة، وأضاف البيان هدفاً خارجياً مفاده تحقيق وحدة شمال أفريقيا في داخل إطارها الطّبيعيّ العربيّ والإسلاميّ. ولهذا بقيت بعضُ الأفكار التي طرحت قبل الثورة من مثل مطالب بربريّة سنة 1949م، لم تتحقّق؛ لأنّ ما جاء بعدها جبّ ما قبلها. ولم تسكت المسألة مع رجال الثورة لكنّهم أرجؤوا أمر بعض الخصوصيات بشكل عامّ إلى مقام الأريحيّة بعد الخروج من قهر المستعمر الفرنسيّ، ولم تُحسم بعضُ المسائل في مؤتمر طرابلس. ولكن دستور سنة 1963م، أكّد الإسلام دين الدّولة في المادة الثّانيّة، والعربيّة لغة رسميّة في المادة الثّالثة. وبالفعل حلّت القضايا اللغويّة في الحقيقة، ولكن هناك غليان يجري أحياناً مُسبباً بعض المضايقات، وهذا بدءاً من 20 أفريل 1980م حيث حصل منعُ إلقاء محاضرة (مولود معمري) في المركز الجامعيّ بمدينة تيزي- وزو، وكان الشرارة التي جعلت ولاية تيزي- وزو تتنفّض وتبدع في تسميّة (الرّبيع الأمازيغيّ/ الأمازيغيّة) ويظهر بعض المستور والمخفي في المناداة بالهويّة الأمازيغيّة، وتكبر المناداة مع تأسيس حزب (التّجمّع من أجل الثّقافة والديمقراطيّة) وما والاها من مشاكل داخلية

في عشر (10) سنوات من التدمير الأعمى، وحدث فيها تعطيل قانون تعميم استعمال اللغة العربية، وصاحبها تلك المظاهرة التي جرت في العاصمة ضدّ التعريب. من هنا وهناك، بدأت المسألة اللغوية تظهر في الجزائر وخلال ذلك وقع الإقرار بوطننة المازيغية كلغة وطنية بعد إضراب المحفظة سنة 1994م ومن ثمّ جاء ترسيم الأمازيغية لغة وطنية في دستور 6 فبراير 2016م، حيث صادق البرلمان بأغلبية ساحقة على مراجعة جديدة للدستور نصّت على أنّ الأمازيغية لغة رسمية، بينما اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية وتظلّ اللغة الرسمية للدولة. بدأ تدريس المازيغية منذ نهاية القرن العشرين بصورة محتشمة، بما وجدته من معارضة في بعض الولايات، ولكن بدأ الأمر يتحلل، وتأخذ المازيغية مكانها في بعض المدارس وعلى مستوى بعض الولايات، وفي قليل من المتوسطات، وفي قليل قليل من الثانويات، وفي بعض الجامعات، وفي معاهد تكوين الأساتذة، وتأسيس بعض المخابر ذات العلاقة. ولحدّ الآن لا توجد معارك لغوية بين لغتين وطنيتين، ولهما مصير مشترك بحكم ما تعيشانه من مضايقات. العربية ضعيفة أمّا لغات العولمة والمازيغية فقيرة جداً أمام العربية، وأمام اللغات الأخرى؛ لأنها تحتاج إلى تهيئة الوقت ليس في صالحها أن تنتظر مدداً، فما مصيرها الآن وعوامل الجذب قائمة بين العربية؛ وهي أختها ومن عائلة واحدة ولكنها فقيرة علمياً وأمام الفرنسية وهي ليست من حضارتها ولا من أرومتها، ولكن المازيغية تربّت على يدّ نخبة فرنكفونية، وعلى أثر باريس لا يزال يفعل فعله، وجمالية كبيرة تعيش في فرنسا، وتعلّمت هذه اللغة فأصبحت تتعامل بها، وتنتظر إليها

مكسباً كبيراً (غنيمة حرب) ولا يمكن التسامح فيها. فنلاحظ بأنّ مصير المازيغية ينتظر الجديد.

ينتظر الجديد لأنّ المسار الذي عرفته المطالب اللغوية أخذت أبعاداً أخرى، وهي الدّخول في الجدل الهوياتي المرتبط بالجدل اللساني، وهذا يصعب السيطرة عليه أمام منطق العولمة، وما سوف تأخذه من نصيب التدريس، وما يراه البعض بأنّها منافسة للعربية، والبعض يراها تقوية للفرنسية، ومتعلّقات كتابتها بالحرف اللاتيني مشكلة، وما كان من أثر سلبيّ في المطالبة بإغلاق مقرّات الدّرك الوطني، وتحوّل المظاهرات إلى أعمال شغب، ومواجهات العنف، وتأسيس لجان العروش، وظهور بعض الأفكار التطرفية (الاستقلال/ الحكم الذاتي) من قبل بعض جزائري الخارج. والمهمّ لم تعالج المسألة اللغوية في وقتها؛ فأخذت بُعداً سياسياً وزاد الإعلام الأجنبيّ من صبّ الزيت على النار، وبخاصّة ما سبّته الأكاديمية البربرية/ أگراو إيمازيغن/ (L'Académie berbère) وهي ذات اتّجاه راديكالي تشتغل على صقل المنتسبين إليها بشخصيات ذات توجه سياسيّ متطرّف في كلّ ما يتعلّق بالقومية البربرية والهوية الأمازيغية. وهذه الأكاديمية نالت الدّعم من بعض عناصر من الجالية الجزائرية، ومن الإعلام الفرنسيّ الذي وفرّ الجوّ الديمقراطيّ لفئة الشّباب والمغنين للمطالبة بالإقرار بهوية المازيغية. والمهمّ في الأمر أنّ هذه الأكاديمية عمّرت عشر (10) سنوات، ولكّنها أوجدت فئة لا تزال ترافع عن المازيغيات، وتخلق قلاقل في الجزائر وفي المغرب، وبعضهم تحوّلوا إلى مجموعات MAK.

7- **التنوعات اللغوية الأولى في الجزائر:** منذ للفتح الإسلامي هناك لغة عربية أدبية واحدة، وبدأت تخرج منها لهجات عربية، وقد سادت تكلّماتها كما سادت في الجزيرة العربية، وأدّى ذلك إلى حدوث مستويات لغوية فيها حسب المقام والحال، وبقيت العربية الأدبية لغة كتابية إدارياً واللهجات شفوية في خطابات الأنس العادية. وهناك العديد من التنوعات المازيغيات في الجزائر، ونذكر أكبرها وأكثرها استعمالاً وهي: القبائلية+ الشاوية+ الميزابية+ الشنوية+ الترقية+ الزناتية+ الشلحية. ومع ذلك تعتبر القبائلية أكثر انتشاراً في الجزائر، وقامت الكثير من الأبحاث فيها وعنّها، بالإضافة إلى الاهتمام بها خارج الجزائر؛ وبالأخص لدى الجالية الجزائرية في فرنسا، وفي مخابر فرنسا وألمانيا، وما تملكه من وسائل إعلام ناطقة بها في الداخل وفي الخارج. ومع هذا؛ فإنّ المازيغية تعرف الكثير من المضايقات، ونشير إلى بعضها:

7/1- **تعدد المازيغيات.** وحسب الدراسات هناك ما يقرب من خمسة وثلاثين (35) أداء/ لهجة مازيغية، وهي على امتداد أربع عشرة (14) دولة بين قارتي: أفريقيا وأوروبا.

7/2- **مضايقات المصطلح بشكل عام:** وهي أزمة كبيرة؛ لأنّ المازيغية لم توضع في سوق التنافس/ الإنتاج/ الاستعمال العلمي، فبقيت تابعة للحاكم الذي يأتي بلغة أخرى/ يتبنّى لغة، والمازيغيات تابعات فقط. وهنا عرفت نقصاً كبيراً في المصطلح، ولا نتحدّث عن المصطلح العلمي الذي تعرف فيه العدم، وهو جوهر التّقدّم في واقعنا الحالي. وهل يمكن أن تكون المازيغيات لغة العلم/ مجتمع المعرفة؟ وكم تحتاج من وقت لأن تتحوّل إلى لغة قادرة على مواكبة تطوّرات العصر؟ في حين يتّجه العالم اليوم إلى طمس

وإلغاء العديد من اللغات واللهجات المحليّة، وهل المازيغيات لا ينالها (كوليرا اللغات) أمام الفقر المدقع في كلّ المجالات، وهذا ما سوف نعرفه أمام خريطة اللغات في سنة 2030م، دون الحديث عن الخريطة القادمة التي لا يبقى فيها إلاّ القليل القليل من لغات العالم مع سنة 2050م.

7/ 3- **الدعوة إلى مساواتها مع العربيّة:** لنكن واقعيين في التعامل مع نفس المسافة بين اللغتين، وهل يعني أن نوقف عجلة التطوير في العربيّة لتلحق المازيغيات؟ ولا تلحق إلاّ بعد ربح كبير من الزّمن، وهل يمكن بالفعل أن يحصل التساوي بين اللغتين، وهذا غير ثابت مطلقاً في آية دولة تعتمد لغتين/ أكثر. والمناداة بالمساواة كمن يطلب العنقاء في الصّحراء وهُم من أوهام صنف المتاجرين السّياسيين للمازيغيات، والذين يُعادون العربيّة في الوقت الذي تحتاج المازيغيات إلى البحوثه والأكاديميين.

7/ 4- **الشفاهيّة:** مشكلة كبيرة جعلت المازيغيات تعيش (شذر مذر) غياب الكتابة، فبقيت في الصّدور، وذلك ما جعلها تخلو من الصّفاء الصّوتي/ اللغويّ، بحكم الرواية الشّفاهيّة التي تنتقل بها كلماتها عبر الزّمان والمكان، وتخضع للتأثير الحركيّ/ الصّوتيّ/ الحضاريّ، وتأخذ الكلمات الأجنبيّة بقوة.

7/ 5- **غياب توحيد الخط:** ما يعرف عن خطّ التيفيناغ أنّه الخطّ الذي كتبت بها في أوّل عهودها، وعدد رموزه ثمانية عشر (18) حرفاً، وكان أحفورياً غير حرفي، ولا يخضع لسرعة الكتابة اليدويّة، ولذلك احتواها الخطّ العربيّ بسهولة، وكتّبت به كلّ المخطوطات بعد الإسلام، ولا تزال الكتابة

بهذا الخطّ قائمة، رغم منافسة الخطّ اللاتيني الذي بدأ يشتغل بعد الربيع الأمازيغيّ فقط. وهذا من العوائق التي تحدّ من ترقيتها، وينظر لها من منظور احتوائها لخطّ ليس من حضارتها، وما الفائدة من قطف ثمار ترسيمها ويستولي عليها الحرف الذي حورب من كلّ الجزائريين. وبذا لا تزال تُعاني عدم الاستقرار على مستوى الكتابة، في حين يبقى تداولها على الألسن غير كافٍ لاستمرارها كلغة المستقبل لدى الأجيال، وهو ما يترجم الصراع الخفيّ بين دعاة الحرف اللاتيني/ الفرنسيّ والعربيّ، وهو صراع أيديولوجيّ أكثر منه تمكينا لتمازيغت وإعادة الاعتبار لها كلغة تحتاج إلى الرّعاية والتّطوير.

8- مسار التّكامل: إنّ المسألة اللغويّة في الجزائر عرفت مسار التّكامل هو مسار العربيّة الرّسميّة، ومسار المأزيغيّات المنسيّة بحكم الانبهار اللغويّ الدّيني في المقام الأوّل، وهذا الأمر جاء في إطار التّكامل والتّعايش بين اللغتين الشّقيقتين، بدل الصّراع والتّنافر؛ لأنّهما عرفتا مساراً/ سكة واحدة عبر تناميها في الاستعمال وفي التّدريس، وعرفت العربيّة مقامها في الاهتمام المحليّ/ الاهتمام العامّ/ الاهتمام الدّولي والفرد يتأثر باللّغة التي يسمعها ويقرؤها ويتكلّمها أكثر؛ بحيث يمتدّ هذا التأثير ليشمل نمط تفكيره وتصوّراته ومشاعره، وهذا ما يجعل اللّغة هي الفكر نفسه، فليس ثمة فكرٌ مجرد بغير رموز لغويّة. وهذا مسار العربيّة التي أصبحت عبر الزّمان رمزاً للهويّة المأزيغيّة العربيّة في نموذج لغة وطنيّة مشتركة لا جدال فيها. هي وصفة الذين أبدعوا بها وفي ذاتها، وحقّ علينا اتّباعها، وأما مراجعة/ التّراجع عن هذه الوصفة هو خلق صراع بين لغتين وطنيتين لصالح التّمكن للفرنسيّة التي خلقت المشكلة من أجل نفوذ الفرنكفونيّة، وليس قصد نيل المأزيغيّات

مقامها في الواقع المحلي، وهي في الاستعمال وفي المدرسة وفي بعض المصالح المرسله بصورة عادية والأمر في غاية التفاؤل، ولا بد أن تأخذ الوقت المناسب في التهيئة. وكان علينا أن نعرف أن المازيغيات والعربية حوربتا من قبل الفرنسيين بما وضعوه من قوانين وتدابير ردعية في منع استعمال اللغتين منذ سنة 1838م، ولما عرفت فرنسا أمر الجزائريين في أنهم يؤسسون المدارس وبينون الزوايا بدأت في اللعب على الوتر عربي - قبائلي، وقد أطلقت في 7 مارس 1944 مشروع قانون أصدرته اللجنة الفرنسية للتحرير برئاسة (شارل ديغول) لمنح شهادات تعليمية باللهجة البربرية للجزائريين واعتبروا تقوية اللهجة البربرية بديلاً واقعياً لهيمنة اللغة العربية الفصحى (بعد جهد جمعية العلماء المسلمين في ذلك الوقت) وعمل المشروع الذي أعِد له جيداً بنية طرد اللغة العربية من كامل التراب الوطني بعد نجاحه بمنطقة القبائل التي ركزت عليها فرنسا كثيراً. دون أن ننسى بعض المزايا التي تقدم للتخبة الوطنية التي تنحو منحى تصنيف الساحة اللغوية في الجزائر إلى: العربية الفصحى + الفرنسية + العامية الجزائرية + القبائلية. وهنا نلاحظ أن المسألة اللغوية وما يتبعها من المسائل الثقافية أصبحت في صراع حول اللغة العربية / التعريب وفي معناها العام يعني الصراع حول صياغة الوعي الجماعي الذي يمثل التعبير الأرقى عن معادلة الجمع بين الماضي والحاضر / القطيعة عن الماضي ويعني القطيعة مع التراث العربي / القطيعة مع مرجعية العربية (القرآن الكريم) وهنا لب المشكلة التي لا تزال بعض الأطراف تعمل على تغذيتها بمصطلحات خادعة، أو بنمطية الحضارة المعاصرة، وبأسماء ثقافية كبيرة بدعوى التفتح الذي لا يكون إلا عبر لغة فرنسية لها عمق في المجتمع

الجزائريّ وأنّ مشروع التعريب فشِلَ في بلاد العرب، فكيف ينجح في بلاد المغرب؟

هي أفكار دعاة الفرنكفونية، وتعدّ عند نشطاء الثقافة والهوية المازيغية مرجعية من أجل إعادة الاعتبار لهذه الهوية المفقودة - حسبهم - بإرادة سياسية، حيث راحت اللغة المازيغية ضحية الخيار الاشتراكيّ الذي تبنته الجزائر كأيديولوجية سياسية واقتصادية بعد الاستقلال مباشرة، فالخيار الاشتراكيّ ألزَمَ القادة السياسيين الاتجاه للمشرق العربيّ لصياغة اشتراكية إسلامية، وأصبح المنادون باللغة المازيغية ضمن المغضوب عليهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ عدم الحسم في بداية الاستقلال في قرار تعميم استعمال العربية، كان سبب تمكين الفرنسية في معظم القطاعات وفي مواصلة الهيمنة اللغوية من قبل لغة العدو الذي خرج اقتصادياً، ولا يزال ثقافياً بموروثه اللغويّ، وما نعيشه من مراجعة وتراجع أحياناً، ولكن في ذات الوقت لا ننكر التعريب المرحليّ لمسار المدرسة الجزائرية منذ الاستقلال، وما جاءت به من أفكار تحسينية خلال الإصلاحات التربوية والتي صاحبها الثورة الثقافية، وتأسيس المدرسة الأساسية، ومقتضيات تعريب العلوم الإنسانية في الجامعات، وتعريب المدارس العليا، والقضاء على التبعية في الميدان الثقافي، وبروز الشخصية اللغوية الوطنية...

9- **هل هناك صراع لغويّ؟** لقد حدث صراع على الأرض وعلى الحكم في شمال إفريقيا، فحاربت الكاهنة الفاتحين، وصمدت سنوات وسنوات رافضة الحكم العربيّ، كما حصلت مناقشات كثيرة في بعض المناطق ويعود بعضها إلى رفض الحاكم العربيّ، وبعضها إلى السيطرة على الثروات، وتشير

كتب التاريخ بأنه حدث صراع حربيّ بين عقبة بن نافع وأكسيل / كسيلة الملك البربري، وارتدّ البربر في رواية (ابن خلدون) اثنتي عشرة (12) مرة واستقرّوا في عهد موسى بن نصير على الإسلام. والمهمّ في كلّ هذا أنّه لم ينقل لنا التاريخ أنّه حصل في بداية دخول الفاتحين الصّراع اللغوي، ولا بعد ذلك، فلقد قبل المازيغيون العربيّة قبولهم الدّين الإسلاميّ؛ فحصل أسلمة بلدان المغرب العربيّ في ظرف قصير، وهي المهمّة الأساس عندهم. إذن لم يطرح الصّدّام بين العربيّة والمازيغيّة إلّا مع دخول فرنسا التي أقصت المازيغيّة والعربيّة من الاستعمال والتّوظيف بشكل نهائيّ، وبقرار من الحاكم الفرنسيّ، وتشهد المصادر بذلك القرار لسنة 1899، الدّاعي إلى إغلاق الكتاتيب القرآنيّة وتدمير المساجد، وتحويل الكثير منها إلى كنائس، بل وصل الأمر إلى منع الحجّ على اعتبار أنّهم يحتكّون بالعرب الذين يحملون اللغة العربيّة، أضف إلى ذلك ما تعرّضت له الصّحف المعرّبة من غلق وملاحقة أصحابها وهذا كلّ يدخل في إطار الضّمّ التّنهائي، وتذويب الجانب الثّقافيّ في الجزائر في كيان فرنسا، وإضعاف الشّخصيّة العربيّة الإسلاميّة ومقوماتها الدّينيّة. ولقد عملت المدرسة الاستدماريّة على بثّ التّشكيك في لغتنا وهويّتنا وعرقنا، وحاولت أن تُعيدنا إلى البربريّة الوحشيّة؛ حيث الصّراع بين الأهالي بسبب من هو الأصيل؟ من هو البربري؟ من هو العربي؟ من صفا عرقه؟ ولم يطرحوا هذا على أنفسهم، رغم أنّ التاريخ يقرّ بأنهم أعراق وديانات متباينة وأجناس شتى، فهل نعتبر!

إنّ المازيغيّة لم تصارع العربيّة؛ حيث تحدّدت مجالات كلّ واحدة منها بشكل طبيعيّ، كما لم يمنع القرآن ولا الحديث الشّريف استعمال اللغات

والألسنة الأخرى، وبذا عاشت العربية بلهجاتها، والمازيغية بلهجاتها وتأدياتها جنباً إلى جنب طوال القرون الماضية، ولم يحصل بينهما أي صراع بقدر ما كان التكامل والتداخل تلاحقاً وتبادلاً في الأدوار والوظائف. وفي الوقت المعاصر لا تعادي المازيغية ولا اللغة العربية اللغة الفرنسية كلغة علم، فالفرنسية لغة راقية يجب الاستفادة من علومها ولا يمكن نكران بأن لها باعاً طويلاً في علوم الطب والسياسة والسياسة والقانون، ولكن لا تبقى لغة هيمنة وهوية عندنا، أو اللغة التي يجب المرور منها للوصول إلى كل شيء اللغة الوسيط. وأما ما حصل من صراع في مسألة التعريب، فهو رد فعل للتعريب، صراع بين لغتين إحداهما أجنبية تصرّ على احتلال مكان السيادة في البلاد، ولغة وطنية ترى أن شرعيتها قد انتهكت، ومكانتها سُلبت فتطالب بردّ حقّها، وهذا شيء تقرّه الحقوق اللغوية لكل اللغات ومن حقوق اللغة العربية عدم الاعتداء على شرفها.

10- **الواقع اللغوي بالجزائر:** قبل وصف الواقع اللغوي الحديث علينا تأكيد ما ذكرناه من أن منطقة شمال أفريقيا عرفت التعددية اللغوية قبل الفاتحين، وأن اللغة المحلية/ البربرية لم تُسُد عند ملوك البربر قبل الفتح الإسلامي، ولم يكن لها مقام إلا في التفاهم العائلي، واستمر ذلك التعدد اللغوي بعد الفتح الإسلامي، إلا أن الغلبة كثيراً ما سجلت للغة العربية رغم أن البربر القدامى لم يمتلكوا ناصية اللغة العربية الفصيحة؛ إلا أنهم أحبّوها واستعملوها في حديثهم كونها لغة دينهم، ولم تُمح المازيغيات من التداول، مع الاختيار الحر لوصفة الأجداد بتبنيهم العربية لغة العلم والتعليم. وهكذا نرى أن الازدواجية/ التعددية قائمة، ولعب فيها العامل

التاريخي الحسم المنجز لصالح اختيار لغة واحدة تكون مشتركة؛ وهي العربية الفصحى، وأصبحت لغة الدولة، ومع ذلك فإنّ الواقع المعيش لم يحافظ على فعل الأجداد، ونشهد تعدّدية من نوع آخر؛ حيث استعمال اللغات غير مُتجانس: مجموعات لغوية مختلفة، تاديّات مازيغيات لا تفاهم بينها عربيات/ دوارج الشّارع فيها هجين لغويّ غير علمي، هجمة فرنسيّة إقصائيّة للغات الهويّة، لغة رسميّة غير مستعملة، لغة أجنبيّة غير رسميّة مهيمنة... ساحة من الفوضى اللغويّة التي لا توسم بالتعدّدية المعروفة؛ وهي إنزال كلّ لغة مقامها، وهناك تكامل بينها في كثير من المهام. وكلّ هذا يفسّر بشيء واحد وهو أنّ رزوح الجزائر تحت دمار طال أمده (132) سنة أصاب اللغات الوطنيّة في المقتل، وأنّ التّوجّهات الفرنسيّة ركّزت على اللغة والثّقافة الفرنسيّة، وأن مشروع فرّسة الجزائر حلم لم يتحقّق، وعليها أن تترك الأثر في الاستقرار لغويّ. وهي سياسة تركّ البؤر/ التّخبة الفرنكفونيّة التي تدافع عن الفرنسيّة كلغة تفتّح وحضارة وعلم، وهذا ما نراه قائماً الآن في تدريس مجالات الطبّ والهندسة والعلوم والثّقانة بالفرنسيّة، رغم ابتعاد الفرنسيّة علمياً عن بعض المجالات، وهي تعيش مضايقات تقنيّة كثيرة في بلادها التي تبعد عنها، وتستعمل الإنكليزيّة في التدريس في مجالات الثّقانات، وما له علاقة بالتواصل العالميّ.

وإنّ الواقع اللغويّ يكشف عند الجزائريين أنّ هناك تعايشاً بين العربيّة والمازيغيات في حدود لزوم المنتج العلميّ والاستعمال العفويّ، ويحتاج هذا التعايش إلى الثّمينين عن طريق القوانين والعمل على التّهوض باللغتين اللتين تعيشان القرابة اللغويّة والافتقار العلميّ، ومصيرهما المستقبليّ واحد، وهو

تعدّد مُتجانسٍ حميميّ اجتماعيّ مُنسجم، وهذا ما سوف يضمن التّجّاح للمرحلة الجديدة في جزائر التّغيير، جزائر الإقرار بالتعدّدية النّاعمة التي تقرّ بكلّ الأطراف ضمن شراكة قوّة ما تعطيه إحدى اللغتين والابتعاد عن النّظرة السّلبية لما تقدّمه أيّة لغة في الوقت الحاضر الذي نعرف تأخراً فظيماً في لغات الهوية، ولكن هي أوّل الخطو، يليها مسألة نزع الهيمنة التّخويّة الفرنسيّة لناطقِي الفرنسيّة، وما لها من سوء الازدواجيّة اللامتكافئة في زيادة ترسيخ الفرنسيّة التي تشتعل في الإدارة والبحث العلميّ، وهي ازدواجيّة مُتوحّشة تعطي الأفضليّة للفرنسيّة بشكل عفويّ، وذلك ما يعطي لمستعمليها شارة الفخر والتّعالّي على أنّهم أرقى من التّاطقين بلغات الهوية. وخلاصة الكلام؛ هناك تعدّدية لغويّة غير مُحكمة الإتقان، تحتاج إلى تخطيط في السّياسة التّربويّة، وإلى الخروج من وهن بيت عنكبوت الفرنسيّة التي تريد أن نعيش الصّراع اللغويّ لتبقى لها السّيادة. وهذه اللغة هي التي جعلتنا لا نتقدّم، ولم ننل منها إلّا السّرّاب والوهم والوهن، والخليط اللغويّ، وعدم التّحكّم في أيّة لغة، فنسمع لغات شوارعنا، ونجد الخليط اللغويّ والهجنة كأننا أمة بلا لغة. هي معضلة عويصة، مصحوبة بداء ينخر عظام لغات الهوية؛ لذا يجب حثّ الخطى في اقتلاع هذا الدّاء من جذوره. وعلينا جميعاً السّياسيّ والتّخبة والمعلّم والمُجتمع الاستماع إلى بعضنا البعض في حوار هادئ للتّشاور، وبناء أفكار الخروج من الصّراع الوهميّ الذي لم نُحسن فيه إدارة التعدّدية اللغويّة، ولم نُحسم أمر الاستفادة من اللغات الأجنبيّة، ومن مختلف الثقافات. وفي ظلّ هذا الواقع؛ فإنّ العربيّة عند الجزائريين تنال موقع الرّضا، وهي عنصر

أساس في هويّتهم وشخصيتهم وفي طريقة تفكيرهم وهذا يحكم ما لها من قيمة رمزيّة وطنيّة ودينيّة.

وإنّ العربيّة صاحبت الأطوار التاريخيّة للمجتمع الجزائريّ وعملت على تطويره فكرياً، وكانت لغته الحضاريّة، فلا يتسامح المجتمع الجزائريّ في لغة لها كلّ الرقيّ العلميّ الذي نالته أمام اللغات الأُمّيّة رغم ما يلحقها من بعض العثرات التي لا تُنقص من قيمتها العلميّة والحضاريّة. وإنّ العربيّة لغة ليست ككلّ اللغات، وسوف تلحق بركب لغات العلم، وهي منها، رغم ما تعرفه من مُضايقات المصطلح العلميّ، وما يوقف ضدها في عمليات استعمالها، ومحاربة تعريب التّعليم، والعقبات المفتعلة عن عجزها العلميّ، وهي لم توضع في الاستعمال؛ حيث طغيان الفرنسيّة بوصفها لغة جاهزة، والعربيّة أبعدت لأنّها غير جاهزة/ عاجزة، ونجهل شهادات العلماء الكبار الذين يقولون "... العربيّة أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الحقل الدّوليّ، وعنصر جوهريّ للسلام في مستقبل الأمم والشّعوب". فقيمة العربيّة كبيرة لو كنّا على وعي بها وبمحملتها الحضاريّة والدينيّة لو كنّا نعتبر، وإنّ كلّ تقصير فينا وليس فيها. وما يثير في النفس ألماً أن تُحظى اللّغة العربيّة بهذه المكانة، ثمّ ترمى بشتّى التّعوت، ويُنظر إليها بمنظار الشّؤم والسّخط، على أنّها سبب التّخلّف والعجب أنّ أشباه المثقّفين ينافحون من أجل الفرنسيّة، ولا يقومون بأيّة خطوة من أجل العربيّة. وأما موقع المازيغيّات في الواقع الحاليّ فهو متذبذب بسبب ما يلმسه المجتمع الجزائريّ من واقع حقيقيّ خارج لغة الهويّة، وحسب المصادر والدّراسات التي أجريناها؛ فإنّ المجتمع الجزائريّ ينظر إلى بنحس القيمة اللغويّة للمازيغيّات بسبب عاملين:

10/ 1_ العامل الأول هيمنة مازيغية على المازيغيات، وهذا يعني السعي لاحتواء التأديات المازيغيات الأخرى، وما يلحقها من إلغاء كل ما يمت بصلة لواقع القاموس المشترك بين العربية والمازيغيات في حدود ما يقر به الباحث (سالم شاكر) يصل إلى 49%، إضافة إلى تلك الممارسات من قبل غير المختصين في تصفية عرقية لقاموس المازيغية من كل ما هو عربي/ قريب من العربية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الإتيان بكلمات اصطناعية غير مازيغية ومن افتراض باحثين يرمون لنا الكلمات من مازيغية وهمية افتراضية صناعية. وبذلك ستصبح المازيغية في لاحق من الزمان إسبرنتو/ Esperanto اللغات، وهذا سوف يقضي عليها، وهذا لا يجب أن يأتي من السياسيين، وأن يدلى في المسألة اللسانيون المختصون وعلماء فقه اللغة، وهم الذين يقترحون عوامل النمو اللغوي.

10/ 2_ العامل الثاني: كتابتها وتدريسها الحالي بالحرف اللاتيني، وهذا منقصة كبرى في غياب حرفها (التيفيناغ/ العربي، ويعني إحياء/ بعث المازيغية لصالح اللاتين، واللاتينيون في غنى عن المازيغية، كما يعني احتواءها من قبل اللغة الفرنسية بما لها من نطق فرنسي دون غيرها من اللاتينيات. ومن يلاحظ عن بُعد هذه الكتابة يقول إنها لغة فرنسية، وهذا ما يجري في التدريس؛ حيث يكون درس النحو عن المازيغية، وبلغة الشرح الفرنسية فقط، وهذه طريقة المستشرقين عندما يدرسون لغة من اللغات الأجنبية فيتخذون منها الأمثلة فقط، وهذا يصلح بالنسبة لتدريس اللغات الأجنبية والمازيغية ليست أجنبية في الجزائر. ومن هنا يرى المجتمع الجزائري في غالب فئاته أن هذه اللغة لا تعبر عن هويته لأنها لم تحتو من حرفها/ الحرف

العربيّ الذي أعطى لها صفة الوجود خلال خمسة عشر (15) قرناً، وكلّ مدوّنتاتها مكتوبة بالخطّ العربيّ إلّا قليل القليل الذي كُتب باللاتينيّ في نهاية القرن العشرين. وهكذا نرى حرص المجتمع الجزائريّ على لغته الوطنية ويعدّ في نظر اللّغويين من الأمور الطّبيعيّة التي تحتملها ضرورة المحافظة عليها من كلّ تأثير أجنبيّ، فإنّ هذا هو خير هجوم قبل الدّفاع الذي سيتضاعف حين يكون الخطر على اللّغة العربيّة مع المازيغيّات بما لهما من تجاور وتكامل حضاريّ لما يتّحدا في الكتابة التي تُعيدهما إلى أرومتها المشتركة، وإلى الحضارة الشّرقية. ولهذا يراهن أغلب المجتمع الجزائريّ على التّهوض باللّغتين في المدرسة؛ كونهما عاملاً استمراراً للتّاريخ والحضارة، وعدم قطع الاستمراريّة والصّلة بآثار الأجداد، ممّا يؤدّي إلى ظهور شعب يجهل تاريخ ماضيه، ولا يتعرّف إلّا على ما يُترجم له إلى اللّغة الجديدة، وبالتالي يتمّ القضاء على إحدى مَقوّمات شخصيته، ويسهل التأثير عليه. وإذا ما أردنا الإصلاح المجتمعيّ علينا تربيّة المدرسة، وتغذيتها بالهويّة والخصوصيّة، وكلّ مَقوّمات الشّخصيّة من عقيدة ولغة وثقافة وتاريخ وقيم ومفاهيم لتثبيت الهويّة على أحسن ما يُرام، وذلك لا يكون إلّا بلغة جامعة، ولا يعني إلغاء اللغات الأخرى، بقدر ما يعني إنزال اللغات مقاماتها وحدودها فقط.

11- **العربيّة والمازيغيّة صراع إيديولوجيّ:** لقد مُنيت اللّغتان ببعض من النّخبة الوطنيّة التي أسهمت في عرقلة مشروع التّعريب، كما لم ينجح مشروع نيل المازيغيّات مقامها في الاستعمال، فهذا الصّراع عرف ثلاث فئات: الفئة الأولى عروبيّة ترى أنّه لا بديل عن العربيّة في الجزائر وتبقى اللّغة الوحيدة والرّسميّة دون غيرها من اللّغات، وضرورة التّعريب الشّامل والكلّي في كلّ

مرافق الدولة. والفئة الثانية مزوغة ترى ضرورة إقصاء العربية، ولا بد من التمزيع الكلّي بديلاً عن التعريب الكلّي، وهو العودة إلى الهوية البربرية الأصيلة، وأنّ العرب نوع من أنواع الاستعمار. والفئة الثالثة بينية ترى ضرورة تقريب المأزيغية من العربية والتّمكن لها كلغة لا كأيدولوجية، ومن الأحسن احتوائها بدل اتّخاذها لبوس الفرنسيّة، وسوف تعود الفرنسيّة من خلالها، وعلينا الاتّعاظ من الإقصاء الذي يولّد التّطرف، وهذا ما يلاحظ في بعض المناطق من وجود الحميميّة بين الفرنسيّة والمأزيغيّات في الاستعمال وفي عدم منع الفرنسيّة وفي تقريب كتابة المأزيغيّات بالحرف اللاتينيّ، في حين ترفض بعض الفئات كلّ تواصل بالعربيّة، أو كتابتها بالحرف العربيّ، وهنا الخطر الذي يجب أن نحتاط له في منشئه قبل الاشتعال.

ومن المنطق المتفاوت، والذي لم يقع الفصل فيه في الكثير من العلاجات بما له من حساسيات، وما له من ركام تاريخيّ يصعب علاجه وفتح هذا الملفّ المثقل بحمولته التّراكميّة، رغم أنّ الدّساتير الوطنيّة أبانت عن وصفة مقام العربيّة بشكل صريح، ولم يتّضح الأمر بالنّسبة للمأزيغية إلّا مؤخّراً ومع حسن نوايا السّياسيين في الوقت المعاصر يمكن أن نقول إنّ الملفّ المأزيغيّ حالياً حظي باهتمام بالغ من السّلطة السّياسيّة، ومن بعض التّخبة الوطنيّة البينيّة، وبدأت الكثير من الأمور تعرف الحلول عن طريق تأسيس المجمع الجزائريّ للغة المأزيغية الذي نروم أن يقدّم على خطوات علميّة جريئة في إطار التّكامل الوطنيّ، والنّظرة المستقبلية التي تدعو إلى الوحدة والمصير المشترك، والابتعاد الكلّي عن الإيديولوجيّة التي لا تبني البلاد، كما أنّ الواقع يفرض على جميع الباحثين المستقلّين فكراً العمل على استجلاء

الخلفيات التي انبنت عليها مواقف كل فئة بما تراه مناسباً لها، واقتراح خطة طريق استشرافية لهذا الملف الذي يحتل مكانة جديدة في حياتنا السياسية والأدبية والثقافية في هذه الفترة الزمنية الحرجة.

12- هل المازيغية خطر على الأمن اللغوي الجزائري؟ هناك من يطرح

أفكاراً تخوفية من ترسيم الأمازيغية لغة وطنية، وأنها سوف تكون منافسة للعربية في التدريس، أو على مستوى الانقسام الشخصي للمتعلم الذي يكتب بخطوط مختلفة، وبلغات عديدة، وأن المازيغية لا فائدة فيها ولا تحمل العلم، وسوف تخاطر بالمتعلمين في ضياع وقتهم... ولا بد أن نقول إن الأمن اللغوي جزء من الأمن العام، وهو مثل الأمن الغذائي والمائي وأن احتواء اللغات الوطنية يدخل في باب الأمن العام، وتحتاج المسألة إلى إقامة روافد احتياطية وتدابير وقائية للمحافظة على التوازن اللغوي والمسألة لا تشكل الخطورة مطلقاً. فنحن البربر شحنتنا مختلف الأزمات بالثورات ضد الظلم وثرنا ضد المستعمر الروماني والوندالي، والفينيقي والبيزنطي، وقبلنا العرب، ورضينا بالإسلام ديناً، وباللسان العربي لساناً ولغة، كما أن الإسلام لم ينكر بأن ما أثبتته التاريخ بأن الأصل أصل والفرع فرع، والإسلام هو الذي علمنا بأن التمسك بالإنية التي تُعطي مستوى التديّة، ولم يحصل ما يدخل في باب التفرقة أو الكراهية بين شعبين اتحدًا بفعل القرآن الكريم. ولا ينكر عاقل فضل اللغة العربية على ساكنة شمال أفريقيا، والذي يشمل بلاد المغرب الأوسط، الذي حقق المنعة والحماية والأمن بهذه اللغة التي رفعت من ملوكها حتى دخول المستخرب الأجنبي الذي عمل على استبدالها بلغته، ودمر نسيج الأمن اللغوي بما تركه من خلاف مرجعي، الذي كان

سبب الخلاف على التراث والموروث. وأنّ إحياء هذا الموروث بوصفة الأجداد لا يمكن أن يشكّل الخطر، بل يكون مبعث تمثين الوحدة الوطنية بتحقيق الأمن اللساني والهوياتي حسب مقام كلّ لغة لننطلق لتجسيد مشاريع التنمية اللغوية، وأنّ التعدّدية اللغوية قائمة منذ زمان، وهناك شعوب تحتكم إلى أربع لغات رسمية، وتعيش الازدهار اللغوي مع ما يقابلها من تعميم اللغات حسب مناطقها، أو تعليم اللغات حسب نفعيتها وقطبها وما تقتضيه المصلحة العامة. فلا خطورة من ترسيم المازيغية، ولا تشكّل خطراً على الأمن العامّ مطلقاً؛ إذا أحسن إدارة المسألة اللغوية، وقد يحصل الخلاف في المنهجية وهذا طبيعيّ جداً، والمهم تسطير الهدف مسبقاً، والاتفاق على الخطوط التي لا يقع تجاوزها. وبناءً على هذا نرى ما يلي: عدم ربط المازيغية باللغات الأجنبية؛ وخاصة لغة المستدر (الفرنسية) التي تدهورت قيمتها وتراجعت مكانتها بما يتعلّق بالذكاء الاصطناعي والرقمنة والشابكة والبرمجيات، والابتعاد عن الثقافات الأجنبية، وبخاصّة ثقافات ما وراء البحر في برامج التدريس المتعلّقة بالمعاهد والمدارس والأقسام التربوية. ومما نوّكه إبعاد المازيغية عن الأيديولوجيات الغربية وضرورة ربطها بالدين الإسلامي، وبعادات وتقاليد وأعراف المجتمع الجزائري. وكتابتها بالحرف العربيّ لما فيه من ميّزات خاصّة ومرونة لاحتواء الحروف والأصوات، وخير شاهد التراث الذي وصلنا من الكتب والمخطوطات المترجمة من العربية إلى المازيغية والمرسومة بالحرف العربيّ، مع إمكانية تحويله في بعض الأصوات واحتوائه في وعاء الحضارة الإسلامية الشرقيّة، وأن لا تخضع المازيغية لموقع المنافسة التديّة مع العربية، وألا تُعطى لها أكبر وأعظم ممّا لا تستحقّ، وأن تلتزم

المازيغية بمازيغيات الوطن، كلّ منطقة بمازيغيته في حدود تواصلها تدريساً وإعلاماً لغاية التوحيد الذي لا يكون بين عشية وضحاها. ولا بدّ في هذا المقام تأكيد جانب التحلّي باليقظة والتّباهة، والابتعاد عن الخلفيات القوميّة والركائز العرقية والأطروحات الإيديولوجيّة، وأن يكون الجزائريّ الوطنيّ الغيور مسلّحاً بالعقيدة السّليمة وبالمنهجية الأكاديمية العلميّة، التي تعطي لنا موقع التّديّة التي سُلّبت منّا في أيام الاستعمار الفرنسيّ الصّليبيّ الغاشم، وحُورّت وكوّرت ثمّ ألبست لباس الوطنيّة الزّائفة، ثمّ صدرت إلينا باسم العلميّة والموضوعيّة في قالب المعلّمين النّاصحين. لذلك علينا وعلى كلّ من صدرّ نفسه لدراسة هذه القضايا أن يكون نبهاً ذكياً حكيماً ولا يُخدع بالمظاهر وبالشّعارات الرّتانة، فقد استمال العسكر الفرنسيّون الباحثون ومن سار سيرهم في تصدير المعلومات الكاذبة والمغلوطة لجيل من الشّباب قد مضى، ولكن الشّبهات والأكاذيب باقية، ومن هذه الأغاليط بأنّ العربيّة لغة أجنبيّة للجزائريين، وأنّ الفرنسيّة هي اللغة الأمّ... فاقنع بهذه الدّعوات بعض من الجيل السّاذج، وينطبق عليهم قول (ابن خلدون) المغلوب مولع بلغة الغالب. وأن يكون تعليم وتدرّس المازيغيات وفق برنامج تربويّ بحيث لا يؤثّر على الاكتساب اللغويّ، ولا يتصادم تعليمها مع تدرّس العربيّة وخاصة في المرحلة الابتدائيّة "والحقّ يُقال أنّه من غير المعقول منطقياً/ علمياً/ ديداكتيكياً أن نبرمج ثلاث (3) لغات لطفل في المرحلة الابتدائيّة تزامناً مع اكتسابه للعلوم المختلفة". وهكذا لن تكون المازيغية خطراً على الأمن العامّ إذا التزم الجزائريون بالوطنيّة الصّحيحة وتحلّوا بالعقيدة السّليمة، وتولّوا الدّفاع عن مقدّسات الوطن وهي لغته العربيّة والمازيغيّة ودينه الإسلام

وحدوده الجغرافية والتاريخية المعروفة بمساحة 2382000 كم². ومن الضروري بثّ روح ومبدأ أننا في الجزائر لا نعيش صراعات وحروباً لغويةً ونعرف أنّ العربية مكانها التعليم والإدارة والعلوم الإسلامية، وغيرهما من وظائف الدولة والمعاملات اليومية... وأننا أمة واحدة ونطق بها الصنهاجي المأزيغيّ (ابن باديس) إنّ أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج بينهم في الشدة والرخاء وتؤلّف بينهم في العسر واليسر، وتوحّدهم في السراء والضراء حتى كوّنت منهم في أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً أمّه الجزائر وأبوه الإسلام.

إذاً المأزيغية تشكّل الخطر إذا لم نقم بحمايتها وتطويرها بما ذكرنا سابقاً، ولم نجعلها تعيش ألفة تكامل مع العربية لا تنافر، ولهذا، فأبى قلاقل لغوية يمكن أن يدخلنا في حرب اللغات، وهذا ما يجب التّحرّز منه مسبقاً بمعطيات الحماية اللسانية الشاملة التي تأتي من المدرسة، ومن اتّباع وصفة الأجداد كي لا نعيش الحاضر المقلق. وبالفعل فإنّ علامات الخطر في ذات المأزيغية على نفسها قائمة وليس على الأمن العام، وهذا ما يهدّدها.

13- **المأزيغية في خطر:** سبق أن كتبنا مقالة في ذات العنوان عندما لاحظنا ما يحدث بها من إيديولوجية توجيهية تصارعية، وقلنا إنّ المأزيغية لا تذهب بعيداً، وسوف تعيش الخطر بحكم بعض العاملين عليها يقومون على إلقائها في الخطر نتيجة الممارسات التي تتعلّق بترقية المأزيغية. وباعتبارنا معنياً بقضية المأزيغية كمواطن ونخبة وطنية، والمأزيغية أداة تواصل وطني، فالأحرى بها أن تكون في مستوى الحدث الوطني الذي يرحوه المجتمع الجزائري، ولا يجوز لأحد أن يقول: دعوا المأزيغية للمختصين، أو دعوا المأزيغيين للمأزيغيين

فمن هؤلاء المختصّون؟ ومن هؤلاء المازيغيون؟ بالفعل يجب أن يكون المنطلق من أنّ المازيغية كان الأخرى أن تُعالج بشكل علمي من المدرّسين ومن النخبة، ومن العلميين ومن رجال السياسة ومن يهتمهم الأمر، شرط أن يترفع المعنيون عن التوجيه التعسفي أو تنميطها تنميطاً لا يليق بمقامها، ولا يلين قناتها أو يكسّر إرادتها، ودون أن يشكّل ذلك عقدة للغة من اللغات المتعايشة في المجتمع الجزائريّ، أو يحدث صراعاً لغوياً مع اللغات المستعملة في واقعنا، أو يشكّل وجود لغة ما يعني محو لغة أخرى فنحن لا نعيش حرب اللغات، بل هناك تكامل اللغات، فلا توجد لغة أخذت مواطنة لغة أخرى لكن توجد لغة مُهينة في الواقع الاجتماعيّ بفعل ما عشناه من استعمار ثقافيّ طويل، فنالت لغته (الفرنسيّة) كلّ شيء، وهنا العقدة اللغويّة في وطننا، وهذا هو الوضع اللغويّ الحالي الذي جعل الأمر ينحو نحو التراجع، فما يزال الوضع يراوح مكانه بعدما أصبحت المازيغية في 8 أفريل 2002 لغة وطنية والتراجع قائم في أنّ تدريسها منذ 1995 يقرّ بمحصيلة الانتكاس، وهذا على لسان (يوسف مراحي) من المحافظة السامية للمازيغية (يوسف مراحي، جريدة الوطن EL Watan بتاريخ: (16 أفريل 2010). كما نرى تقاعس النخبة والانشقاق بينها في الصّراع حول الحرف الذي تكتب به، ومكانها الاجتماعيّ أمام العربيّة، والعربيّة هي اللغة الجامعة كما يقول الأكاديميّ (محمد العربي ولد خليفة) وتلك رؤية الباحث اللسانيّ (عبد الرزاق دوراري) في استحالة تشكّل لغة مازيغية موحّدة بسبب أنّ العربيّة تلعب دور اللغة المشتركة في الجزائر وفي البلاد المغاربيّة، ومن الضّروريّ. إذاً أن يقع تدريس هذه اللهجات كلّ واحدة في الجهة التي تتكلّمها... وأمام الوضع

العشوائي فتح الباب لظهور أفكار غريبة عن المجتمع الجزائري. وهنا يأتي الخطر على المأزيغية من هذه الأبواب:

13/ 1- بداية الخروج عن وصفة الأجداد في أنهم لم يقوموا بترجمة القرآن الكريم إلى المأزيغية؛ لأنّ اللسان العربيّ كان كافياً ومجيباً عن أغراضهم أكثر من (أموال أو مازيغ).

13/ 2- أجدادنا وضعوا سلماً تراتيباً لوظيفية اللغتين:

13/ 2/ 1- العربية لغة التّعالى والحكم والسّلمان والعلم.

13/ 2/ 2- المأزيغية: لغة المهن والمحيط الضيق، ولغة المعاملات البسيطة.

13/ 3- تدريسها تدريساً شبه كلّى بالفرنسية، ولا أثر لاستعمال المأزيغية حتى في القوائم الاسمية للمتمدرسين أو للإعلانات، وتجد نفسك في قسم البربرية مكرّر قسم اللغة الفرنسية.

13/ 4- غياب تامّ لحرف التيفيناغ/ العربيّ في الكتابة في المحاضرات والمحاضر والإعلانات وما له علاقة بجدول النقاط والامتحانات...

13/ 5- مخابر تهيئة وتدرّس اللغة المأزيغية لا توجد فيها المأزيغية، بل تنميط للفرنسية وبالفرنسية، وبخطّ اللاتينية، وبكلّ إسراف وتبجح، وما يصحب ذلك من منشورات الأقسام والمخابر كلّها بالفرنسية وتجارب فرنسا/ كندا في التعليمات.

13 / 6- أساتذة يعاقبة / (Jacobites) أكثر دفاعاً عن الفرنسية من قولتير / (Voltaire) وبقوة جان دارك / (Jeanne D'arc)، ويفتخر ريشيليو / (Richelieu) بأن لغته تنتفخ في أقسام المازيغيات إلى جانب أقسام الفرنسية.

13 / 7- عباءة الاحتواء ظاهرة في برنوس لغة المستدمر الفرنسي قائمة ورأينا بأن المازيغية جميلة ولكنها أصابها السّل والمرض، انحراف في المازيغية كبير، أليس هذا خطراً في ذات اللغة التي يطلب ودّها فيها وليس في غيرها فهل هذا ما ترضيه قواعد التعليم في أية لغة؟ وقد بصّرنا بلغات التضاد فقط: العربية ⇔ الفرنسية. الفرنسية ⇔ العربية. المازيغية ⇔ العربية الفصحى.

هذه صورة سوداوية، ولكنها صورة حقيقية، وفيها خطاب متوارٍ يحمل رسالة كلامية بليغة ومباشرة، أمست اليوم أبلغ وأسرع إيصالاً من أيّ تعبير. ومن هنا فما السبيل إلى إحياء المازيغية التي نراها في خطر وتعيش انتحاراً يومياً، ونشاهد احتضارها جرّاء الممارسات غير العلمية التي تقوم بها بعض المؤسسات التربوية، أو من يقوم على خدمتها؟ ذلكم ما نقترحه كما يلي:

- ضرورة تدريس المازيغية بالمازيغية على قول العالم اللسانيّ فرديناند دو سوسير / (F. De Saussure) اللغة تدرس في ذاتها ولذاتها، وليس من خارجها.

- تدريسها بالرجوع إلى تراثها القديم، وبعث منظريها الأوائل، وتمجيد نصوصهم وجعلها شواهد على التّقييد. ويا له من مخزون التّراث المازيغيّ المدوّن في المخطوط العربيّ، وما يزال في التّراث اللغويّ الشّفاهيّ، وتلك

المكوّنات المركزيّة في الذات والوجدان الجزائريّ، وما يزال يسهم في تقوية روابط الهوية والإخاء والتّواصل بين الأفراد والجماعات. وعلى الباحثين التّزول لجمع مدوّنات حكايا الجدّات + أغاني الهدهدات + المدائح الدّينيّة + مدائح الأسواق + الفكاهات والأحاجي والألغاز... وضرورة التّزول إلى بوادي الجزائر وأريافها واستطلاع مختلف التّكلّمات التي عرفها المجتمع الجزائريّ في مختلف الحقب الزّمنيّة، وإجراء التّحريّات اللغويّة بالمسح الجغرافيّ، ووضع أطلس لغويّ جزائريّ، وعقد مقارنات بين مختلف التّكلّمات المازيغيّة واستخلاص أوجه الشّبه، والتّحكّم إلى التّظريّات اللغويّة المعاصرة والتي تراعي خصوصيات هذه اللغة، وبخاصّة تلك التّظريّات المعتمدة في اللغات ذات الأرومة الحاميّة، والتّحكّم إلى القواعد العلميّة فقط دون إثارة بعض المتعلّقات الخاصّة بالعرق والعرقية، وعدم إقصاء اللغة العربيّة في دراسة خصائص المازيغيّة التي تشبهها في قواعدها وخصائصها والتّحكّم إلى التّظريّات اللغويّة المعاصرة التي قدّمت نتائج نوعيّة في التّهيئة اللغويّة، والاستناد إلى التجارب النّاجحة لدول عملت على إيلاء لغاتها الوطنيّة المقام الأعلى.

- كتابتها بالحرف العربيّ وهو الذي يضمن لها جزأرتها وانتشارها وقبولها لدى كلّ الجزائريّين. وهذه مسألة مهمّة جدّاً؛ لأنّ المازيغيّين طيلة 1300 سنة كتبوا بخطّهم المغربيّ الشّهير، وكلّ مخطوطاتهم كانت في ذات خطّ العربيّة ونجد آلاف المخطوطات في الزّوايا وفي المكتبات في الدّاخل وفي الخارج مدوّنة بالخطّ العربيّ، إلى جانب عقود الزّواج والأملاك والمواريث وآلاف الدّواوين الشّعريّة، حتى المراسلات والمراسيم في زمن الإمارات والدّول

المازيغية الإسلامية مثل الأدارسة والرستميين والزيريين والمرابطين والموحدين والزيايين والمرينيين. وهذا ما يضمن لها الاستمرارية والثقله نحو الرقي؛

- تمتين علاقاتها اللغوية والعلمية بالعربية، ولا مستقبل للمازيغية دون العربية، فإذا تخلّت عنها سوف تصبح عدماً، وتنقرض مع أول خريطة لغوية في القريب العاجل، وسيكتشف الجزائريون أنهم غدروا في لغتهم. والتمتين يكون في الأخذ والعطاء، وفي التسامح اللغوي، وما له علاقة بتقديم اللغة الكبيرة (العربية) سبل التهوض للغة مازيغية تعرف مبادئ التهيئة، وعدم نكران التاريخ المشترك، وعوامل التأثير والتأثر، أو نكران الفضل؛

- ضرورة استعمال المازيغية في المعاملات اليومية، وهذا من متطلبات الغمر اللغوي الذي يأتي عن طريق اللغة وضع واستعمال.

كلّ هذه الأمور نظرنا إليها من خلال تخطيط سياسة لغوية جادة تخرج منها سياسة لغوية تربوية عبر مراحل تدريجية؛ حيث تنال المازيغية تهيئتها المرحلية، ومن ثمّ تكون فيها اللغتان = العربية + المازيغية في تكامل علمي مصلحي بعيد عن الصراعات وحرب اللغات، والهدف هو الاستقرار اللغوي الذي يجعل الشعوب تفكر في البناء الذي يرسّخه النظام التربوي الشامل، يقبل المراجعة، ولا يرضى بالتراجع، وخلالها تحصل فترات التنقية اللغوية/ الإصلاح اللغوي/ الإصلاح التربوي/ التقييس اللغوي/ تحديث المفردات/ وضع المصطلحات/ بناء القواميس العامة والمتخصصة...

إنّ اللغة المازيغية تشكو وتعاني الخطر من قبل بعض العاملين على تنميتها، بل من قبل الموجهين لها وجهة فرنكفونية على أنّ تحديثها وتهيئتها

يمرّ حتماً عن طريق (La Tour Eiffel). وإنّه لا يمكن لنا أن نذهب بعيداً إذا وقع إقصاء عامل من عوامل الهوية الوطنية السالفة الذكر وبالأخصّ الهوية اللسانية الوطنية، أو ما يمكن أن نعبر عنه في المصطلحات المعاصرة بالمواطنة اللغوية (La citoyenneté linguistique). وهذا هو العمل المطلوب في المرحلة الراهنة، والذي يعلو فوق كلّ الأعمال، لأنّه ينصرف إلى تأصيل الداتية الثقافية والحضارية للأمة الإسلامية وتأمين الأجيال الحاضرة والقادمة ضدّ المؤثرات السلبية السالبة للقيم التي تكسب صاحبها القوة والقدرة والمتعة والتي تهزم في نفس الوقت دواعي اليأس وتطرد أسباب الهزيمة. بل هذا هو الوعي الحضاريّ الذي يضيف إلى ثقافة السّابقين أبعاداً ثقافية جديدة، ويثري تلك الثقافة بأراء وإبداعات وإضافات عصرية تُذكر بإعجاب وتقدير. وما يمكن أن نقوله في هذه النقطة، إنّ الحفاظ على الهوية للمرحلة الجديدة مشروطة بنجاح عملية التحديث نفسها، ومراعاة الثوابت والمتغيّرات في ظلّ الامتياز عن الأغيار في كافة التّواحي، وهكذا عرف مجتمعنا المغاربي الهوية الاجتماعية التي تكوّنت عبر عصور ضاربة في القدم، امتزج فيها السّكان بالفاتحين نسجاً محكماً، وطبع هذا النسيج الاجتماعي طابعاً خاصاً، انتموا إلى العروبة اللسانية فظلّوا أوفياء لقوميتهم الوطنية، وحين اقتبسوا الحضارة الغربية لم يقبلوا أن يخضعوا للنموذج الغربي بكلّ تفاصيله، بل حافظوا على التّقاليد والأنظمة التي اعتبروها تمثّل خصوصياتهم، وظلّ هذا المجتمع ملتزماً بنموذجه. وإنّ أكبر تهديد هو خلق هويّة ذات مفاهيم وقيم هجينة، تغيب فيه مقوّمات الشّخصيّة الأصيلة، ولذا يجب أن تأخذ مسألة الهوية البعد الروحي في المقام الأوّل، وبه تتحصّن، ثمّ تأتي المعطيات الأخرى القابلة

للتغيّر مثل التأقلم والتطوّر حسب الأحوال، وهذا ما يجب أن يتجسّد واضحاً في المنظومة التربويّة، ولا ننظر إلى الهوية على أساس أننا نخاف من الدّوبان في الغير، دون البحث في كيفية الوقوف في وجه كلّ التّحدّيات وفرض الوجود الحقيقيّ أمام الصّراع الذي يجب أن نخوضه من موقع التأثير فيه.

14- **الماريخيّة والعربيّة المستقبل المشترك:** إنّ ما ينتظر اللغتين أعمق بكثير من التّحوّلات التي عرفتها ولم تعش الصّدّامات، ولكن المستقبل الآن للغات التي تعرف العلم، وللغات التي تُنتجه، فكيف يكون الإنتاج إذا اشتعلت حربُ اللغات التي تبقينا على ذات تخلّفنا. وكان علينا أن نأخذ العبرة من نهوض أوروبا التي عرفت الخلافات التاريخيّة والجغرافيّة والإثنيّة واللغويّة، وسادت فيها لغة إيطاليا في القرن VIX، ثمّ الفرنسيّة في القرن I ووقع الاهتمام أولاً بالعلوم الإنسانيّة، وركّزت على موضوعات: الحرّيّة + التّعصّب + التسامح + الاهتمام بالتّراث + خوض ميدان ثورة البخار وكان ذلك مفتاح التطوّر بإحياء التّراث الكلاسيكي وموطنه إيطاليا، فعملت على إحياء تراث الرّومان، وكان موقع إيطاليا الذي جعلها على اتّصال بحضارات البحر الأبيض المتوسّط بهجرة العلماء اليونان إليها من كلّ أوروبا، ورعاية أمراء إيطاليا لآداب والفنون، وإحياء الحركات الأدبيّة ذات العلاقة بالعلوم الإنسانيّة والنّهضة المعاصرة بصورة عقلائيّة... وكان ذلك باب من أبواب ولوج العلوم الحديثة التي جعلت ثورة البخار تشتعل وتأتي بنهضة لغويّة فاقت المتصوّر. لماذا البداية بالعلوم الإنسانيّة؟ لأنّه إذا قوّمت الجانب الرّوحيّ/ الإنسانيّ يصبح الإنسان مبدعاً لا آلة. وبذلك

تقوّت الإيطالية وتعولمت، ثمّ تقوّضت، ثمّ انتشرت الفرنسية وتعولمت وها هي تعرف أيامها الأخيرة. فما مصيرنا في عالم يعرف هذه التحوّلات اللغوية التي لا تفرّ إلاّ باللغة الأقوى؟ ومصيرنا مشترك بما نملك من تعددية لغوية فهل يقع الثّبات اللغويّ في الزّمن القريب الذي يأتي على دحر لغات لا تنتج العلم وليس لها الإرث الحضاريّ ولا الآداب وما يجعلها (لغة الفيل) بميزان المنتج الضّخم. وإنّ التّهضة الأوروبيّة عبرة لنا وتجربة إنسانيّة جيّدة وفئة وخصبة، وكان محورها الإنسان في تقويم سلوكه قبل متوجهه الآليّ وسيطرته على الآلة لا سيطرة الآلة عليه. وبذلك تحقّق التراث اليونانيّ والرّومانيّ، ودرس دراسات وافية أخضعتة للتّقّد، ووقع منه استلهام قيم وأفكار جديدة أسهمت في إرساء قواعد الحضارة الأوروبيّة، وهل نحن فعلنا هذا في لساننا المشترك؟ ولهذا نرى بأنّ مصير المأزيغية في العربيّة التي لها مناعة الاندماج وقبول الإنتاج، وهي المؤهّلة لعالم الغدّ دون غيرها من اللغات الوطنيّة، ويقول الفرنسي (لويس ماسينيون/ Louis Massignon) "اللغة العربيّة هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلميّ، وهي من أنقى اللغات؛ فقد تفرّدت في طرائق التعبير العلميّ والفنيّ" ويقول الإسباني (كاميليو جوزي سيلا/ Camilio Gozy Silla) "إنّ لغات العالم تتّجه نحو التّنقص، وأنّه لن يبق إلاّ أربع لغات قادرة على الحضور العالميّ وهي: الإنكليزيّة+ الإسبانيّة+ العربيّة+ الصّينيّة. وعلينا إذاً استلهام تلك البدايات للتّهضة العربيّة التي كانت بالعلوم الإنسانيّة ومنطلقها الطّهطاوي+ الأفغاني+ محمد عبده... وهذا الرّعيل قطع شوطاً كبيراً في عملية التّحديث في البنيات الفكرية العربيّة العتيقة بفكر مستنير؛ عبر خلق توافق بين متطلّبات

الحياة المدنيّة المعاصرة، وبين الدّين الإسلاميّ وقيمه السّمحة، وهذا الدّين مدنيّ يقبل المتغيّرات ويتفاعل معها، وكانت العربيّة تغرس الثّقافة العربيّة الوسطيّة من خلال الشّعْر العربيّ واللغة العربيّة وذلك ما جعلها تستلهم الحضارة الشّرقيّة في جانبها الإنسانيّ بداية بالفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب، ثمّ الفلك والطبّ والرياضيات والجغرافيّة وكان العقل مبدعاً منفتحاً على معارف متنوّعة بدل الدّوبان في فكر فارس/ تركمان/ هنود/ مازيغيين. فما هي اللغة الاستثنائيّة التي يمكن أن تجد عمقها في المخاض القادم؟ لا شكّ هي اللغة العربيّة دون غيرها؛ لأنّها لم تعرف الدّوبان، بل صدّرت المعارف لأوروبا بمميّزاتها وبالفكر الفلسفيّ والرياضيّ من أرسطو إلى بطليموس، وكانت حركة الترجمة واعيّة، ووصلت مع نهاية القرن X إلى نهايتها بعد أن استنفدت موادها وبدأت الأعمال الأصليّة تظهر وتزداد، وكان توسّع الفكر العلميّ متمشياً مع انتشار الإسلام واللغة العربيّة بصفتها لغة تواصل جديدة/ (Franca Lingua) بامتداد كبير وصل إلى الصّين وأزاحت لغات كانت قويّة مثل السّريانيّة واليونانيّة والبيزنطيّة والرّومانيّة. إذا المصير المشترك للغتين الوطنيّتين يكون تحت (عباءة) هذه اللغة المشتركة التي تحمل الاستعدادات الدّاتيّة والخارجيّة لمعركة الغد؛ معركة التّهوض اللغويّ.

15- ما هي هويّتنا التي ندخل بها هذا العالم، ونحتلّ موقعنا في ساحته؟

وهذا هو السّؤال المهمّ، فهل يكون انتماءنا إلى المجموعة الغربيّة، وهل نملك تلك المقوّمات التي تنطبّع بها في تلك المجتمعات؟ ومن المعروف أنّ كلّ حضارة تعبّر عن هُويّات واضحة، وأنّ الحضارة الغربيّة حضارة بعيدة عنّا قلباً وجسماً وهي التي أثارت التّعرات القبليّة باسم الحضارات القديمة

والتراث القومي للشعوب، وأكبر سبب أن تنتسب إلى مجتمع لا تحمل محدّداته وصفاته الجوهرية، وقد جربنا الاستعمار الذي يستهدف سلب الهوية ويستهدف تغيير الخريطة السياسية، كما أنه لا يترك لك حرية التفكير، بل يشدك إلى ما يريد أن تفكر فيه، ثم لا يمكن أن يقبلك بسهولة إلا على أساس أن تكون العبد الذي يؤمر فيطيع (الانسلاخ عن الإنية) أو ننتمي إلى المجموعة الشرقية (الإسلامية) وهل لنا مقومات هذه المجموعة، ومن هذا الانتماء في الحقيقة أو ذاك نكسب الهوية. وعلينا الاعتراف بالواقع، لأنّ التفاعل الإيجابي بين المازيغيين والعرب تطلّب منا مواجهة المستقبل معاً ومسألة الأعراق مسألة يصعب البتّ فيها أمام التمازج الحاصل بين الشعبين اللذين لا يمكن الفصل بينهما بأيّ معيار كان، فقد حصلت المصاهرة والتداخل فلا يمكن إدراك الأثيل من الدّخيل ومن هنا تكون المواجهة بالعمل لمستقبل واحد ومصير مشترك. والحقيقة هذا ليس مصير التعايش، بل هو أمر واقع؛ لأنّ أصالة الدّم والسّاكن الأصيل واللغة الأمّ مسائل مبهمة فالباحث فيها مثله مثل الذي يبحث عن العنقاء في أرض الغول. ويؤسفي مرّة أخرى أن نبحت هذه المسائل؛ لأنّها أصبحت من الأبحاث التي لا فائدة من ورائها لعدم دقّة النتيجة، وأنّها لا تطرح على مستوى الشعوب المتقدّمة التي اندمجت في ما بينها رغم التّباعّد الدّينيّ واللغويّ بينها (أوروبا بلا حدود مثلاً) لكنّها تطرح عندنا بشكل حادّ، أليس من باب الغيرة أن نبحت في فضح مخطّطات التنصير باسم استعادة الهوية المازيغية، وهي الأجدر أن نعطي لها أهميّة قصوى لما تمثّله من خطورة على كثير من المستويات. وهكذا نرى أنّ مسألة الهوية اللغوية مفروغ منها؛ فهناك تعايش لغويّ منذ دخول الفاتحين

هذه البلاد، فلقد تَخَصَّصت كلُّ لغة بمجال معيّن، وما حدث صراع يمكن الإشارة إليه، فهنا نقول: إنّ المازيغيّة والعربيّة صنوان متكاملان غير متصارعين يكملان بعضهما البعض ويتوجّهان لمستقبل مشترك، ووحدة المصير فأنعم به من تكامل!

ومرة ثانية لا نطرح خطاب وعظ، وإنّما نريد خطورة ما قد ينتج من بعض الخروقات من طفع الشّباب وقد يؤثّر على العلاقات بين الأفراد داخل المنظومة الاجتماعية الواحدة، وبذا نرى ضرورة استجلاء جوانبه والتزام فقه الدّعوة، إلى جانب وقفة جادة تُعيد الأمور إلى نصابها، وتضع الحدود الفاصلة بين ما يجوز البحث فيه، وما لا يجوز، وما يمكن أن نعمل على مراجعته، وما لا تجوز فيه المراجعة، وهذا عملنا جميعاً بدءاً من شيخ الكتاب، إلى معلم المدرسة، إلى التاجر، إلى المسؤول، وإمام المسجد، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. ويجب أن يتجسّد الخطاب الدّينيّ والمدرسيّ والأدبيّ والتفسيّ والاجتماعيّ والعلميّ في أنّ المعطيات الجديدة والعولمة تفرض علينا التّعامل مع غيرنا، بله الحديث عن العلاقات بيننا، وتجبرنا على إقامة علاقات صحيّة مع الآخرين المختلف معهم لغةً وتاريخاً وحضارةً وتلحّ على فتح أبواب الحوار ورفع الحواجز، والقفز على حدود الزّمان والمكان، وإلغاء الخصوصيات وبناء علاقات إنسانيّة وحسن الحوار فالشّعوب تتقارب أو توشك على ذلك وتلتقي على أمر قد قدر، كما تعولم التّسيج البشريّ رغماً عن الانعزال في حوزات مغلقة بعيداً عن تجارب الآخرين، فلا بدّ أن نفتح على بعضنا، ونقبل بعضنا البعض ونتكيّف بإرادتنا أفضل من أن نفرض علينا أشياء ربّما لا تليق بمقاسنا ومقامنا.

16- اللغة العربية لغة جامعة: إنّ اللغة رابطة جماعية مجتمعية بامتياز، ولم توجد ليتفرد بها شخص دون آخر (حتى حين يبدع فيها وبها) بل إنّها خير يعمّ جماعة المتكلمين بها والمتعلمين لها، في نظام لغويّ عالميّ متحوّل، يتأسّس على التواصل والتبادل عبر اللغة قبل غيرها من الوسائط، وعلى علاقات متشابكة غير متكافئة وغير عادلة بين اللغات ودينامية تتحدّد فيها المواقع اللغوية، بحسب صعود اللغة في النظام الهرميّ أو المجرة أو الكوكبة، نتيجة صعودية عدد متكلميها ومستعمليها ومتعلميها، أو ضمور قيمتها العددية أو النوعية، كلازمة لعزوف الناطقين بها أو الناطقين غيرها عن توظيفها واستعمالها، أو تثمّن قيمتها الهوياتية/ الرمزية، أو ضمور إرادتهم في الحفاظ عليها وتعزيز بقائها. ولهذا يحتاج الأمر اللغويّ إلى حسن تدبير شؤون اللغة/ سياستها التي تتعلّق بالحكّام/ الشعوب/ الهيآت/ التّخب/ المنهاج/ المنهج/ الكلفة المالىّة... ومن خلال ما نعرفه من وضع لغويّ تعدّديّ، إلّا أنّ السياسات اللغوية تتطلّب إقامة التّوازنات بين الألسن، عبر قوانين استعمال اللغات، وعبر المراسيم. فنجد قانون تميم استعمال العربية يقرّ بالعمل على تطوير العربية في التّبيين اللغويّ الهويّ، ويعني صدارة العربية في مجال التّعدّد وهذا ما كان يجب أن تعمل الحكومات على إقرار سياسة لغوية عادلة متماسكة ومواطنة. وعندما ننظر في العربية بما لها من عدد الناطقين بها والمساحة الجغرافية في القارات الخمس، وفي الجانب الدّينيّ والرّتبة الأممية وعدد مستعمليها في الشّابكة، والزيادة البشرية المتسارعة، وعدد الجامعات والحضارة الشّرقية والمكتسبات القبلية، والآفاق الواعدة... وهذه بشائر خير ويعني العربية بخير، وليست مهدّدة في بقائها في المدى المنظور، وهي لغة

تواصل عالمية لكتلة بشرية مهمة تهيم مستعمليها للاستفادة من خيرات هذا الوضع اللغوي المتميز. وهذا ما يجعلها في بلدنا تأخذ معايير التدبير اللغوي المجتمعي، وتحمل بنى المجتمع المزوغي والعروبي في سياسة مقاربة إدماجية (inclusive) طوعية ديمقراطية، تتعايش فيها الألسن دون إقصاء، وتقام فيها توازنات معقولة يتبناها المواطنون، وتجد فيها المكونات اللغوية المختلفة مكانة تراعى فيها العدالة والتجاعة، وتمكّن المواطنين من تحديد الاختيارات والاستفادة من الفرص اللغوية الموضوعية بأنّ العربية هي اللسان اللغوي الجامع؛ بحيث يشترك فيه مختلف مستعملي التنوعات اللغوية، وأن لا تنافر مبدئياً بين هذا اللسان وألسن الهوية الأخرى التي يغتنى بها وتغتني به، ولا تنافر بين تقوية اللسان العربي وتقوية تعلّم اللغة/ اللغات الأجنبية. وهنا الوصفة النموذج التي نروم أن تقوم على تدبير لغوي يقوم على التماسك التنوع، التعدّد، مع تحديد الخطط والطرائق والشروط التي تضمن النجاح، مع ما يصحب ذلك من قوانين تزيد من تمتين هذه الفوارق المتحدة. إذاً، اللسان العربي يجمعنا، وهذا ما تؤكّده الممارسات اليومية التواصلية أنّ الجزائريين موحدون باللسان العربي بسجلاته وأساليبه وتنوعاته الفصيحة والدّارجة والمتوسطة، وأنّ التداول الديمقراطي والتواصل الفعلي مع مختلف طبقات الشعب يتمّ بهذا اللسان المتنوع، ولا يتعدّر التواصل به إلا في حالات أقليات قليلة، ومن كبار السن. هو إقرار بالواقع وإنصاف للمواطن في عروبة مزوغة مركبة ذات رمزية متراكمة زادت من تمتين المصالح بلسان مشترك لسان التواصل عند الأغلبية الساحقة. ومن خلال هذا؛ نجد تشكّل العروبة اللغوية التي نالت الانتشار بسرعة مع الساكنة الذين تعربوا ولكنهم حافظوا

على لسانهم. ولكن العربية تحوّلت إلى اللغة الإدارية والأدبية والدينية وعمّت وانتشرت، فتبنّت النخبة الثقافية اللغة العربية لغة للثقافة والعلم.

وهكذا انتشرت العربية في شمال أفريقيا على مراحل متسعة زمنياً انتشرت كلغة تواصل، وإن كان السّكان الرّحل احتفظوا بلغتهم المازيغية حتى القرن 11م، عندما دخلت قبائل بني هلال وبني سليم المغرب الكبير. "وهذه القبائل قدّمت من شمال الجزيرة العربية، ومن سوريا، ولحقت بها قبيلة ثالثة من أصل جنوبيّ، قبيلة معقل. وقد قدر عدد القبائل المهاجرة بمليون وعدد سكان المنطقة بـ 6 ملايين". والمهمّ في كلّ هذا أنّ التعريب مسّ بلاد المغرب بشكل شبه كلّّي، ولعبت فيه الدّول البربرية الصّنهاجية والمصمودية والزّناتية دوراً مهماً في تسهيل الاختلاط والاندماج، ابتداء من القرن 7م عبر المعسكرات والمدن، وهذا التعريب هو الذي حدّد الهوية اللغوية المغاربية في اختيار لغويّ تمّ بقناعة كبيرة. وها نحن في وضعنا نرى العربية في تاريخها القويّ برزت كلغة قويّة شاملة، وعاشت الكثير من الصّراعات وخرجت أكثر قوّة من ذي قبل، ونراها الآن تتصدّر الرّتب ضمن اللغات الكبرى، وتجعل منها سلعةً مربّحة لا مبخوسةً، وأنّ موجباتها أكثر من نواقصها، وأنّها لغة الإعلام بفضائيات عربية واسعة الانتشار، والتّأثير في الإعلام العربيّ والدّوليّ، وما يتبع ذلك من الصّحف المعرّبة بأرقام مبيعات مدهشة، فهناك علامات قويّة تدلّ على أنّ اللغة العربية عملة يُطلب ودّها وهي سلعة مربّحة، ومنتوج مستقبليّ صاعد في عالم المعلومات والاقتصاد المعرفيّ. مع ما لها من نقائص، وهذه موجودة في كلّ اللغات، وعلينا العمل على تجاوزها وتدبير شؤونها بجدية وبسهولة كبيرة يمكن تجاوز النّقص عند

معالجة ضمور أدوات البحث فيها وإقامة معرفة لسانية متقدمة، بسدّ المنتظر من الذخيرة اللغوية والمعجم التاريخي للغة العربية، ومشاريع المكانز الكبرى والمشاريع اللغوية الطويلة المدى. وهنا كان على المعربين أن ينهضوا ويعملوا، وأن يخرجوا من القول إلى الفعل، ومن (يجب الذي يجب) إلى المتوج الملموس. وماذا نقول إذا عجز المعربون عن تدبير شؤون العربية يعني العجز عن تدبير شؤونهم الخاصة. ولا يمكن أن ترتقي العربية وتبقى لها سلطة اللغة الجامعة إلاّ بالتغلب على المشاكل التي تحول دون تطويرها ويكون بمرجعيات ديداكتيكية منضبطة في علاج علمي يربط التراث بالحدثة ويخلق ديناميات تفاعلية من مرجعيات اللغات المتقدمة بما يجعلها تصمد في المتديات العلمية الدولية. وعلى النخبة المعربة أن تكون على وعي أنّنا بحاجة إلى نخبة تخدم العربية بأدوات تعليمية جذابة، وبمناطق معاصرة وتطبيقات بسيطة تحلّ مشكل المعاجم المدرسية وتسدّ نقص المصطلحات العلمية وتعمل على إقامة بنوك التصوص / التصوص المحللة، ووضع ضوابط المدققات اللغوية... ولننهض بلغتنا في مشروعها الحضاريّ علينا خوض ثورة هوجاء على الممارسات المتحجرة وغير المنتجة التي تجذّرت عند النخبة المعربة، ولا بد من تكوين نخبة معربة جديدة تبتعد عن الأساليب المتجاوزة وعلى رأسها التباهي بالعلم من أجل تميعه والسعي إلى الكسب بدون عملٍ فعليّ. ونحتاج كذلك إلى إقامة محتوى عربيّ ومرجعيات عربية ومراتب معرفية عربية، إسهاما في بناء اقتصاد معرفيّ عربيّ، وتقوية فرص الشغل للمعربين. وإنّ كثيراً من المعربين يمكن أن يفيدوا في ارتقاء اللغة العربية، إن هم ابتعدوا عن الأنانية من أجل خدمة هذه اللغة، بما وهبهم الله من معرفة

أو تقنية دون أن يلجوا مجالات لا يقدرّون عليها، وإنّ لمن شروط التعريب المواكب أن تثبت قيمته في التعجيم، وأن يتمّ ذلك عبر الجماعة في شبكات اتّصال وتعاون خدمة لهذه اللغة. اللغة العربية لغة جامعة، بالفعل، فهل يمكن أن نواجه العولمة بغيرها، وهل اللغات الوطنية الأخرى يمكن أن تبقى في مرتبة التدية؟ هنا التّوقع الذي يجب أن نعلّمه في إطار التّغول اللغويّ الذي لا يمكن أن يكون إلّا بالعربية، وهي المؤهّلة للبقاء والتّجاور والتّعايش والتّمّد في التّظام اللغويّ العالميّ وموقع الكوكبة اللغوية الجيوستراتيحي. واللغات كما نعلم تتحرّك في أنظمة لغوية عالمية محكمة بعلائق وضوابط بعيداً عن أن تكون وليدة الصدفة/ الاعتبار وهي أنظمة هرمية أسفلها لغات الجماعات الصّغيرة أو الهامشية أو الرّبضية (Peripherale) وهي بالآلاف وإن كان عدد مستعملها لا يتعدّى 10% من البشرية وقوتها أنّها لغات ذاكرة وزارية وسرديات وأحاديث شفوية بالأساس، وليست لغات تدوين أو كتابة أو قراءة، وقليل أن يحدث الاتّصال بين جماعات متكلّمها بل إنهم يضطّرون من أجل التجارة والإدارة والتّبادل أن يتعلّموا لغة مركزية (Centrale) تربط بين جماعات أكبر فكأنّ الرّبضيات أقمار تلتفّ حول كوكب هو المركز، وهناك حوالي 100 لغة في النظام العالمي تحتلّ المواقع المركزية ويستعملها حوالي 95% من البشر، وهي لغات التّعليم الأساسيّ على الخصوص، وربّما الثّانويّ أو العالي، وهي لغات الصّحف والمنشورات والكتب المدرسيّة والأدب، والإذاعات والفضائيات وجلّها تستعمل في السياسة والإدارة والمحاكم وتعدّ لغات (وطنية/ رسميّة) وتستعمل في التّدوين والأرشفة وكتابة التّاريخ وفي أمّات الكتب والقصص والوسائط

الإلكترونية حديثاً. والعربية من هذا النوع الأخير، علماً أنّ اللغات الرّسميّة عالمياً جدّ محدود، وموقع العربيّة في كوكبات اللغات المركزيّة ثابت، ولا تتجزّأ من النّظام اللغويّ لكبرى اللغات الرّسميّة/ الأميّة. وهذا ما يجب علّمه أنّ بقاءنا يرتبط بالكوكبيّة اللغويّة المعاصرة التي تُعطي صفة التّديّة التي لا نجدّها حالياً في المزوغة، ونجدّها في الفرنسيّة ولكّنها منقوصة؛ بحكم عدم نيل المقام بما لنا من تاريخ غير لاتينيّ، ومنشأ غير عربيّ، ودين غير كاثوليكيّ... كما لا نجد هذا المقام في اللهجات والدّوارج، ولا في لغات العلم الأخرى التي ليست مثلاً، فهي لن تقبل بنا، ولو أنفقنا عليها ما أنفقنا فتكون عوناً لها لصالحها وليس لنا. ولهذا؛ فإنّ تعميم استعمال اللغة المشتركة هي سبيلُ الثّبات وفرض الوجود وطريق الإبداع، ولا يكون إلاّ بالعربيّة وعلينا العمل بالتماسك والتّعريب الشّامل الأفقيّ والعموديّ في سجل لغويّ لكافة المواطنين، وهذا لا ينفي المازيغيّات على أنّها لسان حال بعض السّاكنة، ولكن لا تكون المازيغيّة اللغة الوحيدة في سجّلهم اللغويّ بل تكون بعروبة اللسان أيضاً.

وللخروج من عنق الزّجاجة تجدر العناية بمواصلة تعميم استعمال العربيّة في الإدارة وفي التّعليم العالي، فذلك ما يزيل فتيل الحروب اللغويّة/ الصّراع اللغويّ، لوجود خلاف فكريّ بسبب عامل اللغة ونخبويّة المشرّع/ المسؤول. وإنّ تعميم استعمال العربيّة كان عليه أن يكون شاملاً؛ يشمل جميع المواد بما في ذلك المواد العلميّة والتّقنيّة، دون انغلاق تدريس هذه المواد في بعض الوحدات باللغات القطب في حدود المعارف الأوّليّة ذات العلاقة بالمحدّدات المصطلحيّة، وأن تكون لغة الشّرح هي العربيّة. ولا بدّ أن نخرج من مرحلة

الشك/ عدم جاهزية العربية لتدريس العلوم بها، فهل الفنلندية/ الرومانية/ اليونانية/ المجرية/ الكورية/ الهنغارية... أفضل من العربية في هذا المجال؟ وهذه اللغات غير مصنفة في الترتيب العالمي، والعربية أعلى منها في كل شيء، لكن أين الخلل؟ بعد بداية التعميم ستظهر فجوات ضعف كمية مفردات المعاجم المتخصصة+ نقص المدرّس+ ضعف المراجع العربية+ غياب لغة العلم في العربية... هي من الطبيعي أن تكون لأنّ العربية لم توضع في الاستعمال، فكيف بها أن يتربّى فيها المصطلح ويستعمل وينال الانتشار وهي لم توضع في الحمام الاستعمالي. ستعالج هذه الثغرات، والمهم أن نبدأ والطريق تصنعه الأقدام.

وما يجب أن نكون على دراية به هو أنّ هذا الضّمور في المعارف التواصلية للعربية كان بسبب الإقصاء والقهر اللغويّ الذي مورس عليها منذ الاحتلال الأجنبيّ، ولم تنل حظّها ومكانتها في العلوم وأصبحت لغة غير علميّة لعدم تنامي العلوم فيها، وهذا أمر بدهي، وربّما يدخل هذا في حرمان المواطن من نيل العلوم بلغته، ولذلك ينظر لها بعين الانتقاص وعلى ذلك يتأسّس عنده منطق تصنيف لغته في خانة، واللغات الأخرى في خانة، بمبدأ التّفعية العلميّة لغة أدبيّة= لغة متخلّفة. لغة علميّة= لغة راقية. وتكون لغته في سلّم لغات الرّبض، فلا فائدة من ضياع الوقت في تعليمها، وفيها سجل التّماهي مع دينيها وهذا يكفي. وإنّ ضمور المعارف التواصلية جزء من قيمة اللغة في مقارنتها باللغات الأخرى، وجزء من قياسها ومقارنتها مع لغات التّدريس/ وسائل التواصل اليوميّ/ لغات الحضارة، وهذا ما يعطي القيمة الحقيقيّة لمقام أيّة لغة، وهذا يتنافى مع الديمقراطيّة والحقوق اللغويّة

التي يجب أن تؤدّى للمواطن بلغته الأمّ التي هي مناعته وملجؤه وبيته وحصنه الممانع. ويتأسّف المتعلّم لما يرى أنّ لغته لم تنل المكان في القرار السّياسي/ الاقتصاديّ/ سوق العمل، غياب الهوية العروبيّة اللغويّة/ الهوية العربيّة الإسلاميّة/ نقص الثّقة في اللغة الأمّ/ عدم شموليّة التّعميم الأفقيّ والعموديّ... كلّها مثبّطات تعمل على إذكاء مواطن السّلبية لدى أهلها وماذا نقول عند غير أهلها. ومن غير المعقول أن نسير في مجال العلم دون الرّجوع إلى الواقع ونبتعد عن التجارب العالميّة وإلى العدالة وتكافؤ الفرص بين الشعب ونخبه المسيرة بتبنيّ نظام لغويّ مفروض في التّعليم الجامعيّ والبحث العلميّ تكون اللغة الأجنبيّة فيه هي لغة التّدريس أو البحث الوحيدة في مختلف العلوم، وهذا غير مقبول، وليس من الطّبيعيّ أن تكون العربيّة هي لغة كلّ المجالات بل أن تنال حصصاً في كلّ سنة، وعبر مراحل تدريجية لغاية التّعميم الذي لا يعني الانغلاق، وذلك خطير أكثر، بل أن تكون وصفاً التّفّتح على تعدّدية لغويّة أجنبيّة مدروسة للانتفاع من كلّ لغات العلم.

وما يجب أن نعلّمه أنّه لا نهضة ولا منفعة مع التّبعيّة اللغويّة، وأنّ الحجر اللغويّ ضمن لغة واحدة لا يلبسنا طاقم التّقدّم. وعليه، ندعو إلى سياسة لغويّة عربيّة ربيعيّة تكون تكملة للاستقلال الاقتصاديّ بقرار وطنيّ ينفي الرّشد اللغويّ الذي وقف حجر عثرة في وجه التّحرّر الثقافيّ والعلميّ واللغويّ. وعلينا واجب التّهوض باللغات الوطنيّة بما لها من عدّة وما سوف تكسبه من عتاد ذاتيّ، وما سوف تكسبه من لغات أخرى، وهذا ليس بالأمر الصّعب. وعلينا واجب التّهوض بالقوّة والفعل تجاه اللغة المشتركة التي

تعمل على توحيدنا والدفع بمقامنا مع الشعوب الأخرى ومع اللغات التي لا ترحم اللغات الضعيفة. وإنَّ سبُل التَّهْوُض باللغة المشتركة تمكِّن الخروج من طَوْق الفرنكفونيَّة التي جعلتنا دون صفة لغويَّة ماثرة وعلينا تعميم لغتنا في التَّعليم العالِي والتَّقنيِّ في إطار تعدّديّ نفعيٍّ، واتِّخاذ سياسة تعدّديَّة في التَّعامل مع اللغات الأجنبيَّة، وفسح المجال أمام لغة أجنبيَّة ثانية بدءاً من المرحلة المتوسّطة، ولغات أجنبيّات أخرى في المرحلة الثَّانويَّة وفي الجامعة والانفتاح على المأزيغيّات درساً وتدرّيساً إلى جانب الحقِّ في اختيار اللغة الأجنبيَّة تكون لغة التَّدرّيس من بين اللغات الثَّمانيَّة (8) لغات العلم المعاصر.

وكان علينا تأكيد الحقِّ اللغوي للعربيَّة في الإشهار والإعلام والإدارة وتأكيد تمتع المواطن بانتشار لغته المشتركة في كلّ المجالات، وفي فرص العمل ولا يكون كلّ هذا في صميم العربيَّة إلّا إذا اتَّقنا فنَّ أدائها في التَّدرّيس وفي التَّبليغ، وهو المدخل الرّئيس لكلِّ النّجاحات؛ باعتبارها لغة التَّماسك الهويّ. وعليها أن تكون في مستوى هذا التَّماسك بما لها من حمولة ثقافيَّة وتاريخ طويل، وماضيٍّ مُغدِقٍ، وحاضرٍ مُشرقٍ، وما لها من أثرٍ في الدّاخل والخارج وما تعرفه من تبادلٍ علميٍّ مع المؤسَّسات ذات العلاقة. وعلينا بناء مشاريع التَّطوير اللغويِّ بما يستجيب لتطلّعات الواقع اللغوي بالعربيَّة وفي ذاتها واستغلال إمكانيّات هذه اللغة في بزوغ أكبر الفضائيّات العربيَّة وأجودها وأكثرها مصداقيَّة في نقل المعلومة، إلى جانب التَّنظير الشبكي لشبكات التَّواصل الإلكترونيّ، وهذا العقد شهد ارتفاعاً منقطع النّظير لمستعملي الشّابكة باللغة العربيَّة. فهذه اللغة لها إمكانيّات عدديَّة هائلة. وإنَّ آفاق

التّهوض اللغويّ من جديد واعدة، وعلينا فقط الوعي بما يسرّع الخطو، وما يوصل إلى الهدف بأقلّ جهد وتكلفة وعندما تُسند الأمور لأهلها أبشر خيراً بأنّ المسائل العالقة سترى سبل الخروج من التّفق. وأنعمّ به من تنوّع لغويّ عربيّ مزوغيّ! ونروم من الذين يهتمّهم أمر المواطنة اللغويّة أن يقدّموا لنا أفكار تدبير الحقل اللسانيّ الجزائريّ في تعدّدية مضيّفة متماسكة تُخرجنا من الإلغاء والسلبية إلى باب التّكامل الذي تُرسخه الممارسات الاصطلاحيّة والمعجميّة والتّوليديّة وإقذارهما على التّرجمات البيّنة؛ بالرفع من حيويتهما ووظيفيتهما الحياتيّة. ومن الضّروريّ دعم جهود الباحثين في اللغتين نظيراً وتطبيقاً من أجل خدمة المواطنين المتعلّمين بها، من أبناء الشعب والنّخبة ليعمّ الخير بهما في مختلف المستويات الاتّصاليّة والحضاريّة والاقتصاديّة والسياسيّة والهويّاتيّة.

- **الخلاصة:** لقد سعيينا من خلال هذه المقاربة تأكيد ذلك التّمتين والتّفاعل الحاصل بين العربيّة والمازيغيّة عبر التاريخ؛ لأنّ ثقافتنا مشتركة نحن الجزائريين، وقد انبنت في الأصل على الثّقافة المازيغيّة المركّبة من المازيغيّة والعربيّة، ومن ثقافة الإسلام، وهذه الرّوابط كثيرة وكبيرة. وهذا ما تُظهره الدّراسات التي أبانت عن تجاوز بُعد التّثاقف/ (Acculturation) التي تعني الاقتباس لبعض السّمات اللّغويّة/ الثّقافيّة/ العادات والتّقاليد، فقد تجاوزت صورة الأخذ، لدرجة المزج والتّصاهر والتّبادل، وهذا ما حصل لدى الفاتحين العرب وساكنة شمال أفريقيا، والذي تحوّل بعد هذا الزّمان الطّويل إلى المزج الكلّي الذي لا يمكن التّفريق بين السّاكنة؛ من التّفاعل الإيجابي في كلّ القضايا، فتكاد الفروق تنعدم في بعض المقامات. وكان علينا الوعي بمسألة مهمّة، وهي المازيغيّون/ البربر هم الذين تبنوا العربيّة عن قناعة فمازيغيون كُثُر تعرّبوا، وبقيت الخصوصيات اللّغويّة قائمة في مقاماتها المناسبة، وذلك ما أعطى للسّجل اللّغويّ التّعدديّة المفتوحة التي تضع كلّ وسيلة اتّصال في محلّه، وتجسّد ذلك في أطالس جغرافيّة مناطقيّة في أداءات مازيغيّة، ولغة عربيّة مشتركة تُعدّ اللغة الأمّ الجامعة. وكان ذلك عنصراً من عناصر الوحدة المتكاملة غير المتنافرة. وهو نوع من التّكامل اللّغويّ الطّبيعيّ، الذي أعاد اللّغتين إلى مُكوّناتهما التّحويّة والصّرفيّة والدّلاليّة والمعجميّة، هذا ما تظهره طبيعة اللّغتين من حيث الأرومة والنّشأة والتّبادل اللّسانيّ؛ لأنّ المنطلق واحد، والتّكامل كان موجوداً في أصل وضع اللّغتين. ومن هنا يجب الوعي بأنّ المسألة اللّغويّة لم تكن محلّ صراع بتاتاً؛ فقد حدثت وضعيات تعايش تامّة. وصاحبها الرّأي القائل بأنّ حضارتنا حضارة شرقيّة

لا غربيّة، كما أنّ أيام الشّدة حدثت هجرات إلى المشرق لا إلى الغرب، وهو شعور العودة إلى الأصل. كما أنّ هناك مباحث الاعتزاز الكثيرة التي يجب الافتخار بها على غرار كتاب (مفاخر البربر) فكيف كان أجدادنا أسوداً في الحروب، وكيف عملوا على حبّ العربيّة، والاعتزاز بالمازيغيّة، وكيف عمل ملوك البربر على إنزال العربيّة المقام العالي، وعملوا بها في دولهم ولم ينسوا التّمزيغ/ المازيغيّة؛ فكانت لغتهم الوظيفيّة التي يستعملونها في مناسبات تليق بها وهذا مبعث الاعتزاز الذي كان عند السّلف، فكيف لا يتكامل أو يتعزّز أكثر عند الخلف، فلم لا يكون للسّابق فضل التّأسيس، وللاحق فضل التّطوير. ولهذا علينا الوعي بالمطلب الهويّاتيّ عند بعض العناصر التي تعمل على تغييب هذه المكوّنات لإحداث قلاقل تشقّ المواطنة اللّغويّة وهذا يستلزم مرّة ومرّات الدّعوة إلى مزيد من التّأديّة الجماعيّة لتعميق التّكامل وتصحيح الوضع اللّغويّ الإلغائيّ، والتركيز على التّعايش اللّسانيّ وإظهار مواطن القوّة في هويّاتنا، وتكون قراءاتنا قراءات مضيئة لا تحريضيّة، وعدم القياس على الظّواهر الانعزاليّة الفرديّة والإقرار الحقيقي بأنّ ساكنة شمال أفريقيا تبّنوا الإسلام عن قناعة وتعلّموا الدّين الإسلاميّ بتدبّر ورويّة ونشروه خارج مواطنهم، وجعلوا لغة الإسلام تنال الصّدارة، مع ما تلاها من حصول الوئام والتّناسق والتّجاور بفعل الإسلام الموحد الذي يرفض الاعتداء مهما كان نوعه.

وفي الحقيقة بأنّ العربيّة والمازيغيّة ليستا في حالة تعايش، بل في حالة تبادل دائم، وما ينقص هو العمل على تجسيد الإسمنت الوطنيّ كإسمنت حديديّ يُقوّي العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد كما قال (Schnaper) ومع ذلك

يجب تجسيد هذا المبدأ عبر التّشعّبة الاجتماعيّة، وتغذيها المدرسة مهما تعدّدت ألسنة تلاميذها، وتضيفها جمالاً مؤسّسات الدّولة ذات العلاقة وتسعى إلى ثبّت المكوّنات الوحدويّة المُجسّدة في السّلوك الاجتماعيّ؛ لأنّه عندما ترتبط اللّغة بهُويات وطنيّة لا يمكن أن تحصل الفرقة ولا الضّعيفة ولا الخلاف، وقد يحصل الاختلاف المنهجيّ لكن الهدف واحد. ومن هنا يبدو لنا بأنّه يجب أن نستثمر في المطلب الوطني المازيغيّ بإجراء تكييفيّ يؤدّي إلى التّوازن والانسجام مع الرّاهن والمستقبل. ومن الضّروريّ المحافظة على الخريطة اللّغويّة المعاصرة بتكييف نفعيّ غرضه توزيع استعمال لغويّ نفعيّ يَتَمَشى وتطلّعات السّاكنة. وفي كلّ هذا لا بدّ أن نصنع الكثير من التّسامح اللّغويّ وصولاً إلى حسن التّأديّة بغية التّكامل والحذر من ميكيافيلية عدو الأمس التي تسعى إلى إيجاد الفواصل والتّباعّد اللّغويّ والدينيّ، وإعطاء أمثلة/ نماذج ضيّقة لمعاملات الأفراد على أنّها نماذج ثابتة ومعاملات يوميّة احتقاريّة للسّاكنة، وهذا ما رسّخته هذه الميكيافيلية = التّمييز + تعدّد الأعراق + التّزوح + عرب + بربر + أقليّات + مهاجرون + بدو... ومع كلّ هذا، فإنّه لا بدّ من الخروج من فكر الانغلاق القوميّ/ الهويّاتيّ، وعدم القفز على الحقائق والإقرار بالهوية الوطنيّة المازيغيّة، والتفتّح على اللّغات الأجنبيّة، وهي ضرورة قصوى تُملّيها علينا آليات الانسجام الجمعيّ الوطنيّ؛ سعياً إلى بناء مستقبل يتجاوز العقبات اللّسانيّة.

المصادر:

- 1- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسان العربيّ: بين التماسك والتنوّع والتّعدّد. مقالة في الشّابكة 16 جويلية 2021.
- 2- صالح بلعيد، المازيغية في خطر. مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر. الجزائر 2012، منشورات المخبر، جامعة تيزي-وزو.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



رئاسة الجمهورية
المجلس الأعلى للغة العربية



إعلان عن جائزة المجلس للغة العربية 2022

يعلن المجلس الأعلى للغة العربية عن تنظيم (جائزة المجلس للغة العربية لسنة 2022) التي تهدف إلى تشجيع الباحثين من داخل الوطن، وتثمين منجزاتهم العلمية والمعرفية والإبداعية، ذات المردود النوعي الهادف إلى إثراء اللغة العربية، والإسهام في نشرها وترقيتها، سواء أكانت هذه الأعمال مؤلفة باللغة العربية، أم مترجمة إليها.

1. شروط الترشح للجائزة:

- أن يقدم العمل باللغة العربية؛
- أن يتوفر العمل على قواعد المنهجية العلمية؛
- أن يكون العمل موثقاً وأصيلاً، وفي مجال الترجمة ترفق نسخة للنص بلغته الأصلية؛
- أن يكون العمل المقدم لا يتجاوز خمسمائة (500) صفحة (مكتوبة بخط simplified arabic حجم 14)؛
- ألا يكون العمل قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علمية؛
- ألا يكون العمل قد نُشر، ويُصحب بتصريح شريفي، يحمل من موقع المجلس؛
- أن يندرج العمل في أحد المجالات المذكورة أدناه؛

- قرارات لجنة التحكيم غير قابلة للطعن؛
- لا ترد الأعمال إلى أصحابها؛ سواء فازت أم لم تفز؛
- لا يحقّ للحائز على جائزة المجلس للغة العربية، أن يتقدم بعمل آخر إلا بعد مرور دورتين من حصوله عليها.

- تعرض الأعمال المرشحة على لجنة تحكيم؛ مكوّنة من ذوي الاختصاص والذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة.

2 - مبلغ الجائزة: حدّد مبلغ الجائزة بـ 2.000.000 دج، يوزّع بمقدار 500.000 دج لكلّ مجال من المجالات الأربعة التالية:

- 1/ 2 - جائزة المجلس في علوم اللسان.
- 2/ 2 - جائزة المجلس في برمجيات الدّعم باللغة العربية.
- 3/ 2 - جائزة المجلس في التّرجمة إلى العربية.
- 4/ 2 - جائزة المجلس في وسائل الإعلام والاتّصال والتّواصل الاجتماعيّ باللغة العربية.

في حالة وجود جائزتين: استحقاقية - تشجيعية؛ يوزّع المبلغ الماليّ في كلّ مجال من مجالات جائزة المجلس للغة العربية على النّحو التّالي:

- 70% لجائزة الاستحقاق؛
 - 30% للجائزة التّشجيعية.
- وفي حالة حجب جائزة في مجال من المجالات، يمكن للجنة التحكيم أن تقترح جائزة تشجيعية، تقطّعتها من المجال المحجوب إلى مجال آخر، على ألاّ تتجاوز قيمتها 50% من مبلغ الجائزة الثّانية.

- تنشر الأعمال الفائزة، ضمن منشورات المجلس باستثناء الجائزة التّشجيعية التي تُحال على هيئتي تحرير مجلتي: اللغة العربية، ومجلة معالم للتّرجمة؛ للتداول بشأن إمكانية نشرها في عدد من أعدادهما.
- تصبح الأعمال الفائزة بجائزة المجلس ملّكا للمجلس، إلا أنّه يمكن لمؤلّفها استعادة حقوقه بعد انقضاء ثلاث (03) سنوات من نشر العمل.

3. طلب الترشّح: يتكوّن طلب الترشّح للجائزة من الوثائق الآتية:

- طلب خطي؛
 - تصريح شرعيّ بعدم نشر هذا العمل، يحمل من موقع المجلس؛
 - نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التعريف أو رخصة السياقة)؛
 - السيرة العلميّة للمشاركة؛
 - نسختين/02 من البحث المقدّم لنيل الجائزة:
- ❖ النسخة الأولى / مسجّلة على قرص؛
- ❖ والنسخة الثانية / توجّه عن طريق البريد المسجّل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهداً على ذلك.

4. للتذكير؛ إنّ باب الترشّح مفتوح إلى غاية 31 مارس 2022.

للاستفسار: الاتصال بالروابط: الهاتف: 09 07 23 021 /
021 23 88 99.

البريد الإلكتروني: jaizamajeless2022@gmail.com

5 — يوجّه ملف الترشّح إلى العنوان الآتي:

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرانكلين روزفلت، الجزائر.

أوص.ب : 575 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة

(جائزة المجلس للغة العربية 2022).

تم إخراج وطبع ب :
دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة-الجزائر
الهواتف: 021.68.86.48-021.68.86.48-05.42.72.40.22
البريد الإلكتروني: khaldou99_ed@yahoo.fr